جامعة القاهرة

كلية دار العلوم

قسم الفلسفة الإسلامية

آداب العالم والمتعلم عند المفكرين المسلمين

من منتصف القرن الثاني الهجري وحتى نهاية القرن السابع

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية

إعداد الطالب / يحيى حسن علي مراد

إشراف الأستاذ الدكتور / مصطفى محمد حلمي

القاهرة ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

لقد كان هناك العديد من الدوافع والأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع للبحث والدراسة ؛ تعود في مجملها إلى خطورة الدور الذي تلعبه تلك الآداب في حياة الأجواء العلمية في كل زمان ، وعلى وجه الخصوص في زماننا الراهن ، وما يكتنفه من أزمات أخلاقية باتت تهدد النشاطات البشرية بالهلاك بعد أن استشرفت آفاقاً بعيدة من التطور.

وبقدر ما كان يشعر به الباحث من الإعجاب والتقدير للدور الكبير الذي لعبه أسلافنا من المفكرين المسلمين ، في الفترة المنوط بها هذا البحث ، بقدر ما آلمه فتور هذا الاهتمام في عصرنا الحديث ، اللهم في القليل النادر ، فضلا أن هذا القليل النادر لا يقتفي في معظمه آفاق الآداب الإسلامية الرفيعة ، وما أنتجته قرائح مفكرينا المسلمين في عصور ازدهار الحضارة الإسلامية السالفة ، وإنما جاءت كثير من تلك المحاولات تستشرف مناهج الغرب بكل ما قد تحتويه هذا المناهج من زوايا اختلاف في الرؤية والتطبيق ، ولذلك فإن مثل هذه المناهج لم تستطع أن تحد من الآفات المستشرية في الأوساط العلمية – علماء وطلبة علم – بل ما نزال نلمس من الظواهر المرضية التي تتنافى مع الدور الكبير الذي يتحمله العلماء وطلبة العلم –كذلك– في بناء أمتنا الحديثة [1].

وإذا كان المتتبع لأحوالنا المعاصرة يعلم بالضرورة أننا نعالج أسباب الصحوة والنهوض ؛ فإنه يعلم بالضرورة كذلك أن صحوة الأمم الإسلامية في هذا العصر تحتاج إلى هوية ، وإلى تأصيل ؛ لأن كل أمة تريد أن تنهض أو تتقدم فلا بد أن تغرس في تربتها ، وتزرع في أرضها ، وتسقى من مائها ؛ حتى تكون النبتة آمنة باسقة تؤتي أكلها

(1) من هذه الآفات على سبيل المثال لا الحصر، ما يتردد على الأسماع كل فترة من أحاديث منتشرة حول سرقة الأبحاث العلمية. وإذا كانت هذه أحداث فردية تطفح على السطح من آن لآخر، فما أسمعها من ظاهرة تلك التي لا يكف الحديث عنها بل باتت من الشيوع الذي يجعلها من المحسوسات في الحياة التعليمية اليوم، ألا وهي ظاهرة الغش الجماعي، فأي أمة تصبو إلى مواكبة الركب الحضاري وهذا الواقع المؤلم يهدد كيانها بالبوار ؟! ، يراجع: د.زغلول راغب النجار، أزمة التعليم المعاصر، مكتبة الفلاح،الكويت،ط١، ١٩٨٠م،ص: ٤٩ – ٥٦.

كل حين لأهلها وذويها ، وتحمل نكهتهم ، وتصطبغ بلونهم ، وما ينبغي لأمة تريـــد أن تبنى عزتها وتبعث في كيانها الحياة الكريمة ، أن تبدأ أولى خطواتها للنماء بلبان الآخريـــن ، وما ينبغي لها وهي تصيغ شخصيتها أن تتزود بفتات غيرها ، وتنهل من ثقافتها دون تميـيز لما في هذا الثقافة من نافع فتستطعمه ، أو تالف فتستقصيه ، فإن فقـــدت قدرتهـــا علـــى الاختيار لابد وأن تعيش حياة الذلة والتقليد ، فاقدة لمقومـــات شـــخصيتها ، وحقيقـــة استقلاليتها ، وتظل راسفة في أغلال التبعية (١) ، وحياتها مهددة دائماً بالزوال .

والمتمعن في دراسة أحوال المجتمعات الإسلامية على اختلاف أمكنتها وأقطارها سوف يلحظ ما تعانيه هذه المجتمعات من مشاكل ثقافية واقتصادية واجتماعية وسياسية عديـدة ، وإذا ما أطال التمعن والتفكير في هذه المشاكل فسوف يجد أنها – على الرغم من تعددهـــا وتنوعها – ترجع إلى أسباب أولية رئيسة ، يأتي في مقدمتها – من وجهة نظر البـــاحث – تخلي المسلمين عن التطبيق الكامل لتعاليم دينهم وأحكامه في كافة شئون الحياة ، وتخلفــهم الفكري والتربوي في حاضر حياتهم .

فهم ما وقعوا فيما وقعوا فيه من مشاكل وتأخر إلا بعد انسلاخهم عن تلك التعـاليم ، وإهمالهم ما فيها من معاني القوة والعزة ، ومن دعوة إلى العلم النافع والعمـــل الصـــالح ، والجهاد في سبيل الله .

وحينما تخلفوا فكرياً وعلمياً ، وباتوا على التقليد يقتاتون من فتات منـــاهج الغـير ونظمه مهما كانت متناقضة متنافرة مع طبيعة الأمة وطبيعة كيانها العقدي والاجتمـــاعي والثقافي في شتى المجالات ، تعليمية وسياسية وتشريعية... انطمست معـــالم هويتـــهم ، وميعت بين الحضارات سمات شخصيتهم ، تلك التي كانت شامخة متمـــيزة في عصـــور ازدهار حضارتهم السالفة .

إن من واجب المسلمين إذا ما أرادوا أن يتخلصوا من ربقة التخلف ، وأن يســتعيدوا سالف مجدهم الذي تمتعت البشرية من النهل من معينه الصافي حيناً مـــن الدهـــر ، مـــن الواجب عليهم أن يعملوا جاهدين لصياغة حياتهم وفق تعاليم الإسلام ، وذلـــك قدرتنـــا

---

(١) د. توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية،دار الوفاء،مصر،ط١، ١٩٨٩م،ص٧،بتصرف.

الذي لا فكاك منه فـ(لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أ ولها) [١].

ومن أهم تلك النواحي التي ينبغي أن نعيد دراستها بأدواتنا : الأنظمة التعليمية والتربوية ، إن التعليم في حياة الأمة ، ومع كونه صناعة ثقيلة ، بل هو من أهم الصناعات الاستراتيجية في حياة الأمة ، ومع كونها صناعة ثقيلة إلا أنها في ذات الوقت صناعة دقيقة وحساسة ، إذ إنها لا تتعامل مع الجمادات كسائر الصناعات الأخرى ، وإنما موادها الأولية هم البشر بكل مكوناتهم الإنسانية المعقدة والمتفاوتة ، من استعدادات ، وطاقات ، وغرائز ، ومواريث ، ودوافع ، وتطلعات ، فضلا عن خضوعهم لشتى العوامل المؤثرة في بناء الفرد .

إنها صناعة في غاية الخطورة في مدخلاها ومخرجاتها ، وما بالنا من صناعة تكون الخامة الأولى فيها النموذج البشرى ، ويكون من مخرجاتها أولئك القادة والزعماء والعلماء والأدباء والمفكرين..، وبكلمة مختصرة : إنها صناعة الإنسان الصالح للتعامل مع الحياة في شتى مناحيها ، والقادر على إعمارها وتحقيق حسن الاستخلاف .

فالتعليم إذن يناط به أعقد المهام وأدقها ، وأبعدها أثرا ، ومن ثم فإن أي خطأ أو خلل ، أو عجز أو تقصير في صياغة مناهجه وأسسه ، سوف يكون له آثاره السيئة والمزمنة ، فتتعقد نتائجه المشكلة ، وتتراكب في مستوياتها العديدة على مر الأجيال والدهور .

لقد وصفت صناعة التعليم بأنها صناعة استراتيجية لما تقوم به هذه الصناعة من دور هام في صياغة الأفراد ، وتشكيلهم الثقافي والعلمي ، والتأثير بعيد المدى ؛ حيث تزرع في معاهد التعليم بذور المستقبل في حياة الإنسان العقلية والسلوكية فإذا لم نحسن بناء المقدمات بشكل سليم ، فسوف ننتهي إلى نتائج تملكنا ولا نملك إزاءها أي إمكانية للتغيير .

ويمكن القول : إن مظاهر التخلف والتراجع لا تخرج عن كونها أعراضا للإصابة والخلل في العملية التعليمية ؛ فالتعليم سبب لنهوض الأمم ، وسر لتخلفها وتراجعها [٢] ،

---

(١) د. عمر محمد التومي:من أسس التربية الإسلامية،المنشأة العامة للنشر والتوزيع،طرابلس،ليبيا،ط٢،١٩٨٢م،ص١٧،بتصرف.

(٢) المرجع السابق، نفس الصفحة.

ولذلك حين نبحث في حياة الأمم عن سر تقدمها نجد أن هذا التقدم لم يأت من فـــراغ البتة ، كما لم يأت من دعاوى وأمنيات ، بل جاء عـــن إدراك لخطـــورة دور العمليـــة التعليمية في النهوض والارتقاء ، ومدى أهمية المداومة على مراجعة تلك النظم التعليميـــة [1]، من حين لآخر ومدى قدرتها على صياغة الأجيال التي تملـــك التفـــوق في الســـباق الحضاري الراهن [2].

فإذا كنا نسعى بالفعل إلى النهوض الحضاري ، وقيادة العالم إلى طريق الخير والفـلاح كما أراد الله – عز وجل – لنا في ذلك الخطاب القرآني : ﴿ **كنتم خير أمـــة أخرجـــت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله** ﴾ [3] فلابد أن نعتصم بأسباب هذا النهوض ، وعلى رأس هذه الأسباب : إصلاح حال التعليم شكلا ومضمونـــا ، ولا يمكن أن يصلح حال التعليم ولا الموقف التعليمي إلا إذا صلح حال المعلم ذاتـــه ؛ دينـــا وخلقا وعلما وثقافة..، إن المعلم من أهم عناصر العملية التعليمية –إن لم يكـــن أهمـــها- على الإطلاق ، ولن نستطيع أن نضع خطة لإصلاح العملية التعليمية إلا بـــإصلاح أهـــم عناصرها ، ألا وهو المعلم .

إن المعلم حين يكون في حالة صالحة فإننا بكل تأكيد نكون قد اجتزنا أولى خطـــوات الإصلاح في الموقف التعليمي ، يقول الدكتور حامد طاهر : (ولا شك في أن.. تكويـــن العالم تكوينا أخلاقيا بالإضافة إلى تكوينه العلمي.. يسد ثغرة هائلة في منـــاهج البحـــث الحديثة ، التي قصرت كل اهتمامها على الأسلوب العلمي في البحث ، و لم تعط أية عنايـــة للإنسان.. ويكفي أن نشير إلى الأضرار الخطيرة التي ترتبت على هذه الثغرة ، ومنها علـــى سبيل المثال أن العلماء الغربيين قد وجهوا قدراتهم الفكرية العظيمة إلى تطوير وسائل تدمير الجنس البشرى) [4] .

وبنفس القدر من الأهمية يكون تكوين المتعلم التكوين الأخلاقي ، بجانب التكويـــن العلمي له أبلغ الأثر في تحقيق رسالة الإنسان في هذه الحياة ، وفقا للمعايير الإســـلامية ،

---

(١)د. يوسف عبد المعطى:أمة معرضة للخطر، در الصحوة،القاهرة،ط١،١٩٨٦،ص٨-٩وما بعدها.

(٢)المكى أقلانية:النظم التعليمية عن المحدثين ،كتاب الأمة،قطر،ط١،١٩٩٣م،ص١١،بتصرف.

(٣)سورة :آل عمران ، آية : ١١٠.

(٤)د.حامد طاهر:الخطاب الأخلاقى فى الحضارة الإسلامية،مكتبة الزهراء،القاهرة،١٩٩٢،ص١٢٣.

و الغايات التي خلقه الله عز وجل من أجلها ، بغية الوصول إلى مرضاته سبحانه ، والفوز بالنعيم والسعادة في الدارين .

إن الاهتمام بـ"آداب العالم والمتعلم" نظريا وعمليا كان على رأس الموضوعات (القضايا) التي اهتم بها علماء الإسلام و مفكروه ، فلقد أدركوا أهمية العنصر الأخلاقي والآدابي في بناء الحضارات والأمم ، ومن ثم أفردوا لها المؤلفات العديدة ، بل لم يكد يخلو مؤلف من مؤلفاتهم من إشارة إلى الأخلاق ، والتذكير بأهميتها ، والندب إلى الالتزام بها ؛ حيث كانوا يعتقدون أن فقدان هذا العنصر يقوض الحضارة من أصولها ، ويفقدها الجانب الإنساني ، وحين تفقد الحضارة شقها الإنساني كان ذلك مؤذنا بزوالها وارتدادها للبداوة وحياة الهمجية والانحطاط ، ولكنها لا ترتد حين ترتد إلا بإنسانية محطمة ، وركام بائس من التيه والخراب [1] .

ولما كان للأخلاق والآداب هذه الأهمية والمكانة ، فقد اعتنى الإسلام بها أيما عناية ، بل وصفها الرسول ﷺ بأنها من أساسيات بعثته ، وذلك حين قال ﷺ : **(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)** [2] .

وإذا كان ديننا يدعو الناس جميعا إلى التحلي بمكارم الأخلاق ، فإن العلماء والمتعلمين هم أولى الناس بالتمسك بها ، وإذا كانت مكانتهم التي بوأهم الله إياها في كتابه تحتم عليهم أن يكونوا في مقدمة الناس تحليا بهذه الفضائل ، فإن مراعاتهم لهذا الجانب المهم يعلي من قدرهم عن الناس ، ويسبغ عليهم جلالا ووقاراً ، ويجعل لما يمتلكونه من علم مصداقية تؤهلهم لأن يكونوا نموذجا يقتدى به ، ومصابيح هداية للأنام ، ولذلك استحقوا أن يصفهم الرسول صلى ﷺ : بأنهم **(ورثة الأنبياء)** [3] .

والعالم والمتعلم شريكان في ذلك الفضل ، فكان حريا بهما أن تظهر عليهما أمارات الخضوع التام لأوامر الدين ونواهيه ، والتخلق بآدابه وأخلاقه .

وعلى هذا"فآداب العالم والمتعلم" لا تنفك عنهما أبدا ، أو هكذا ينبغي أن تكون ، ولذلك فقد دلت نصوص الشريعة على ذلك ، وأرشدت إليه ، ونادت بها الكليات العامة

---

(١)د.توفيق يوسف الواعي: الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية،مرجع سابق،ص٧-٨ .

(٢)الحديث رواه البخارى فى الأدب المفرد .

(٣)الحديث رواه ابو داود ، والترمذى ، والحاكم ، وابن حبان، وهو حديث صحيح.

والقواعد الشاملة في الدين ، لا يسع أحد أن يخرج عليها ، أو ألا ينظر إليـــها إلا بعـــين الاعتبار .

ومن أجل ذلك وجدتني مدفوعا إلى البحث في هذا الموضوع ؛ عسى أن أســـاهم في إبراز هذا الجانب المشرق من تراث المسلمين قبل أن يطويه النسيان أولا ، و ثانيا محاولـــة الاستفادة منه في تـــأصيل الأخلاق العلمية للأجيال الحاضرة ، وربطهم بتلك الأجيال مـن العلماء الصالحين من أسلافنا ، الذين استطاعوا بفضل تمثلهم لتلك الآداب في حيـــاهم أن يسودوا حضارات العالم ويقعوا من الأمم مكان الأستاذية الراشدة .

الدراسات السابقة :

على الرغم من خطورة هذا الجانب الأخلاقي في الفكر الإسلامي ، إلا أن الظاهرة لم تنل حقها من الدراسة والتقويم في نطاق البحث الأكاديمي ، وإذا كان الاهتمام بهذا الجانب بدأ يأخذ حيزا متواضعا من فترة قصيرة ، فإن الدراسات التي وقف الباحث عليها لم تكن -في أغلبها- على القدر الكافي من الاستيعاب لكل جوانب الموضوع .

وفي حدود علم الباحث لا توجد دراسات سابقة ناقشت آداب العالم والمتعلم بصورة شاملة ومفصلة ، بل هناك تناول لتلك الآداب في ثنايا بعض الدراسات التي تناولت تاريخ التربية في الفكر الإسلامي ، أو تناولت الآراء التربوية لبعض العلماء الأولين ، ومن أهم تلك الدراسات السابقة :

١-دراسة الدكتور أحمد شلبي : (التربية الإسلامية ، نظمها ، فلسفتها ، تاريخها) (١) ، حيث تناول في الباب الرابع منها الحديث عن التلاميذ ، وواجباتهم نحو أنفسهم ، وعلاقاتهم بأساتذتهم ، وزملائهم ، وعلاقتهم بالمجتمع ، ولكن تناول هذا الموضوع اتسم بالإيجاز الشديد ، نظرا للطبيعة الموسوعية للكتاب ، الذي تناول الكثير من الموضوعات الأخرى ، إضافة إلى أن الدراسة حلقة في سلسلة دراسات بعنوان "موسوعة الحضارة الإسلامية" .

٢-دراسة الباحثة عفاف محمد سعيد : (الغزالي دراسة آرائه التربوية في المعلم والمتعلم ونظرة التربية المعاصرة إليها) (٢) ، وقد عرضت الباحثة لآراء الغزالي في آداب العالم والمتعلم من خلال مؤلفات الغزالى ، وخاصة كتابه "أيها الولد" ، ومقدمة "إحياء علوم الدين" .

٣-دراسة الباحث عبد الرؤوف يوسف :(أخلاق العالم والمتعلم عند أبي بكر الآجري) (٣) حيث تناولت الدراسة الحديث عن أخلاق العالم والمتعلم في فكر الآجري ، و أهم

---

(١) مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٨٨م،ط١٢.

(٢) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية،جامعة عين شمس،١٩٨٥.

(٣) دار عمار، الأردن،١٩٩١م،ط١.

الصفات التي ييج أن يتحلوا بها ، وطرق التدريس وأساليبه التي أكد عليها الآجري .

وثمة دراسات أخرى اهتمت بالكتابة عن أخلاق العلماء وأخلاق طلبـــة العلـــم ، مستعينة في ذلك بأمهات الكتب والمصادر التراثية الكثيرة ، ومن أمثلتها " أخلاق العلمـاء" للشيخ محمد بن سليمان ، و"أخلاق العالم والمتعلم" للدكتور: محمـــد ســـعيد رســـلان ، و "حلية طالب العلم" للدكتور بكر أبو زيد وغيرها .

والباحث في اطلاعه على تلك الدراسات لم يقف في أي منها علـــى مـــا يســـتوعب البحث في جميع جوانبه ، أو دراسته بالكيفية التي قام بها البحث .

إن هذه الملاحظات لا تغض من قيمة هذه الدراسات ، والباحث قد عمـــل جـــاهداً على الاستفادة من كافة ما سبقه من جهود في هذا المجال ، محاولا أن تكون دراسته قريبـــة إلى استيعاب الموضوع ، عسى أن يكون بحثه لبنة في ذلك البناء العلمي ، وخطـــوة نحـــو رؤية متكاملة عن هذا الموضوع .

والباحث لا يدعى أنه قد أحاط بكل شئ علماً ، وأن دراسته قد خبرت درباً فلـــم تدع للغير فيه مقالاً ، فهذا ما لا يدعيه ، وإنما هو جهد المقل ، وما يزال الطريق طويـــلاً ، يحتاج إلى تضافر جهود الباحثين ، عسى أن تكون لنا رؤية متكاملة أقرب ما تكـــون إلى طبيعة مجتمعاتنا الإسلامية ، مما يهيئ لها أن تعمل على صياغة مستقبلنا المشرق إن شاء الله.

الحدود الزمانية والموضوعية للبحث :

توفر هذا البحث على دراسة " آداب العالم والمتعلم" في الفكر الإسلامي خلال الفترة من منتصف القرن الثاني الهجري ، وحتى نهاية القرن السابع ، مستعيناً بكل ما في هذا التراث من مؤلفات سواء اختصت هذه المؤلفات بالحديث عن هذا الموضوع على حدة ، أو كان الحديث عنه في غضون الحديث عن موضوعات أخرى .

ولقد اختار الباحث هذه الفترة الزمنية بعينها لأنها تمثل مرحلة الازدهار الفكري والحضاري للأمة الإسلامية ، حيث كان المجتمع الإسلامي أنضج ما يكون في كل جوانب الحياة ؛ سعياً وراء الرقي والكمال .

أما لماذا حدد الباحث نهاية بحثه عند نهاية القرن السابع ، فقد جاء ذلك ليتسق مع آخر ما وصلنا من مؤلف يتناول هذا الموضوع بشيء من الجدة والابتكار والشمول ، ألا وهو كتاب " تذكرة السامع والمتكلم" لبدر الدين بن جماعة ، إذ إن ما جاء بعده من مؤلفات ، لا يعدو أن يكون تكرارا لما سبقه ، أو اختصارا له ، أو شرحا أو تعليقا.. أو غير ذلك مما يدل على فتور الملكة ، وضعف الهمة .

أهداف البحث :

إن الحديث عن أهداف البحث ليس من فضول الكلام ، بل له من الأهمية البالغة ما يدفع الباحث إلى ضرورة تحديد هذه الأهداف في مقدمة بحثه ، فعلى هديها يستطيع الباحث أن يصيغ خطته ، وأن يحدد المناهج التي يستطيع من خلالها التوصل إلى نتائج صحيحة تتحقق من خلالها هذه الأهداف المرجوة .

وهذا البحث يرمى إلى تحقيق أهداف عديدة ، من أهمها :

١- إبراز مدى اهتمام المفكرين المسلمين بالجانب الأخلاقي والسلوكي للعالم والمتعلم ، وبيان عناصر نسق آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي ، إذ رأى الباحث أن بعضاً من الباحثين ينكرون وجود نسق أو نظرية إسلامية متكاملة – على النمط الحديث – في الفكر الإسلامي ، ولعلهم قالوا ذلك متأثرين بمقولات المستشرقين الذين يحاولون أن يجردوا الفكر الإسلامي من أي سبق إلى كل ما هو أصيل وجديد .

٢- إبراز الجوانب المشرقة في تاريخ الفكر الإسلامي ، والإسهام في تجديد الحديث عن هذا الموضوع لما له من تأثيرات إيجابية في الحقبة المعاصرة من حياة الأمة الإسلامية ، وكما يقول الدكتور مصطفى حلمي : (إن الإسهام في عمل مثمر يبدأ من مواصلة بيان أوجه إعجاز الإسلام في كافة أركانه ونظمه : العقيدة والعبادات ، والنظم ، والقيم ، والفضائل الأخلاقية)(١) .

٣- الكشف عن أبعاد "آداب العالم والمتعلم" في الفكر الإسلامي ، مما يفيد في توضيح وتجلية بعد من أبعاد هذا الفكر الأصيل .

٤- محاولة الوقوف على أبعاد هذه القضية المتفرقة في بطون أمهات الكتب والرسائل والأبحاث عسى أن تفيد تأصيل الفكر الأخلاقي المعاصر .

٥- الكشف عن بعض الأفكار التربوية المتعلقة بالعالم والتعلم التي يمكن أن تفيد في واقع العملية التربوية والتعليمية المعاصرة ، كالصحبة ، واختيار الأستاذ..إلخ .

٦- توضيح بعض الجوانب الأخلاقية الإسلامية من خلال دراسة واقع العلماء والمتعلمين في الفترة المنوط بها هذا البحث .

---

(١)د. مصطفى حلمي: الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام،دار الثقافة العربية،القاهرة،(د.ط)،ص (ب) .

تساؤلات البحث :

والبحث في إطار هذا الأهداف يطرح أسئلة يرجو أن يكون الجواب عنها محققاً لهذه الأهداف ، وهذه الأسئلة هي :

١- ما هي مكانة العلم والعلماء والمتعلمين في الفكر الإسلامي ؟ وما أثر هذه المكانة على " أدب العالم والمتعلم" ؟ .

٢-متى بدأ الاهتمام بـ" آداب العالم والمتعلم" عند المفكرين المسلمين ؟ وما مظاهر هذا الاهتمام ؟ .

٣-ما هي الأسباب التي دفعت المفكرين المسلمين إلى الاهتمام بهذا الموضوع ، حتى أفردوه بمؤلفات كاملة ؟ .

٤-ما المصادر المرجعية التي استقى منها المفكرون المسلمون مادتهم في الحديث عن آداب العالم والمتعلم ؟ .

٥-ما أبرز المدارس والاتجاهات التي اهتمت بدراسة هذا الموضوع والكتابة فيه من وجهة نظرها ؟ ، ومن هم أبرز علماء هذه الاتجاهات التي عالجت هذا الموضوع ؟ .

٦-هل يفتقد الفكر الإسلامي إلى نظرية أو نسق نظري في هذا المجال ؟ .

٧-ما هي أهم الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها كل من العالم وطالب العلم ؟ .

٨-ما هي خصائص " آداب العالم والمتعلم" في الفكر الإسلامي ؟ .

هذه التساؤلات وغيرها ؛ التي تطرح نفسها على مثل هذا الموضوع الهام ، يحاول البحث أن يجيب عنها ، وأن يردها إلى أصولها الصحيحة إن شاء الله .

خطة البحث :

تم تقسيم البحث على النحو التالي :

* **المقدمة** . وفيها النقاط التالية :

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره .
- الدراسات السابقة .
- الحدود الزمانية والموضوعية للبحث .
- أهداف البحث .
- تساؤلات البحث .
- خطة البحث .

* **التمهيد** . وفيه تحديد لمصطلحات البحث ، وتعريفها .

* **الباب الأول : آداب العالم والمتعلم ومكانتها في الفكر الإسلامي .**

وفيه الفصول التالية :

* **الفصل الأول : العلم والعلماء في الفكر الإسلامي** . وفيه النقاط التالية :

- العلم : مكانته ومفهومه في الفكر الإسلامي .
- مكانة العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي.
- الحث على طلب العلم ، ودوافع طلبه .

* **الفصل الثاني : مكانة آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي** . وفيه النقاط التالية :

- مظاهر الاهتمام بآداب العالم والمتعلم .
- أسباب الاهتمام بآداب العالم والمتعلم .
- أهم المصنفات التي تناولت آداب العالم والمتعلم .
- مصادر الحديث عن آداب العالم والمتعلم .
- خصائص آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي .

* **الفصل الثالث : الاتجاهات الفكرية التي اهتمت بآداب العلم والمتعلم** ، وفيه : العالم

- اتجاه الفقهاء والمحدثين (مدرسة الأثر) .

- اتجاه الفلاسفة والمتكلمين (المدرسة العقلية) .
- اتجاه الصوفية (المدرسة الذوقية) .
- اتجاه الشيعة (المدرسة الشيعية) .

*** الباب الثاني : آداب العالم في الفكر الإسلامي ، وفيه الفصول التالية :**

*** الفصل الأول : آداب العالم نحو ربه ونفسه .**

*** الفصل الثاني : آداب العالم مع تلاميذه.**

*** الفصل الثالث : آداب العالم مع أقرانه.**

*** الفصل الرابع : آداب العالم نحو مجتمعه .**

*** الفصل الخامس : آداب العالم العلمية .**

*** الباب الثالث : آداب المتعلم في الفكر الإسلامي ، وفيه الفصول التالية :**

*** الفصل الأول : آداب المتعلم نحو ربه ونفسه .**

*** الفصل الثاني : آداب المتعلم مع أستاذه .**

*** الفصل الثالث : آداب المتعلم مع زملائه .**

*** الفصل الرابع : آداب المتعلم نحو مجتمعه .**

***الفصل الخامس : آداب المتعلم نحو مؤسسته التعليمية .**

***نتائج البحث ومقترحاته .**

***الفهارس**

وفي الختام أعترف بأن هذا العمل هو أول خطواتي في طريق البحث العلمي الطويل فما زلت في بداية الطريق ، ولذا فإن ما قمت به من جهد يحتاج إلى إكمال وتأييد ، وما توصلت إليه من نتائج يحتاج إلى تقويم وتسديد ، فإن كنت أصبت ووصلت إلى الغاية فذلك فضل من الله ونعمة ، وإن أكن قصرت أو أخللت فذلك مني ومن الشيطان... فأسأل الله المغفرة والعفو .. والحمد لله رب العالمين .

التمهيد

إن قضية المصطلح في البحث العلمي قضية حية وضرورية وليست من فضول الحديث ، وإن كانت المساحة التي تشغلها بسيطة إلا أنها تحقق أهدافاً أساسية في نسيج العمل العلمي

إذ إن كثيراً من الخلافات العلمية يمكن أن تعود في أحد وجوهها إلى عدم وضوح المصطلح وتحديده ، ومن ثم فإن الباحث حين يقوم بعرض مصطلحات بحثه وتحديدها فإنما يوفر على نفسه والآخرين مغبة النزاع الناجم عن الخلط وعدم الوضوح وعدم الاتفاق على أساسيات البحث ، وأولها قضية المصطلح ، يقول ابن تيمية : (إن كثيراً من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ، ومعان متشابهة ، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها ، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره ، فضلاً عن أن يعرف دليله ، ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئاً ، بل يكون في قوله نوع من الصواب ، وقد يكون هذا مصيباً من وجه ، وقد يكون الصواب في قول ثالث) [1] .

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية :مجموع الفتاوى،مكتبة ابن تيمية،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ج١٢ص١١٤.

مصطلحات البحث :

الأدب :

مصطلح الأدب من الألفاظ اللغوية الواسعة جدا في دلالاتها ؛ مما هيأ له أن تتجاذبه فنون عديدة ، كل يأخذ منه بحظ وافر من معانيه ، ومما بوأه هذه المكانة أنه تتآلف في مادته الدلالات المعنوية والمادية معا .

فالقاموس المحيط- مثلا- يعرف الأدب بـ : الظرف وحسن التعامل (١) .

والظرف قد يدل على المعنوي كـ حلاوة الكلام وبلاغته ، وذكاء القلب وفطنته ، وقد يدل عل المادي ، كجمال الوجه وهيئته (٢) .

وإذا كان الأدب يطلق ويراد منه ذلك الفن اللغوي ، من شعر ونثر وقصص..؛ حتى يقولون : أدب الرجل فهو أديب (٣) .

فالمعنى الأخلاقي لا ينفك عن دلالات هذه الكلمة ، فنجد ابن منظور يقول في لسانه : (الأدب في الأصل هو الذي يتأدب به الأديب من الناس ، وسمي أدبا لأنه يأدب الناس إلى المحامد ، وينهاهم عن المقابح) (٤) .

ولما كان هذا المعنى الأخلاقي بارزا في دلالات هذا المادة ، والأخلاق بطبيعتها تنشد المثال مما تعتاد النفس خلافه ، لم نعجب إذا وجدنا بعض كتب اللغة تقرنه بالرياضة ؛ فنجد الفيومي يقول : (أدبته أدبا..،علمته رياضة النفس ومحاسن الأخلاق) (٥) . وينقل عن أبي زيد الأنصاري قوله : (الأدب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج لها الإنسان في فضيلة من الفضائل) (٦).

---

(١) الفيروزآبادي:القاموس المحيط،دار الجيل،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،مج١ص٣٧.

(٢) ابن الأثير:النهاية في غريب الحديث،دار المعرفة ،بيروت،(د.ط) ،(د.ت)،مج١ص٣٠-٣١، ومختار الصحاح،دار الحديث،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص١٠.

(٣) الجوهري:تاج اللغة وصحاح العربية،دار الكتاب العربي،(د.ت)،مصر،(د. ط)،ج١ص٤٣ .

(٤) المرجع السابق:ج١ص٤٣.

(٥) الفيومي:المصباح المنير،دار القلم،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ج١ص١١،١٢.

(٦) المرجع السابق:ج١،ص١١-١٢.

ويتسع المصطلح لدى الجرجاني ليكون : (عبارة عن معرفة ما يحترز به من جميع أنواع الخطأ) [١] .

وفَصَّلَ المعجم الوسيط تعريف الأدب فقال :

(أَدُبَ) : فلان أدباً : راض نفسه على المحاسن..

(أدّبه) : راضه على محاسن الأخلاق...

(تَأدّب) : تعلم الأدب ، ويقال : تأدب بأدب القرآن ، أو أدب الرسول احتذاه .

(الأدب) : رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي . وجملة ما ينبغي لذي الصناعة أو الفن أن يتمسك به ، مثل أدب القاضي ، وأدب الكاتب [٢] .

وتدخل الأحكام الفقهية في الشريعة الإسلامية تحت مسمى الآداب ، يقول الدكتور محمود الطنطاوي : (تنقسم الشريعة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام :الأحكام الاعتقادية (اعتقادات) والأحكام التهذيبية (آداب) والأحكام العملية (عبادات،معاملات، عقوبات) [٣] .

ويقول العلامة المناوي : (والأدب في الفقه يقع على الأحكام الخمسة: وهي واجب ومندوب ومباح ومكروه وحرام ، فيقال للواجب : أدب ، وكذلك بقية الأحكام ، ولذلك صح تفسير الأصحاب بباب آداب قضاء الحاجة ، ثم عدُّهم من تلك الآداب محرمات كاستقبال القبلة واستدبارها وكشف الزائد على الحاجة من العورة ... إلخ) [٤].

من خلال هذه المجموعة من التعريفات نصل إلى أن الآداب ، هي مجموعة الأخلاق والسلوكيات التي يتصف بها الشخص في نفسه وعلاقاته ومعاملاته مع غيره .

فمن الآداب ما هو من الأخلاق النفسية ، كالتواضع، والحلم، والصبر ؟.. إلخ .

---

(١)الشريف الجرجاني:التعريفات،دار الريان للتراث،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص٢٩.

(٢)مجمع اللغة العربية:المعجم الوسيط،القاهرة،(د.ط) ،١٩٨٥،ج١، ص٩-١٠.

(٣)د.محمود محمد الطنطاوي:المدخل إلى الفقه الإسلامي،مكتبة وهبة،القاهرة،ط١،١٩٨٧م،ص١٢.

(٤)عبد الرؤوف المناوي:النزهة الزكية،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،ط١،١٩٨٧م،ص٢٩.

ومنها ما هو من قبيل التصرفات الشخصية والسلوكيات الاجتماعية ، كالنظافة ، وطهارة الثوب ، والبدن ، وطريقة اللبس والمشي ، ومعاملة الآخرين ، واحترامهم ، وتكريمهم . وربما تكون هذه الآداب أثراً من آثار خلق في النفس .

ومن الآداب ما هو استجابة لغريزة من غرائز الجسد أو النفس ؛ ضمن حدود الحاجات الطبيعية لها ، كالأكل المباح عند جوع ، وشرب المباح من ظمأ ، والنوم عند الحاجة إليه ، والسعي في اكتساب الرزق تلبية لداعي الفطرة ، والاستمتاع المباح بالجمال تلبية لطلب النفس ، والترويح عنها من مباحات اللهو واللعب ، وأمثال ذلك .

ومنها ما هو طاعة للأوامر والتكاليف الإلهية أو غير الإلهية ، فقد تكون هذه الأوامر والتكاليف ملزمة لسلوك أخلاقي ، أو ملزمة بأعمال من قبيل العبادات المحضة أو ملزمة بأعمال تحقق المصالح والمنافع للناس . ومن هذا النوع أوامر الشرائع و نواهيها ، و أوامر السلطات الحاكمة و نواهيها ، و نحو ذلك من الأوامر والنواهي .

ومن هذه الآداب -أيضاً- ما هو من قبيل العادات التي تتأصل في السلوك ، وقد ترجع هذه العادات إلى موجه أخلاقي أو موجه غريزي ، أو موجه تكليفي ، أو موجه اجتماعي .. أو نحو ذلك .

ومن هذا نتبين أن مصطلح (الآداب) مصطلح واسع وشامل لما هو أخلاقي باطني أو سلوكي ظاهري.

وعندما يضاف مصطلح الآداب إلى العالم والمتعلم يأخذ معنى محدداً هو : مجموعة القواعد التي تنظم طرق التعليم ، وتبحث في شروط وصفات العالم والمتعلم النفسية والاجتماعية والعملية المهنية وقبل ذلك كله الصفات الأخلاقية الدينية .

وبكلمة مختصرة فآداب العالم والمتعلم هي مقياس ومعيار لشخص العالم والمتعلم ، وللدور المنوط بهما في أداء العلم وحمله .

ألقاب العلماء

من اللافت للنظر أن تاريخ الفكر الإسلامي لم يقتصر على مصطلح العالم ليدل على صاحب العلم والمعلم ، وإنما وجدنا مصطلحات عديدة تطلق على العالم لزيادة في معنله ، أو لدلالة على نوع تخصص ، أو لشيوعه بين طائفة بعينها من طوائف العلماء..؛ أو غير ذلك ، والباحث سوف يعرض لأهم هذه الألقاب .

العالم :

هذا المصطلح شائع الاستخدام في الفكر الإسلامي ، وقد وردت به نصوص القرآن والسنة ، ومع كثرة استخدامه وشيوعه، إلا أن دلالته واسعة، و لم تخضع للتحديد الدقيق، ولذلك فقد أطلق ليشمل طوائف العلماء في شتى التخصصات ، لم تستأثر به طائفة دون أخرى ، ومن جهة أخرى تداخلت دلالته مع دلالة مصطلح " المعلم" فلم نجد فارقا بين العالم وبين الذي يقوم بعملية التدريس من المعلمين في إطار المصطلح ، وإنما مرد هذا التداخل بين الوظيفتين يعود إلى أن الفكر الإسلامي لا يعرف ذلك الفصام بين وظيفة العالم والمعلم، فكما أنه قد حذر في نصوصه من الإقدام على عملية التعليم من غير علم، ومن ثم فهو لا يعترف بمعلم إلا عالما ، فهو من جهة أخرى قد حذر العلماء من كتمان العلم عن الناس ، فهو لا يعرف العلماء إلا معلمين ناشرين لما ألموا به من علم [(١)] .

وهذا التداخل بين مفهوم العالم ومفهوم المعلم تلمسه بوضوح عند ابن عبد البر الأندلسي(ت٤٦٣هـ) ، في كتابة "جامع بيان العلم وفضله" حيث نجده يستعمل كلمتي العالم والمعلم بمعنى واحد ، (لكن استعماله للأولى هو الغالب عنده ، ويبدو أن كلمة العالم أكثر ارتباطا بالعلم بحثا وتعليما ونشرا ، وأن كلمة المعلم أقرب إلى الجو التعليمي من الأولى) [(٢)] .

كذلك نجد دلائل هذا التداخل في معظم المؤلفات التي وردت إلينا في آداب العالم

---

(١)د.عمر محمد التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص:٧٢-٧٣.

(٢)د. عبد البديع الخولى:الفكر التربوى فى الأندلس،دار الفكر العربي،القاهرة،ط٢،١٩٨٥،ص:٩٥.

والمتعلم ، ومن ذلك أن (ابن جماعة يجعل عنوان كتابه هو "تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم" فالعالم هنا قصد به المعلم ، على وجه العموم..، واستمر التداخل في استخدام المصطلحين حتى بدأت المجتمعات الإسلامية تأخذ بنظام التخصص المهني) [1] .

ومن أجل ذلك التداخل كان الحديث عن آداب العالم هو نفسه الحديث عن آداب المعلم .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنه وإن كان جل اهتمام المؤلفين في التراث الفكري الإسلامي قد أنصب على الحديث عن علماء الشريعة ، وذلك لأنهم يحملون ميراث النبوة ، وهم أحق الطوائف بالتخلق برفيع الآداب ، لكن ذلك لم يكن حائلا بينهم وبين أن يتحدثوا عن بقية طوائف العلماء في الفروع الأخرى ، وبخاصة أن مصطلح العالم كان مفهومه متسعا بحيث أنه شمل كل التخصصات العلمية كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، فقد جاءت مؤلفات خاصة بعلماء المهن الأخرى ، مثل ، آداب الطبيب والمتطبب ، وأدب الكاتب ، وأدب المريض والتمريض ، وغيرها من المؤلفات .

المعلم:

شاع استخدام هذا اللقب منذ أيام الإسلام الأولى ، فقد روى جابر بن عبد الله عن رسول الله ﷺ أنه قال :(**إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا وإنما بعثني معلما ميسرا**) [2]

وقد كثر في الكتاب والسنة ألفاظ مثل : علم ، يعلم ، تعليم ، وأطلق لفظ معلم على كل ماهر خبير في صنعته ، سواء أكانت صنعة علمية تعليمية أم حرفية ، يقول ابن خلدون : (ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة إلى المعلمين فيها معتبرا) [3].

ومع تكاثر طوائف الشيوخ المدرسين ، وتمايز بعضهم على بعض في المستويات العلمية والمراكز الأدبية ، اقتصر لفظ (معلم) على كل مدرس تخصص في تعليم الصغار .

ومع ذلك فلم يكن هناك قيد يمنع الناس من إطلاق كلمة (معلم) على أي عالم .

---

(١)د.عمر محمد التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص:٧٢-٧٣.

(٢) الحديث صحيح،رواه مسلم .

(٣) ابن خلدون:المقدمة،دار مكتبة الهلال،بيروت،١٩٨٦م،(د.ط)،ص٤٣٠.

الشيخ:

ذكر القلقشندي أن الشيخ (من ألقاب العلماء و الصلحاء وأصله في اللغة الطاعن في السن ، ولقب به أهل العلم والصلاح توقيرا لهم كما يوقر الشيخ الكبير)[1] .

وفي هذا البحث فإنه لا يرتبط بسن العالم ، وإنما يطلق ويراد به أولئك العلماء الذين شاخوا في تحصيل العلم والمعرفة وبلغوا أعلى المراتب العلمية ، فشيخ المادة هو أستاذها الأكبر ، والمرجع الأول فيها والمعتمد عليه في مسائلها وأمورها ، ذكر الخطيب البغدادي أن الحسن بن عرفة كان يشار إليه (بالشيخ المعلم)[2] ، بل امتد هذا المصطلح ليطلق على الرئيس في كل مهنة وصنعة [3] ، فكل من وصل إلى مرتبة عالية في مهنة أو فن من الفنون سمي شيخا ، فقالوا : شيخ المحدثين ، وشيخ المقرئين ، وشيخ النحاة ، ولعله قد توسع في دلالته ليطلق على أهل الصلاح والورع وإن لم يكونوا مبرزين في العلم .

ولقد كان الشيخ يتمتع بمكانة علمية كبيرة ، ومكانة اجتماعية أكبر خاصة عند الصوفية ؛ الذين شاع عندهم هذا اللقب أكثر من غيرهم ، وقد حملته عناوين كتبهم مثل : آداب الشيخ والمريد .

الفقيه:

وهذا اللقب من أقدم ألقاب العلماء في تاريخ الفكر الإسلامي ؛ حيث ارتبط هذا اللقب بالتعمق في العلوم الشرعية وخاصة الفقه ، وقد أطلق على القائم بمهمة تعليم الناس أمور دينهم لقب (الفقيه) ، خاصة بعد أن حل الفقهاء محل القراء الذين كانوا يتصدون لإقراء المسلمين القرآن الكريم [4] ، وقد عنون الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ) كتابا له بعنوان "الفقيه والمتفقه" .

---

(١) القلقشندي:صبح الأعشى في صناعة الإنشا،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،(د.ط)،١٩٨٤،مج٦،ص١٧.

(٢) الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،دار الكتاب العربي،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،مج٦،ص٣٩٥.

(٣) د.سعيد إسماعيل:رؤية إسلامية لقضايا تربوية،دار الفكر العربي،القاهرة،١٩٩٣م،ط١،ص٢٨٤.

(٤) المرجع السابق:ص٢٨٣.

الأستاذ:

ويعد هذا اللقب من الألقاب التي رادفت (المعلم) [1] ، إلا أنه لم يكن شـائعا مثـل غيره ، والأستاذ كلمة فارسية تعني : الماهر بالشيء ، وقد أطلـق أولا علـى أصحـاب الصناعات ، ثم أطلق بعد ذلك على من أظهر مهارة في التعليم ، ونجد عنـد الزرنوجـي (ت٥٩٣هـ) في كتابه "تعليم المتعلم طريق التعلم" عنوانا يحمل : (اختيار العلم والأسـتاذ والشريك والثبات عليه) [2] .

وعند الصوفية (الأستاذ أكمل من الشيخ في الأحـوال وأعلـى منـه بالمعـارف بالأنوال) [3] ، وكثيرا ما كان يطلق على أفاضل المعلمين لقب (الأستاذ) ، فيقول محمد بن شاكر الكتبي عن محي الدين بن الجوزي : (أستاذ دار أمير المؤمنين المستعصم بـالله) [4] ، وكان مسلم يلقب البخاري بقوله : (أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين) [5].

المدرس:

شاع استخدام هذا اللقب متأخرا بعد ظهور المدرسـة في أواخـر القـرن الرابـع الهجري ، ولا يعرف على وجه الدقة ما إذا كان مستخدما قبل هـذا التـاريخ أم لا ؟ ، وكان المدرسون منقسمين إلى فئتين : مدرسين ومعيدين .

وكان المدرس يقوم بالتدريس في الموضوعات المختلفة ، ويذكـر القلقشـندي أن المدرس : (هو من يتصدى لتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه والنحـو والتصريف ونحو ذلك ، وهو مأخوذ من درست الكتاب دراسة ؛ إذا كررته للحفظ) [6] .

ويعتبر المدرس أرقى درجة من المعلم ، ولم يكن يسمح للمدرس بالقيام بمهمته تلـك إلا بعد الحصول على إجازة بالتدريس من أساتذته ومعلميه .

---

(١) د.سعيد إسماعيل:رؤية إسلامية لقضايا تربوية،مرجع سابق،ص٢٨٤،٢٨٥.

(٢) برهان الدين الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مكتبة القرآن،القاهرة،(د.ط)،١٩٨٩م،ص٤٥ .

(٣) محمد بن فاضل:نعت البدايات وتوصيف النهايات،دار الفكر،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ص٦٩.

(٤) ابن شاكر الكتبي:فوات الوفيات،مكتبة المعارف،بيروت،ط١،١٩٦٦م،ج٢،ص٢٦.

(٥) ابن كثير:البداية والنهاية،مكتبة المعارف،بيروت،ط١،١٩٦٦م،ج١١،ص٢٦.

(٦) القلقشندي:صبح الأعشى،مرجع سابق،ج٥،ص٤٦٤.

المؤدب:

وكان هذا اللقب يطلق على كل من مارس التدريس للكبار أو للصغار ، فمعلمو المكاتب كان يطلق عليهم أحيانا مؤدبو المكاتب ، يقول ابن سينا(٣٧٠هـ) : (يجب ألا ينفرد المؤدب الواحد بصبي واحد لأن ذلك يحملهم كليهما على الضجر ، ثم إن وجود أولاد كثار مع المؤدب أدعى إلى منافستهم في الخلال الحميدة) (١) .

كما أطلق لفظ المؤدبين كذلك على طائفة من الشيوخ الأفاضل الذين اشتهروا بالعلم والكفاءة ، وقاموا بالتدريس لأولاد الكبار من الخاصة في بيوتهم نظير أجر معلوم ، وقد أشار الجاحظ إلى هذه الطائفة بقوله : (والمعلمون عندي على ضربين ، منهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد العامة إلى تعليم أولاد الخاصة ، ومنهم رجال ارتفعوا عن تعليم أولاد الخاصة إلى تعليم أولاد الملوك أنفسهم المرشحين للخلافة ...(وهم المؤدبون) ومنهم أبو سعيد المؤدب ، وهو غير أبي سعيد المعلم) (٢)

المفيد:

وهو اسم فاعل من الإفادة، وهي إنالة الشخص ما لم يكن حاصلا عليه (٣) ، والمفيد من الطلاب القدامى الذين انهوا برنامجهم الدراسي ، (وعليه أن يعتمد مايحصل به في الدرس فائدة من بحث زائد على بحث الجماعة ونحو ذلك) (٤) .

وقد سمي مفيدا لخصوصية الفائدة التي يقدمها لنفسه ، ولغيره من الطلبة ، أو المدرسين الذين قد يكلفونه بأبحاث أو أعمال تحضيرية .

واستخدمه العلموي (ت٩٨١هـ) ، بمعنى العالم ، أو المفتي ، فقد جاء في مقدمة كتابه "أدب المفيد والمستفيد" ما يلي : (فهذه رسالة مختصرة ......في فضيلة العلم والعالم

---

(١) محمدالإبراشي:التربية الإسلاميةوفلاسفتها،دار الفكر العربي،القاهرة،د.ت،ط٣،ص١١٧-١١٨.
(٢) الجاحظ:البيان والتبيين،مكيبة الخانجي،القاهرة،(د.ط)،١٩٧٥م،ج١،٢٥٠-٢٥١.
(٣) القلقشندي:صبح الأعشى،مرجع سابق،ج ٦ص١٢.
(٤) السبكي:معيد النعم ومبيد النقم،مكتبة الخانجي،القاهرة،١٣٦٧هـ،(د.ط)،ص١٠٥.

والمتعلم ، والمفتي والمستفتي) (١) .

المملي :

وهو العالم المحدث أو اللغوي ، أو غيرهما ، الذي يجلس لإملاء علمه على الطلبة ، حيث كانت تعقد مجالس خاصة للإملاء والتحديث ، وقد استخدم السمعاني (ت٥٦٢هـ) هذا اللقب عنوانا لكتابه "أدب المملي والمستملي" (٢) .

المعيد :

يعرف ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) المعيد بقوله : (من صلحاء الفضلاء ، وفضلاء الصلحاء ، صبورا على أخلاق الطلبة حريصا على فائدتهم وانتفاعهم به ، قائما على وظيفة إشغالهم) (٣) .

و يلي المعيد المدرس في مكانته العلمية ، والأصل فيه أنه إذا ألقى المدرس الدرس وانصرف ، أعاد المعيد للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم (٤) ، وتوضيح ما لم يتضح منه للطلبة ، وكان المعيد يحضر درس الشيخ أو المدرس ؛ فيجلس إلى جانبه يمينا أو يسارا .

لقد كان المعيد معينا للشيخ أو المدرس على نشر علمه ، وتثبيت خطاباته وإملائه في أذهان الطلبة ، وكان المعيد يعاون الطلبة في إعادة ما يحفظونه ، ويراجعهم في المذكرات .

وتعتبر وظيفة المعيد اكتشافا إسلاميا أصيلا ، وقد تأثرت الجامعات الأجنبية فيما بعد بهذا النظام ، فأخذت في تعيين المعيدين في الجامعات بعد تخرجهم فيها لتمرينهم على مهنة التدريس وتشجيعهم على الاستمرار في الدراسة والبحث العلمي (٤) .

المفتي :

المفتي في حقيقته معلم ، فهو يعلم كل من يسأله ما يجهله ، ولذلك فهو يخضع للآداب والقواعد الأخلاقية الواجبة الاتباع .

---

(١) العلموي:أدب المفيد والمستفيد،تحقيق شفيق محمد زيعور،دار اقرأ،بيروت،ط٢،١٩٨٦،ص٥٣.

(٢) السمعاني:أدب المملي والمستملي،تحقيق شفيق محمد زيعور،دار اقرأ،بيروت،ط٢،١٩٨٦.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،ص٢٠١.

(٤)د.سعيد إسماعيل:رؤية إسلامية لقضايا تربوية،مرجع سابق،ص٢٨٥.

(٥) محمد عطية الإبراشي:التربية الإسلامية وفلاسفتها،مرجع سابق،ص٣٨.

والخلاصة التي تؤخذ من هذه التعريفات كلها أن العالم هو كل من جلـــس مجلـــس العلم للناس في أي فرع من فروع العلم الديني أو غير الديني من العلوم الدنيوية .

ألقاب المتعلمين :

كما رأينا التعدد في ألقاب العلماء ، سنجد أيضا شيئا من هذا التعـــدد في ألقــاب المتعلم ، حيث شاع العديد من الألقاب التي أطلقت على طالب العلـــم ،وهـــي كلـــها مترادفات قد يكون لكل منها معنى خاص لا يفيده غيره .

المتعلم:

وكلمة متعلم كلمة واسعة تطال الصغير والكبير ، فالمتعلم هو الولد ، وهو الطـــالب في الحلقات ، وهو الباحث عن العلم الديني وزيادة الفقه في الدين وأمور الحياة .

كما تطلق أيضا على كل إنســـان راغـــب في اكتســـاب العلـــم والاســـتمرار في التحصيل [1] .

ولعل أقدم استخدام ورد إلينا لهذا اللقب ما جاء في الحديث المشهور (الناس اثنـــان عالم ومتعلم وما بينهما همج رعاع) [2] .

ومن الألقاب التي أطلقت على المتعلم ما يلي:

التلميذ :

إن لقب (تلميذ) مثل لقب (أستاذ) ليس عربيا في الأصل ، وإنما هو منقـــول عـــن السريانية ، ويطلق على الموظف الذي ما زال يتدرب [3] ، وهو في العبرية والحبشية بمعـــنى طالب علم أو دارس [4] ، ثم شاع في العربية بمعنى المتعلم للعلم أو المهنة .

---

(١) د.عبد الأمير شمس الدين:،الفكر التربوي عند سحنون،دار اقرأ،بيروت،ط١،١٩٨٥،ص١٩٥.

(٢)الحديث ضعيف،رواه الطبراني في الأوسط بلفظ:(الناس رجلان عالم ومتعلم،ولاخيرفيما سواهما).

(٣) عبد السلام هارون:نوادر المخطوطات،مطبعة السعادة،القاهرة،(د.ط)،١٩٥١م،مج٢،ص١١٢.

(٤) د. حسن عبد العال:التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري،دار الفكر العربي،القاهرة،ط١،١٩٧٨م،ص١٢٩،بتصرف.

الطالب :

وهذا اللقب من أكثر الألقاب استعمالا وورودا في المصادر ، مما يدل على شيوع استعماله ، و يعنى به المتعلم الذي يطلب العلم ويشتغل به [1] ، إما بجهده الذاتي ، أو على يد أستاذ أو شيخ يعلمه ، وكثيرا ما يأتي هذا اللقب مضافا إلى كلمة العلم فيقال : طالب العلم ، وأحيانا يحذف المضاف إليه (العلم) ويكتفى بالمضاف (طالب) ، لشهرة الدلالة وبروز معناها مما يغنيه عن التعريف بالإضافة .

ومن أقدم الاستعمالات اللغوية لهذا اللقب ما ورد في الحديث الشريف **(منهومان لايشبعان طالب علم وطالب دنيا)** [2] .

المتفقه :

وهو لقب نادر الاستعمال لطالب العلم ، وكان يطلق على وجه الخصوص على طالب علم الفقه... ويتضح هذا جليا في استعمال الخطيب البغدادي لهذا اللقب في عنوان كتابه "الفقيه والمتفقه" ؛ الذي يتحدث فيه عن شروط وآداب عالم الفقه وطالبه .

الدارس :

ولقب الدارس من المرادفات القليلة التي استخدمت للدلالة على طالب العلم ، وقد وضعه النووي في عنوان كتابه "أدب الدارس والمدارس" .

المستملي :

ويقوم بدور قريب من دور المعيد ، فهو بمثابة الجسر الذي يربط بين المملي في مجلس الإملاء ، وطلبة العلم ، حيث يعيد عليهم ما يمليه الشيخ في حلقة الإملاء ، وهذا الدور فرضه كثرة الطلاب في حلقة الإملاء ، وضرورة أن يكون صوت المملي مسموعا يبلغ الجميع ، وكذلك لكي يكون مساعدا له يتولى عنه القيام ببحث المشكلات والأمور الأخرى كالتصحيح والمراجعة وتوضيح الغامض ، وما إلى ذلك من أمور [3].

---

(١) د.محمود قنبر:دراسات تراثية في التربية،دار الثقافة،قطر،١٩٨٥م،ط١،ج٣،ص١١-١٢.

(٢) الحديث ضعيف ،رواه ابن عدي في الكامل .

(٣) السمعاني:أدب المملي والمستملي،مصدر سابق،ص٣٤.

المريد:

هو اسم أطلقه الصوفية على الطالب أو المبتدئ في أول الطريق الصوفي ، وللجرجاني (ت٨١٦هـ) تعريف آخر للمريد فهو عنده (المجرد عن الإرادة) [١] فكأن من أهم الصفات التي يجب أن تتوفر في المريد الصوفي أن يتخلى عن إرادته واختياره ؛ إزاء إرادة شيخه واختياره ، فلا فلاح ولا نجاح إلا بالاتباع المطلق للشيخ ، بغير إنكار ولا اعتراض ، يقول القشيري (ت٤٦٥هـ) : (وأن تكون موافقة الشيخ بالقلب والجوارح فلا إنكار ولا مخالفة لشيء مما يقوله مطلقا ، ولا اعترض عليه بلسان أو قلب) [٢] .

المستفتي :

اسم فاعل من "استفتى" بمعنى طلب الفتوى ، وهي الحكم الشرعي في مسألة معينة ، ويعد المستفتي ، طالب علم ؛ لكونه جاهلا بالأحكام الشرعية ويسعى لمعرفتها من خلال سؤاله عنها العلماء وأهل الفقه ، فهم له معلمون ، وهو لهم تلميذ .

المستفيد :

اسم فاعل من "استفاد" وهو طلب الإفادة ، وهو من المرادفات القليلة الاستخدام ، ذكر ابن كثير في ترجمة أبو العماد بن الحلبي (ت٦٤٦هـ) قال : (قدم دمشق في عام ٦١٧هـ فأقام بها مدرسا للمالكية وشيخا للمستفيدين عليه في علمي القراءات والعربية) [٣] .

وخرجت العديد من الكتب تحمل في عناوينها هذا اللقب منها : سراج المستفيد وغنية المفيد ، لسعيد بن محمد الفرغاني (ت٦٩٦هـ) ، واستخدمه العلموي ، بمعنى طالب العلم ، أو المستفتي ، فقد جاء في مقدمة كتابه "أدب المفيد والمستفيد" ما يلي : (فهذه رسالة مختصرة ......في فضيلة العلم والعالم والمتعلم ، والمفتي والمستفتي) [٤] ، و لم أجد أحدا استخدمه بهذا المعنى غيره .

---

(١) الجرجاني:التعريقات،مرجع سابق،ص٢٦٨.

(٢) القشيري:الرسالة القشيرية،دار الكتاب العربي،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ص١٨٢.

(٣) ابن كثير:البداية والنهاية،مرجع سابق،ج١٣،ص١٦٧.

(٤) العلموي:أدب المفيد والمستفيد،مصدر سابق،ص٥٣.

المتأدب

استخدم هذا اللقب كمرادف للطالب أو المتعلم ، وكان له دلالة خاصة في عـــرف بعض النظم التعليمية ، حيث كان يقصد به الطالب الذي يدرس بالمدرسة يأتيـــها مـــن الخارج ولا يكون من ساكنيها [1] .

وخلاصة هذه التعريفات أن المقصود بالمتعلم هو كل من جلس في مجالس التعلـــم مـــن الراشدين لتلقي العلم .

(١) طاش كبرى زادة:الشقائق النعمانية،دار الكتاب العربي،بيروت،(د.ط)،١٩٧٥م،ص٥٥-٥٧.

الباب الأول

آداب العالم والمتعلم ومكانتها في الفكر الإسلامي

الفصل الأول

العلم والعلماء في الفكر الإسلامي

- العلم: مكانته ومفهومه ودوره في الفكر الإسلامي
- مكانة العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي
- الحث على طلب العلم ودوافعه

– العلم: مكانته ومفهومه ودوره في الفكر الإسلامي:

العلم عنصر له مكانته ودوره في الفكر الإسلامي، وهو يحمل بين طياته كل ما فيه صلاح البشر جميعا، بل إن البشر فضلهم الله سبحانه وتعالى على الملائكة وسائر المخلوقات بالعلم، وبه استحقوا خلافة الله في الأرض.

وقد قامت دعوة الإسلام لبناء نظام جديد للحياة الإنسانية على دعامتين رئيسيتين، كانتا الأساس للنجاح:

الأولى: عقيدة التوحيد.

الثانية: فريضة العلم، كل العلم، على كل مسلم ومسلمة، وذلك للنظر الواجب على كل مسلم بنص القرآن الكريم فيما قد حوته السماوات والأرض عملا بقوله تعالى: ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** ﴾ [1]، فالدعوة الإسلامية لإصلاح نظام الحياة البشرية متفرعة عن إيمان المسلم أولا، ثم متفرعة ثانيا عن فريضة الإسلام للعلم على كل مسلم ومسلمة.

ولما كان الإسلام فاتحة لعهد الرشد البشري، فإن اهتمامه بالعلم كان اهتماما بالغا وكبيرا، فقد بدأ الوحي بالأمر بالقراءة والإشادة بالعلم: ﴿ **اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم** ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ **ن والقلم وما يسطرون** ﴾ [3]، وهو قسم يدل على ما للعلم من قيمة وما له من مكانة في رسالة الإسلام ودعوته.

والإسلام يعتبر العلم عنصرا من عناصر تكوين الإنسان، وسرا من أسرار تكريمه، ومن أجله أسجد الله لآدم الملائكة ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما**

(١) سورة يونس:آية ١٠١

(٢) سورة العلق:آية١–٥

(٣) سورة القلم:آية١–٢

كنتم تكتمون ﴾[1] .

ولعل السر في البعث الجديد لأمة العرب ، ذلك البعث الذي نقلهم من رعاية الغنم إلى قيادة الأمم ، وكانوا في قيادتهم الجديدة بعد جاهليتهم الأولى خير أمة أخرجت للناس يكمن في أمرين :

الأول : في شخصية النبي ﷺ الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لدعوة الناس أجمعين إلى الإسلام ، وأعده بفضل منه لهذا الاختيار .

فإنه ﷺ لم يقم بدعوته كرد فعل في نفسه على وضع خاص به لدى قومه ، يشكو منه ويثور من أجله ، فقد منحه قومه قبل دعوته لقب الصادق الأمين ، وعلى هذا فإن دعوته كانت استجابة لدعوة إلهية من أجل خير البشرية .

الثاني : في إقامة الله عز وجل دعوة الإسلام على إيجاب العلم على كل مسلم ومسلمة ، ومخاطبة العقل والفكر في جميع نواحي دعوة الإسلام ، وفي هذا تكمن عظمة الإسلام ، لأنه وحده الذي انفرد بين سائر النظم والأديان بإيجاب العلم على الإنسان ، وذلك لتحريره من مذلة الجهل والهوان ، ولينشئ الإسلام مجتمعا بشريا جديدا متقدما وكريما يليق بما يجب أن يكون عليه الإنسان .

ولذا لم يكن من العجيب أن يكون أول ما نزل من القرآن ﴿ اقرأ ﴾ ، وهكذا بدأ الإسلام إصلاحاته مبكرا ومن أول لحظة بمعالجة الأمية في أول ما بدأه من معالجة شؤون المسلمين ، وقد اعتبر الأمية منكرا يجب إزالته ، ونادى بإيجاب العلم لإصلاح المجتمع الجديد ، فهذا هو رسول الله ﷺ يجعل فداء الأسير من أسرى بدر تعليمه عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، وذلك من أجل إعداد الإنسان عن طريق العلم أولا ليكون نواة لمجتمع جديد مبدع ومتقدم .

–العلم في القرآن والسنة :

والمتأمل في القرآن الكريم يجد أن لفظة العلم قد وردت في ثمانين موضعا ، كما وردت ألفاظ أخرى مثل الحكمة والرأي والنظر والعبرة والبصر كلها تحمل معنى العلم في عشرات الآيات ، مما يدلنا على احتفاء القرآن الكريم بالعلم ، ومدى أهميته للفرد

---

(١) سورة البقرة:آية٣١-٣٣

المسلم ، وكذلك للمجتمع بأسره .

وتزيد السنة النبوية الشريفة الموقف القرآني من العلم توضيحا وتفصيلا ؛ فتعتبر **(طلب العلم فريضة على كل مسلم)** [1] ، وجعلت فضيلة العلم خير من فضيلة العبادة ، فـ**(فضل العالم على العابد كفضلي -أي الرسول- على أدناكم)** [2] ، وذلك أن العبادة تقتصر فائدتها على صاحبها ، أما العلم فيتعدى نفعه للآخرين ، بل ويمتد أثره وأجره لصاحبه بعد وفاته ؛ كما أخبر رسول الله ﷺ في الحديث المشهور **(إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث)** [3] .

ولأجل هذه المكانة العظيمة للعلم كان أجره وثوابه على قدره قال ﷺ **(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة)** [4] .

ومفهوم العلم عند المفكرين المسلمين يعني العلم الشامل بشقيه : الشرعي ، والكوني ، أما الشق الشرعي فهو العلوم التي تعتمد الوحي -قرآن وسنة- مصدرا للاستمداد والاستنباط والاستدلال ، وهذه العلوم تعنى بأمور العقيدة والعبادة والمعاملة والأخلاق والقيم ، والتصور العام للوجود والنفس الإنسانية ، ونظام المجتمع ، وغير ذلك من أمور مفصلة في كتب الشريعة والفقه والعقائد .

وأما الشق الكوني فهو علوم البحث في ظواهر الكون والحياة ، ويعتمد الإنسان فيها على الملكة العقلية ، والملاحظة البصرية ، والتجربة العملية ، ليصل من خلال ذلك كله إلى المعرفة الصحيحة بطبائع الأشياء وخواصها ، وغير ذلك ، على أن تظل هذه العلوم الكونية دنيوية لعلاقتها مع الأشياء ، وتعبدية في الوقت نفسه لصلتها بالله الخالق الواحد سبحانه وتعالى .

وليس العلم الذي يشيد به القرآن الكريم مقصورا على نوع معين من العلم ،

---

(١) الحديث صحيح ، رواه البخاري في كتاب العلم .

(٢) الحديث صحيح ، رواه الترمذي .

(٣) الحديث صحيح ، رواه مسلم في كتاب العلم .

(٤) الحديث صحيح ، رواه البخاري في كتاب العلم .

وليس التفكير الذي يدعو إليه القرآن الكريم محصورا في نطاق من المعرفة محدد ، فالعلم الذي ينوه به القرآن الكريم علم يشمل العلوم كلها ، والتفكير الذي يدعو إليه القرآن يتسع لألوان التفكير كله ، ولا غرابة في أن يهتم القرآن الكريم بالعلم والتفكير هذا الاهتمام ، لأن العقل هبة من الله ينميها التفكير ، ويغذيها العلم ، ويرقيها استخدامها فيما خلقت له ؛ لتهتدي إلى الحق والخير ، ولتقر بوحدانية الله وقدرته وحكمته ، ولتمكن الناس من الانتفاع بما خلقه الله لهم في السماوات والأرض [1] .

ولهذا يخطئ من يعتقد أن العلم في القرآن يقتصر على المعنى المراد بالعلوم الشرعية ، وإنما هو يشمل كذلك (جملة المعارف التي يدركها الإنسان بالنظر في ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق من شيء ، ويشمل الخلق هنا كل موجود في هذا الكون ذي حياة أو غير ذي حياة) [2] .

ولعل من المناسب في هذا المقام أن نشير إلى أن مفهوم العلم في الفكر الغربي المعاصر يختلف اختلافا كليا عن مفهوم العلم في الإسلام ، فكلمة العلم التي يقابلها لفظ (Science) في اللغة الإنجليزية تعني العلم القائم على التجربة ؛ الذي هو المعرفة العلمية ، بينما العلم في الفكر الإسلامي هو دائرة أوسع من ذلك تضم بداخلها المعرفة ، من داخلها المعرفة العلمية التي هي (Science) [3] .

وإذا رجعنا إلى عصور الازدهار الإسلامي وجدنا أن (العلم الإسلامي كان ينطوي على جانبي الدنيوية والأزلية في آن واحد ، ويستهدف خدمة الحياة الإنسانية في هذا العالم الأرضي ، في إطار ترتكز أصوله على النظر في عالم السماء والأرض ، واستخلاص العبرة من نظامه المحكم ، وقوانينه الأزلية) [4] .

فالعلم الذي يمكن الإنسان المسلم من القيام بمهام الاستخلاف في الأرض (هو

---

(١) د.أحمد الحوفي:القرآن والتفكير،المجلس الأعلى للشئون الإسلامية،القاهرة،(د.ط)،١٩٧٥،ص١٠.

(٢) عباس محمود العقاد:التفكير فريضة إسلامية،دار النهضة،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص٨٥.

(٣) عدنان محمد زرزور:نحو فلسفة إسلامية للعلوم،من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي،القاهرة،(د.ط)،١٩٨٧م،ص٤٠.

(٤) د.فؤاد زكريا:التفكير العلمي،سلسلة عالم المعرفة(٣)،الكويت،ط١،١٩٨٧م،ص١٦.

العلم بمفهومه الشامل الذي ينظم كل ما يتصل بالحياة ، ولا يقتصر على علم الشريعة أو العلم الديني كما يتبادر في بعض الأذهان ، أو ما ذاع في عهود التخلف عن القرآن) [1] .

- مكانة العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي :

للعالم والمتعلم مكانة ومنزلة خاصة في الإسلام ، تقرر هذا من المكانة والمنزلة التي نالها أبو البشرية آدم عليه السلام عندما كرمه الله سبحانه وتعالى من يوم أن خلقه ، وأمر الملائكة بالسجود له سجود تكريم وتعظيم ، لا سجود عبادة ، إذ صرف العبادة لله وحده دون سواه . قال الله تعالى : ﴿ **قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون * وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ [2] .

فهذا الشرف الذي ناله آدم إنما كان بفضل ما آتاه الله من علم ، قال ابن القيم : (إنه سبحانه لما أراد إظهار تفضيل آدم وتميزه وفضله ، ميزه عليهم بالعلم ، فعلمه : ﴿ **الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين** ﴾ [3] .

جاء في التفسير أنهم -أي الملائكة- قالوا : (لن يخلق ربنا خلقا هو أكرم عليه منا ، فظنوا أنهم خير وأفضل من الخليفة الذي يجعله الله في الأرض ، فلما امتحنهم بعلم ما علمه لهذا الخليفة أقروا بالعجز وجهل ما لم يعلموه ، فقالوا : ﴿ **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم** ﴾ [4] .

---

(١) محمد شديد:منهج القرآن في التربية،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١،١٩٨٢م،ص١١٥.

(٢) سورة البقرة:آية ٣٣-٣٤.

(٣) سورة البقرة:آية ٣١.

(٤)سورة البقرة:آية ٣٢

فحينئذ أظهر لهم فضل آدم بما خصه من العلم ، فقال: ﴿ يــاءادم أنبئــهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم ﴾ (١) أقروا له بالفضل) (٢) .

ويظهر فضل العلم وشرف حامله من كون العلم مـــن صفــات الله فـــهو العليم ، وكل من اتصف بالعلم ارتفعت منـــزلته ورتبته عند الله ســبحانه وتعــالى ، ولذلك عد العلم من صفات الكمال ، فلولا العلم لكان الإنسان كسائر المخلوقات في كثير من الصفات ، يقول الزرنوجي : (وشرف العلم لا يخفى على أحد ، إذا هـــو المختص بالإنسانية ، لأن جميع الخصال سوى العلم يشترك فيها الإنســـان ، وســائر الحيوانات كالشجاعة ، والجرأة ، والقوة ، والجود ، والشفقة وغيرها ، سوى العلــم . وبه أظهر الله تعالى فضل آدم عليه السلام على الملائكة ، وأمرهم بالسجود له ، وإنمــا شرف بالعلم) (٣) .

والعلم شرف لأهله ، لأنه الوسيلة إلى السعادة في الدنيا ، (لكونه وسيلة إلى الــبر والتقوى ، والذي به يستحق الكرامة عند الله ، والسعادة الأبدية) (٤) .

هذا واقتران شهادة أهل العلم بشهادة الله سبحانه وتعالى شرف وتعظيم ، وبيــان لرفعة منـــزلتهم ، ذلك أن الله تعالى (بدأ بنفسه ، وثنى بملائكتـــه ، وثلــث بــأهل العلم ، وكفاهم ذلك شرفا و فضلا وجلالة ونبلا) (٥) ، وفي قوله تعالى: ﴿ شـــهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط ﴾ (٦) ، واستشهاد الله بتلـــك الفئة من خلقه تتضمن (تزكيتهم وتعديلهم ، فإن الله لا يستشـــهد مـــن خلقـــه إلا العدول ، ومنه الحديث المعروف عن النبي ﷺ : (**يحمل هذا العلم من كل خلف**

---

(١) سورة البقرة : آية٣٣.

(٢) ابــن قيــم الجوزيــة:مفتــاح دار الســعادة ومنشــور ولايــة العلـــم والإرادة،مكتبـــة حميدو،الإسكندرية،ط٣،١٩٧٩م،ص٥٧.

(٣) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،دار ابن كثير،دمشق،ط١،١٩٨٥م،ص٢٩.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم،مصدر سابق،ص٥ .

(٦) سورة آل عمران:آية ١٨.

عدوله ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين) [1]) [2] .

كما تتضمن الآية حفز المتعلم على طلب مزيد من العلم ، لأن مقتضى الشهادة أداؤها قولا وعملا ، وهذا لا يتم إلا بطلب العلم لتقويم سلوك وتصرفات المتعلم حتى تكون موافقة للنهج الصحيح ، ومتى ما اقتدى به الآخرون نال من الأجر والثواب العظيم والرفعة.

وبهذا فإن سلوك أهل العلم وتصرفاتهم حجة على غيرهم ، فإذا أدوا الشهادة (فقد أدوا الحق المشهود به ، فثبت الحق المشهود به ، فوجب على الخلق الإقرار به وكان ذلك آية سعادتهم في معاشهم و معادهم ، وكل من نال الهدى بشهادتهم ، وأقر بهذا الحق ، بسبب شهادتهم فلهم من الأجر مثل أجره ، وهذا فضل عظيم لا يدري قدره إلا الله ، وكذلك كل من شهد بها عن شهادتهم ، فلهم من الأجر مثل أجره) [3] .

ولشرف العلم وفضله ، وشرف حامله وفضله ، وجه الله سبحانه وتعالى نبينا محمد ﷺ أن يطلب مزيدا من العلم ، فقال تعالى: ﴿ وقل رب زدني علما ﴾ [4] ، فاستجاب الرسول ﷺ لتوجيه ربه ، فكان من دعائه ﷺ : (اللهم زدني علما) .

ولمحبته ﷺ الخير لأمته رغب في طلب العلم وأكد على ذلك لينالوا الشرف والفضل، وليفوزوا بالمكانة التي أعدت لأهل العلم عند الله سبحانه وتعالى ، ذلك أن الله سبحانه وتعالى وملائكته ، وأهل السموات والأرض ، والحيوانات في البر والبحر يدعون لمعلم الناس الخير ، فأعظم بها من مترلة يدعو فيها الخالق ، ومخلوقاته ، لخلق من خلق الله سبحانه وتعالى ، وهو طالب العلم . عن أبي أمامة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : (إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في

---

(١) الحديث صحيح، محمد ناصر الدين الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٤، ١٩٨٥م ج١، ص٤٨٥.

(٢) ابن القيم الجوزية: مفتاح دار السعادة ، مرجع سابق، ص٥٢.

(٣) المرجع السابق:ص٥٣.

(٤) سورة طه: آية ١١٤.

جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير) [1] ، قال أبو عمر: (الصلاة ههنا الدعاء والاستغفار) [2].

وقال ﷺ : (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك به طريقا من طرق الجنة . وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم لرضى الله عنه ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف الماء) [3].

وعنه ﷺ قال: (ما من قوم يجتمعون في بيت من بيوت الله يتعلمون القرآن ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة ، وذكرهم الله فيمن عنده ، وما من رجل يسلك طريقا يلتمس فيها علما إلا سهل الله له طريقا إلى الجنة ، من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه) [4] .

ومنزلة طالب العلم ترتفع ليكون من أهل الله وخاصته ؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (إن لله أهلين من الناس) قيل من هم يا رسول الله ؟ قال: (هم حملة القرآن ، هم أهل الله وخاصته) [5] .

ومنزلة طالب العلم تعادل منزلة المجاهد في سبيل الله ، لأنه هو مجاهد أيضا – ولا يسقط طلب العلم الجهاد بالسيف – عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) [6] .

ومن علو المنزلة أيضا أن يكون للمتعلم ممن اختارهم الله واصطفاهم من

---

(١)ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،دار الباز،مكة المكرمة،(د.ط)،١٩٧٨م،ج٢،ص٤٥٦-٤٥٧

(٢) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١ص٣٨.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق،ص٦-٨،والحديث صحيح،رواه أبو داود.

(٤) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٣-١٤، والحديث صحيح،رواه ابن ماجة.

(٥) ابن سحنون: آداب المعلمين ، تحقيق/ أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣م، ص٣٥١.والحديث صحيح،محمد ناصر الدين الألباني:صحيح الجامع الصغير وزيادته،المكتب الإسلامي،بيروت،ط٢،١٩٨٦م، ج١،ص٤٣٢.

(٦) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١،ص٥٥،والحديث صحيح،رواه الترمذي.

بين خلقه ، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ [1] ، قال : (كل من تعلم القرآن وعلمه فهو ممن اصطفاه الله من بني آدم) [2] .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : (**يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها**) [3] ، ويقول سفيان بن عيينة : (أرفع الناس عند الله منزلة من كان بين الله وبين عباده ، وهم الأنبياء والعلماء) [4] .

وقد استحق أهل العلم تلك المرتبة باعتبارهم من أولياء الله ، يقول الشافعي رحمه الله : (إن لم يكن الفقهاء العاملون أولياء الله فليس لله ولي) [5] .

-منزلة أهل العلم بعد الأنبياء والرسل عليهم الصلاة و السلام :

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل الخلق منزلة عند الله عز وجل ، و يليهم في ذلك أهل العلم ؛ ذلك لأن أهل العلم يأخذون بميراث النبوة ، والأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذ به أخذ بالحظ الوافر ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**من سلك طريقا لعلم يتعلمه سهل الله له طريقا إلى الجنة ، ووضعت له الملائكة أجنحتها وصلت عليه حيتان البحر وملائكة السماء وللعالم على العابد من الفضل كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والعلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا درهما ولا دينارا فمن أخذ به أخذ بالحظ الوافر ، وموت العالم مصيبة لا تجبر، وثلمة لا تسد ونجم طمس وموت قبيلة أيسر من موت عالم**) [6] ، ويقول ابن جماعة : (وحسبك هذه الدرجة مجدا وفخرا ، وبهذه الرتبة شرفا وذكرا فكما لا رتبة فوق رتبة النبوة فلا شرف فوق شرف وارث

(١) سورة فاطر:آية٣٢.

(٢) ابن سحنون:آداب المتعلمين،مصدر سابق،ص٥٣٢.

(٣) الحديث حسن صحيح،رواه الترمذي في سننه.

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص١١.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة .

(٦)الحديث صحيح،صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير،مرجع سابق،ج٢، ١٠٧٩.

تلك الرتبة) [1] .

وقد أثبت القرآن الكريم تلك الرتبة للعلماء ليكون ذلك حافزا للمتعلم لطلب مزيد من العلم لنيل تلك الرتبة والمكانة ، قال الله تعالى : ﴿ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ﴾ [2] .

يقول الغزالي (٥٠٥هـ) في الآية السابقة : (رد حكمه في الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء في كشف حكم الله) [3] ، ويقول سفيان بن عيينة : (لم يعط أحد في الدنيا شيئا أفضل من النبوة ، وما بعد النبوة شيء أفضل من العلم والفقه) [4] ، والعلماء ينالون تلك الرتبة لأنهم يقومون مقام الأنبياء من بعدهم . قال سهل: (من أراد النظر إلى مجالس الأنبياء فلينظر إلى مجالس العلماء فاعرفوا لهم ذلك) [5] .

- تفاضل الناس على بعضهم بالعلم :

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام هم أفضل الخلق وأرفع المخلوقين عند الله تعالى ، والعالم خير من الجاهل ، وقد انتفت المساواة بينهما بقول الله تعالى : ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ [6] ، وقال تعالى: ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [7].

والمؤمن العالم خير من المؤمن الجاهل وفي كل خير، قال تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ [8].

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص٦.

(٢) سورة النساء :آية ٨٣.

(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الريان،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ج١،ص٥.

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص١١.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٦) سورة الزمر: آية٩ .

(٧) سورة العنكبوت: آية٤٣.

(٨) سورة المجادلة: آية١١.

وقد أثبت رسول الله ﷺ تفاضل الناس ، وأنهم يتفاضلون بالعلم حيث عد أهل العلم بأنهم خيار هذه الأمة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ من أكرم الناس ؟ قال : (**أتقاهم**) قالوا : ليس هذا نسألك ، قال : (**فأكرم الناس نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن خليل الله**) يعني يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله عليهم . قالوا : ليس عن هذا نسألك ، قال : (**فعن معادن العرب تسألوني : إن خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**) (١) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه في حديث رفعه قال : (**الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا**) (٢) .

ولما سئل لقمان الحكيم : (أي الناس أفضل ؟ قال : مؤمن عالم إن ابتغي عنده الخير وجد) (٣) .

- الحث على طلب العلم في الفكر الإسلامي ودوافعه :

رغب الإسلام في طلب العلم ، وذلك لأثره الإيجابي على المتعلم والمجتمع الذي يعيش فيه ، فالمتعلم ينال الكثير من الحظوة والرفعة والمكانة في المجتمع الذي يعيش فيه ، كما ينال من الثواب والأجر عند الله سبحانه وتعالى ، وسلوك المتعلم في طريق طلب العلم دلالة على فلاحه بإذن الله تعالى ، قال رسول الله ﷺ : (**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**) (٤) . وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (**نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه وبلغه غيره ، فرب حامل فقه ليس بفقيه**) (٥) ، وقال ﷺ : (**فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم**) (٦) .

وأما تأثير طلب العلم على المجتمع فيعود إلى أن إجماع الأمة على تركه فيه

(١)ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق، ج١، ص١٨. والحديث صحيح، رواه البخاري.

(٢)المصدر السابق: ج١، ص١٩.

(٣) المصدر السابق: ج١، ص٦٢.

(٤) الحديث صحيح، رواه ابن ماجة.

(٥) الحديث صحيح، رواه أبو داود.

(٦) الحديث صحيح، رواه أبو داود.

هلاكها فقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال : (**تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي**) [1] ، ويعلق القابسي (ت٤٠٣هـ) على ما سبق بقوله : (فهو شيء لابد من تعلمه ، ولكن من قام به فله أجره ، ومن لم يقم به ترك حظه ، وأعوذ بالله أن يتفق المسلمون على ترك القيام به، ولو كان كذلك لكانت الهلكة المبيرة) [2].

- دوافع طلب العلم :

إن هناك الكثير من العوامل التي تمثل باعثا قويا لطلب العلم لدى المسلم فمنها الدافع الديني ، الذي يؤكد على إخلاص النية ، و الحض على طلب العلم للعمل به ، والاستمرار في طلبه لمحاربة الجهل ، ومنها ما يكون لدوافع اجتماعية أو اقتصادية أو علمية .

- الدافع الديني لطلب العلم :

١-الإخلاص : فيجب علي المتعلم أن يطلب العلم بنية خالصة لله وحده ، صادقة في توجهها وقصدها ، قال الله تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾ [3].

وينبغي أن يهدف المتعلم بطلب العلم رضا الله والدار الآخرة ، أما طلب العلم لأغراض الدنيا البحتة فمنهي عنه (فإن التعلم لغير الله حرام باطل ، وطلب العلم لا للعمل به ضائع) [4] ، ويقول ابن جماعة : (واعلم أن جميع ما ذكر من فضيلة العلم والعلماء إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار المتقين الذين قصدوا به وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم لا من طلبه بسوء نية ، أو خبث طوية ، أو لأغراض

---

(١) القابسي:الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين،دار المعارف،القاهرة،١٩٨٣م،(د.ط)، ص٢٩١.والحديث صحيح،صحيح الجامع الصغيرة،مرجع سابق،ج١، ص٥٦٠.

(٢) القابسي:الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين،مصدر سابق، ص٢٩١.

(٣) سورة البينة: آية ٥.

(٤) طاش كبرى:مفتاح السعادة ومصباح السيادة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط،١٩٨٥م،ج، ص١٨.

دنيوية من جاه ، أو مال ، أو مكاثرة في الأتباع والطلاب) [1].

وفساد النية يجعل حظ المتعلم من طلب إلعلم ما يناله في الدنيا من عائد ، أما في الآخرة فما له من نصيب ، حيث فسر قول الله تعالى : **﴿ من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له في الآخرة من نصيب ﴾** [2] (من كان يريد) بعمله (حرث الآخرة) أي كسبها وهو الثواب (نزد له في حرثه) بالتضعيف فيه الحسنة إلى العشرة وأكثر (ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها) بلا تضعيف ما قسم له (وما له في الآخرة من نصيب) [3] .

وقال الله تعالى : **﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا ﴾** [4] .

وقد ورد فيمن لم يرد بعلمه وجه الله تعالى قول النبي ﷺ : **(أول الناس يقضى فيه يوم القيامة ثلاثة ، رجل استشهد في سبيل الله فأتيّ به ربه فعرفه نعمه فعرفها ، فقال : فما عملت فيها : قال : قاتلت حتى قتلت ، قال : كذبت ، ولكن قاتلت ليقال هو جرئ ، وقد قيل ، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النلو . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتيّ به فعرفه نعمة فعرفها ، فقال: فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت فيك العلم وعلمته ، وقرأت القرآن ، قال: كذبت ، ولكن ليقال : هو قارئ ، فقد قيل ، ثم أمر فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ، و رجل أوسع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأتيّ به فعرفه نعمة فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن أنفق فيها إلا أنفقت فيها ، قال : كذبت ، ولكن ليقال هو جواد ، فقد قيل ، ثم أمر فسحب على**

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص١٣.

(٢) سورة الشورى:آية٢٠.

(٣) السيوطي: تفسير الجلالين، دار المعرفة، بيروت. (د.ت)، ص٦٤١.

(٤) سورة الإسراء:آية١٨-٢٠.

وجهه حتى ألقي في النار)[1] .

قال ابن عبد البر : (وهذا الحديث فيمن لم يرد بعلمه ولا عمله وجه الله ، وقد قيل في الرياء إنه الشرك الأصغر ، ولا يزكو معه عمل)[2] .
وقالﷺ:(من تعلم علما لغير الله، أو أراد به غير وجه الله فليتبوأ مقعده من النار)[3]

ولما كان مدار الحكم على المقاصد والنيات ؛ لا ظاهر الأعمال والأقوال ؛ لقوله ﷺ : (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى)[4] ، و قيل : (كم من عمل يتصور بصورة أعمال الدنيا ، ويصير بحساب الدين من أعمال الآخرة ، وكم من عمل يتصور بصورة أعمال الآخرة ، ثم يصير من أعمال الدنيا بسوء النية)[5] فقد حث المفكرون المسلمون المتعلمين على حسن النية في طلب العلم ، وأرشدوهم إلى ضرورة مراعاة ذلك في سلوكهم العلمي ، بل هناك ما يشير إلى أنهم أدركوا أن طلب العلم والمثابرة عليه والاندفاع في طلبه قد يؤدي إلى تصحيح النية ، لأن العلم في الغالب يقود صاحبه إلى رضا الله والدار الآخرة ، قال الحسن : (كنا نطلب العلم للدنيا فجرنا إلى الآخرة)[6] ، وعن معمر قال : (إن الرجل ليطلب العلم لغير الله ، فيأبى عليه العلم ، حتى يكون لله)[7] ، وقال الحسن : (لقد طلب أقوام هذا العلم ما أرادوا به الله وما عنده فما زال بهم حتى أرادوا به الله وما عنده)[8] .

و الطالب عندما يطلب العلم ابتغاء رضا الله ، سوف يشعر بسعادة روحية كبرى وهو يحصل العلم ؛ وهي سعادة تذلل الصعاب أمام الطالب ، وتجعله قادرا على بذل الجهد والوقت في رضا وبهجة ، ولعل ذلك يفسر قوة احتمال علماء السلف

(١) الحديث صحيح،رواه مسلم.
(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج٢،ص٣.
(٣) الحديث صحيح رواه الترمذي.
(٤) الحديث صحيح،رواه البخاري.
(٥) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعليم،مصدر سابق، ص٣٦.
(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٧) المصدر السابق:ص٢٣.
(٨) المصدر السابق:نفس الصفحة.

للكثير من المصاعب في سبيل تحصيل العلم ، كما يفسر من ناحية أخرى هذا المحصول العلمي الضخم الذي حصلوه أثناء الطلب .

٢- وجوب العمل بالعلم : إن الدافع الديني لطلب "العلم" يقتضي أن يكون هـــذا الطلب مقترنا بنية العمل به ، إذ حث الإسلام على الربط بينهما ، واعتبر العلم هـــو الموجه للسلوك وفق المنهج الصحيح ، كما دعا إلى التطبيق العملي للعلم بمـــا يعـــود بالنفع عليه وعلى الآخرين ، فوجب على المتعلم (أن يعمل بعلمه لله تعـــالى واليـــوم الآخر ، وأن يعلم الجاهل ويوقظ الغافل ويرشد الغوي ، ويؤيد من ليس بالقوي ، فإن التعلم لغير الله حرام باطل ، وطلب العلم لا للعمل به ضائع) [1] .

ولهذا فإن من لا يعمل بعلمه لا يكون مستعدا لرحمة الله تعالى ، يقول الغـزالي: (ولو قرأت العلم مائة سنة وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعدا لرحمة الله تعـــالى إلا بالعمل) [2] ، قال تعالى: ﴿ **وأن ليس للإنسان إلا ما سعى** ﴾ [3] ، وقال سبحانه : ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحـدا** ﴾ [4] ، وقال عز وجل : ﴿ **جزاء بما كانوا يكسبون** ﴾ [5] .

والعمل الصالح دلالة الانتفاع بالعلم ، ويظهر النفع بالعلم في (حسن الاهتـــداء في العبادة ، فمن لم يزدد بالعلم ورعا وزهدا لم يزدد من الله إلا مقتا وبعدا) [6] .

ويظهر الانتفاع بالعلم من خلال بذله للآخرين ، وبذل العلم زكاة له ، فعن ابـــن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **(علم لا يقال به ككنـــز لا ينفـــق منه)** [7] .

---

(١) طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،مرجع سابق، ج١، ص١٨.

(٢) الغزالي: أيها الولد،دار الاعتصام،تحقيق علي محي الدين،القاهرة،ط١، ١٩٨٣، ص٩٩.

(٣) سورة النجم:آية٣٩.

(٤) سورة الكهف:آية١١٠.

(٥) سورة التوبة:آية٢٨.

(٦) طاش كبرى زادة: مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،مرجع سابق، ج١، ص١٩.

(٧) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١،ص١٢٢.والحديث صحيح،الألبـــاني: صحيح الجامع الصغير وزيادته،مرجع سابق، ج٢، ص٧٤٤.

ومن لم ينتفع بعلمه لم ينتفع به الآخرون ، إذ المطلب الأول تقويم سلوك المتعلم نفسه ، ولذلك قيل : (ومن لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا) (١) .

وينبغي للمتعلم أن يطلب العلم لارتباطه بالعمل ، لأن العلم مقوم للعمل ومصحح له ، ولذلك كان تفضيل طلب العلم على العبادة والزهد في الدنيا ، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال : (باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعا ، وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوعا) (٢) ، وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد) (٣) ، وقال الحسن البصري : (العالم خير من الزاهد في الدنيا ؛ المجتهد في العبادة) (٤).

وسبب تفضيل طلب العلم على العبادة في الإسلام يرجع إلى امتداد أثر الأول على المجتمع ، واقتصار أثر العبادة على الفرد نفسه ، يقول ابن جماعة : (وقد ظهر أن الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البدنية ، من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك ؛ لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس ، والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها ، ولأن العلم مصحح غيره من العبادات ، فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه ولا يتوقف هو عليها ، ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم ، وليس ذلك للمتعبدين ، ولأن طاعة العالم واجبة على غيره فيه ، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه ، وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها ، ولأن في بقاء العالم إحياء الشريعة وحفظ معالم الملة) (٥) .

وقد بالغ بعض السلف في بيان قيمة العلم وأهميته ، حتى عدوه أفضل من صلاة النافلة ، عن ابن وهب قال : (كنت عند مالك بن أنس فجاءت صلاة الظهر أو العصر ، وأنا أقرأ عليه وأنظر في العلم بين يديه ، فجمعت كتبي وقمت لأركع ، فقال

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج٢، ص٨ .

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص١٢،١٣.

(٣) العلموي: المعيد في أدب المفيد والمستفيد،مصدر سابق، ص٦٢-٦٣.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ص٢٤.

(٥) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص١٣.

لي مالك : ما هذا ؟ قلت أقوم إلى الصلاة ، فقال : إن هذا لعجب ، ما الذي قمت إليه بأفضل من الذي كنت فيه إذا صحت النية فيه) (١) ، وعن سفيان الثوري والشافعي رضي الله عنهما : (ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم) (٢) .

٣- **الاستمرار في طلب العلم و محاربة الجهل** : وذلك لكون المتعلم محتاجا إلى العلم في عباداته ، وعاداته ، وجميع شؤون الحياة ، لمعالجة القضايا والمشكلات المستجدة ، حيث إن (ثبات مبادئ الإسلام وتعاليمه مع ما يقابله من تطور ظروف الحياة والتعامل مع الناس ، كل ذلك يدعو إلى معالجة هذه التطورات ، ومعالجة النفس الإنسانية باستمرار في ضوء تعاليم الإسلام) (٣) .

من هنا حرص الإسلام على توجيه أتباعه إلى أهمية الاستمرار في طلب العلم من المهد إلى اللحد ، كما حرص أيضا على توجيه أتباعه إلى الاستمرار في طلب العلم ، سواء أدركه المتعلم أم لم يدركه ؛ فإن أدركه فله أجران ، وإن لم يدركه كان له أجر واحد ، قال ﷺ : **(من طلب علما فأدركه كتب الله له كفلين من الأجر، ومن طلب علما فلم يدركه كتب الله له كفلا من الأجر)** (٤) ، وفي ذلك حث على طلب العلم مهما كانت الصعاب ، ومهما كانت النتائج الدراسية غير مرضية .

ولعلنا نفهم من ذلك ألا نحرم أحدا من العلم حتى ولو كان أقل من المتوسط في تحصيله الدراسي ؛ بل يظل من الأفضل أن نبذل العلم ونيسره للمتفوقين والمتخلفين دراسيا في نفس الوقت ، على أن نقدم لكل ما يناسبه من تعليم ، فكل تعليم هو كسب لأفراد ؛ سواء كان كسبا كاملا أو كسبا محدودا في حدود قدرات الطلاب وإمكاناتهم .

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص٢٥.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص١٢.

(٣) عبد الرحمن النحلاوي:التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ،المكتب الإسلامي،بيروت،ط١، ١٩٨٢م، ص٦٧.

(٤) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص٤٥.والحديث حسن،رواه الطبراني في المعجم الكبير.

لقد أمر الإسلام بطلب العلم مدى الحياة ؛ لكون المتعلم لا يمكن أن يكتفي من العلم مهما طال تحصيله له وفي ذلك يقول قتادة : (لو كان أحد يكتفي من العلم بشيء لاكتفي موسى عليه السلام ، ولكنه قال : ﴿ هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا ﴾ [1]) [2] .

وهذا ابن المبارك لما سئل : إلى كم تكتب الحديث فقال : (لعل الكلمة التي انتفع بها لم أسمعها بعد) [3] .

كما أن لموقف الإسلام من الجهل ، والتنفير منه ما يمثل باعثا قويا نحو الاستمرار في طلب العلم ، ذلك أن فرائض الإسلام لا يمكن أن تؤدى على جهل ، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : (**طلب العلم فريضة على كل مسلم**) [4] .

والعلم خير لصاحبه ينظم حياته ويرتب أموره ، والجهل بضده ، ولذلك (ينبغي أن ينوي المتعلم بطلب العلم رضا الله والدار الآخرة وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام فإن بقاء الإسلام بالعلم) [5] .

والجهل سبب في هلاك الأمة وتمزقها ، من خلال ما يمارسه الجهلاء من سلوك وتصرفات تضر بالإسلام ، وبالتالي تؤثر الحال تلك على المجتمع ، وكثيرا ما شقت فئة عصا الطاعة على الأمة بسبب تصرفاتها وتزمتها ، وأساس ذلك الجهل ، قال الحسن : (العامل على غير علم كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، فاطلبوا العلم طلبا لا تضروا بالعبادة ، واطلبوا العبادة طلبا لا تضروا بالعلم ، فإن قوما طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ ولو طلبوا العلم لم يدلهم على ما فعلوا) [6] .

---

(١) سورة الكهف: آية٦٦.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص١٠٠.

(٣) المصدر السابق،ج١، ص٩٦ .

(٤) المصدر السابق:ج١، ص٨. والحديث صحيح، الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته،مرجع سابق،ج٢، ص٧٢٧.

(٥) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق ، ص٣٦.

(٦) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق ، ج١، ص١٣٦.

والذي يتابع تلك التعاليم لا يمكنه أن يغفل أنها تحث حثا على إزالة الجهل ، وتعميم العلم بين أفراد المجتمع ، ودفعهم دفعا إلى استمرار التعليم مدى الحياة ، مما يؤكد أن حلم المجتمع المتعلم المعلم الذي تهفوا إليه النظم التعليمية المعاصرة ، ما هو إلا عودة إلى تعاليم إسلامنا ، فالعلم واستمرار التعلم لا يأتي إلا بخير ، والجهل واستمراره لا يمكن أن يأتي إلا بشر .

- الدافع العلمي لطلب العلم :

إن التطور الذي يشهده العالم اليوم في شتى المجالات المعرفية والتقنية... إلخ أفرز العديد من المشكلات ، فمنها ما يتعلق بمتطلبات العمل ، والحاجة إلى السيطرة على البيئة ، والحاجة إلى السيطرة على النفس ، الأمر الذي جعل المربين يتنادون إلى ضرورة تربية الفكر العلمي لدى المتعلم ، وذلك من خلال غرس الروح العلمية ، وممارسة الأساليب العلمية والتغلب على السلوك النمطي المعتمد على الجمود والركود ، وإحلال روح طلب العلم للعلم بحيث يدرك المتعلم (أن كل مرحلة نقطعها في طلب العلم إنما هي نقطة انطلاق لمزيد من البحث) [(1)] ، مما يزود المتعلم بالقدرة على التصدي للمواقف العلمية والعملية عقب تسلح بالإرادة القوية في القول والعمل ، وبالتالي فإن أحكامه وقراراته لا تصدر إلا بعد التحقق من كافة جوانب أي موقف أو مشكلة .

ومن يطالع آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ يجد توجيها قويا لتكوين تلك العقلية العلمية ؛ التي تؤمن بالأسباب وتنحي الخرافة جانبا ، وتزدري الاتباع الأعمى لسلطة السابقين ، وتحث المتعلم حثا قويا على إعمال العقل ، واعتماد اليقين بدلا من الظن ، والنظر ، والتأمل والتدبر في خلق السماوات والأرض ، والتفكير في عالم النفس ، وفي آفاق الكون [(2)] ليكشف المتعلم مجاهله ، ويتعرف على حقائقه ، قال تعالى : ﴿ **قل انظروا ماذا في السموات والأرض** ﴾ [(3)] ، وقال عز وجل : ﴿ ألم

---

(١) إدجارفور وآخرون: تعلم لتكون، ترجمة/ حنفي بن عيسى، اليونسكو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ١٩٧٦م، ص٢١١.

(٢) عمر عودة الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت ،ط٣، ١٩٧٩م. ص٢١٨.

(٣) سورة يونس: آية١٠١.

تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ (١) .

وتتعدد الآيات التي تخاطب العقل وتدعو إلى التفكير والبحث واستخدام الحواس من سمع وبصر.. إلخ ، والتي تحارب التبعية وإصدار الأحكام على مستجدات الأمور قبل تحري الحقيقة ، قال تعالى : **﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت*وإلى السماء كيف رفعت*وإلى الجبال كيف نصبت*وإلى الأرض كيف سطحت ﴾** (٢) ، وقال عز وجل : **﴿ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون ﴾** (٣) ، وقال سبحانه وتعالى : **﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه أولو كان ءاباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾** (٤) .

ولذلك فإن كل من عطل القوى والمواهب التي منحه الله إياها فقد عرض نفسه للجهل و لم يؤد شكر النعمة ، قال بعض السلف : (خير المواهب العقل ، وشر المصائب الجهل) (٥) وأوصى الزرنوجي المتعلم بأن (ينوي به –طلب العلم- الشكر على نعمة العقل وصحة البدن) (٦) .

وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم قيمة العلم ، وأن طلبه فيه شكر لله تعالى على ما أعطى الإنسان من قدرات ، فهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه يضرب المثل فيمن يطلب العلم لذاته ، وذلك عندما حضرته الوفاة إذا قال لجاريته : (ويحك هل أصبحنا ؟ قالت : لا ، ثم تركها ساعة ثم قال : انظري ؟ فقالت : نعم ، فقال : أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ثم قال : مرحبا بالموت ، مرحبا بزائر جاء على فاقة ، لا

---

(١) سورة فاطر: آية٢٧،٢٨.

(٢) سورة الغاشية: آية ١٧-٢٠.

(٣) سورة الأنعام: آية٩٧.

(٤) سورة البقرة: آية١٧٠.

(٥) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص١٠.

(٦) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٣٧.

أفلح من ندم ، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ، ولكن كنت أحب البقاء لمكابدة الليل الطويل ، و لظمأ الهواجر في الحر الشديد ، ولمزاحمة العلماء بالركب في حلق الذكر) [1] ، وتلك صفة النفس الإنسانية الفاضلة ، التي تشتاق إلى العلوم والمعارف ، وتجد فيها لذة ومتعة لا تعادلها أي لذة أو متعة من متع الدنيا ، فالعلم هو فضيلة الإنسان وكماله ، وبحسب عناية الإنسان بنفسه ، وحرصه على طلب العلم ، وانصرافه عن الأمور العائقة يزداد كمالا [2] .

فطلب العلم هو السبيل لبلوغ الكمال الإنساني ، وتحقيق هذا الكمال لا يتأتى لكل متعلم بسبب التفاوت في الدافع ونوعه ، ونوع العلوم المطلوبة ، والصبر والاستمرار فيه ، يقول ابن مسكويه (ت٤٢١هـ) : (وهكذا الهمم المتفاوتة التي ينصرف بعضها إلى العلوم الدنيئة ، وبعضها إلى العلوم الشريفة) [3] .

فإذا ما عرف طالب العلم ذلك ؛ كان عليه أن يبذل جهده وطاقته في سبيل طلب العلم وتحصيله ، فلم يعد عندئذ يشبع من طلبه ، يقول أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) : (من عرف العلم وفضله لم يقض نهمته منه ، و لم يشبع من جمعه طول عمره) [4] .

والذي يطالع الكثير من تراجم علماء الإسلام ، وما ورد في سير حياتهم من إقبال شديد على طلب العلم قراءة وبحثا وتأليفا لا يمكن أن يتجاهل تلك الروح العلمية التي حركت هؤلاء العلماء إلى طلب العلم والمثابرة عليه بدون ملل أو كلل .

وبتلك الروح تبنى الحضارات الإنسانية ، ولقد نجح الإسلام بتعاليمه الراسخة في غرس تلك الروح بين علمائه ومتعلميه ، فكانت الحضارة الإسلامية الزاهرة ، حتى إذا ضعفت تلك الروح ووهنت العزائم في طلب الكمال العلمي ، وخفتت أضواء الحكمة ، وتوقف الاجتهاد ، وأوصدت أبواب التقدم العلمي ، تجمد المجتمع

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص٥١.

(٢) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٧٨م،ط١،ص٩.

(٣) المصدر السابق:ص١٣.

(٤) أبو هلال العسكري:الحث على طلب العلم، المكتب الإسلامي، بيروت،١٩٨٦م،ص٩٥.

الإسلامي ، وانهارت دعائم عمرانه ، على نحو ما هو معروف في تاريخنا الحضاري .

- **الدافع الاجتماعي لطلب العلم :**

كان حب الإنسان -وما يزال- لأن ينال منزلة اجتماعية محترمة ، من الدوافع القوية لدى الأفراد لطلب العلم والإقبال عليه ، نجد ذلك منذ العصور القديمة ، إذ كان "المتعلم" أو "الكاتب" يتمتع بمنزلة عالية في مصر الفرعونية على سبيل المثال (١) ، كما نجده في عصورنا الحديثة ، فمثلا نجد أن الطلاب اليابانيين يبذلون قصارى جهدهم في تحصيل أعلى المستويات للالتحاق بجامعة طوكيو ، حيث إن ٢٠% من رؤساء ومديري الشركات الضخمة العاملة في مجال المال كلهم من خريجي جامعة طوكيو ، وأن ٦٠% من موظفي الحكومة الذي يعملون في مراتب أعلى من مرتبة "رئيس قسم" من خريجيها أيضا ، وأكثر من ٢٠% من الأعضاء المنتخبين في المجلس التشريعي من خريجي جامعة طوكيو (٢) .

فالعلم هو السبيل لعلو الصيت ، وبقاء الذكر بين الناس ، يقول أبو هلال العسكري : (فإذا كنت أيها الأخ ترغب سمو القدر ، ونباهة الذكر ، وارتفاع المنزلة بين الخلق ، وتلتمس عزا لا تثلمه الليالي والأيام ، ولا تتحيفه الدهور والأعوام ، وهبة بغير سلطان وغنى بلا مال ومنعة بغير سلاح ، وعلاء من غير عشيرة ، وأعوانا بغير أجر ، وجندا بلا ديوان وفرض ، فعليك بالعلم فاطلبه في مظانه تأتك المنافع عفوا وتلق ما يعتمد منها صفوا ، واجتهد في تحصيله ليال قلائل ثم تذوق حلاوة الكرامة مدة عمرك ، وتمتع بلذة الشرف فيه بقية أيامك واستبق لنفسك الذكر به عند وفاتك) (٣) .

كما أن العلم هو الطريق إلى المنزلة الاجتماعية المحترمة إذ (يتشعب من العلم الشرف وإن كان صاحبه دنيا ، والعز وأن كان مهينا ، والقرب وإن كان قصيا ،

(١) أحمد بدوي و محمد جمال الدين مختار:تاريخ التربية والتعليم في مصر، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ج١، ص٤٧-٥٥.

(٢) إدوارد بوشامب: التربية في اليابان المعاصرة،ترجمة/ محمد عبد العليم مرسي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض،١٩٨٥م، ص٥٧.

(٣) أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق، ص٤٣.

والغنى وإن كان فقيرا ، والمهابة وإن كان وضيعا) (١) ، وقيل أيضا : (ثلاثة لابد لصاحبها أن يسود : الفقه ، والأمانة ، والأدب) (٢) ، وعن مالك بن دينار قال : (قرأت في بعض كتب الله : إن الحكمة تزيد الشريف شرفا ، وترفع المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك) (٣) ، وقال لقمان لابنه يا بني : (إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك) (٤) .

والأمثلة كثيرة تثبت أن العلم ساهم في تحقيق المكانة الاجتماعية المميزة لطالب العلم مهما كان انتماؤه وطبقته ، فهذا الحسن -رحمه الله- يقول : (يرحم الله لقمان لقد كان عبدا حبشيا فجعل الله كلامه قرآنا) (٥) ، وقال الأعمش متحدثا عن نفسه وما ناله من الرفعة بسبب العلم : (أنا ممن رفعه الله تعالى بالقرآن ، لولا القرآن لكان على رقبتي دن* صحناء أبيعه) (٦) .

وقد نال جماعة بالعلم من السيادة ما لم ينله حتى الأمراء والحكام ، من ذلك ما روي أن الحجاج قال لخالد بن صفوان : (من سيد أهل البصرة ؟ قال له : الحسن ، فقال : وكيف ذلك وهو مولى ؟! فقال : احتاج الناس إليه في دينهم ، واستغنى عنهم في دنياهم ، وما رأيت أحدا من أشراف أهل البصرة إلا وهو يروم الوصول في حلقته ليستمع قوله ، ويكتب علمه ، فقال الحجاج : هذا والله السؤدد) (٧) .

وفي الأثر ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديث عن رسول ﷺ : (**إن الله يرفع بالقرآن أقواما ويضع آخرين**) (٨) ، و روي أن عمر -رضي الله عنه- (سأل أحد ولاته قائلا : من استخلفت على أهل الوادي (يريد مكة) ؟ قال :

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص١٠، ١١.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص٦٢.

(٣) أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق، ص٥٠.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ص١٠٧.

(٥) أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق، ص٥٠- ٥١.

* الراقود العظيم أو أطول من الحب أو أصغر منه له عسعس لا يقعد إلا أن يحفر له.

(٦) أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق، ص ٥١.

(٧) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص٦٢.

(٨) الحديث صحيح، رواه ابن ماجة.

استخلفت ابن أبزي ، رجل من موالينا ، فقال عمر : استخلفت عليهم مولى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض قاص ! فقال عمر : أما إن نبيكم ﷺ قد قال : (الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع آخرين) (١) ، فلينظر كيف رفع العلم مولى من موالي العرب إلى مقام عليتهم وأشرافهم ، وجعله واليا عليهم ، وحاكما فيهم يدينون له بالطاعة ، ويعترفون له بالفضل والولاء) (٢) .

وقد أدرك كثير من العقلاء الفوائد الاجتماعية لطلب العلم مما جعلهم يوجهون المتعلمين إلى مزيد من الطلب ، ومنهم ابن المقفع (ت هـ) حيث يقول : (اطلبوا العلم فإن كنتم ملوكا برزتم ، وإن كنتم سوقة عشتم) (٣) ، ويقول أبو هلال العسكري : (ولعمري إن شيئا ينزل المملوك منزلة الملوك ، ويجعل التابع محل المتبوع ، ويحكم به السوقة على الملك العظيم لحقيق أن ينافس فيه ويحسد صاحبه عليه ويجتهد في طلبه أشد الاجتهاد ، وإن أمرا يخدم فيه عبد الله بن عمر مجاهدا – ومجاهد هو ابن جبر أحد مماليك مكة – وعبد الله عبد الله في فضله وزهده وورعه وشهرة اسمه ، وأبوه في شرف ومكانة من الصحبة ، ثم من رتبة الخلافة وملكه الأرض شرقا وغربا ، وطاعة أهل الإسلام والكفر له طوعا وكرها لحري أن يرغب فيه العاقل ، ويحافظ عليه اللبيب) (٤).

وقد تخوف بعض المفكرين المسلمين من أن يكون الباعث لطلب العلم مجرد الحرص على تحقيق مكانة اجتماعية كالرغبة في إقبال الناس على المتعلم أو(استجلاب حطام الدنيا والكرامة عند السلطان وغيره) (٥) ؛ لما يترتب على ذلك من تغير الهدف الأسمى لطلب العلم وهو إحياء الشريعة ، وتعديل السلوك وتقويمه إلى الهدف المادي ، يقول الغزالي : (كم ليلة أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب ، وحرمت على نفسك النوم ، لا أعلم ما كان الباعث فيه ؟ إن كانت نيتك نيل عرض الدنيا ، وجذب

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص٦٢.

(٢)أبو بكر جابر الجزائري:العلم والعلماء،دار الكتب السلفية، القاهرة،١٤٠٤هـ،د.ط،ص١٧، ١٨.

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص٦٢.

(٤) أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٥٣- ٥٤.

(٥) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٣٧.

حطامها ، وتحصيل مناصبها ، والمباهاة على الأقران والأمثال ، فويل لـــك ثم ويـــل لك ، وإن كان قصدك فيه أحياء شريعة النبي ﷺ وتهذيب أخلاقك وكســر النفــس الأمارة بالسوء فطوبى لك ثم طوبى لك) [1] .

وقد ورد الوعيد الشديد عمن قصر هدفه على أغراض الدنيا فعن رســـول الله ﷺ : (**من تعلم علما لغير الله أو أراد به غير وجه الله فليتبوأ مقعده من النــار**) [2] ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لا يتعلم العلم لثلاث ، ولا يترك لثــلاث : لا يتعلم ليماري به ولا يباهي به ولا يراءي به ، ولا يترك : حياء من طلبه ، ولا زهــادة فيه ولا رضا بالجهل منه) [3] ، كما روي أن (**من تعلم علما مما يبتغي به وجـــه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامــة**) [4] ، وأوصى لقمان ابنه قائلا : (يا بني لا تتعلم العلم لثلاث ولا تدعه لثلاث ، لا تتعلمـه لتماري به ولا لتباهي به ولا لترائي به ، ولا تدعه زهادة فيه ، ولا حياء من النـــاس ، ولا رضا بالجهالة) [5] .

وطبيعي أن ما ورد من التحذير في طلب العلم ابتغاء السلطة أو الجاه ، لا ينفـــي أن البعض قد طلبه من أجل ذلك الهدف ، كذلك فإنه لا يتعارض مع المتعارف عليـــه في النظام الاجتماعي العام الذي يجعل "أهل العلم" أصحاب منـــزلة اجتماعية محترمـــة في الغالب الأعم ، ولعل علماء المسلمين قصدوا بذلك التحذير خوفهم من اســـتخدام العلم لمصلحة السلطة المنحرفة وخدمة أهدافها ، وإن تعارضت مع المصلحـــة العامـــة للناس وما يترتب على ذلك من التنافس بين العلمـــاء لبلـــوغ المنـــاصب ، وتحقيـــق المكاسب ، وإذلال أهل العلم ، ونشر الخصومات بينهم .

ويصف لنا الغزالي أحوال العلماء في عصره وقد طغى عليهم طلب العلم لتحقيـــق

---

(١) الغزالي: أيها الولد،مصدر سابق، ص١٠٥- ١٠٦.

(٢) الحديث صحيح، رواه ابن ماجة.

(٣) ابن أبي الدنيا: الصمت وحفظ اللسان،دار الاعتصام،القاهرة،١٩٨٦م،ط١، ص٨٣.

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصـــدر ســـابق، ص١٤. والحديـــث صحيح، رواه أبو داود.

(٥) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص١٠٧.

مكانة اجتماعية متميزة بقوله : (فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء ، وإقبال الأئمة والولاة عليهم مع إعراضهم عنهم ، فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة ، فأكبوا على علم الفتاوى ، وعرضوا أنفسهم على الولاة ، وتعرفوا إليهم ، وطلبوا الولايات والصلات منهم ، فمنهم من حرم ومنهم من أنجح ، والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال ، فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين صاروا طالبين ، وبعد أن كانوا أعزة بالإعراض عن السلاطين أصبحوا أذلة بالإقبال عليهم ، إلا من وفقه الله تعالى) [1] .

– الدافع الاقتصادي لطلب العلم :

إذا كان البعض قد يطلب العلم ابتغاء منزلة اجتماعية محترمة داخل المجتمع ، فإن البعض الآخر قد يطلبه من أجل مزيد من الكسب والثروة ، ولعل ذلك الدافع أكثر بروزا في عصرنا الحديث ، بحيث يمكن أن نقول : إن الكثير مما نشهده اليوم من إقبال على التعليم في جميع مراحله ، وسعى المتعلمين إلى تحقيق أعلى المؤهلات ، وتدافعهم على بعض التخصصات إنما يعود بدرجة كبيرة إلى الرغبة في تحقيق حياة كريمة من خلال المردود الاقتصادي لذلك التخصص ، في ظل الاتجاه الذي يساور الجميع بأن (التنمية الاقتصادية سوف تسارع ، وأن مجالات التشغيل سوف تتضاعف ، وأن المؤهلات المطلوبة سوف تكون أعلى مما كانت عليه) [2] .

وقد أقر الإسلام بأهمية المال في حياة الفرد المسلم فهو زينة الحياة ، قال تعالى : ﴿ **المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** ﴾ [3] .

والمال مما ينفع الإنسان في حياته وبعد مماته إذا صرفه على الوجه الشرعي ، فقد ورد في الحديث الشريف: (**نعم المال الصالح للرجل الصالح**) [4] ، وقال ﷺ :

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين،مصدر سابق، ج١، ص٤٢.

(٢) إدجار فور، وآخرون: تعلم لتكون،مرجع سابق، ص٧٧.

(٣) سورة الكهف: آية٤٦.

(٤) الحديث صحيح ، رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، بلفظ نعما ، وقال : للمرء .

(ثلاث تتبع المسلم بعد موته: صدقة أمضاها يجري له أجرها، وولد صالح يدعو له وعلم أفشاه فعمل به) (١) .

ولما كان المال الحلال من وسائل الحياة الكريمة ، ومن القوى الفاعلة في حياة الفرد ، تعالت الأصوات بالحصول عليه بالطرق المشروعة ومنها العلم ، فهذا أبو هلال العسكري يقول : (فإذا كنت أيها الأخ ترغب في سمو القدر ونباهة الذكر وارتفاع المترلة بين الخلق... فعليك بالعلم فاطلبه في مظانه تأتك المنافع عفوا وتلق ما يعتمد منها صفوا) (٢) ، ويقول المبرد : (كان يقال : تعلموا العلم ، فإنه سبب إلى الدين ، ومنبه الرجل ومؤنس في الوحشة ، وصاحب في الغربة ووصلة في المجالس وجالب للمال ، وذريعة في طلب الحاجة) (٣) .

وطلب العلم يعين المتعلم على حصوله على المال ، من خلال تنظيمه لحياته تنظيما سليما ، ولذلك حرص المسلمون على حث أبنائهم على طلب العلم كوسيلة لكسب الرزق ، فهذا الزبير يوصي ابنه قائلا : (تعلم العلم فإن يكن لك مال ، كان لك جمالا ، وإن لم يكن لك مال ، كان لك مالا) (٤) ، وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : (يا بني تعلموا العلم فإن استغنيتم كان لكم كمالا ، وإن افتقرتم كان لكم مالا) (٥) .

وقد ساهمت عطايا الحكام والولاة في الإقبال على طلب العلم ودراسة العلوم والمعارف ، ومنها مهنة الطب إذ كان (للعطاء السخي الذي يناله الطبيب في صورة أجور وهدايا) (٦) ، الأثر الإيجابي لتعلم مهنة الطب ، وعلى نفس النهج أقبل المتعلمون على دراسة الفقه والكلام والجدل والمناظرة فقد وصف الغزالي هذه الفئة بقوله : (فاشرأبوا لطلب العلم توصلا إلى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة) (٧) .

(١) الحديث صحيح،رواه ابن ماجة .

(٢) أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٤٣.

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١،ص٦٢.

(٤) الماوردي: أدب الدنيا والدين،دار الكتب العلمية،بيروت،ط٤،١٩٧٨م،ص٤١.

(٥) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١،ص٥٧.

(٦) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب: الإعداد التربوي المهني للطبيب عند المسلمين،دار الفكر العربي،القاهرة،(د.ط)،١٩٨٤م،ص١٠٥.

(٧) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٤٢.

وحتى لا يتحول العلم إلى سلعة تباع وتشترى ، أو قنطرة للسلطة والثروة لا يمر عليه إلا أصحاب الهوى ، فقد ذم بعض المفكرين المسلمين طلب العلم لمجرد الأسباب الاقتصادية فقط ، لما في ذلك من فساد النية ، وإذلال أهل العلم ، ومن ثم تسخيرهم لأهواء الحكام والولاة .

وأكد المفكرون المسلمون على أن نية العلم لابد أن تظل أغلى وأقدس من نية المال ، وألا يرخص العالم نفسه وعلمه ، فعن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه- قال : (العلم خير من المال ، لأن المال تحرسه ، والعلم يحرسك ، والمال تفنيه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، والعلم حاكم ، والمال محكوم عليه ، مات خزان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة ، وآثارهم في القلوب موجودة) [(١)] ، ويرى الزرنوجي أن يرتفع المتعلم بنيته في طلبه العلم عن طلب حطام الدنيا ، حيث يقول : (ولا ينوي إقبال الناس عليه ، ولا استجلاب حطام الدنيا ، والكرامة عند السلطان وغيره) [(٢)] ، وقيل : (كما ترك الملوك لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا) [(٣)] ، كما ورد الذم في طلبه من غير وجهه المباح ، يقول ابن عبد البر : (المال المذموم عند أهل العلم هو المطلوب من غير وجه ، المأخوذ من غير حله) [(٤)] .

ويستثنى من ذلك ما يطلبه المتعلم لتحقيق كفايته حيث كان رسول الله ﷺ (يدخر مما أفاء الله عليه من صفاياه من فدك وغيرها قوت سنة ، ويجعل الباقي في الكراع والسلاح في سبيل الله) [(٥)] ، وقد عهد ذلك الأسلوب عن السلف ، ولهذا يذهب ابن عبد البر إلى أن طلب المال من وجهه للكفاف والاستغناء عن الناس لا يعد طلبا للدنيا المكروه الممنوع منه المتعلم ، مستشهدا في ذلك بقول أبي الدرداء : (من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته) ، وقوله أيضا : (صلاح المعيشة من صلاح الدين ، وصلاح الدين من صلاح العقل) [(٦)] .

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١،ص٥٧.
(٢) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٣٧.
(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١،ص١٠٧.
(٤) المصدر السابق:ج٢، ص١١.
(٥) المصدر السابق:ج٢، ص١٢.
(٦) المصدر السابق:ج٢، ص١٥.

وواضح أن المفكرين المسلمين عندما حذروا من أن يتحول الدافع الاقتصادي إلى الدافع الأقوى في طلب العلم ، كانت لهم رؤيتهم الاجتماعية الصحيحة ، لأن (العلم) إذا تحول إلى سلعة ذات مردود اقتصادي فقط ، فقد قيمته كأداة للإصلاح الحضاري ، ووسيلة للكمال الإنساني ، وتحول الإنسان إلى سلعة اقتصادية يسهل تسخيرها باسم الاقتصاد إلى أي غاية طالما كانت ذات مردود اقتصادي ، ومثل هذا التعليم يمكن أن يبني حضارة الآلة ، ولكنه لا يمكن أن يبني حضارة الإنسان .

الخلاصة

من كل من سبق يتضح أن المتعلم المسلم قد توفرت له دوافع متعددة لطلب العلم ، وتكونت لديه حوافز عدة للإقبال على العلم والتعلم ، فقد كان هناك الدافع الديني القوي الذي يعود إلى طبيعة الإسلام ، وما اشتمل عليه من مبادئ وتعاليم تحث اتباعه حثا على طلب العلم مدى الحياة ، بجوار الدوافع الأخرى التي نجدها في القديم والحديث لطلب العلم وهي: الدافع العلمي، أو طلب العلم لذات العلم ، والدافع الاجتماعي ، والدافع الاقتصادي .

ولذا كان المتعلم المسلم يشارك غيره في تلك الدوافع الثلاثة الأخيرة ؛ إلا أن المفكرين المسلمين قد وضعوا لتلك الدوافع ضوابطها وحدودها حتى لا تنحرف بصاحبها بعيدا عن أهداف الإسلام ومثله العليا ، وبذلك استقامت تلك الدوافع لدى المتعلم المسلم فأقبل على طلب العلم والتعلم في صورة مشرقة يمكن أن نلتمس الكثير منها في سيرة حياة الكثير من أعلامنا العلماء والمتعلمين .

الفصل الثاني

مكانة آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي

-أسباب الاهتمام بآداب العالم والمتعلم

-مظاهر الاهتمام بآداب العالم والمتعلم

-أهم المصنفات التي تناولت الحديث عن آداب العالم والمتعلم

-مصادر الحديث عن آداب العالم والمتعلم

-خصائص آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي

- أسباب الاهتمام بآداب العالم والمتعلم .

لاشك أن معرفة أسباب ودوافع نشوء أي ظاهرة أو حركة فكرية في تاريخ أي أمة من الأمور المهمة التي تعمل على استيعاب التراث الفكري والاستفادة منه ، والبناء عليه ، فالأمة التي تتصل بجذورها وأصولها تظل حية أبداً ، قد يعتريها الضعف في بعض الفترات ، لكنها لا تموت ، فجذورها الضاربة في أعماق التاريخ ، تحول دون ذلك .

كذلك فمعرفة الأسباب والدوافع تيسر على الباحث دراسة (الظاهرة) محل البحث ؛ حيث يطلع على نشأتها منذ البداية ، ويتعرف على المؤثرات والعوامل التي أدت إلى نشوئها ، ومراحل التطور التي مرت بها ، والتغيرات التي حدثت في كل مرحلة مرت بها .

ولقد كان اهتمام المفكرين المسلمين بـ "آداب العالم والمتعلم" ثمرة لمجموعة كبيرة من الأسباب المتنوعة ، بعضها إيجابي ، وبعضها الآخر سلبي .. هذه الأسباب التقت جميعاً في نقطة واحدة وشكلت قوة دافعة حفزت عدداً كبيراً من المفكرين المسلمين على إفراد المصنفات العديدة كتباً ، ورسائل ، وأبواباً ، وفصولاً لهذا الموضوع بالغ الأهمية .

وأشار كثير منهم لهذه الأسباب والدوافع في مقدمات كتبهم أو في ثناياها ، ويمكن إجمال هذه الأسباب على النحو التالي :

أولاً : السبب الديني :

إن جوهر رسالة الإسلام وغايتها أخلاقي في المقام الأول ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه– قال : قال رسول الله ﷺ : (**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**)..[(١)] وفي رواية أخرى (**محاسن الأخلاق**) .

---

(١) الحديث صحيح،رواه الإمام أحمد في المسند ، وأخرجه مالك في الموطأ،في كتاب حسن الخلق ؛ بلفظ "بعثت لأتمم حسن الأخلاق"، ورواه البخاري في الأدب المفرد، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الإيمان .

ولقد اهتم رسول الله ﷺ بالجانب الأخلاقي وآداب السلوك أيما اهتمام ، وحث على التحلي بحسن الخلق ، وبيَّن ﷺ عظيم الأجر على ذلك فقال ﷺ : (**ما من شيء في الميزان أثقل من حسن الخلق**) [(1)] ، وقال ﷺ : (**ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ؟ فسكت القوم ، فأعادها مرتين أو ثلاثاً ، قال القوم : نعم يا رسول الله ، قال : أحسنكم خلقاً**) [(2)] ، وقال أيضاً ﷺ : (**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً**) [(3)] .

وإذا كان ديننا يدعوا الناس جميعاً إلى التحلي بمكارم الأخلاق ، فإن أول الناس ، وأولاهم بهذا هم العلماء ، بل كان لزاماً عليهم أن يكونوا على أعلى درجة منها... فهم -كما جاء في الحديث- (**ورثة الأنبياء**) ، وصفوة الخلق ، فكما لا رتبة فوق رتبة الأنبياء ، فلا شرف فوق شرف وارث هذه الرتبة ، وأحرى بمن نصب نفسه للعلم ، وتصدى له -معلماً أو متعلماً- أن يظهر عليه أثر توحيد الله وعبادته ، والخضوع الكامل للدين .

قال محمد بن عيسى الزجاج : (سمعت أبا عاصم يقول : من طلب هذا الحديث فقد طلب أعلى أمور الدنيا ، فيجب أن يكون خير الناس) [(4)] .

ويقول الخطيب البغدادي : (والواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدباً ، وأشد الخلق تواضعاً ، وأعظمهم نزاهة وتديناً ، وأقلهم طيشاً وغضباً ، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه ، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه ، وطرائق المحدثين ، ومآثر الماضيين ، فيأخذوا بأجملها وأحسنها ، و يصدفوا عن أرذلها وأدونها) [(5)] .

فالعلماء يقومون في المجتمع مقام الأنبياء من حيث المهمة المنوطة بهم ، من هداية

---

(١) الحديث صحيح ، رواه البخاري في الأدب المفرد، باب "حسن الخلق".

(٢) المرجع السابق : نفس الصفحة .

(٣) الحديث صحيح ، رواه الإمام أحمد في المسند .

(٤) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،تحقيق د.محمود الطحان،مكتبة المعارف،الرياض،ط١، ١٩٨٣م،ص٧٨.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

الناس إلى الطريق المستقيم ، وتعليمهم ما ينفعهم في الدنيا والآخرة ، ولا يمكن للعالم أن يكون له تأثير قوي وإيجابي إلا إذا كان نموذجا صالحا يقتدى به .

فلابد للعالم من أن يأخذ نفسه بالحق ويقومها على الصدق ويغذيها بالورع ؛ ليكون عمله داعيا إلى الحق قبل قوله ، ولئلا يكون في مخالفته للحق حجة عليه ، فيرد الناس كلامه ، لأنهم يقولون : لو كان كلامه صدقا لأخذ نفسه به (١) .

وقد قال سلم الخواص : (يقتدى من قول العالم ما يقتدى من فعله) (٢) .

وعلى ذلك "فآداب العالم والمتعلم" لا تنفك عنهم -العلماء والمتعلمين- أبدا ، أو هكذا ينبغي أن تكون ، لأنها مما دلت عليه نصوص الشريعة ، وأرشدت إليه ، ولأن منها ما هو من الكليات العامة ، والقواعد الشاملة في الدين ، لا يسع أحد أن يخرج عليها ، أو ألا ينظر إليها بعين الاعتبار .

فالسبب الديني كان من أبرز الأسباب التي دفعت المفكرين المسلمين للاهتمام بـ "آداب العالم والمتعلم" .

ثانيا : السبب التربوي :

ويعد هذا السبب من أهم الأسباب التي دفعت مفكرين المسلمين للاهتمام بـ "آداب العالم والمتعلم" ، وذلك أن العالم هو القدوة والأسوة للمتعلم ، ومنه يتشرب الأخلاق والآداب ، ويقتدي به في السلوك والأفعال ، قبل أن يأخذ منه العلوم والمعارف.. ولذا نرى عمرو بن عتبة ينصح مؤدب أولاده بقوله: (ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك ، فإن عيونهم معقودة بعينك ، فالحسن عندهم ما فعلت ، والقبيح ما تركت) (٣) .

ويقول ابن جماعة مؤكدا على هذا المعنى : (فإن العلماء هم القدوة ، وإليهم المرجع في الأحكام ، وهم حجة الله تعالى على العوام ، وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون ويقتدي بهديهم من لا يعلمون ، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن

---

(١) د.أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي،وزارة الأوقاف،قطر،كتاب الأمة(٣٩)،ط١،١٩٩٤م،ج١، ص١٤٧.

(٢) القاضي عياض:الإلماع،دار التراث،القاهرة،تحقيق السيد أحمد صقر،ط١،١٩٧٠م،ص٢٢٨.

(٣) أحمد سعيد الدجوي:فتح الخلاق في مكارم الأخلاق،مكتبة دار المحبة،دمشق،ط١،١٩٩١،ص١٠.

الانتفاع به) [١].

فالعالم له دور كبير ومهم في بناء شخصية المتعلم ؛ حتى إن السمات الشخصية لدى العالم لها تأثير قوي عليه ، فمنظره وسمته ، وطريقته في التعليم تثير انتباهه ، ومن هنا يأتي تقليده أو رفضه ، كما أنه يؤثر في حالته النفسية واستعداداته الانفعالية ، وطرائقه في السلوك ، فعن جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ) قال : (واعلم أن المتلبس بالعلم منظور إليه ، ومتأس بفعله وقوله وهيئته ، فإذا أحسن سمته ، وصلحت أحواله ، وتواضعت نفسه ، واخلص لله تعالى عمله ، انتقلت أوصافه إلى غيره من الرعية ، ونشأ الخير فيهم ، وانتظمت أحوالهم) [٢].

وهذا يشير إلى فهم السلف لدور القدوة في التربية ، ولاشك أن العالم يؤثر في طلابه وتلاميذه على قدر صلاحه وتقواه ، فالمعلم يعد الأب الروحي لتلاميذه ، حيث يقوم معه بأجل رسالة ، وهي بناء شخصيته الإنسانية بالمعرفة والأخلاق والآداب ، التي هي المميزات الأساسية للبشر ، فضلا عن أنها هي الطريق مقرونة بالتطبيق إلى الله تعالى [٣].

ولما كان للقدوة مكانة هامة في حياة طالب العلم ، كان من الضروري التركيز عليها ، والتنبيه على وجوب اتصاف العالم بكل خلق حسن ، وسلوك كل طريق قويم ، وأن يكون قدوة لتلاميذه وطلابه في كل ما يأتي ويذر [٤] .

ثالثا : ظهور ونشأة المدارس العلمية ، والمذاهب الفكرية :

بعد وفاة الرسول ﷺ ، وانتشار الإسلام في ربوع المعمورة ، على يد الصحابة ـرضي الله عنهمـ ومن تبعهم ، تفرق أصحاب رسول الله ﷺ في الأمصار ، وقاموا بجهود جبارة في نشر العلم وتفقيه الناس ، و لم يكد ينتهي عصر هؤلاء الصحابة الكرام

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢١.

(٢) عبد الصاحب الحسيني:الأخلاق عند الرسول وأصحابه،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت،(د.ط)،١٩٦٩م،ص٩٣.

(٣) د. سعيد إسماعيل علي: رؤية إسلامية لقضايا تربوية، مرجع سابق، ص١٨٦.

(٤) د.حسن إبراهيم عبد العال:فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة،مكتب التربية،الرياض،١٩٨٥م،(د.ط)،ص١٢٣-١٤٢.

ما بين ٩٠هـ إلى ١٠٠هـ ، إلا وقد ترتب على جهودهم في ميدان التعليم ظهور تلاميذ لهم تسنموا مركز التوجيه في المجتمع ، ودفعوا الحركة العلمية إلى الأمام [(١)] ، حيث بدأت حلقات العلم تزدهر ، وكانت إيذاناً بظهور المدارس العلمية ، فلم يكد القرن الثاني الهجري ينتصف ، حتى ظهرت المدارس اللغوية والفقهية ، ففي المدينة المنورة ظهرت مدرسة الحديث والفقه يقودها محمد الباقر بن علي بن الحسين (ت١١٧هـ) وولده جعفر الصادق ، وفي مصر ظهرت مدرسة أخرى في الفقه بقيادة مرثد بن عبد الله ، والليث بن سعد (ت١٧٠هـ) ، وفي العراق ظهرت مدرسة أبي حنيفة (ت١٥٠هـ) ، كما ظهرت مدرسة الشافعي في العراق ثم في مصر ، وظهر مالك في المدينة ، والأوزاعي في الشام .

وإلى جانب مدارس الفقه والحديث ظهرت مدارس لغوية اشتهر منها مدرستا البصرة والكوفة في العراق [(٢)] .

ولاشك أن ظهور هذه المدارس العلمية كان بحاجة إلى قوانين وآداب سلوكية تحكم وتنظم حركتها من الداخل ، فكان أن رأينا علماء هذه المدارس يشرعون في بيان ما ينبغي أن يتصف به كلٌ من العالم والمتعلم من آداب وأخلاق ، في إطار البيئة العلمية .

ولما تطورت هذه المدارس بعد ذلك في القرن الرابع الهجري والقرن الخامس ، وأخذت شكلها المتعارف عليه ، وقامت على شئونها الدولة الإسلامية ، كان لابد من تطور الفكر الأخلاقي وحركة التنظير ؛ لتواكب هذا الشكل الجديد المنظم من المدارس النظامية ، التي تحتاج إلى نوع جديد من الفكر الأخلاقي التربوي ، وإضافات جديدة تتفق مع المستجدات الحضارية ، وقد أنشئت أولى هذه المدارس وهي مدرس أبي حاتم البستي (ت٣٤٥هـ) في صدر القرن الرابع الهجري ، [(٣)] ، ثم أنشئت بعدها المدرسة النظامية التي أنشأها نظام الملك وزير الملك ألب أرسلان ، ثم المدرسة المستنصرية ، التي أنشأها الخليفة المستنصر بالله .

---

(١) د. ماجد عرسان الكيلاني:تطور مفهوم النظرية التربوية،مكتبة ابن كثير،دمشق،١٩٨٥م،ط٢،ص٨٥.

(٢) المرجع السابق:ص٨٦،٨٧.

(٣) حول نشأة المدارس يراجع،محمد أحمد جاد: التربية الإسلامية،دار الجيل،بيروت،ط١،١٩٩٣م،ج١،ص٢٨٥وما بعدها.

وبازدياد نشاط الحركة العلمية في القرون التالية ظهرت اتجاهات لها مفاهيمها الخاصة في المنهاج والتعليم والأساليب ، فظهر اتجاه المحدثين والفقهاء الذي بلور مفاهيم التربية النقلية (الآثارية) ، والاتجاه الصوفي الذي بلور مفاهيم التربية النفسية (الذوقية) ، واتجاه الفلاسفة وعلماء الكلام الذي بلور مفاهيم التربية العقلية ، و غيرهم ، وكل اتجاه من هذه الاتجاهات أنجب علماء خصوا التربية والأخلاق بأبحاث خاصة .. ومن أمثالهم : الحارث المحاسي (ت٢٤٣هـ) ، وابن سحنون (ت٣٥٦هـ) ، والآجري (٣٦٠هـ) ، والرامهرمزي (٣٦٠هـ) ، والقابسي ، و الغزالي ، وابن مسكويه ، والزرنوجي ، وابن جماعة .

رابعا : ظهور بعض المظاهر السلبية في البيئة العلمية :

كانت تظهر في البيئة العلمية ، وأوساط العلماء والمتعلمين بين الحين و الآخر بعض النماذج السيئة من العلماء وطلبة العلم ، وصورٌ من الأخلاق والسلوكيات الرديئة ، والصفات المرذولة التي لا تليق بأهل العلم ، حيث شاعت الخلافات والعصبيات المذهبية ، وعدم احترام العلماء ، وأصبح كثير من طالبي العلم يطلبون العلم للمماراة والجدال ، وأصبح بعض العلماء يحب أن ينسب الفضل إليه .

ولقد وصف المفكرون المسلمون الحالة التي وصلت إليها البيئة العلمية في عصرهم.. فهذا أبو بكر الآجري يصف صنفاً من علماء عصره ، ويبين أخلاقهم وأحوالهم مع قرنائهم.. يقول : (إن مات أحد العلماء سرَّه موته ، وإن سُئل العلماء عن مسألة فلم يُسأل هو أحب أن يُسأل كما سُئل غيره ، وكان أولى به أن يحمد ربه إذ لم يُسأل ، وإذ كان غيره كفاه ، وإن كثُر العلماء في عصره فذكروه بالعلم أحب أن يُذْكَر منهم ، وإن علم أن غيره أنفع للمسلمين كره حياته ، و لم يرشد الناس إليه ، وإن بلغه أن أحداً من العلماء أخطأ وأصاب هو فرح بخطأ غيره) [1] .

و لم يكن الآجري وحده هو الذي لاحظ شيوع هذه المظاهر السلبية ، فأبو حيان التوحيدي (ت ٣٩٩هـ) أيضاً بث شكواه من ذلك فقال : (إلى الله أشكو عصرنا وعلماءنا ، وطالبي العلم منا ، فإنه قد دب فيهم داء الحمية واستولى عليهم

---

(١) الآجري:أخلاق العلماء،تحقيق فاروق حمادة،دار الثقافة،الدار البيضاء،ط٢،١٩٨٤م، ص٨١.

فساد العصبية) [1] ، وكذلك وصف هذه الظاهرة أبو سليمان الخطابي (ت٣٨٨هـ) في كتاب "العزلة" [2] .

وقد استمرت هذه المظاهر السلبية بعد ذلك ، ففي القرن السادس الهجري نجد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) يصف حال أهل العلم ، وما لحق بعضهم من صفات دنية ، وأخلاق غير مرضية فيقول : (ثم تأملت العلماء والمتعلمين فرأيت القليل من المتعلمين من عليه أمارة النجابة ، لأن أمارة النجابة طلب العلم للعمل به ، وجمهورهم يطلب ما يصيِّره شبكة للكسب ؛ إما ليأخذ عليه قضاء مكان ، أو ليصير قاضي بلد ، أو قدر ما يتميز به عن أبناء جنسه) [3] .

ويتحدث ابن الجوزي باستفاضة عما لقيه من عيوب ومآخذ في علماء عصره حيث ، يرى أن كثيراً منهم لم يكن على الجادة ، فمقصودهم صورة العلم لا العمل به والاشتغال بصورته دون فهم حقيقته ومقصوده [4] (فالقارئ مشغول بالروايات عاكف على الشواذ يرى أن المقصود نفس الصورة ولا يتلمح عظمة المتكلم ولا زجر القرآن ووعده وربما ظن أن حفظ القرآن يدفع عنه فتراه يترخص في الذنوب.. والمحدث يجمع الطرق ويحفظ الأسانيد ، ولا يتأمل مقصود المنقول ، ويرى أنه قد حفظ على الناس الأحاديث ؛ فهو يرجو بذلك السلامة ، وربما ترخص في الخطايا ظناً منه أن ما فعل في الشريعة يدفع عنه ، والفقيه قد وقع له بما قد عَرَفَ من الجدال الذي يُقَوِّي به خصامه ، والمسائل التي قد عرف فيها المذهب قد حصل بما يفتي به الناس ما يرفع قدره ويمحو ذنبه ، فربما هجم على الخطايا ظناً منه أن ذلك يدفع عنه) [5] .

ويقص علينا أنه قد لقي جماعة من أهل الحديث يترخصون في الغيبة ويخرجونها مخرج الجرح والتعديل ، كما أنهم يأخذون على قراءة الحديث أجرة ، ويسارعون في

---

(١) أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر،(د.ن)،ط١،(د.ت)، ج١،ص٤٠٥.

(٢) الخطابي:العزلة،مكتبة الزهراء،تحقيق عادل عبد الموجود،(د.ط)،١٩٨٧م،ص١٠٨.

(٣) ابن الجوزي:صيد الخاطر،دار الكتب الإسلامية،القاهرة،تحقيق محمد الغزالي،ط٢،١٩٨٨م ص٤٩.

(٤) المصدر السابق:ص٢٩٧،٣٩١.

(٥) المصدر السابق:ص ٣٩١.

الجواب والفتوى لئلا ينكسر جاههم وإن وقع خطأ [1] .

و لم يكن المفكرون المسلمون يتحدثون عن هذه السلبيات من فراغ ، بل كانت هذه السلبيات واضحة وبارزة في علماء زمانهم .

فهذا ابن جماعة بعد أن ينصح العلماء بتطهير بواطنهم وظواهرهم من الأخلاق الرديئة ويعمروهما بالأخلاق المرضية يعدد هذه الصفات وتلك فيقول : (فالحذر الحذر من هذه الصفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة فإنها باب كل شر بل هي الشر كله وقد بلي بعض أصحاب النفوس الخبيثة من فقهاء الزمان بكثير من هذه الصفات إلا من عصم الله تعالى ولا سيما الحسد والعجب والرئاء واحتقار الناس) [2]

وبالطبع لم يكن جميع العلماء بهذه الصورة ... بل كان هناك علماء أجلاء ، طلبوا العلم من أجل الآخرة... وتخلقوا بأحسن الأخلاق وأرفعها ، وكانوا غاية في الأدب والسلوك... وهؤلاء العلماء يعجز المرء عن حصرهم ، وإنما يكفي الرجوع إلى كتب التراجم والتاريخ لنتعرف على أحوالهم وصفاتهم ، وعلى كثرتهم التي لا تقع تحت الحصر والإحصاء .

خامسا : تقرب العلماء للحكام وأصحاب المال :

ومن المظاهر السلبية التي انتشرت بين العلماء في هذه الحقبة الزمنية ، ظاهرة التقرب إلى السلاطين وأرباب الحكم وأصحاب الأموال ، يقول ابن الجوزي في وصف حال بعض علماء عصره : (حضرنا بعض أغذية أرباب الأموال فرأيت العلماء أذل الناس عندهم ، فالعلماء يتواضعون لهم ، ويذلون لموضع طمعهم فيهم ، وهم لا يحفلون بهم لما يعلمونه من احتياجهم إليهم ، فرأيت هذا عيبا في الفريقين ، وإنما أعود باللوم على العلماء) [3] .

وقد تحدث الآجري عن العلماء غير العاملين ، الذين أذلو العلم طلبا للعزة والشرف والمال ، ووصفهم بأقبح الأوصاف ، كتحقير الفقراء ، وتعظيم أبناء

---

(1) ابن الجوزي:صيد الخاطر،مصدر سابق، ص١٢٢.

(2) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٤.

(3) ابن الجوزي:صيد الخاطر،مصدر سابق، ص ١٨١.

السلاطين ، والخضوع والخنوع لهم لينالوا منهم مالاً أو جاهاً [1] .

و ذكر المؤرخون نماذج عديدة لهؤلاء العلماء ، الذي أذلو العلم وأهانوه طمعاً في القربى إلى أهل الحكم والسلطان ، أو الغنيمة من أموال الأغنياء ؛ فابن كثير يذكر في حوادث سنة (٣٤٧هـ) عن محمد بن الحسن بن أبي الشوارب ، أنه كان قاضياً ببغداد ، وكان حسن الأخلاق ، إلا أنه نُسبَ إليه أخذ الرشوة في الأحكام والولايات [2] ، كما يذكر أن رويم بن أحمد (ت٣٠٣هـ) وكان أحد المتصوفة، وعالماً بالقرآن ومعانيه ، وفقيها على مذهب داود الظاهري ، تصوف أربعين سنة ، ثم لما ولى إسماعيل بن إسحق القضاء ببغداد جعله وكيلا في بابه ، فترك التصوف ولبس الخز ، وركب الخيل ، وأكل الطيبات ، وبنى الدور [3] .

وحذر المفكرون المسلمون من إتيان أبواب السلاطين وأهل الحكم ، والتذلل إلى الأغنياء ، لما في ذلك من إذلال وإهانة للعلم والعلماء ، كما أن ذلك قد يكون سبباً في ظلم الناس ، وأكل أموالهم بالباطل ، والركون إلى الدنيا وملذاتها ، ونسيان الآخرة ، والانزلاق في المهالك ، مما يتنافى مع رسالة العلماء ودورهم الذي ينبغي أن يقوموا به خير قيام... يقول وهب بن منبه محذراً العلماء : (فإياك وأبواب السلاطين فإن عند أبوابهم فتناً كمبارك الإبل ، لا تصيب من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من دينك مثله) [4] .

والإمام الغزالي ينصح أحد تلاميذه ، ويحذره من مجالسة أهل الحكم والسلطان : (لا تخالطهم ولا ترهم وجهك ، ولا تثني عليهم ، لأن الثناء على الفاسق والظالم آفة عظيمة ، إضافة إلى عدم أخذ هداياهم وعطاياهم لأن ذلك يفسد على المرء دينه وقلبه) [5] .

وابن الجوزي يصرخ في علماء عصره ، ويحثهم على صيانة أنفسهم التي شَرُفت بالعلم عن الذل لأهل الدنيا ، والطلب منهم : (ينبغي لكم أن تصونوا أنفسكم

---

(١) الآجري: أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص٩٩.

(٢) ابن كثير: البداية والنهاية،مرجع سابق،ج١١، ص٢٣٣.

(٣) المرجع السابق:ج١١، ص١٢٥.

(٤) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص١٠٨.

(٥) العزالي: أيها الولد،مصدر سابق،ص١١٤.

التي شرفت بالعلم عن الذل للأنذال ، وإن كنتم في غنى عنهم كان الذل لهم ، والطلب منهم حرام عليكم [(١)] .

وابن جماعة ينصح طالب العلم بأن يتزه العلم عن جعله وسيلة للوصول إلى الأغراض الدنيوية والمطامع المادية ، والمكانة الاجتماعية [(٢)] .

ولا شك أن ظاهرة التقرب إلى الحكام وأهل الأموال لها آثار أخلاقية سلبية ، حيث إنها قد تفضي إلى انعزال العلماء عن المجتمع ، مما تنعدم معه فائدة العلماء للمجتمع ، كما أنها تؤدي إلى فساد الحالة العلمية والاجتماعية ، حيث ينشغل العالم عن تعليم العلم وإفادة الناس ، كما أنها قد تنبت النفاق في قلوب العلماء ، وتعلمهم المداهنة والرياء ، وتمحي بركة العلم .

سادسا : التعصب المذهبي :

ومن المظاهر السلبية التي ظهرت في البيئة العلمية أيضا ؛ ظاهرة التعصب المذهبي ، والتقليد ، فبعد ظهور المدارس العلمية والمذاهب الفقهية ، والفرق الكلامية والصوفية وغيرها ، حدث صراع عنيف بينها ، فشاعت الخلافات والعصبيات المذهبية ، مما أدى إلى تفشي الفوضى الأخلاقية ، وسوء الأدب ، وصارت الدروس تلقى ، والمؤلفات تكتب ، نصرة للمذاهب المتبعة ، وتفنيدا للمخالفة ، وكثيرا ما انتهت هذه الخصومات الجدلية إلى فتن ومناوشات .

وقد وقعت مشاحنات متعددة بين أنصار المذاهب المختلفة ، كما حدث بين الحنابلة والشيعة في بغداد ، وكان الحنابلة يستخدمون العميان لضرب المخالفين لمذهبهم كالشافعية وغيرهم [(٣)] .

ولقد رافق هذا التعصب المذهبي تعزيز للتقليد الجامد ؛ إذ صار كل لون من ألوان التفكير الذي يخرج عن إطار المذهب ينسب إلى الاعتزال [(٤)] ، وانعكست آثار

---

(١) ابن الجوزي: صيد الخاطر،مصدر سابق،ص١٨١.

(٢) د.حسن عبد العال: فن التعليم عند بدر الدين بن جماعةمرجع سابق،ص١٢٥.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،ترجمة د.محمد عبد الهادي أبو ريدة،لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،ط٣،١٩٥٧م،ج١، ص٣٧٦.

(٤) ابن الجوزي:المنتظم،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،ج١٠،ص١٢٨.

التقليد على علاقات المذاهب الفكرية بعضها ببعض ، فحل التعصب محل التسامح ، ونشط كل فريق للإيقاع بالآخر ، ففي عام ٤٤٥هـ دفع الأحناف طغرل بك السلجوقي إلى اضطهاد من أسموهم بأهل البدع ، فنال الأشاعرة من هذه الفتنة ما نالهم ، وقد امتدت آثار هذه الفتنة إلى الشام والعراق والحجاز ، وأدت إلى هجرة إمام الحرمين الجويني ، واضطهاد القشيري والفراتي ، فانبرى الأشاعرة للرد على خصومهم ، وألفوا الرسائل والكتب ، ومنها رسالة "شكاية أهل السنة" التي كتبها القشيري .

كذلك اكتسبت علاقات الحنابلة والأشاعرة طابعاً سلبياً ، فعندما وفد القشيري عام ٤٦٩هـ إلى نظامية بغداد ، ونصر مذهب الأشعري(اعتدى الحنابلة على سوق المدرسة النظامية ، فتصدى لهم أنصار القشيري ، وسقط من الفريقين ما يقرب من عشرين قتيلاً ، واتهم الأشاعرة الوزير ابن جهير بالتواطؤ مع الحنابلة) [١] .

بل لقد وجه التعصب المذهبي مؤسسات التعليم التي انتشرت في هذه الفترة ، فانقسمت إلى مدارس للشافعية ، وأخرى للحنفية ، وأخرى للمالكية ، وأخرى للحنابلة ، واستقلت الأربطة والزوايا ، بل إن هذه الظاهرة حدثت أحياناً في المدرسة الواحدة ، كما حدث في المدرسة المستنصرية التي أنشأها الخليفة المستنصر عام ٦٣١هـ ، حيث قُسمت بين المذاهب الأربعة ، واختص كل مذهب بناحية منها [٢].

وظهرت أقوال شاذة لبعض الفقهاء تحرم التزاوج بين الحنفي والشافعية ، وفتاوى تحرم الصلاة خلف إمام المذهب المخالف .

ويبدو أن العصبية المذهبية والتحزب كان منتشراً في زمن ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ) فوجه نداءً للعلماء والمتعلمين فقال : (ليس للمعلمين أن يُحزِّبوا الناس ، ويفعلوا ما يُلْقِي بينهم العداوة والبغضاء) [٣] .

ومن المؤسف حقاً أنه في الوقت الذي كانت فيه المدارس الإسلامية وعلماء المسلمين ينشرون التعصب المذهبي ؛ كانت الجامعات الأوروبية قد بدأت في تعليم

---

(١) المرجع السابق: ج٨،ص٣٠٥-٣٠٦ بتصرف.

(٢) د. ماجد عرسان الكيلاني: تطور مفهوم النظرية التربويةمرجع سابق،ص١٨٧، ١٨٨.

(٣) ابن تيمية: مجموع الفتاوى،مرجع سابق،مج٢٨، ص١٥،١٦.

أحسن ما أنتجه علماء الإسلام في عصور الإبداع والابتكار ؛ التي سبقت عصور المذهبية والجمود .

ونظراً لتفشي هذه المظاهر السلبية وغيرها في بيئة العلماء وطلبة العلم ، انبرى المفكرون المسلمون للتحذير من هذه السلبيات ، والتنبيه عليها ، ووصفوا العلاج الناجع لها ، وقد جاءت نظرتهم هذه استجابةً للمشكلات الخلقية والاجتماعية ، التي يعاني منها الناس بصفة عامة ، والعلماء وطلبة العلم بصفة خاصة .

- مظاهر الاهتمام بآداب العالم والمتعلم

لقد كان المفكرون المسلمون على وعي كامل بمـــدى أهميـــة العنصـــر الأخلاقي في الحياة العلمية والاجتماعية للعالم والمتعلم ، لذا اهتموا بهـــذا الأمـــر اهتماما كبيرا ، واتخذ هذا الاهتمام مظاهر كثيرة ، من أبرزها :

١-الالتفات المبكر للموضوع :

فقد بدأ الاهتمام بالتأليف في (آداب العالم والمتعلم) في وقت مبكر جـــداً من حياة الحضارة الإسلامية ، حيث نجد في النصف الأول مـــن القـــرن الثـــاني الهجري رسالة للإمام أبي حنيفة النعمان إلى تلميذه أبي يوسف [١] .

وفي نهاية هذا القرن -أيضاً- نجد رسالة أخرى للفقيه المالكي المغربي الإمام ابن سحنون بعنوان (آداب المعلمين) [٢] .

ومن الجدير بالملاحظة أن عدم عثورنا على مؤلفات قبل هذه التواريـــخ لا يدل على أنه لم يكن هناك اهتمام بهذا الأمر قبلها ؛ بل كان الاهتمام موجـــوداً ، لكنه لم يكن مكتوباً ومدوناً ، شأن الكثير من العلوم الإسلامية التي لم تـــدون إلا في القرن الثاني الهجري ، حيث كانت آداب العالم والمتعلم تلقن بالمشافهة أو مـــن خلال السلوك العملي ، وقد احتوت المصنفات وكتب الآداب على كثـــير مـــن المرويات التي تؤكد على هذا الاهتمام المبكر السابق على التدوين والتأليف .

٢-غزارة التأليف والتصنيف :

حيث ورد إلينا كم كبير من الكتب والمصنفات التي خصصت للحديث عن آداب العالم والمتعلم فقط ، بل وجدنا كل طائفة حريصة على تخصيص مؤلفـــات خاصة بها تبين فيها ما ينبغي أن يتأدب به اتباعها من المعلمين والمتعلمين ، فنجـــد (الفقيه والمتفقه) [٣] للفقهاء ، و (آداب طـــالب الحديـــث) [٤] للمحدثـــين ،

---

(١) مطبوعة بتحقيق الأستاذ عبد الرحمن حسن محمود .

(٢) مطبوعة بتحقيق ودراسة الدكتور الأهواني ، وتحقيق ثان للأستاذ محمد العروسي المطوي، وثـالث للدكتور عبد الأمير شمس الدين .

(٣) للخطيب البغدادي ، بتحقيق الدكتور محمود الطحان .

(٤) لأبي حامد الغزالي، مطبوع، نشره الدكتور احمد فريد ، دار المأمون ،مصر، ١٩٣٦ .

و (أخلاق أهل القرآن) [1] لحملة القرآن ، و (آداب المريدين) [2] للصوفية ، وغيرهم .

كما نجد –كذلك– أنهم كانوا يخصصون كثيراً من مقدمات كتبهم ، وفي بعض الأحيان يفردون فصلاً أو أكثر للحديث عن آداب العالم والمتعلم ، كما في مقدمة (المجموع للنووي) ، و (إحياء علوم الدين) للغزالي ، و (عوارف المعارف) للسهروردي ، و (تنبيه الغافلين) لأبي الليث السمرقندي ، واللمع للسراج الطوسي ، والرسالة القشيرية للقشيري ، ومقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، والمدخل لابن الحاج ، وغيرها .

فهذا الزخم الهائل من الكتب والرسائل والفصول إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الاهتمام الكبير الذى أولاه علماء الأمة لآداب العالم والمتعلم .

٣–الشمول والتكامل في تناول الموضوع :

تناول المفكرون المسلمون آداب العالم والمتعلم بشكل فريد من أشكال التناول ؛ حيث تكاملت نظرتهم بين ما هو روحي نفسي ، وما هو سلوكي عملي ، وما هو مادي حسي ، وما هو باطني أو ظاهري ، وما هو فردي واجتماعي ، خاص أو عام .

فنجدهم قد تناولوا علاقة العالم والمتعلم بالله عز وجل ، وما يجب عليهما نحوه سبحانه من إخلاص في النية ، واجتهاد في العبادة ، وعزم في التوكل .

وتحدثوا عما يجب أن يتصفا به من حسن في الخلق ، وصدق في القول ، وتواضع مع الخلق ، وعلو في الهمة إلخ .

و لم يغفلوا الحديث عن طريقة الكلام ، وتناول الأشياء ومناولتها ، وطريقة المشي في الطريق ، والدخول على المجالس والجلوس فيها ، وآداب الزيارة ، إلخ .

كما أنهم اهتموا بآداب بالعلاقة مع الآخرين سواء كانوا من الأقران ، أو من

---

(١) لأبي بكر الآجري ، مطبوع بتحقيق الدكتور عبد العزيز عبد الفتاح القارئ،مكتبة الدار،المدينة المنورة،ط١، ١٩٨٧ .

(٢) لأبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي .

أفراد المجتمع ، فتحدثوا عن آداب الحوار والمناقشة والسؤال ، وآداب الجوار والسكنى ، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك فتحدثوا عن آداب الاستعارة والإعارة ، وما يجب على المتعلم نحو مدرسته أو معهده .

كل ذلك يدل دلالة كبيرة على مدى المعالجة المتكاملة ، والرؤية الشاملة ، والتناول الدقيق لآداب العالم والمتعلم ، مما يؤكد على السبق والتفوق الحضاري لعلماء المسلمين في مجال الأخلاق وآداب السلوك ، على الحضارة الغربية الحديثة التي ما فتئ المفتونون بها يرددون مقولة السبق الغربي ، ويروجون لبضاعتهم المستوردة في كلياتنا ومعاهدنا ومدارسنا ، مُوَلُّون ظهورهم لتراث آبائهم وأجدادهم الذي فيه الكفاية والهداية .

– أهم المصنفات التي تناولت الحديث عن آداب العالم والمتعلم :

إن التراث الإسلامي في مجال الأخلاق وآداب السلوك يمثل ثروة ضخمة ، لا تقدر بثمن ، وينبغي تكريس الجهود البحثية لدراسة هذا الكم الهائل ، والعمل على إظهاره إلى النور في أبهى صورة ، والاستفادة منه ، في مجال التربية والتعليم ، وبناء منهج أخلاقي وتربوي أصيل يستمد مادته من هذا التراث الذي تركه لنا علماء المسلمين .

وقد تنوعت المصنفات والمؤلفات الخاصة بـ "آداب العالم والمتعلم"، واتخذت أشكالاً وصوراً كثيرة ، مما دفع الباحث إلى تصنيفها إلى عدة أقسام تسهيلاً وتيسيراً لمن أراد البحث فيها ، أو الاطلاع عليها .

و يمكن تقسيم هذا التراث قسمين كبيرين : قسم خاص ، وقسم عام .

أولاً : القسم الخاص :

ويُقْصَد به مجموعة الكتب والرسائل التي أُفردت للحديث عن آداب العالم والمتعلم بصفة خاصة ، ولا تتناول أي موضوعات أخرى ، وهذا القسم يحوي عدداً ضخماً ، بعضها مطبوع ، والآخر مايزال مخطوطاً لم ير النور بعد ، والبعض الثالث فُقِد مع ما فقد من كنوز التراث ، التي نُهبت وسُرقت ، وأُحرقت ودُمرت على مدار التاريخ .

ويمكن تمييز هذا القسم إلى نوعين منفصلين :

النوع الأول: "متخصصة" :

وهو ما كتبه علماء كل علم وفن فيما يجب أن يتحلى به من الآداب والأخلاق كل من أراد الدخول في هذا العلم عالماً أو متعلماً .

حيث اهتم أهل العلوم والمعارف –خاصة بعد تميز العلوم وانفصالها– بوضع الآداب والمسلكيات التي ينبغي على كل منتسب لهذا العلم أو ذاك أن يتقيد ويلتزم بها.

–المحدثون

فنجد المحدثين ألفوا الكتب الكثيرة ، والرسائل العديدة ، وكانوا من أكثر الاتجاهات التي أنتجت في هذا الجانب ، ومن البديهي أن يهتم رجال الحديث بهذا

الجانب الخلقي وآداب للعالم والمتعلم ، فالحديث هو تسجيل لأقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته ، والنبي ﷺ هو المثل الأعلى في الأسوة الحسنة بطبيعة كونه الحامل والمبلغ لهدي الله ، وبشهادة الله في كتابه : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو اله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً** ﴾ [1] ، وقوله تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ [2] .

وقد تناولوا في مؤلفاتهم ما يجب أن يتحلى به المحدث ، وطالب الحديث من آداب وأخلاق ، وما ينبغي أن يلتزما به من سلوكيات ، أثناء عملية التحديث ، وطلب الحديث ، ومن أهم هذه الموضوعات التي عرضوها وتناولوها ، ما يلي :

-النية في طلب الحديث .

-ما ينبغي للراوي والسامع أن يتميز به من الأخلاق الشريفة .

-القول في تخير الشيوخ .

-آداب الاستئذان على المحدث .

-آداب الدخول على المحدث .

-تعظيم المحدث وتبجيله .

-أدب السماع .

-أدب السؤال للمحدث .

-ذكر أخلاق الراوي وآدابه وما ينبغي له .

-كراهة التحديث لمن لا يبتغيه ، وأن من ضياعه بذله لغير أهله .

-توقير المحدث للطلبة .

-ما ينبغي للمحدث أن يصون نفسه عنه .

-إصلاح هيئة المحدث ، وأخذه لرواية الحديث زينته .

---

(١) سورة الأحزاب: آية٢١.

(٢) سورة نون: آية٤.

-إملاء الحديث وعقد المجلس له .

-الرحلة لطلب الحديث .

وغير ذلك من الموضوعات والمسائل التي نجدها في مؤلفاتهم .

ومن أبرز ما ورد إلينا من مؤلفات أهل الحديث ما يلي :

١-كتاب "المحدث الفاصل بين الراوي الواعي[1] لأبي محمد الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (٣٦٠هـ) .

٢- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع [2] ،الخطيب البغدادي(ت٤٦٣هـ).

٣- مختصر نصيحة أهل الحديث [3] ، الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ).

٤-آداب طالب الحديث [4] ، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) .

٥-الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع [5] ، للقاضي عياض (ت٥٤٤هـ).

٦- آداب المحدثين لعبد الغني بن سعيد الأزدي [6] (ت٦٩٦هـ) .

هذا بالإضافة إلى العديد من الفصول والأبواب التي نجدها في كثير من كتب علوم الحديث ومصطلحه ، تدور كلها حول أخلاق وآداب المحدثين والرواة ، والشروط التي ينبغي أن تتوافر فيهم للقيام بدورهم المهم في نقل سنة النبي ﷺ إلى الناس .

- المفسرون وعلماء القرآن

والمفسرون وعلماء القرآن كان لهم إسهام كبير في هذا المضمار ، حيث ألفوا في هذا الموضوع كتباً كثيرة ، كما أفردوا له الكثير من مقدماتهم ، وفصول كتبهم ،

---

(١) مطبوع، بتحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت. ط١ - ١٩٧١.

(٢) مطبوع، بتحقيق الدكتور محمود الطحان،مكتبة المعارف،الرياض،ط١، ١٩٨٤.

(٣) مطبوع، بتحقيق الدكتور يوسف محمد صديق،دار الأصالة،الخرطوم،ط١، ١٩٨٨.

(٤) مطبوع، نشره الدكتور احمد فريد ، دار المأمون ،مصر، ١٩٣٦ .

(٥) مطبوع، بتحقيق السيد أحمد صقر، درا التراث، مصر، ط أولى، ١٣٧٩هـ - ١٩٧٠م

(٦) مفقود، ذكره حاجي خليفة: كشف الظنون،دار الفكر،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ج١،ص٤٣.

ومن أهم ما تناولوه من مسائل في مؤلفاتهم فيما يتعلق بآداب المفسرين ، وعلماء القرآن :

-فضل حملة القرآن .

-فضل من تعلم القرآن وعلمه .

-آداب وأخلاق معلم القرآن ومتعلمه .

-آداب المقرئ إذا جلس يقرأ ، ويلقن .

-آداب من يقرأ على المقرئ .

-آداب قراءة القرآن .

وأهم ما وصل إلينا من مؤلفات لآداب المفسرين وآهل القرآن ، ما يلي :

١- أخلاق أهل القرآن ، (١) لأبي بكر الآجري (ت٣٦٠هـ).

٢- التبيان في آداب حملة القرآن ، (٢) للإمام النووي (ت٦٧٦هـ).

- الفقهاء

والفقهاء كان لهم اهتمام بهذا الجانب من جوانب شخصية الفقيه ،حيث إن صناعة الفقه كما يقول ابن رشد تقتضي بالذات الفضيلة العلمية (٣) ، لذا اهتموا بالتصنيف والتأليف ، فهذا الخطيب البغدادي يؤلف كتاباً ضخماً ، في آداب "الفقيه والمتفقه"، يتناول فيه خلق وسلوك كل من يريد أن يسلك طريق الفقه عالماً أو متعلماً .

---

(١) ذكره ابن خير الإشبيلي في فهرسة ما رواه عن شيوخه،دار الآفاق،بيروت،ط١،١٩٨٢م،ص ٢٨٥،وكذلك طبع بتقديم الشيخ محمد عمرو عبد اللطيف،دار الكتب السلفية، القاهرة،(د.ت)،(د.ط). ويعد هذا الكتاب بمثابة تكملة لكتاب (أخلاق العلماء) ، حيث وصف فيه أخلاق حملة القرآن مع الله تعالى،وأخلاقهم في الدرس،ومع الخلق، وأخلاقاً اجتماعية متعددة.

(٢) مطبوع،مكتبة دار البيان،تحقيق عبد القادر الأرناؤط،دمشق،ط١،١٩٨٣م.

(٣) ابن رشد: فصل المقال فيما بين الحكمة الشريعة من الاتصال، تحقيق د. محمد عمارة، دار المعارف،ط٢، ١٩٨٣، ص٣٠.

وأهم مؤلف ورد إلينا -ولعله الوحيد- هو كتاب : (الفقيه والمتفقه) [1] للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) .

- الصوفية

والصوفية اهتموا بالأخلاق والآداب اهتماما كبيرا شمل كل جوانب التصوف ، وبرز في كل خطوة من خطواته ، وفي كل عمل من أعماله ، فهو واضح في وصفهم للطريق الذي يسلكه الصوفي بقصد الوصول إلى الله [2] .

ويمكن ملاحظة هذا الاهتمام الشديد بالجانب الأخلاقي والسلوكي أيضاً من خلال تعريفهم للتصوف ، حيث أدركوا أن الجانب الأخلاقي يمثل العنصر الأساسي في التصوف ، ومن بين هذه التعريفات قول أبي محمد الحريري : "التصوف هو الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دني" ، وقول أبي بكر الكتاني : "التصوف خلق ، فمن زاد عليك في الخلق فقد زاد عليك في الصفاء" [3] .

فهذه التعريفات وغيرها تؤكد على وعي المتصوفة الأوائل بأهمية الأخلاق والآداب في حياة الصوفي .

ولذا كان شغفهم كبيراً بآداب السلوك عموماً ، وآداب العالم والمتعلم أو (الشيخ والمريد) -في اصطلاحهم- خصوصاً ، فهم يعتبرون التصوف خلقاً وسلوكاً في المقام الأول ، ولذا لم يكن مستغرباً أن نجد لهم كتباً ورسائل عديدة في هذا الموضوع ، ومن أبرزها ما يلي :

١-آداب المريدين ، للشيخ أبي عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي (ت٣٧١هـ)[4].

---

(١) مطبوع، بتحقيق وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري، دار الكتب العلمية بيروت،(د.ط)،(د.ت).

(٢) د. عبد الحميد مدكور، دراسة في علم الأخلاق،مكتبة الشباب،القاهرة،ط٢،١٩٩١م، ص١٣٩.

(٣) القشيري:الرسالة القشيرية، مصدر سابق،ص١٢٦،١٢٧.

(٤)د.فاطمة محجوب:الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية،دار الغد

٢-آداب الصوفية ، لأبي عبد الرحمن حسين بن محمد السلمي النيسابورى (ت ٤١٢هـ) [1] .

٣-آداب المريدين [2] لأبي النجيب السهروردي (ت٥٦٣هـ) .

٤-آداب المريدين [3] لمحي ابن عربي (ت ٦٣٨ هـ) .

-المنهج المفيد فيما يلزم الشيخ والمريد [4] لمحمد بن سليمان الشاطبي الأندلسي (ت٦٧٢هـ) .

-المعلمون ومؤدبو الصبيان :

وطوائف المعلمين ومؤدبي الصبيان كان لهم نصيب من التراث الفكري في هذا المجال ، فمما وصل إلينا :-

١-رسالة "آداب المعلمين والمتعلمين [5] " للإمام محمد بن سحنون" (ت٣٥٦هـ) ، التي نالت من الشهرة والمكانة عند بعض الباحثين ، وعدوها أول وثيقة تربوية إسلامية تصل إلينا .

٢-رسالة المعلمين [6] للجاحظ (ت٢٥٥هـ) .

العربي،القاهرة،ط١، ١٩٩٣م،مج١،ص ٣٦٨.

(١) حاجي خليفة: كشف الظنون،مرجع سابق،مج١،ص٤٢.

(٢)فؤاد سيد:المخطوطات المصورة،معهد المخطوطات العربية،القاهرة،(د.ط)،١٩٨٨م،ص١٤٢.

(٣) ذكره د.محمود قنبر في كتابه دراسات تراثية،مرجع سابق،ص٢٦.

(٤) المرجع السابق:نفس الصفحة،نقلاً عن إيضاح المكنون.

(٥) طبع هذا الكتاب لأول مرة محققاً مع رسالة الدكتوراة "التربية والتعليم في الإسلام" للدكتور أحمد فؤاد الأهواني،ثم نشرت مرة أخرى ملحقة بكتاب الفكر التربوي عند ابن سحنون والقابسي للدكتور عبد الأمير شمس الدين.

(٦) مطبوعة بتحقيق عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي،القاهرة،ط١، ١٩٦٦م.

٣-رياضة المتعلم [١] لأبي عبد الله الزبير (ت٣١٧هـ) .

٤-تلقين المتعلم [٢] لأبي عبادة إبراهيم بن محمد (ت٣٨٨هـ) .

٥- الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين [٣] ، للقابسي (ت٤٠٣هـ) .

٦- آداب المتعلمين [٤] لأبي جعفر محمد بن الحسن نصير الدين الطوسي (ت٤٦٠هـ).

٧- آداب المعلمين [٥] ، لأبي عمرو أحمد بن محمد بن عفيف بن عبد الله بن مريول القرطبي (ت ٤٢٠هـ).

٨- في أحكام المعلمين والمتعلمين [٦] ، لأبي محمد بن أبي زيد القيرواني(ت٣٨٧هـ) .
عد بعد ذلك كتبا أخرى كثيرة لطوائف متعددة من أهل العلم ، من هذه الكتب :

١- أدب الإملاء والاستملاء، لعبد الكريم بن محمد بن منصور (ت٥٦٢) [٧] .

٢-أدب المفتي والمستفتي [٨] ، ابن الصلاح (ت ٦١٨هـ) .

٣- أدب الفتوى والمفتي والمستفتي [٩] ، للنووي (ت٦٧٦هـ) .

---

(١) ذكره د.محمود قنبر في كتابه دراسات تراثية،مرجع سابق،ص١٧.

(٢) المرجع السابق:ص١٨.

(٢) طبع هذا الكتاب أيضاً لأول مرة محققاً مع رسالة الدكتوراة "التربية والتعليم في الإسلام" للدكتور أحمد فؤاد الأهواني، دار المعارف، القاهرة،ط٢،١٩٨٢.

(٤) ذكره د.محمود قنبر في كتابه دراسات تراثية،مرجع سابق،ص١٨.

(٥) ذكره ابن بشكوال في كتابه الصلة،ج١،ص٣٩،والبغدادي في إيضاح المكنون،ح١،ص٤ .

(٦) مفقود،د. سيد أحمد عثمان:التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي،مكتبة الأنجلو،القاهرة،١٩٨٨م،ط٢،ص٨٧.

(٧) مطبوع، بتحقيق شفيق محمد زيعور، وملحق بكتاب الفكر التربوي عند السمعاني.

(٨) مطبوع بتحقيق عبد المعطي أمين قلعجي،مع كتاب فتاوى ابن الصلاح، دار المعرفة،بيروت،ط١،١٩٨٦م.

(٩) مطبوع ، دار الفكر،بيروت.

النوع الثاني : "غير متخصصة"

والمقصود بها تلك المؤلفات التي تتناول "آداب العالم والمتعلم" على وجه العموم ، من غير أن تتجه بالخطاب إلى فئة معينة من أهل العلم دون الأخرى وإنما يكون الخطاب موجهاً إلى "العالم والمتعلم" بغض النظر عن تخصصه العلمي

وهذا النوع كثرت مؤلفاته ، وتنوعت ، وأهم ما وصل إلينا منها ما يلي :

١-وصية الإمام أبي حنيفة إلى تلميذه أبي يوسف ، [١] للإمام أبي حنيفة النعمان ، وتعتبر هذه الوصية أول وثيقة مدونة في موضوع "أدب العالم والمتعلم" تصل إلينا ، ولم يعرف حتى الآن مؤلفاً أقدم تاريخا منها ، خلافاً لما ذهب إليه أحد الباحثين [٢] من أن كتاب "آداب المعلمين" لمحمد بن سحنون هو أول ما وصلنا في الموضوع ، وبالتالي اعتبر ابن سحنون رائد هذا الميدان ، والحقيقة أن الإمام أبا حنيفة -رضي الله عنه- هو السابق والرائد فيه حسبما تشير إلى ذلك الحقائق والأدلة...، وهذا لا ينقص من قدر ومكانة الإمام محمد بن سحنون ، لكن الحقيقة العلمية ينبغي أن تُعْلَن بغض النظر عن أي شيء آخر .

٢-العالم والمتعلم [٣] ، لمحمد بن مسعود العياشي ، من علماء القرن الثالث (ت؟) .

٣-العالم والمتعلم [٤] ، لعبد الله بن محمد أبو علي البلخي (ت ٢٩٤هـ).

٤-العالم والمتعلم [٥] للبستي (ت٣٥٤هـ)

٥- أخلاق العلماء [٦] لأبي بكر الآجري (ت٣٦٠) ، ويعد هذا الكتاب من أهم

---

(١) مطبوعة بتحقيق/ عبد الرحمن حسن محمود، الناشر مكتبة الآداب،مصر،ط١،١٩٨٥م.

(٢) هو علي محي الدين القره داغي ، في مقدمة تحقيق رسالة أيها الولد للغزالي ،دار الاعتصام،القاهرة،١٩٨٣م،ص٣١.

(٣) ابن النديم:الفهرست،دار المعرفة،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،ص٢٢٨.

(٤) طبع هذا الكتاب في مصر عام ١٩٣٩م.

(٥) ذكره د.محمود قنبر في كتابه دراسات تراثية،مرجع سابق،ص١٧.

(٦) طبع الكتاب بتحقيق د. فاروق حمادة،دار الثقافة، الدار البيضاء ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

الكتب في الموضوع ، حيث يعد بداية للتأليف المنهجي المنظم ، وهو كتاب نفيس تحدث فيه الآجري عن أخلاق العلماء العاملين وغير العاملين ، وشمل عدة موضوعات كأخلاق العلماء مع الله ، وأخلاقهم أثناء مجالس العلم ، وطلبه ، وآداب المناظرة وغيرها ، ويعد الكتاب مدرسة تربوية ، وهدياً قويماً للعلماء في كل زمان ومكان .

٦-العالم والمتعلم [1] لأحمد بن أبان الأندلسي (ت٣٨٢هـ) .

٧- العالم والمتعلمين [2] ، لأبي الحسن المرسي بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ) .

٨-جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله ، لأبي عمرو ويوسف بن عبد البر القرطبي (ت٤٦٣هـ) ، وقد طبع الكتاب لأول مرة في المطبعة المنيرية في مصر عام (١٩٣٣م) ، ثم أعيد تصويره في بيروت عام ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م ، وطبع أخيراً طبعة محققة ، في جزأين كبيرين [3] .

٩-آداب العلم [4] ، لابن عبد البر أيضاً ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون .

١٠-أيها الولد [5] ، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) .

١١- الأدب في الدين [6] ، لأبي حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) .

١٢- تعليم المتعلم طريق التعلم [7] ، لبرهان الدين الزرنوجي (ت٥٩١هـ) .

---

(١) ذكره د.محمود قنبر في كتابه دراسات تراثية،مرجع سابق،ص١٧.

(٢)ذكره د.محمود قنبر في كتابه دراسات تراثية،مرجع سابق،ص١٧.

(٣) حققها أبو الأشبال الزهيري، ونشرتها دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية ط١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٤) حاجي خليفة: كشف الظنون،مرجع سابق،ج١،ص٤٣.

(٥) طبع اكثر من مرة، آخرها بتحقيق الأستاذ/ علي محيي الدين، دار الاعتصام القاهرة، ١٩٨٣م.

(٦) طبع عام ١٩٣٦، ملحقاً بكتاب الغزالي للدكتور أحمد فريد رفاعي .

(٧) طبع أكثر من مرة ، منها واحدة بتحقيق مروان قباني عام ١٩٨١م، المكتب الإسلامي،بيروت،ط١،١٩٨٦م، والثانية بتحقيق مصطفى عاشور،مكتبة دار القرآن،القاهرة،ط١،١٩٨٦م.

١٣- طراز الذهب في أدب الطلب [١] ، لعبد الكريم السمعاني (ت٥٦٢هـ) .

١٤- أدب الدارس والمدارس [٢] ، للإمام شرف الدين النووي (٦٧٢هـ).

١٥- تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم [٣] ، لبدر الدين بن أبي إسحاق إبراهيم بن أبي الفضل سعد الله بن جماعة (ت٧٣٣هـ) .

١٦- مختصر كتاب العالم والمتعلم [٤]،لأبي بكر محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ).

ثانياً : القسم العام :

والمقصود بوصف (العام) أن الكتب والرسائل في هذا القسم لم تخصص في الأصل للحديث عن "آداب العالم والمتعلم" بالذات ، إنما هي كتب عامة أو متخصصة في فرع من العلوم ، أو موسوعات كبيرة تتناول موضوعات شتى ، وخُصِّص فيها فصل أو باب أو جزء خاص بـ "آداب العالم والمتعلم" .

وهذا القسم كبير جداً ، لا يمكن حصره ، ولكن الباحث حاول قدر طاقته جمع أكبر عدد ممكن منها...

فنجد لأهل الحديث كتباً كثيرة خصصت جزءاً لهذا الموضوع نذكر منها :

١-سنن الدارمي/ المقدمة ، للإمام عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥هـ) [٥]

٢-مقدمة ابن الصلاح في مصطلح الحديث ، للإمام ابن الصلاح (ت٦١٨هـ) [٦] .

---

(١) مفقود ، أورده السبكي في طبقات الشافعية ج٤، ص٢٦٠ ، وذكره السمعاني كثيراً في كتاب أدب الإملاء والاستملاء.

(٢) لم أعثر عليه مطبوعاً .

(٣) مطبوع بتحقيق وتعليق،محمد هاشم الندوي،دار الكتب العلمية،بيروت .

(٤) مخطوط ، فهرس مخطوطات مكتبة الإسكندرية .

(٥) مطبوع ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، (د.ط) ،١٩٨٨م .

(٦) مطبوع ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

٣- اقتضاء العلم العمل ، للخطيب البغدادي ، (ت٤٦٣هـ) [١] .

٤- تقييد العلم ، للخطيب البغدادي [٢] .

ونجد للفقهاء كتبا مثل:

١-تنبيه الغافلين ، للفقيه أبي الليث محمد بن نصر السمرقندي (ت ٣٧٥هـ) [٣] .

٢-بستان الواعظين ، للفقيه أبي الليث السمرقندي [٤] .

٣-مقدمة المجموع في الفقه الشافعي ، للإمام النووي (ت٦٧٢هـ) [٥] .

٤- الحث على حفظ العلم ، لابن الجوزي (٥٩٧هـ) [٦] .

٥- صيد الخاطر ، لابن الجوزي [٧] .

٦- تلبيس إبليس ، لابن الجوزي [٨] .

٧- المدخل ، لابن الحاج (٧٣٧هـ) [٩] .

٨- ميزان العمل ، للغزالي [١٠].

---

(١) مطبوع ، بتحقيق الشيخ الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٤م .

(٢) مطبوع ، بتحقيق يوسف العش ، دار الوعي ، حلب ، ط٣ ، ١٩٧٥ .

(٣) مطبوع ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

(٤) مطبوع ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

(٥) مطبوعة ، مكتبة الصحابة ، طنطا ، ط١ ، ١٩٨٧ .

(٦) مطبوع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٦ .

(٧) مطبوع ، بتحقيق محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية ، ط٢ ، ١٩٨٨ .

(٨) مطبوع ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

(٩) مطبوع ، دار التراث ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

(١٠) مطبوع ، دار إحياء التراث ، البابي الحلبي،مصر،ط٢،١٣٤٢هـ.

٩- الذريعة إلى مكارم الشريعة ، للراغب الأصفهاني [1] (ت٥٠٢هـ) .

أما الصوفية فلم يخل كتاب من كتبهم إلا وفيه إشارة عن آداب الشيخ والمريد ، ومن أهم هذه الكتب :

١-اللمع ، للسراج الطوسي (ت٣٧٨هـ) [2] .

٢- إحياء علوم الدين ، للغزالي (ت ٥٠٥هـ) [3].

٣-الرسالة القشيرية ، للإمام القشيري (ت٤٦٥هـ) [4] .

٤-عوارف المعارف ، لعبد القاهر عمر بن محمد السهروردي (ت ٦٣٢هـ) [5] .

وكان للفلاسفة نصيب في التأليف والكتابة في الموضوع كما في :

١-رسائل إخوان الصفا ، لإخوان الصفا [6] .

٢- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ) [7] .

٣-كتاب السياسة ، لابن سينا أبو علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ) [8] .

٤-الأدب الصغير ، والأدب الكبير ، لعبد الله بن المقفع (ت ١٤٥هـ) [9] .

و كتب الأدب اهتمت بعضها بهذا الموضوع ، فنجد كتاب :

١-عيون الأخبار ، لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) [10].

---

(١)مطبوع ، بتحقيق د. أبو اليزيد العجمي ، دار الصحوة ، القاهرة ، ط٢ ، ١٩٨٧ .

(٢)مطبوع ، بتحقيق د. عبد الحليم محمود ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، (د.ط) ، ١٩٦٠ .

(٣)مطبوع ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، (د.ط) ، (د.ت) .

(٤)مطبوعة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

(٥)مطبوع ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، د.ط) ، ١٩٨٣ .

(٦)مطبوعة، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، (د.ط) ، ١٩٩٦ .

(٧)مطبوع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١ .

(٨)مطبوعة، بمجلة المشرق ، بيروت ،ط١،١٩٠٦م .

(٩)مطبوع ، مكتبة الحياة ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

(١٠)مطبوع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

٢- العقد الفريد ، لأحمد بن محمد بن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) [1] .

- مصادر الحديث عن آداب العالم والمتعلم .

تعددت المصادر التي استقى منها واعتمد عليها المفكرون المسلمون عند حديثهم عن آداب العالم والمتعلم ، فمنها ما هو أصيل وأصل في هذا الباب وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، ومنها ما هو ضروري كالاجتهاد ، ومنها ما كان للاستئناس والاستشهاد لا غير كمرويات أهل الكتاب ، وأقوال الفلاسفة والحكماء .

- القرآن الكريم :

هو كتاب الله الذي أنزله على النبي ﷺ ، بألفاظه ومعانيه ، ليكون (حجة للرسول على أنه رسول الله ، ودستورا للناس يهتدون بهداه ، وقربة يتعبدون بتلاوته ، وهو المدون بين دفتي المصحف ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختوم بسورة الناس ، المنقول إلينا بالتواتر كتابة ومشافهة جيلا عن جيل ، محفوظا من أي تغيير أو تبديل) [2] .

ويحتوي القرآن الكريم على آيات تتصل بأحكام العقيدة والأخلاق ، والأعمال الصادرة عن المكلف ، وتسمى هذه الأحكام بالأحكام العملية ، وتنتظم على نوعين : العبادات والمعاملات .

ويمكن القول إن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي للقيم والآداب ، التي حرص المفكرون المسلمون على استقائها واستخراجها من آياته ، وجعلوها المنطلق الأول ، والركيزة الأساسية لبناء المنظومة الأخلاقية لـ (آداب العالم والمتعلم) ، فكانوا يهتمون عند الحديث عن أدب معين ، أوسلوك ما أن يوردوا الآيات التي وردت في القرآن الكريم المتعلقة بهذا الأدب أو ذاك السلوك .

واستمدوا كثيرا من آداب (المتعلم مع المعلم ، من التسليم والصمت ،

---

(١)مطبوع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ط) ، (د.ت) .

(٢)عبد الوهاب خلاف:أصول الفقه،مكتبة الدعوة الإسلامية،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص٢٠٦،٢٠٧.

والصبر من قصة موسى والخضر عليهما السلام ، فقد رحل موسى-وهو نبي- من أنبياء الله عليهم السلام ، في طلب العلم إلى شاطئ البحر ؛ تاركاً قومه في سبيل التعلم من عبد من عباد الله تعالى ، ثم لما رآه استأذنه في أن يصاحبه للعلم غير أن خضر عليه السلام اشترط عليه شروطاً ، وقبلها موسى) [1] .

وكذلك لو فتشنا عن آداب العالم والمعلم في القرآن الكريم لوجدناه مليئاً بها من خلال قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم .

- السنة النبوية :

السنة النبوية هي (كل ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير) [2] .

وقد أجمع المسلمون على مر العصور على أن (ما صدر عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، وكان مقصوداً به التشريع والاقتداء ، ونُقِل إلينا بسند صحيح يُفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه يكون حجة على المسلمين ، ومصدراً تشريعياً يستنبط منه المجتهدون الأحكام الشرعية ، لأفعال المكلفين ، أي أن الأحكام الواردة في هذه السنن تكون مع الأحكام الواردة في القرآن قانوناً واجب الاتباع) [3] .

والسنة (مع ذلك أصل في الاستنباط قائم بذاته) [4] ، وقد أمرنا الله عز وجل باتباع الرسول ﷺ في كثير من آيات القرآن الكريم ، لأنها -أي السنة- بلاغ عن الله تعالى ، وهي معاونة للقرآن في بيان الأحكام الشرعية ، فهي تبين مبهمه ، وتفصِّل مجمله ، وتخصص عمومه ، وتبين ناسخه ومنسوخه ، وتزيد على فرائض ثبت أصلها في القرآن بالنص ، بأن تأتي بأحكام زائدة مكملة

(١) علي محي الدين:مقدمة تحقيق أيها الولد،مصدر سابق،ص٢٧.

(٢) عبد الوهاب خلاف:أصول الفقه،مرجع سابق،ص٣٦.

(٣) المرجع السابق:ص٣٧.

(٤) محمد أبو زهرة:أصول الفقه،دار الفكر العربي،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص٨٤.

للأصول ، ثم إنها تأتي بأحكام ليست في القرآن [1] .

لذلك مثلت السنة النبوية الشريفة مصدرا كبيرا وثريا من مصادر استنباط الأخلاق والآداب للمفكرين المسلمين ، حيث وجدوها مليئة بالقيم والمثل العليا ، ممثلا فيما صدر عن رسول الله ﷺ من أقوال وأفعال وتقريرات ، واعتبروها حجة واجبة الاتباع ؛ حيث كانت صادرة منه بوصفه رسول الله ﷺ وكان مقصودا بها التشريع .

فعن سفيان بن عيينة قال : (إن رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر ، فعليه تعرض الأشياء ، على خلقه وسيرته وهديه ، فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها فهو الباطل) [2] .

ولا شك في أن الرسول ﷺ وضع الأسس العامة للتعليم ، من الرحمة والرفق ، والتيسير والتبشير ، فقد أوصى ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل لما بعثهما إلى اليمن قائلاً : **(يسرا ولا تعسرا ، وعلما ولا تنفرا)** [3] ، وقال ﷺ : **(علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف)** [4] .

ويكفي أن نلفت النظر إلى أن كتب السنة المطهرة مليئة بالأحاديث والآثار التي ترشد إلى طرق التربية والتزكية ، فقد أُفرِدت الكتب والفصول والأبواب الخاصة بالعلم وفضله ، وفضل تعلمه وتعليمه ، وأدب ذلك .

– آثار الصحابة والسلف الصالح :

كانت آثار الصحابة ، والسلف الصالح ، وقصص العلماء العاملين ، والنبهاء الصالحين مصدراً ثرياً من مصادر الاستمداد والاستشهاد عند المفكرين المسلمين ، فيما يتعلق بآداب العالم والمتعلم ، ذلك أنهم رأوا فيها تطبقاً عملياً وواقعياً لتلك الآداب ،

---

(١) المرجع السابق:ص٧٧،٧٨.

(٢) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ص٧٩.

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب الأدب.

(٤) الحديث رواه الطيالسي في مسنده.

يقول الإمام أبو حنيفة : (الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إلي من كثير من الفقه ؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم) [1] .

– أقوال الحكماء والفلاسفة (المصدر الأجنبي) :

فيما يتعلق بأقوال الحكماء والفلاسفة كمصدر من مصادر آداب العالم والمتعلم ، فإنها لم تكن من المصادر الأساسية للمفكرين المسلمين ، وإنما كانت ترد في أغلب الأحوال لمجرد الاستئناس لا غير .

ومن ذلك ما أورده الخطيب البغدادي قال : (إني وجدت في بعض الحكمة : لا خير لك أن تعلم ما لم تعلم ولم تعمل بما قد علمت ، فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطباً ، فحزم حزمة ذَهَبَ يحملها فعجز عنها فضم إليها أخرى) [2] .

وأيضاً أكثر ابن عبد البر من النقل عن الفلاسفة اليونانيين ، والحكماء ، فنجد له نقولاً عن بزر جمهر ، وجالينيوس ، وأفلاطون [3] .

ويعد أصحاب الاتجاه العقلي من الفلاسفة الأكثر اقتباساً واستشهاداً بأقوال الحكماء والفلاسفة ، فمثلاً نجد ابن مسكويه يكثر من النقل عن الفلاسفة والحكماء اليونانيين أمثال : أرسطوطاليس ، وجالنيوس [4] ، وبروسن [5] ، والرواقيون ، وغيرهم ، ونفس الأمر نجده لدى إخوان الصفا ، وابن سينا ، والفارابي .

أقوال أهل الكتاب (الإسرائيليات) :

ومن المصادر التي استعان بها المفكرون المسلمون في مؤلفاتهم أقوال أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، أو من النصوص التوراتية والإنجيلية ، وهم لم يجدوا حرجاً في النقل عنهم ، والاستشهاد بأقوالهم ، أو الاستئناس بأخبارهم ، لورود الخبر عن النبي ﷺ في

---

(1) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،دار الكتاب العربي،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ص٣٤٩.

(٢) الحديث رواه الطيالسي في مسنده.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ص٢٥٧،٤٢٩.

(٤) ابن مسكويه:تهذيب الأخلاق،مصدر سابق،ص٤٢،٤٣،٥٤،٨٤،٨٧،٨٨،٩٠ .

(٥) المصدر السابق:ص٦٦ وما بعدها.

عدم الحرج في التحديث والرواية عنهم ، ما لم يتعارض ذلك مع نصوص الشـــريعة الإسلامية ، فعن النبي ﷺ أنه قال : **(وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)** [1] .

وفي هذا المعنى يقول الدكتور محمد محمد أبو شهبة : (وأما ما يحتمـــل الصـــدق والكذب منها -أي الإسرائيليات- وليس فيه ما يصدم نقـــلاً صحيحـــاً ، أو عقـــلاً سليماً ، فذكروه لما فهموه من الإذن لهم في روايتها من قوله ﷺ : **(وحدثوا عن بـــني إسرائيل ولاحرج)** [2] .

ومن الأمثلة على ذلك ما أورده ابن عبد البر في الحث على طلب العلـــم قـــال : (وروي عن المسيح عليه السلام قيل له : إلى متى يحسن التعلم ؟ قال : مـــا حســـنت الحياة) [3] ، كذلك نجد له نقولاً أخرى عن داوود ، وموسى ، عليهما السلام [4] .

و من ذلك أيضاً ما أورده الخطيب البغدادي في باب التغليظ على من ترك العمـــل بالعلم قال : (كان عالم وعابد في بني إسرائيل ، فقال العالم للعابد : ما يمنعك أن تأتيني وتأخذ مني وأنت ترى الناس يأتوني ، فقال العابد : تعلمت شيئاً فأنا أعمل به فإذا فني أتيتك) [5] .

ومن الملاحظ أن المفكرين المسلمين لم يعتمدوا علـــى الإســـرائليات كمصـــدر أساسي ، وإنما هو لمجرد الاستئناس فقط ، وليس للاستدلال أو الاســـتنباط ، وذلـــك لكفاية المصادر الإسلامية الأصيلة في ذلك .

-الاجتهاد :

الاجتهاد في اللغة بذل الجهد ، واستفراغ الوسع في فعل من الأفعال ، ولا يستعمل

---

(١) الحديث صحيح،رواه البخاري.

(٢) د.محمـــد أبـــو شـــهبة:الإســـرائيليات والموضوعـــات في كتـــب التفســـير،مكتبـــة السنة،القاهرة،ط٤،١٤٠٨هـــ،ص٩٥.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص٤٠٦، وهناك نص آخر عن المســـيح عليـــه السلام ص٤٤٧.

(٤) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ص٢٤٦،٢٦٢،.

(٥) الخطيب البغدادي:اقتضاء العلم العمل،مصدر سابق،ص٥٧.

إلا فيما فيه كلفة وجهد [1] ، ولا يقال : "اجتهد" إلا لمن بذل غاية وسعه ، ونهاية طاقته ، بحيث لم يبق من طاقته ما يمكن أن يضيفه .

كما أن استعمال الكلمة يدل على أنها تطلق على الجهد في الأمور الحسية ، مثلما نقول : اجتهد الرجل في حمل الثقل ، كما تطلق أيضاً في الأمور المعنوية ، مثلما نقول : أجتهد رأيي ، و أجتهد في المذاكرة ، وفي كلا الحالين لابد وأن يبلغ الغاية والنهاية ، فلا يقال : اجتهد في حمل القشة أو النواة .

ولأهل كل علم وفن تصورهم الخاص بهم للطاقة العادية في علمهم أو فنهم ، وتصور لما يحتاج إلى أكثر من الجهد المعتاد ، فإذا جاوز الجهد المبذول الحد المعتاد قالوا : جهد نفسه ، أو أجهدها في الأمر .

والاجتهاد عند الأصوليين (بذل المجتهد وسعه في طلب العلم بأحكام الشريعة) [2] .

-حكم الاجتهاد :

إن الله -تعالى- قد فرض الاجتهاد على خلقه ، وابتلى طاعتهم فيه ، كما ابتلى طاعتهم في فرائض أخرى افترضها عليهم ، قال تعالى : **﴿ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم ونبلوا أخباركم ﴾** [3] .

لقد كان من الممكن أن يشرع الله -تعالى- لعباده من الأحكام ما ينظم كل شئون حياتهم ، دون حاجة إلى اجتهاد منهم في معرفتها ، ولكنه -سبحانه- أراد أن يمن على عباده بفرض الاجتهاد ليكون عبادة تؤديها عقولهم ، وزكاة لها ، كما فرض الجهاد ليتخذ من صالحي عباده شهداء ، وإذ فضَّلَ المجاهدين بما بذلوا من دماء ، فإنه فَضَّلَ المجتهدين بما بذلوا من جهد في الاستنباط لتعلوا كلمة الله ، ولتحكم شريعته تصرفات الناس كلها [4] .

---

(١) محمد الخضري:أصول الفقه،دار الحديث،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص٤٢٢ بتصرف.

(٢) الغزالي:المستصفى،البابي الحلبي،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ج٢،ص٣٥٠.

(٣) سورة محمد:آية٣١.

(٤) الماوردي:أدب القاضي،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ج١،ص٥١٥.

ومن المعلوم أن جميع وجوه نشاط المسلم ؛ الفكرية والعقلية والقلبية والعملية السلوكية ، المتعلقة بالجوارح ، يجب أن تكون محكومة بأحكام الإسلام ، فالإسلام ما هو إلا الانقياد والاستسلام الكامل لأحكام الله تعالى ، ورسوله ﷺ .

وهذا لا يتم إلا بطريق النص ، والإجماع المستند إليه ، ولما كانت النصوص متناهية ، والحوادث غير متناهية ، كان لابد من الاجتهاد في طلب إصابة الحق (١) .

واجتهاد العلماء يكون فيما لا نص فيه ، على التفصيل المبين في مباحث الاجتهاد في كتب الأصول (٢) .

ولقد كان الاجتهاد أحد الأدوات التي استعان بها المفكرون المسلمون لاستمداد الكثير من الأحكام المتعلقة بآداب العالم والمتعلم ، خاصة في الموضوعات المستحدثة ، التي لم يرد فيها نصوص ، أو التي ورد فيها نصوص غير قطعية الدلالة أو الثبوت ، أو بينها تعارض ظاهري .

ومن أهم الموضوعات التي كانت محل اجتهادهم ، كل ما يتعلق بتنظيم العملية التعليمية ، ووضع المناهج ، وطرق التدريس ، وتنظيم المدارس والمكتبات ، وآداب سكنى المدارس ، ومسائل مهمة مثل : أخذ الأجرة على التعليم ، القيام للأستاذ ، وتقبيل يده (٣) ، وغيرها من المسائل والموضوعات التي سنناقشها في موضعها من البحث .

فمعظم هذه الموضوعات لم يرد فيها نصوص شرعية تنظمها ، وتبين أحكامها ، فكان لابد لهم من الاجتهاد والبحث فيها ؛ ووضعها في إطارها الصحيح .

– العرف :

---

(١) الشافعي:الرسالة،دار الكتب العلمية،(د.ط)،(د.ت)،ص٤٧٩ .

(٢) لمزيد من التفصيل حول أقسام ما يجتهد فيه يراجع :أصول الفقه للخضري،مرجع سابق،ص٤٢٢وما بعدها،الرسالة للشافعي،مرجع سابق،ص٤٧٩وما بعدها،أدب القاضي للماوردي،مرجع سابق،ص٥١٥وما بعدها.

(٣) لمعرفة التفاصيل حول هاتين المسألتين ، يراجع الفصل الثاني(آداب المتعلم نحو أستاذه) من الباب الثالث من البحث،ص٤٠٢،وما بعدها .

وهو (ما ألفه المجتمع ، وسار عليه الناس من قول أو فعل أو ترك) [1] .

ويوجد من العرف نوعان : صحيح وفاسد .

أما الصحيح فهو ما لا يخالف نصاً ، ولا يفوت مصلحة معتبرة ، ولا يجلب فساداً .

وأما الفاسد فهو ما يخالف الشرع ، أو يجلب ضرراً ، أو يفوت المصلحة .

ويعتبره العلماء أصلاً من أصول الاستنباط التي تنبني عليها الأحكام ، ومن أقوالهم المشهورة في هذا المجال ؛ والتي هي من القواعد الفقهية المعتبرة : (العادة محكمة) و (المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً) [2] .

ولذا اعتبره المفكرون المسلمون مصدراً من مصادر الأخلاق والآداب الإسلامية ، ولكن بشروط معينة ، وهي الشروط التي اشترطها علماء الأصول لاعتبار العرف ، وهي :

(١- أن لا يكون العرف مخالفاً للنص ، بأن يكون عرفاً صحيحاً .

٢- أن يكون مطرداً وغالباً ، أي أن يكون العرف مستفيضاً وشائعاً بين أهله ، معروفاً عندهم ، معمولاً به من قِبَلِهم ، وأن يكون العاملون به أكثرية .

٣- أن يكون العرف الذي يُحمل عليه التصرف موجوداً وقت إنشائه

٤- أن لا يوجد قول أو عمل يفيد عكس مضمونه) [3] .

وعلى الرغم من اعتمادهم العرف أصلاً مصدراً ، إلا أنهم لم يجعلوه مصدراً مستقلاً بذاته ، بل يرجع إلى أدلة التشريع المعتبرة ، فلابد أن تستند الأعراف إلى نصٍّ من كتابٍ أو سنة ، أو إلى إجماع أو قياس أو استحسان .

---

(١) عبد الكريم زيدان:الوجيز في أصول الفقه،مؤسسة الرسالة،بيروت،(د.ط)،١٩٨٧م،ص٢٣٧.

(٢) عبد الكريم زيدان:الوجيز في أصول الفقه،مرجع سابق،ص٥٤.

(٣) المرجع السابق،ص٢٥٦،٢٥٧.

ومن أبرز الأمثلة على اعتماد العرف أحد المصادر المهمة لآداب العالم والمتعلم ، موضوع الأطعمة التي نصحوا المتعلم بتناولها لكي تساعده على الحفظ ، وتقوي ذاكرته ، وكذا الأطعمة التي تورث النسيان ، وتضعف الذاكرة ، والتي يجب عليه أن يتجنبها ، فهذا الموضوع اعتمد فيه المفكرون المسلمون على ما كان متعارفاً عليه في أزمانهم ، من أن هناك بعض الأطعمة تقوي الحفظ ، وبعضها الآخر يضعفه ، فمثلا قالوا إن (أكل إحدى وعشرين زبيبة كل يوم على الريق يورث الحفظ) (1) ، وإن (أكل الكزبرة الرطبة ، والتفاح الحامض ، والنظر إلى المصلوب ، وقراءة ألواح القبور ، والمرور بين قطار الجمال ، وإلقاء القمل الحي على الأرض ، والحجامة على نقرة القفا) (2) ، مما يورث النسيان .

وهذا كله لم يقم على صحته دليل علمي ، أو تجربة صحيحة ، وإنما هي أعراف وتقاليد متوارثة ، تناقلها الخلف عن السلف دون تمحيص ودراسة ، وكان إيراد هذه المعلومات في كتاب الزرنوجي "تعليم المتعلم" أحد المآخذ والسلبيات التي أخذها الدكتور أحمد فؤاد الأهواني عليه ، واعتبرها أوهاماً لا تستند إلى دليل علمي (3) .

---

(1) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، مصدر سابق، ص١٢٨.

(2) المصدر السابق: ص١٣٠.

(3) لمزيد من التفصيل انظر البحث ، ص١٦٩ ، -١٧٠.

– خصائص آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي :

اتسمت آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي بخصائص وسمات مميزة ، تجعلها من الشواهد الدالة على سبق الفكر الإسلامي في هذا المجال الحيوي ؛ الذي تحاول النظم التعليمية والتربوية في كثير من دول العالم المعاصر تحقيق بعضاً منه ، وتنفق الأموال الطائلة لإجراء الدراسات والبحوث التي يمكن من خلالها تحقيق هذا الأمل المنشود ، هذا في الوقت الذي كانت الحضارة الإسلامية قد أرست الدعائم والأسس الأخلاقية والآداب السلوكية لنظامها التعليمي والتربوي ، وتطبيق ذلك في الواقع العملي بالفعل ، ومن أبرز هذه الخصائص :

– الاعتماد على الوحي مصدراً :

استمد المفكرون المسلمون كثيراً من الآداب والأخلاق من مصدرين أساسين هما القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، وكانوا حريصين كل الحرص على تدعيم وتوثيق كلامهم عن آداب العالم والمتعلم بآيات القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، فهما الدستور الرباني الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، وهذا يعطي لها ميزة كبرى تتميز بها عن سائر الآداب والأخلاقيات في الحضارات والثقافات الأخرى ، ألا وهي العصمة والهدى ، فالذي قرر هذه الآداب والأخلاقيات هو الله عز وجل ، والذي بلغها وطبقها هو رسول الله ﷺ ، فهي مبرأة من العيب والنقص ، والتحيز والهوى ، تلك العيوب التي لا يخلو منها فكر البشر الذي يجهل حقيقة نفسه ، فضلاً عن جهله بحقيقة غيره .

فمهما حاول الإنسان أن يضع منهجاً للتربية من دون أن يقتبس من نور المنهج الرباني لتأثر بجهله وهوى نفسه ، مما يجعله بعيداً عن الصواب وعن الحق ، ويجعله متحيزاً ، وغير ملائم للإنسان في جوانبه المختلفة ، وإذن فمن الخير للإنسان أن يستمد المنهج التربوي والخلقي من الكتاب الذي نزل لهدايتهم ، والذي وضعه العليم ببواطن النفوس ، الخبير بما يصلحهم ﴿ **ألا يعلم من خلق**

وهو اللطيف الخبير ﴾ [1] ، وهذا ما سبق إليه المفكرون المسلمون والحضارة الإسلامية سائر حضارات الدنيا ، فاعتمدوا القرآن والسنة مصدرا أساسيا لآداب العالم والمتعلم .

- سمو الهدف :

إذا كانت النظم التعليمية المعاصرة تهدف إلى تكوين المواطن الصالح ، فإن (آداب العالم والمتعلم) في الفكر الإسلامي تهدف إلى بناء الإنسان الصالح ؛ ليبني المجتمع الصالح ؛ الذي يعينه على تحقيق رسالته في هذه الحياة ، وشتان بين الهدفين ، فبينما الأول يقتصر دوره في إطار القومية الضيق ، فإن الثاني ينطلق إلى مجال الإنسانية الرحب ، ويؤكد على الأخوة الإنسانية [2] .

والمفكرون المسلمون يعتبرون التعليم والتعلم من الطاعات و القربات العظيمة ؛ التي تهدف إلى تحقيق أعظم الغايات في الحياة ، ألا وهي عبادة الله بأوسع معانيها ، فالتعليم والتعلم -وهذه الحالة- صورة من أسمى صور العبادة في الإسلام ، ميدانه الكون ، ومحوره الإنسان ، وهدفه الحياة المؤمنة ، قال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ [3] ، ومن الجدير بالإشارة أن مفهوم العبادة في الإسلام مفهوم واسع من حيث المضمون و من حيث الزمان ومن حيث المكان .

فمن حيث المضمون فإن الحاكم الذي يعدل بين الناس هو في عبادة الله عز وجل ، والمجاهد في سبيل الله هو في عبادة الله عز وجل ، وهكذا فإن كل عمل يقوم به المؤمن وهو يقصد به وجه الله فهو عبادة يقول تعالى : ﴿ قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ﴾ [4] ، و يدخل في هذا بالطبع عملية التعليم والتعلم ، فالمعلم الذي يعلم الناس الخير يعبد الله بتعليمه للناس ، والمتعلم

---

(١) سورة الملك:آية١٤.

(٢) د.زغلول راغب النجار:أزمة التعليم المعاصر،مرجع سابق،ص١١٥،بتصرف.

(٣) سورة الذاريات:آية ٥٦.

(٤) سورة الأنعام:آية١٦٢ .

الذي يسير وراء الحقيقة فهو في عبادة الله تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ [(١)] ، وقال ﷺ (**من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة**) [(٢)] ، فهذه العبادة العملية –إن جاز التعبير– ميدانها الكون كله بسمائه وأرضه ، بما فيه من حيوان ونبات وجماد ، وكلها تستدعي النظر والتأمل لتقود المخلوق لمعرفة الخالق والإيمان به وعبادته ، فالإنسان هو سيد هذا الكون ؛ وهو محور العملية التعليمية والتربوية ﴿ **وعلم آدم الأسماء كلها** ﴾ [(٣)] والهدف من ذلك كله هو معرفة الخالق سبحانه وعبادته .

وأما من حيث الزمان فإن العبادة –وإن كان للفروض منها أوقات معلومة مقصودة– إلا أنها بمعناها الواسع ولمن أراد النافلة فتجوز في كل وقت في هذه الحياة الدنيا من المهد إلى اللحد ، وكذلك التعليم والتعلم ، فإن كانت مرحلة الصبا والشباب هي الوقت الذهبي للتعلم ، إلا أن الفكر الإسلامي أكد على مبدأ استمرارية التعلم من المهد إلى اللحد ﴿ **وقل ربي زدني علماً** ﴾ [(٤)] .

ومن حيث المكان ، فالعبادة في الإسلام جائزة في أي مكان : ﴿ **فأينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ [(٥)] ، وقال ﷺ : (**وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**) ، وكذا التعليم والتعلم كأحد صور العبادة فإنها انبثقت من المسجد ، ويجوز أن تكون في مدارس أو مؤسسات خاصة ، كما يمكن طلب العلم في أي بقعة من بقاع الأرض .

– الوحدة والشمول :

إن مبدأ الوحدة والشمول في الفكر الإسلامي ينعكس بوضوح على عملية التعليم والتعلم ، من حيث ضرورة النمو المتكامل للفرد المسلم في إطار المجتمع والعالم ، ومن حيث النظرة إلى وحدة الإنسانية ؛ وبالتالي سمة العالمية للفكر

---

(١) سورة المجادلة :آية١١ .

(٢) الحديث صحيح ، رواه مسلم .

(٣) سورة البقرة:آية٣١ .

(٤) سورة طه:آية١١٤ .

(٥) سورة البقرة:آية١١٥ .

الإسلامي ، وأخيراً وحدة المعرفة وشمولها في مجالات العلوم والفنون على السواء .

فأما عن وحدة الإنسانية ، فإن البشرية كلها مخلوقة لله عز وجل ، وهي كلها موجودة للتعارف فيما بينها ، وللتعاون على الخير ، وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحقيق مبدأ العدالة والمساواة بين البشر **﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾** (١) .

وقد حرص الفكر الإسلامي على أن يوجد الوعي الصحيح عند أتباعه بما يجري في العالم ، ويحثهم على أخذ الحكمة حيث كانت فـ**(الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها)** (٢) ، وطلب العلم من أي مكان **(اطلبوا العلم ولو في الصين)** (٣) .

وأما عن وحدة المعرفة وشمولها في مجال العلوم والفنون ، فإن الفكر الإسلامي نظر إلى جميع حقول المعرفة المفيدة للفرد والمجتمع نظرة واحدة ، وهي تؤكد على جميع أنواع المعرفة ولا تفرق بين العلوم الدينية والدنيوية إلا بقدار ما يكفي كل فرد من العلوم الدينية لأداء عبادته ، وما يكفي المجتمع من العلوم الدينية والدنيوية : **﴿ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ﴾** (٤) ، وفي هذا إشارة إلى ضرورة التفقه في الدين والعلوم الشرعية ، يقول الرسول ﷺ : **(من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين)** (٥) ، كما أشار القرآن الكريم إشارت عابرة لكنها قوية ومعبرة إلى آفاق العلم والمعرفة التي يجدر بالعقل البشري أن يتحراها ويتقصاها وينظر فيها من علوم فلكية ، وجغرافية ، وتاريخية ، وجيولوجية ، وطبيعية ، وعلوم الحيوان والنبات ، وغير ذلك من العلوم التي تعزز الإيمان بالله وتزيد من

---

(١) سورة الحجرات:آية١٣ .

(٢) جزء من حديث ضعيف،رواه العسكري والقضاعي،ورواه العجلوني في كشف الخفاء،بلفظ:(الحكمة ضالة كل حكيم) .

(٣) الحديث ضعيف، قال ابن حبان:لا أصل له،سلسلة الأحاديث الضعيف،حديث رقم٤١٦ .

(٤) سورة التوبة:آية١٢٢ .

(٥) الحديث رواه أبو داوود ، والترمذي ، وابن ماجة ، وابن حبان .

خشية الإنسان لربه ، وتفيد البشرية في واقع حياقم ، وتطوير مجتمعاقم في طريق التقدم والفلاح في الدنيا والآخرة [1] .

- **التكامل والتوازن الدقيق :**

تميزت "آداب العالم والمتعلم" في الفكر الإسلامي بالتكامل والتوازن الدقيق ، حيث لم يطغ جانب منها على بقية الجوانب الأخرى .

فأما من جهة التكامل ، فقد عالجت الجوانب المتعددة في الإنسان ؛ الجسدية والعقلية والروحية ، بمنهج دقيق وفريد ، ونرى ذلك جليا في تناول المفكرين المسلمين لآداب العالم والمتعلم نحو الله والنفس [2] ، فكانوا بهذا المنهج متوافقين مع التصور الإسلامي للإنسان ، فهو روح وجسد وعقل وغرائز .

فاليونان قديما في إسبرطة ضحوا بالتربية الروحية في سبيل الجسد ، إذ كانت القوة الجسدية والقدرة القتالية هي الصفات المحببة والمفضلة لديهم ، إذ كان هدفهم الأسمى تكوين الأبطال والجنود .

كذلك كانت التربية الجسدية موضع العناية في أول عهد الجمهورية الأثينية ، كذلك فعل الرومان من بعدهم ، فغلبت عليهم الناحية المادية العملية [3] .

ولما سيطرت الكنيسة على أوروبا في العصور الوسطى أولَتْ الناحية الروحية والخلقية اهتماماً ، وغلبت الناحية المثالية الخلقية على تربيتها ، فلم يعد للجسد عند القديس "جيروم" قيمة ، ولم يبق ثمة مجال للبحث في أمر تقويمه والعناية به ، ليكون أداة صالحة لنفس جميلة ، بل غدا عدواً يجب قهره بالصوم والامتناع عن الطعام ، ومما قاله هذا القديس : (احرص على ألا تأكل أمام جمع ، وألا تحضر الموائد والحفلات العائلية خشية ان تصبو إلى ما يقدم فيها من صنوف اللحم ،

---

(١) لمعرفة المزيد عن هذه الإشارت القرآنية للعلوم والمعارف الكونية يراجع:د.موريس بوكاي:التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء المعارف العلمية الحديثة،دار المعارف،مصر،١٩٨٣م،ط١.

(٢) انظر البحث: آداب العالم نحو ربه ونفسه،ص٢٢٧، وآداب المتعلم نحو ربه ونفسه،ص٤٠١ .

(٣) لمزيد من التفصيل يراجع: عمر أحمد عمر،منهج التربية في القرآن والسنة،دار المعرفة،دمشق،ط١،١٩٩٦،ص٢٩٨.

ولتعتد الامتناع عن الخمرة ، فهي مصدر كل دنس ، ولتتغـذ بـالبقول غالبـاً وبالسمك نادراً ولتحاول إذا أكلت ألا تشبع) (١) ، وذهب في احتقاره للجسـد إلى أبعد من ذلك فقال : (لو أن الرأي لي لمنعت الفتاة من الاغتسال منعاً باتاً)(٢).

وهكذا كانت التربية المدرسية قبل عصر النهضة الأوروبية تدور حول أمـور معنوية بحتة ، بينما تميل التربية الحديثة إلى نبذ المعنويات ، والاهتمام بالمحسوسـات والماديات ، وأصبحت تهتم بالجسم والإعداد للحياة العملية ، وتعتـني بالناحيـة الجمالية (٣) .

أما في الإسلام فقد اهتم المفكرون المسلمون بتربيـة الإنسـان – عالمـاً أو متعلماً – من جميع نواحيه البدنية والعقلية والروحية والعاطفية ، دون أن يطغـى جانب منها على الجانب الآخر ، وأعطى كل منها ما يسـتحقه مـن العنايـة والاهتمام (٤) .

وهذا المنهج لا يجعل الإنسان يعمل لدنياه ويهمل آخرته ، أو يعمل لآخرتـه ويهمل دنياه ، كما هو شأن غيره من المناهج التي تغلب عليها النزعة الماديـة او الروحية ، وبذلك يكون هذا المنهج ملائماً للفطرة وملبيـاً لحاجـات الإنسـان المختلفة .

وبمثل ما اهتموا بآداب بالعالم والمتعلم النفسية ، اهتموا بآداب العالم والمتعلـم الاجتماعية ، أو تلك التي لها علاقة بالتعامل مع الآخرين سواء كانوا من الأقـران أو الزملاء أو من أفراد المجتمع كالأهل والجيران (٥) .

---

(١) لمزيد من التفصيـل يراجـع:د.عبـد الله عبـد الـدايم،تـاريخ التربيـة،المطبعـة الجديـدة دمشق،ط٢،١٩٨٣،ص٢٣.

(٢) المرجع السابق:ص٧٢.

(٣)د.بول منرو :المرجـع في تـاريخ التربيـة،ترجمـة صـالح عبـد العزيـز،مكتبـة النهضـة المصرية،القاهرة،(د.ط)،١٩٥٨،ج١،ص٣٠٥.

(٤) محمد عطية الأبراشي:التربية الإسلامية وفلاسفتها،مرجع سابق،ص٣٩.

(٥) انظر البحث : آداب العالم مع أقرانه،ص٣١٣وما بعدها،آداب العالم نحو مجتمعـه،ص٣٢٣ومـا بعدها، آداب المتعلم مع زملائه،ص٥٠١، آداب المتعلم نحو مجتمعه،ص٥٢٥ .

وأما من حيث التوازن ، فيظهر ذلك جلياً في أنها -أي آداب العالم والمتعلم- جمعت بين النظرية والتطبيق ، والقول والعمل ، وما يجب أن يكون فرض عين ، وما يمكن أن يكون فرض كفاية .

فقد أكدت آداب العالم والمتعلم على ضرورة التطبيق العملي للمعرفة والعلم أو ما أسموه "العمل بالعلم" (١) ، وضرورة العودة بالفائدة على الفرد والمجتمع ، فلا يكفي التعلم وتحصيل العلم والمعرفة ، بل لابد من العمل والتطبيق تطبيقاً لقوله تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون * كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾** (٢) ، وفي هذا الصدد يقول الغزالي : (العلم بلا عمل جنون ، والعمل بلا علم لا يكون) (٣) .

ولقد كان هذا المبدأ أساسياً زمن رسول الله ﷺ يقول ابن مسعود -رضي الله عنه- : (كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يتجاوزهن حتى يعمل ، يعرف معانيهن والعمل بهن) (٤) .

كما أكدت آداب العالم والمتعلم على الناحية الوظيفية و النفعية للعلوم والمعارف ، وأنها ليست للتباهي أو الترف ؛ ولذلك نهى رسول الله ﷺ عن تعلم ما لا ينفع كالسحر والعرافة ، وكان دعاؤه ﷺ **(اللهم علمني ما ينفعني ، وانفعني بما علمتني ، وزدني علماً)** (٥) .

- الواقعية والمثالية :

مزج المفكرون المسلمون في تناولهم لآداب العالم والمتعلم بين المثالية والواقعية ، وبين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ، وهذا اتساقاً مع السمة السابقة -التكامل والتوازن- ، وقد رسم المفكرون المسلمون صورة شديدة المثالية للعالم

---

(١) انظر البحث : اقتران العمل بالعلم ، ص١٢٠-١٢١ ، والعمل بالعلم ، ص١٤٧.

(٢) سورة الصف:آية٢-٣ .

(٣) الغزالي:ميزان العمل،الأهلية للنشر،بيروت،١٩٧٨م،(د.ط)،ص٢١٧ .

(٤) ابن كثير:تفسير القرآن العظيم،دار الدعوة،إستانبول،(د.ت)،(د.ط)،ج١،المقدمة،ص٣.

(٥) الحديث صحيح ، رواه ابن ماجة .

والمتعلم [1] قد يصعب تحقيقها في الواقع العملي على كل عالم أو متعلم ، لكنهم أرادوا من وراء تقديمهم لهذه الصورة شديدة المثالية ، حفز همم العلماء والمتعلمين على الوصول إلى أعلى مستوى ممكن منها ، فلابد أن تظهر عليهم آثار هذه الآداب والأخلاق ، فهم هداة البشرية ومعلموها .

و بالرغم من ذلك لم تكن (آداب العالم والمتعلم) مجرد أفكار نظرية ، سطرها المفكرون المسلمون في كتبهم ؛ بل طبقت في الواقع العملي ، ومورست في مراحل التعليم المختلفة ، وسجل لنا التاريخ نماذج كثيرة لعلماء ومتعلمين ، بلغوا الدرجة العالية من الأخلاق الرفيعة ، والسلوكيات الراقية .

-التطور والثبات (المرونة) :

تميزت آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي بالجمع بين ما هو ثابت ، وما هو متطور متغير .

فأما الجانب الثابت فيها فيتمثل في الأسس العامة من الأخلاق والآداب التي لا تتغير ولا تتطور بمرور الوقت ، من إيمان بالله ، وإخلاص له ، والتزام أوامره ، واجتناب نواهيه ، كما تتضح أيضاً في التخلق بالأخلاق الفاضلة ، من صدق وأمانة ، وعفة وورع ، وحياء وحلم ، إلخ ، ففيما يتعلق بآداب العالم والمتعلم نحو الله والنفس فهو ثابت لا يتغير ولا يتطور .

وأما التطور والتغير فيظهر جلياً فيما يتعلق بأساليب التدريس وطرقه ومناهجه ، كما يظهر في العادات الاجتماعية ، و غيرها مما هو خاضع للتغير وفقاً للزمان والمكان والمصلحة [2] ، ووفقاً لدرجة الرقي والمستوى الحضاري الذي تصل إليه البشرية ، مما يعني أن هذه الآداب صالحة لكل زمان ومكان ، وأنها لا

---

(١) د.عبد الأمير شمس الدين:المذهب التربوي عند ابن جماعة،دار اقرأ،بيروت،ط١،١٩٨٤م،ص٤٦-٤٧.

(٢) انظر البحث:آداب العالم مع تلاميذه،ص٢٦٠وما بعدها، وآداب العالم العلمية،ص٣٤٤ وآداب المتعلم مع أستاذه،ص٤٤٩،وآداب المتعلم مع زملائه،ص٥٠١،وآداب المتعلم الاجتماعية،ص٥٢٥،وآداب المتعلم نحو مؤسسته التعليمية،ص٥٣٨.

ترى حرجاً من الاستفادة من منجزات العصر ، ولا من عادات وتقاليد وممارسات الشعوب ، بشرط ألا تتعارض مع الثوابت والضوابط العامة للإسلام .

الفصل الثالث

الاتجاهات الفكرية التي اهتمت بآداب العالم والمتعلم

- اتجاه الفقهاء والمحدثين (مدرسة الأثر)

- اتجاه الفلاسفة (المدرسة العقلية)

- اتجاه الصوفية (المدرسة الذوقية)

- اتجاه الشيعة

بعد ما حدثت طفرة علمية ومعرفية ، وتطورت كثير من العلوم وتبلورت وأخذت شكلاً متميزاً ، كان من البديهي أن تظهر في محيط الفكر الإسلامي اتجاهات ومدارس فكرية مختلفة ، تعبر عن آرائها ومذاهبها الفكرية والعلمية .

ونشأة المدارس والاتجاهات الفكرية كان ظاهرة طبيعية ، اقتضاها نمو الفكر الإسلامي ، وتطور ظروف المجتمع الإسلامي في القرون الثلاثة الهجرية الأولى .

والذي يمعن النظر في تاريخ الفكر الإسلامي يرى ثراءً كبيراً في الاتجاهات الفكرية ، الذي -ربما- لم يشهد التاريخ مثله من قبل ، وبغض النظر عن الأسباب التي أدت إلى ظهور اتجاهات منحرفة وضالة عن النهج الإسلامي القويم ؛ إلا أن في ذلك دليلاً على ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من رقي وازدهار ، وحرية فكرية اتسعت لهذا الكم الكبير والمتناقض في بعض صورة .

وبازدياد نشاط الحركة العلمية في القرنين الثالث والرابع ، تبلورت بشكل كامل هذه المدارس والاتجاهات ، فظهرت مدرسة الفقهاء والمحدثين ، ومدرسة الفلاسفة والمتكلمين ، ومدرسة الصوفية ، ومدرسة الشيعة .

وكان لكل مدرسة أو اتجاه منطلقاته ، وغايته ، وأساليبه ، ومناهجه ، وخصائصه الفكرية ، التي تميزها عن غيرها من المدارس والاتجاهات ، وأنجبت هذه المدارس علماء ومفكرين أسهموا بجهدهم في البحث والتأليف .

غير أن أول ما ينبغي للباحث المحقق في الفكر الأخلاقي الإسلامي أن يدركه ويتخذ منه مفتاحًا لفهم روح هذا الفكر ، هو حقيقة أن الإسلام وحده كان هو القوة المنسقة والمقاربة بين أفكار المفكرين المسلمين ، وأن الإسلام وحده هو المسئول عن التشابه -في بعض الأحيان- في الأهداف التي توخوها ، وفي طرق التعليم التي مارسوها ، فمن ابن سحنون في المغرب (ت٢٥٦هـ) ، إلى إخوان الصفا في العراق (القرن الرابع الهجري) ، إلى القابسي القيرواني (ت٤٠٣هـ) إلى ابن مسكويه (ت٣٢١هـ) ، إلى الغزالي (ت٥٠٥هـ) ، ونصير الدين الطوسي (٦٧٢هـ) ، إلى

ابن جماعة (ت٧٣٣هـ) .

وسنجد أنفسنا أمام مفكرين مسلمين ينظرون إلى ذواقم في ضوء الإسلام ، ويزنون أنفسهم بميزانه ، يستلهمون مبادئه ومثله ، ويخلصون لغاياته ، ففي الدولة العالمية التي تسبب الإسلام في وجودها تحررت عقولهم من الاعتبارات العرضية لتتقيد باعتبار واحد هو الإسلام ، و بهذا تجانست وتكاملت من أرض طوس ونيسابور وقابس والقيروان مرورا ببغداد ودمشق والقاهرة وغيرها من حواضر الدولة الإسلامية ، لقد أملى هذا الاشتقاق من الإسلام والالتزام به على التفكير الأخلاقي عند المفكرين المسلمين طبيعته ، وأعطاه وجهته ؛ وهي وجهة دينية في الغالب ، ولم يكن هذا غريبا ولا مستغربا ؛ بل الغريب والمستغرب كان في اختيار وجهة أخرى .

فعندما يستمد الإنسان تفسيره للكون والوجود من الدين ، فمن المنطق إذن أن يتغيا الدين في ذاته ، وأن يجعل من التربية وسيلته المشروعة إلى تلك الغاية ، وإذن فقد كان المفكرون المسلمون منسجمين مع أنفسهم كل الانسجام حين جعلوا الأهداف الدينية غاية يجاهدون لتوجيه العقول الناشئة والضمائر الشابة نحوها .

ومن هنا كان طبيعيا جدا أن نجد الغزالي مثلا يؤكد على حصر غاية المتعلم في (تحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة) (١) ، مع اجتناب (العلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال) (٢)، والتشديد على وجوب تقوية اليقين الذي هو (رأس المال) .

كذلك كان طبيعيا أن لا يرى الغزالي معنى للعلم إلا من خلال الضرورات الدينية فينصح المتعلم (أن يعمل لدنياه بقدر مقامة فيها ، وأن يعمل لآخرته بقدر مقامه فيها ، وأن يعمل للجنة بقدر حاجته إليها ، وأن يعمل للنار بقدر صبره عليها) (٣) ، ثم يذكره أنه إذا عمل بهذه للقاعدة فلن تكون به حاجة إلى العلم الكثير ،

---

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٣١.

(٢) المصدر السابق،ج١،ص٣٥.

(٣) الغزالي:أيها الولد،مصدر سابق،ص١٥.

ولقد بلغ الحس الديني عند الغزالي حدًا جعله في بعض الأحيان ، ينهي جهرة عن تعلم العلوم غير الدينية حتى قال : (أي شيء حاصل لك من تحصيل علم الكلام والخلاف والمنطق والطب والدواوين والأشعار والنجوم والنحو والتصريف غير تضييع العمر؟) (١) .

ولقد وضحت هذه الغاية الدينية عند الطوسي فأوجب على المتعلم أن ينوي بطلب العلم (رضا الله وإزالة الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال وإحياء الدين وإبقاء الإسلام بالأمر المعروف والنهي عن المنكر من نفسه و متعلقاته ومن الغير بقدر الإمكان) (٢). أما ابن جماعة فيذكرنا بأن جميع ما ورد في ذكر فضيلة للعلم والعلماء في القرآن والحديث (إنما هو في حق العلماء العاملين الأبرار الذين قصدوا به وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم ، لا من طلبه بسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاثرة في الاتباع والطلاب) (٣) .

لقد ترتب على هذا الموقف الديني من العلم والتعلم والتعليم نتائج خطيرة كان لها أثر بعيد في تقرير شكل عملية التعليم والتربية الإسلامية وتعيين محتواها ، ولعل أول ما يستوقف الباحث هنا هو أن كلمة (علم) التي جاءت مطلقة في القرآن والحديث أصبحت مقيدة بالعلم بالله عند جمهرة المفكرين المسلمين ، إذا ما استثنينا إخوان الصفا وابن مسكويه وأمثالهم .

النتيجة الثانية المترتبة على هذا الموقف تجسدت في حقيقة أن التعطش إلى التسامي الروحي والخلقي دفع بالفكر الأخلاقي والتربوي الإسلامي إلى احتقار الدنيا وما يشتق منها من المنافع واللذات المباحة ، ومن الحرف والأعمال ؛ هذا الأمور التي يعتمد عليها قدر غير يسير من صلاح العيش الإنساني ، وتتعلق بها سعادة الإنسان على هذه الأرض ؛ حتى إنه لم يتحرج بعض كبار المفكرين المسلمين من وصم

---

(١) الغزالي:أيها الولد،مصدر سابق،ص٢٠.

(٢) الطوسي:آداب المعلمين،دار الكتب العلمي،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،ص٣٣.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٣.

الأعمال اليدوية ؛ وهي مصدر الإنتاج في المعاش الإنساني بنعوت قاسية ، يقول الغزالي في معرض قياسه فضل العلم الديني بالمعرفة العملية إن (الفضيلة نسبية ، و استحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم إذا قيسوا بالكناسين ، فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر ، بل المرتبة العليا للأنبياء ثم الأولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم للصالحين على تفاوتت درجاتهم) [1] ، وذهب ابن جماعة خطوة أبعد وراء ما ذهب الغزالي إليه ، فطلب إلى المتعلمين أن يتنزهوا عن (دنيء المكاسب ورذيلها طبعا وعن مكروهها عادة وشرعا ، كالحجامة والدباغة والصياغة) [2] ، و لم يقلل من هذه الاستهانة بالأعمال اليدوية أن الغزالي أدخل الحجامة في باب العلوم المفروضة فرض كفاية ، والتي إذا خلا منها بلد أثم أهل ذلك البلد .

ولقد ارتفع التعليم عند المفكرين المسلمين إلى مرتبة المسئولية الأخلاقية العالية ، مسئولية تثقل ضمائرهم ، وتحرك عقولهم بعديد من الأسئلة ؛ تنم عن بالغ حرصهم على ممارسة وظائفهم التعليمية بما يرضى الله ، ويقرب العالم من مثوبته .

ويعد هذا تسام بالتعليم عن الحرفة والارتزاق إلى مرتبة الواجب الديني ، ونورد هنا مثلا واضحا كل الوضوح في الدلالة على نوعية تقدير المفكرين المسلمين لواجبهم التعليمي والتربوي أورده ابن حجر الهيثمي في رسالته (تحرير المقال) ، وجعله أساسا لكتابة الرسالة ذاتها ، فهذا معلم يمارس التعليم للوهلة الأولى في حياته فيما يبدو ، وهو يجابه بجملة قضايا تتعلق بإدارة المدرسة-مكتب- ومعاملة التلاميذ فيها (وطريقة تعليمهم وتفريق أعطياتهم فيها) وهو ينظر إلى الأمور نظرة دينية صرفة ، و يريد أن يتثبت من كل نقطة فيها حذر الوقوع في معصية غير مقصودة ، ومخافة ارتكاب خطأ تعاقب عليه الشريعة ، فيكتب إلى ابن حجر مستفسرا : (وما قولكم رضي الله عنكم وأرضاكم وجعل الجنة متقلبكم ومثواكم في مكتب موقوف على عدة أيتام ، فرر

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،ج١،مصدر سابق،ص٦٧.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٩.

ناظره فقيها لقراءتهم وتأديبهم ، فهل يلزمه أن يرسل خلف من غاب منهم أو لا ؟ ، فإن قلتم نعم ، فهل يلزمه ذلك من ماله بأن يستأجر من يحضر غائبهم ، أو من مال الوقف ؟ ، وهل له أن يرسل بعضهم خلف بعض لإحضار من تغيب وهرب منهم أو لا ؟ ، وإذا قلتم لا يلزمه الإرسال ، فهل يلزمه إعلام الناظر عن الغائب منهم ؟ ، وإن علم أن إعلامه بذلك لا يحمله على إحضارهم بل على إخراجهم وتقرير غيرهم فهل يخبره أم لا ؟ ، وهل له ضرب من شرد منهم وأخذ شيئا للغير أو سبه وعلم الفقيه ذلك منه أو ظنه فيه بقولة مقبول الرواية ، فهل له أن يضربه عليه كما ضربه على تعليمه وتأديبه ؛ ولا سيما إن نطق بفحش من القول ؟ ، أو لا يضربه إلا على مجرد التعليم ؟ ، وهل يفترق الحال في ذلك بين المميز وغيره والمراهق للبلوغ وغيره ممن لم يراهق أو لا ؟ ، وهل للضرب الجائز له مقدار ، أو يرجع إلى اجتهاده فيجب الاقتصار على ما ظنه كافيا في الأمر الذي ضرب لأجله ، ويتقيد ذلك بعدد وهو بلوغ أدنى حدوده لو بلغ ؟ ، وهل للأم دخل في الإذن للفقيه في استخدامهم لقضاء حاجة تتعلق بالفقيه أو ببعض الأيتام ؟ أم أن القاضي هو الذي يأذن في ذلك ؟ ، وهل له إلزام حاذقهم بإقراء أو تعليم بليدهم ؛ لأن في ذلك مصلحة للحاذق بترسيخ ما حفظه عنده فيأمن من تشتته أو لا ؟ ، وهل التصرف في معلوم [1] الشاردين للفقيه ؟ فيصرفه حتى لنفسه ؟ أو للناظر فيصرفه في البقية ؟ أو يعيده إلى أصل الوقف ؟ ، ولو أذن الناظر للفقيه في معلوم من غاب أن يأخذه لنفسه فهل يعمل الفقيه بهذا الإذن أو لا ؟ ، وهل إذا أعطى أهل اليتيم لليتيم شيئا من طيب أنفسهم عند ختم سورة مثلا يجوز قبوله أم لا ؟ ، وهل للفقيه أن يقرئ بأجرة في الكتاب المذكور زائدا على عدد الأيتام يتيما أو أكثر بإذن الناظر وعدمه أم لا ؟ ، وإذا جعل ولي يتيم غير مقرر للفقيه جعلا ليسعى في تكميل عدد الأيتام به إذا نقصوا ، أو استأجره بأجرة معلومة ليقرأ به شيئا معينا من القرآن ، والقصد بذلك ملازمة اليتيم للكتاب حتى يكمل به نقص العدد فهل ذلك جائز أم لا ؟ .

---

(١) المقصود بالمعلوم هو المخصصات المفروضة للطلبة و أعطياتهم.

وغرض هذه المسألة أن الواقف لم يعرف شرطه في ذلك ، ولا مضت عادة للفقهاء يستقضى بها ؛ بل هو وقف جديد أبهم أمره ، والغرض الخلاص من ورطته ، لاسيما وهو متعلق بأيتام ؛ غالبهم لا ولي له من نحو وصي ، وقد أشكل الأمر في هذه الأحوال فتفضلوا ببسط بيانها) [1] .

أربعة عشر سؤالا عن أربع عشرة قضية تدور كلها حول مركز الطالب ، تثور في ضمير معلم يخشى الله فيستفتي فيها أهل الذكر تحسبا من غضب الله ، الأمور الصغيرة التي يمر بها معلم اليوم دون تفكير أو تدبر أو تقدير كانت عند المعلم المسلم تتضخم تحت نور العقيدة المخلصة لتنقلب إلى إشكال ديني يتطلب التثبت والتأكد من وجه الشك والصواب فيه ؛ ضرب تلميذ هارب من المدرسة يجوز أم لا يجوز ؟ وإذا جاز فما هو عدد الضربات المأذون بها ؟ ، وهل يضرب بعلم وليه أم بدونه ؟ ، وهل يضرب الطالب الهارب أو المنقطع ؟ حقا إن النور يدل على مصدر الضوء كما يقال ، وعندما يشتق سلوك العالم والمعلم وتقديره لعمله من التزام مخلص بالدين يتحول إلى مجموعة من المثل العليا ، لقد كان هذا الإحساس الديني بالمسئولية الأخلاقية للعلماء والمعلمين يترجم عن توتر خلاق ودافع في أفكار المفكرين المسلمين حتى أخذوا العلم مأخذا أخلاقيا مثاليا محضا ، فلم يغلبوا أي اعتبار آخر على هذا الاعتبار الأخلاقي .

- اتجاه الفقهاء والمحدثين (مدرسة الأثر) :

كان أول الاتجاهات ظهورا في الفكر الإسلامي هو اتجاه الفقهاء والمحدثين ، ونظرا للتداخل الشديد والصلة القوية بين الفقهاء والمحدثين ، حيث إن كثيرا من المحدثين هم من أهل الفقه ، والعكس صحيح ، ومع وجود بعض أوجه الخلاف بينهما ، فسوف يتناولهما البحث كاتجاه واحد لما بينهما من أوجه اشتراك كثيرة في السمات والخصائص .

---

(١) ابن حجر الهيثمي:تحرير المقال،دار ابن كثير،بيروت،١٩٨٧م،ط٢،،ص٦٨-٦٩.

أولى الفقهاء والمحدثون عنايتهم الشديدة بالأخلاق عموما ، و بـ (آداب العالم والمتعلم) خصوصا ، وقد صدروا في هذا الاهتمام من منطلق أنهم حملة الشريعة ، ومبلغوها ، وورثة الأنبياء ، وتابعوهم ، وأنهم معلمو الناس الخير ، وهداتهم إلى ما ينفعهم في الدنيا والآخرة .

والذي لا شك فيه أن هذا الاتجاه يعد أكثر الاتجاهات شيوعا وانتشارا ، نفوذا وتأثيرا نظرا لقرب الفقهاء والمحدثين من الناس ، وشدة اختلاطهم بهم .

و من هنا لم يكن غريبا أن هذه المدرسة كانت أكثر المدارس انغماسا في أمور التربية والتعليم بحكم طبيعتها ، وأهدافها ، وبحكم موقعها ، وتأثيرها في أمور الحكم والمحكومين [1] .

– خصائص وسمات هذا الاتجاه :

اتسم هذا الاتجاه ببعض الخصائص والصفات في مجال التربية الأخلاقية عامة ، وآداب العالم والمتعلم خاصة ، وسنحاول أن نقف على أهمها فيما يلي :

١– الغاية الدينية :

اتسم الفكر الأخلاقي لدى هذا الاتجاه بالغاية الدينية ، حيث كانت النظرة الفقهية في التربية والتأديب تهدف إلى صياغة الإنسان وفق مفاهيم الدين الإسلامي الحنيف وتعاليمه ، فالدين هو أساس كل تربية ، والموجه الرئيسي لكل نشاط إنساني فرأوا أن عمل العالم المربي و المعلم يدور كله في طار الدين والشرع ، ويستلهمه من أجل غرس معتقداته وقيمه في نفس المتعلم ، وفي سلوكه ، وفي فكره ، ليكون هو الدافع والمحرك له .

إذن فمقصود الفقهاء والمحدثين وغايتهم الأولى هي إيجاد الإنسان الذي يحفظ الدين ويغار عليه ، ويمتثل لأوامره ونواهيه ، ذلك الإنسان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويلتزم بما ورد في الكتاب والسنة ، ويقتدي بالسلف الصالح ، وباختصار

---

(١) يراجع: د. أحمد فؤاد الأهواني:التربية في الإسلام،مرجع سابق،ص٩١-٩٤.

كانت نظرة الفقهاء والمحدثين للتربية الأخلاقية والسلوكية نظرة ذات صبغة دينية محافظة .

كما تعامل هذا الاتجاه مع العلم والتعلم تعاملاً دينيًا صرفًا ، ويضيق عنده معنى العلم حتى ليتحدد بـ (العلم المحتاج إليه في الحال ، الموصل إلى النفع في المآل) [1] .

وبهذا يتوجب على المتعلم (أن يبتدئ أولا بكتاب الله العزيز فيتقنه حفظًا ويجتهد في إتقان تفسيره وسائر علومه ؛ فإنه أصل العلوم وأمها وأهمها ، ثم يحفظ من كل فن مختصرًا يجمع بين طرفيه من الحديث وعلومه والأصول والنحو والتصريف) [2] .

و يمثل المذهب كل من ابن سحنون والغزالي ، والقابسي ، وابن عبد البر ، والخطيب البغدادي ، وابن جماعة ، وغيرهم ، وهم عمومًا يُقَوِّمون العلوم تقويمًا دينيًا محضًا ، ويزنون صلاحها للحياة وشرعية وضعها بين أيدي المتعلمين بميزان الدين وحده ، وقد قسمت العلوم عند أصحاب هذا المذهب إلى علوم مفروضة فرض عين ، وقالوا إن المراد بها (العلم بكيفية العمل بالواجب وقت وجوبه) فمن علم العلم الواجب وقت وجوبه فقد علم العلم الذي هو فرض عين .

وواضح أن المراد بـ (العلم الواجب وقت وجوبه) علوم الفرائض الدينية ، ثم هناك العلوم المفروضة فرض كفاية ، وهي التي لا يستغنى عنها في قوام أمور الدنيا ، كالطب الذي هو ضروري في حاله بقاء الأبدان على الصحة ، وكالحجامة والحساب ، وغير ذلك من العلم الذي لو خلا منه البلد أثم أهله ، وفرض الكفاية هو ما إذا قام به فرد أو أفراد من الجماعة كفى وسقط الفرض على الآخرين ، وقد شبه الطوسي النوع الأول من هذه العلوم بالطعام الذي لا يستغني عنه ، والثاني منها بالدواء الذي يؤخذ عند الضرورة وحسب .

ثم هناك من العلم ما هو فضيلة وليس بفريضة ، كالتعمق في دقائق الحساب

---

(١) الطوسي:آداب المتعلمين،مصدر سابق،ص٤٤.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١١٢-١١٣.

وحقائق الطب ، ثم هناك الممدوح والمذموم من العلوم ، وهي كما يقول عنها الغزالي فروع وآلات ومتممات ومنها الفلسفة التي هي ليست علما برأسها بل هي أربعة أجزاء ، أحدها الهندسة والحساب وهما مباحان ، ولا يمنع منهما إلا من خيف عليه أن يتجاوز إلى علوم مذمومة ، والثاني منها هو المنطق وهو بحث في وجه الدليل وشروطه ووجه الحدوث وشروطه وهما داخلان في علم الكلام ، و الثالث الإلهيات وهو بحث في ذات الله سبحانه وتعالى ، والرابع الطبيعيات ، وبعضها مخالف للشرع والدين والحق ، فهو جهل وليس بعلم [1] .

لقد قاد هذا الموقف إلى تصور سلم من القيم ترتب العلوم بموجبه ترتيبا أفقيا حسب ما نسبوا إلى كل منها من شرف ، وسلم القيم يكشف عن الأهمية التي أسندها إلى كل منها ، فالغزالي يقرر أن العلوم الدينية (وهي فقه طريق الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء ، والعقل أشرف صفات الإنسان إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل إلى جوار الله) [2] .

أما ابن جماعة فقد كانت المسألة لديه أكثر وضوحا ، فإذا (تعددت الدروس قدم الأشرف فالأشراف والأهم فالأهم ؛ فيقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم الخلاف أو النحو أو الجدال) [3] .

٢–ابتغاء الدار الآخرة :

ابتغى الفكر الأخلاقي لاتجاه الفقهاء والمحدثين تحقيق ونيل السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة ، فليست الحياة في نظرهم إلا ممر يؤدي إلى الآخرة ، والانغماس فيها قد يؤدي إلى الانحراف عن الصراط المستقيم الذي رسمه الله سبحانه وتعالى لعباده ، والمؤدي إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، فالحياة الجسدية والتساهل في تلبية متطلبات الجسد قد يؤدي إلى التمادي فيها والإمعان في طلب المزيد باستمرار،

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٣٣-٣٤.
(٢) المصدر السابق:ج١،ص٤٣.
(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣٥-٣٦.

وفي هذا ما فيه من الشرور والمفاسد ، والانصراف عن الغرض الأسمى وهو "الآخـرة"، لذا كان التوجه نحو دعوة العالم والمتعلم إلى الزهد في الحياة ، والانصراف عن الانهماك فيها بالكلية ، وحث العلماء على توجيه وتنشئة طلبة العلم منذ البدء على الزهـــد في الدنيا ليصبح عدة وحياة وسلوكا .

٣- السعي نحو تحقيق القيم العليا في التربية :

قدم الفقهاء والمحدثون صورة مثالية للعالم والمتعلم ، وقد استمدوا هذه الصـــورة واستلهموها من الدين الحنيف وتعاليمه ، فجعلوا منه كائنا مثاليا في تعامله مع روحـــه ونفسه ، مع ربه وخالقه ، مع أبناء جنسه ، وقد حاولوا من خلال التربيـــة والتعليـــم تحقيق هذا الكائن المثالي وإيجاده في الواقع ، وأدركوا أن التربية والتعليم هما السبيل إلى تحقيق ذلك ، فالعالم المعلم هو القادر على تحقيق ذلك الغرض عند المتعلمـــين "طلبـــة العلم" .

وقد وضعوا صفات جمة ، وصاغوا آدابا كثيرة "للعالم والمتعلم" ، حتى ليكـــــاد ينتمي إلى عالم غير عالمه ، وقال عنه الإمام الغزالي "غدا أندر من الكبريت الأحمـــر" ، و "إلا من عصم الله" عند ابن جماعة وغيره .

والحقيقة أن هذه الصورة المثالية للعالم والمتعلم لم يكن الغرض منـــــها وصـــف صورة مستحيلة التحقق في الواقع ، ولكنهم ابتغوا من وراء ذلك أن يحاول العلمــــاء وطلبة العلم الاجتهاد في الاقتراب من هذا النموذج الذي تجتمع فيه كـــل الفضـــائل الأخلاقية والآداب السلوكية ، فلاشك أن خلو الإنسان من النقائص والمثـــالب مـــن المستحيلات ، لكن العلماء والمتعلمين عليهم أن يتخلصـــوا منـــها ، أو يجتـــهدوا في التخلص من كثير منها ، والتحلي بأعلى وأكمل الأخلاق والآداب .

٤- اقتران العلم بالعمل أو (النظرية بالتطبيق) :

مما يتميز به الفكر الأخلاقي عند الفقهاء والمحدثين ، ويعد من مآثره ربـــط العلم بالعمل ، إنها ظاهرة أخلاقية تربوية شديدة البروز عندهـــم ، "فـــالعلم إمـــام ،

والعمل تابعه" ، والعالم والمعلم قدوة ، ومثال يحتذى به ، والأنظار متوجهة إليه ، والمتعلم سوف يتهيأ ويستعد لأخذ مكانه وموقعه في المجتمع ، وعليه أن ينشأ ويعود على العمل المطابق للعلم ، وعليهما -العالم والمتعلم- تقع مسئولية جذب عامة الناس نحوهما ، بل نحو الدين الحنيف ، لكونهما النموذج والرمز الذي يحتذى و يقتدى به ، ويسير الآخرون على نهجهما ، فالعمل هو مقياس "حسن النية" ، وصلاح الباطن ، والعمل بالنسبة للعلم كالثمرة بالنسبة للشجرة ، فكما أن الغرض من غرس الشجر هو تحصيل ثمره ، أيضا العمل بالنسبة للعلم هو الثمرة المتوخاة من التعلم والتعليم ، (إن الغرض الذاتي من العلم مطلقا هو العمل) (١) .

و لم يرد الفقهاء والمحدثون للعالم والمتعلم أن يكونا "كالحمار يحمل أسفارا" حتى إن درجة الإخلاص للعلم والدين كان مقياسها العمل ، "فالعلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل" كما قال علماء السلف ، والسلوك الصادر عن أهل العلم وطلبته يجب أن يكون متطابقا مع علمهم ، فمطابقة الأقوال للأفعال هي مقياس الصدق والإخلاص ، وحسن النية ، وكيف لا يكون العمل هو الغاية والغرض ، وبالعمل وحده يدخل المرء ملكوت السماوات ، كما قال الغزالي : (العمل بالعلم الذي هو خلاص الإنسان ، لأن العمل هو الزاد الوحيد في طريق الخلاص وكلما كان الزاد أكبر كان الخلاص أضمن) (٢) .

- منهج الفقهاء والمحدثين في تناول الموضوع :

اتسم تناول الفقهاء والمحدثين لموضوع "آداب العالم والمتعلم" بمنهج ذي ركائز وأسس لم تتغير ، على مدار تاريخهم الفكري ، وأهم ملامح هذا المنهج ما يلي :

١- الاعتماد على القرآن والحديث الشريف كمصدرين أساسيين من مصادر آداب العالم والمتعلم ، ثم آثار السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأعلام .

---

(١) د.عبد الأمير شمس الدين:الفكر التربوي عند ابن سحنون،مرجع سابق،ص ٢٠٤- ٢٠٥.

(٢) الغزالي:ميزان العمل،مرجع سابق،ص٢١٧.

٢- اهتم الفقهاء بحشد أكبر كمية من النصوص في كل مسألة أو فكرة يتعرضون لها ، وفي الغالب ، لا يكون هناك اهتمام بالتحليل أو النقد ، مما دفع أحد الباحثين إلى القول بأن الفكر الأخلاقي التربوي عند الفقهاء ، يكثر من التكديس والتوصيف ، ويقل اهتمامه بالتحليل والنقد [1] .

٣- يتسم المنهج الفقهي بالصبغة الوعظية الإرشادية.

٤-النمطية ، حيث اتخذت طريقة التأليف شكلا يكاد يكون واحدا ، عند أصحاب هذا الاتجاه ، مع اختلافات يسيرة بينهم ، في طريقة التبويب والعرض ، لكن في كثير من الأحيان نجد تطابقا واضحا في العناوين ، والمحتوى العلمي ، بل والشواهد المتضمنة ، فتبدأ أغلب مؤلفاتهم بالحديث عن فضل العلم وشرفه ، ومكانة العلماء وطلبة العلم ، ثم الحديث عن الإخلاص في طلب العلم ، ثم يبدأ الحديث عن آداب العالم والمتعلم المتعددة .

وفي هذا الجدول مقارنة بين محتويات أربعة من الكتب ، لنتبين منها إلى أي مدى تظهر هذه النمطية في مؤلفات أصحاب هذا الاتجاه

محتويات كتاب أخلاق العلماء للآجري	محتويات كتاب تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة	محتويات كتاب جامع بيان العلم لابن عبد البر	محتويات كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للبغدادي
باب ما جاءت به السنن والآثار من فضل العلماء في الدنيا والآخرة	الباب الأول في فضل العلم والعلماء ، وفضل تعليمه وتعلمه	الأبواب الاثني عشر الأولى في فضل العلم وشرفه ، وفضل العالم والمتعلم	باب النية في طلب الحديث
باب أوصاف العلماء الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا	الباب الثاني (الفصل الأول) في أدب العالم في نفسه ، وما على	باب جامع في آداب العالم والمتعلم	باب ما ينبغي للراوي والسامع أن يتميزا به من الأخلاق الشريفة

(١) د. عبد الأمير شمس الدين:الفكر التربوي عند العلموي،دار اقرأ،بيروت،١٩٨٥،ط١،ص٢٠.

والآخرة	العالم من دوام مراقبة الله تعالى ، وصيانة العلم ، والتخلق بالزهد والقناعة ، وتتريه العلم عن المطامع ، والمحافظة على شعائر الإسلام ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، والتتره عن الأخلاق الرديئة ، إلخ		
باب صفة طالب العلم في طلب العلم	الفصل الثاني في آداب العالم في درسه	فصل فيما ينبغي أن يتحلى به العالم	باب آداب الطلب
صفته في مشيه إلى العلماء	الفصل الثالث في آداب العالم مع طلبته	فصل يجمع بعض المتفرقات عن سمات العالم و المتعلم	باب الاستئذان على المحدث ، وباب الدخول على المحدث
صفة مجالسته للعلماء	الباب الثاني (الفصل الأول)في آداب المتعلم في نفسه	باب ذم الفاجر من العلماء ، وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا	باب تعظيم المحدث ، وباب أدب السماع ، وباب أدب السؤال للمحدث
صفته إذا عرف بالعلم	الفصل الثاني في آداب المتعلم مع شيخه	باب جامع القول في العلم بالعمل	باب أدب الاستعارة
صفة مناظرة هذا العالم	الفصل الثالث في آداب المتعلم في دروسه ، ومع زملائه	باب ما يلزم العلم إذا سئل عما لا يدره من وجوه العلم	باب أخلاق الراوي وما ينبغي له استعماله مع أتباعه وأصحابه
أخلاق هذا العالم ومعاشرته للخلق	الباب الرابع الآداب مع الكتب	باب في المناظرة والجدال	باب توقير المحدث طلبة العلم

أخلاقه وأوصافه فيما بينه وبين ربه	الباب الخامس آداب سكنى المدارس		باب آداب مجلس الحديث
أخلاق العالم الجاهل المفتتن بعلمه			باب المذاكرة مع الأقران والأتراب
وصف من لم ينفعهم الله بالعلم			

-أبرز شخصيات اتجاه الفقهاء والمحدثين :

لقد برز من مدرسة الفقهاء والمحدثين مجموعة كبيرة من الشخصيات الفذة ، التي تميزت بالعمق الفكري ، والتجديد والاجتهاد ، الذي أثرى المكتبة الإسلامية بمجموعة ضخمة من المؤلفات ؛ حوت من الأفكار و النظريات ما سبقوا به كثير من الحضارات القديمة و الجديدة [1] ، ومن أشهر وأبرز هذه الشخصيات :

- **أبو حنيفة (ت١٥٠هـ) :**

هو النعمان بن ثابت ، فقيه العراق وأحد الأئمة الأربعة ، أصحاب المذاهب المشهورة ، ولد في العراق عام ٨٠ هـ .

نشأ بالكوفة ، وأخذ العلم عن كبار التابعين ، برع في الفقه ، واشتهر بالرأي والقياس ، حتى سميت مدرسته بـ(مدرسة الرأي) .

قرأ عليه عظماء الكوفة وبغداد ، وتخرج على يديه الكثير من العلماء المشاهير ، منهم أبو يوسف ، وزفر ، ومحمد بن الحسن .

كان -رحمه الله- من أكثر الخلق ذكاء ، ورحمة بالناس ، وتهجدا ، وورعا ، و عبادة ، وقراءة للقرآن ، وتوخيا للكسب الحلال ، حيث كان -رحمه الله- يتاجر في

(١)د.ماجد عرسان الكيلاني:الفكر التربوي عند ابن تيمية،دار التراث،الأردن،ط،١٩٨٦،ص٤٥.

الخز ، و رغب عن وظائف الملوك والأمراء والخلفاء ، عرض عليه القضاء من قبل بني أمية ، ثم من المنصور إلا أنه رفض .

توفي -رحمه الله- ببغداد سنة ١٥٠هـ .

لم يترك الإمام أبو حنيفة مصنفات مكتوبة كثيرة ، حيث انصب جهده واهتمام بتأسيس مدرسة كبيرة في الفقه ، ذات منهج وأسس فريدة ، كما ترك مجموعة كبيرة من التلاميذ الذين أكملوا المسيرة ، وقدموا للفقه الإسلامي عصارة جهدهم واجتهادهم ، ومن أهم ما خلفه أبو حنيفة من مصنفات مدونة ما يلي :

١-رسالة الفقه الأكبر (١)

٢-الفقه الأبسط (٢)

٢-رسالة العالم والمتعلم (٣)

٣-مسند أبو حنيفة (٤)

٤-وصية الإمام أبو حنيفة إلى تلميذه أبي يوسف (٥)

٥-وصية الإمام أبو حنيفة إلى أبي عثمان البتي (٦)

٦-وصية الإمام أبو حنيفة إلى أصحابه حال وفاته (٧)

وتعد وصيته إلى تلميذه أبي يوسف أول ما وصل إلينا مكتوبا في موضع بحثنا .

---

(١) مطبوعة بتعليق العلامة محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

(٢) مطبوعة بتعليق العلامة محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

(٣) مطبوعة بتعليق العلامة محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، القاهرة .

(٤) مطبوع ، دار الكتب العلمية،بيروت،ط١،١٩٨٤م .

(٥) مطبوعة بتعليق عبد الرحمن حسن محمود ، مكتبة الآداب ، القاهرة .

(٦)مطبوعة بتعليق عبد الرحمن حسن محمود ، مكتبة الآداب ، القاهرة .

(٧)مطبوعة بتعليق عبد الرحمن حسن محمود ، مكتبة الآداب ، القاهرة .

- اهتمام الإمام أبو حنيفة بآداب العالم والمتعلم :

لقد نشأ الإمام أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- على الدين ، راغبا في التفقه فيـــه ، حريصا على تبليغه إلى الناس .

ولقد اهتم بآداب العالم والمتعلم كرجل خبير عاش التربية والتعليم منذ نعومـــة أظافره ، وعاشه بعد ذلك تعليما وإرشادا وتوجيها وإفادة ، حتى قبضه الله تعـــالى في السبعين من عمره وهو يعلم الناس أن الموت على الحق خير من الحياة على شفا جرف هار .

ويظهر هذا الاهتمام من خلال سيرته ومسيرته ، وتبلورت أفكاره الخاصة بـآداب العالم والمتعلم في مجموعة من المبادئ الخلقية العالية ، ويمكن تلخيصها علـــى النحـــو التالي :

١-الحرص على التعليم والإفادة ابتغاء مرضات الله تعالى :

قال يزيد بن الكميت : (كان الإمام يناظر رجلا فقـــال الرجـــل : اتـــق الله ، فانقبض الإمام وارتعد وطأطأ رأسه ، ثم قال : يا أخي جزاك الله خيرا ، مـــا أحـــوج الناس إلى من يذكرهم الله تعالى وقت إعجابهم بما يظهر على ألسنتهم من العلم حـــتى يريدوا الله بأعمالهم ، اعلم أني ما نطقت بالعلم إلا وأنا أعلم أن الله تعالى يسألني عـــن الجواب ، ولقد حرصت على طلب السلامة) (١) .

وقال مكي بن إبراهيم -أحد شيوخ البخاري- : (كنت أتجر فقال لي الإمـــام : التجارة بلا علم ربما تورث فساد المعاملة ، فما زال بي حتى تعلمت ، فما زلت كلمـــا

---

(١) الإمام حافظ الدين بـــن محمـــد المعـــروف بـــالكردي:منـــاقب أبي حنيفـــة،دار إحيـــاء التراث،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص١٦١.

ص ٣٥١.

ذكرته وذكرت كلامه وصليت أدعوا له بالخير ، لأنه فتح علـــي ببركتـــه أبـــواب العلم) [1] .

وقال أبو شهاب الخياط : (سمعت أبا حنيفة يقول : من تعلم العلم للدنيا حـــرم بركته ، ولم يرسخ في قلبه ، ولم ينفع به كثير أحد ، ومن تعلمه للدين ، بورك لـــه في علمه ، ورسخ في قلبه ، وانتفع المقتبسون منه بعلمه) [2] .

٢- التفرغ لتحصيل العلم أولا :

قال أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- لتلميذه أبي يوسف : (واطلب العلم ، ثم اجمـع المال من الحلال ، ثم اشتغل بالتزوج ، فإنك إن اشتغلت بطلب المال في وقت التعلـــم عجزت عن طلب العلم ، ودعاك المال إلى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيـــا ، ثم قال : فإذ جمعت المال فاشتغل بالتزوج وعاشر امرأتك على ما بينت لك ، وعليـك بتقوى الله تعالى ، وأداء الأمانة والنصيحة لجميع العامـــة ، ولا تســـتخف بالنـــاس ووقرهم ولا تكثر معاشرتهم إلا بعد أن يعاشروك ، وقابل معاشرتهم بذكر المســـائل ؛ حتى إن كان من كان من أهله اشتغل بالعلم ، ومن لم يكن من أهله يجتنبك ولا يجـــد عليك ؛ بل لا يحوم حولك) [3] .

٣-الحرص على الزمن :

قال بكر بن جعفر : (ربما دخل رجل على أبي حنيفة -رحمه الله تعالى- فيقـــول له : كيت وكيت ، فإذا أكثر قال : دع ما أنت فيه ، ما تقول في كذا وكذا فيقطـــع عليه كلامه ، ويقول إياكم ونقل ما لا يحبه الناس -أي من حديث الناس- ، عفـــا الله عمن قال فينا مكروها ، ورحم الله من قال فينا جميلا ، تفقـــهوا في ديـــن الله وذروا الناس وما صنعوا لأنفسهم فيحوجهم إليكم) [4] .

---

(١) الكردي:مناقب أبي حنيفة،ص١٣٨.

(٢) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٣٤٩.

(٣) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٣٧٣.

(٤) المرجع السابق:ص٣٥٤.

٤- الإخلاص في العلم والحرص على ظهور الحق :

قال يحيى بن شيبان قال : (قال أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- وقد رأى بعض تلامذته وفيهم ولده حماد يناظرون في الكلام فنهاهم عنه ، فلما قالوا له : رأيناك تناظر فيه وتنهانا عنه ، قال : كنا نناظر وكأن على رؤوسنا الطير مخافة أن يزل صاحبنا ، وأنتم تناظرون وتريدون زلة صاحبكم ، ومن أراد أن يزل صاحبه فقد أراد أن يكفر صاحبه) (١) .

٥- تكريم العلم ومعرفة قدره :

قال إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : (إن أبا حنيفة لما حذق ولده الفاتحة وهب للمعلم خمسمائة درهم ، فقال المعلم : ما صنعت حتى أنفذ إلي هذا ؟! ، وحضره -أي جاء أبو حنيفة إلى المعلم- واعتذر له ، فقال : يا هذا لا تستحقر ما علمت ولدي والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه تعظيما للقرآن) (٢) .

٦- حسن مجالسة أصحابه ومواساقم :

قال الوليد بن القاسم : (كان النعمان بن ثابت الخزاز حسن التفقد لأمور أصحابه ، يسأل عن أحوالهم سرا ، فمن عرف به حاجة واساه ، ومن مات منهم أو قريبا له شيع جنازتهم ، أو نابته نائبة أو أحدا من أصدقائه سعى في حوائجهم ، وكان كريم الطبع حسن المعاشرة) (٣) .

وقال حفص بن حمزة القرشي : (كان أبو حنيفة ربما مر به رجل فيجلس إليه بغير قصد ، ولا مجالسة فإذا قام سأل عنه ، فإن كان به فاقة وصله ، وإن مرض عاده حتى يجره إلى مواصلته ، وكان أكرم الناس مجالسة) (٤) .

---

(١) الكردي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص١٣٨.

(٢) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٢٣٥.

(٣) المرجع السابق:ص٢٣٦.

(٤) المرجع السابق:نفس الصفحة.

٧- مواساته طلابه وإعانته لهم على طلب العلم :

قال اسحاق بن إسرائيل : (كان أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- يواسي أصحابه ويبرهم ، وكان يبعث إلى كل واحد منهم على قدر مترلته في الأعياد .

وقال الحسن بن سليمان : كان جوادا ، ما رأيت مثله ، كان أجرى على أصحابه وظيفة كل شهر ، ومع ذلك فكان يواسيهم في عامة الأيام) (١) .

وقال أبو يوسف -رحمه الله تعالى- : (كنت أطلب الحديث والفقه وأنا مقل رث ، فجاء أبي يوما وأنا عند أبي حنيفة فانصرفت معه ، فقال : يا بني لا تمد رجلك مع أبي حنيفة فإن أبا حنيفة خبزه مشوي ؛ وأنت تحتاج إلى المعاش ، فقصرت عن كثير من الطلب وآثرت طاعة أبي ، فتفقدني أبو حنيفة -رحمه الله- وسأل عني ، فجعلت أتعاهد مجلسه ، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه ، فقال لي : ما خلفك عنا ؟ قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدي ، وجلست فلما أردت الانصراف أومأ إلي فجلست فلما رجع الناس دفع إلي بصرة ، فقال : استعن بهذه ، فنظرت فإذا فيها مائة درهم ، وقال : الزم الحلقة ، فإذا نفذت هذه فأعلمني ، فلزمت الحلقة ، فلما مضت مدة يسيرة دفع إلي مائة أخرى ، ثم كان يتعاهدني ، وما أعلمته بخلة ولا أخبرته بنفاد شيء وكأنه كان يخبر بنفادها ، حتى استغنيت وتمولت فلزمت مجلسه حتى بلغت حاجتي وفتح الله تعالى لي ببركة وحسن نيته ما فتح من العلم والمال ، فأحسن الله عني مكافأته وغفر له) (٢) .

٨- ملاطفته الطلبة ومنحهم حرية الكلام في مجالس العلم :

قال أبو سليمان الجوزاني : (كان أبو حنيفة سهل الله له هذا الشأن -يعني الفقه- ، وتبين له ، وكان يتكلم أصحابه في مسألة من المسائل ويكثر كلامهم وترتفع أصواقم ، ويأخذون في كل فن وأبو حنيفة ساكت ، فإذا أخذ أبو حنيفة في شرح ما

---

(١) الكردي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٢٦٦.

(٢) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٣٦٩.

كانوا فيه سكتوا كأن ليس في المجلس أحد ، وفيهم الرتوت -الرؤساء- من أهل الفقه والمعرفة ، وكان أبو حنيفة يتكلم يوما وهم سكوت فلما فرغ أبو حنيفة من كلامه قال واحد منهم : سبحان الله أنصت الجميع لك) (١) .

(وحين مر ابن عيينة يوما بأبي حنيفة وهو مع أصحابه في المسجد ، قد ارتفعت أصواتهم ، قال : يا أبا حنيفة هذا المسجد وهذا الصوت لا ينبغي أن يرفع فيه ، قال : دعهم فإنهم لا يفقهون إلا بهذا) (٢) .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : (وطريقة أبي حنيفة في درسه تشبه أن تكون دراسة لا إلقاء الدروس على التلاميذ ، فالمسألة من المسائل تعرض له ، فيلقيها على تلاميذه ويتجادل معهم في حكمها ، وكل يدلي برأيه ، وقد ينتفعون منه في المقاييس ، كما روي عن الإمام محمد ، ويعارضونه في اجتهاده ، وقد يتصايحون حتى يعلو ضجيجهم ، ......وبعد أن يقلبوا النظر في كل نواحيه ، يدلي هو بالرأي الذي تنتجه هذه الدراسة ويكون صفوها فيقر الجميع به ، ويرضونه .

والدراسة على هذا النحو هي تثقيف للمعلم والمتعلم معا وفائدتها للمعلم لا تقل عن فائدتها للتلميذ ، وإن استمرار أبي حنيفة على ذلك النحو جعله طالبا للعلم حتى مات ، فكان علمه في نمو متواصل وفكره في تقدم مستمر ، وكان إذا عرض له الحديث تعرف أوجه العلة للأحكام التي يشتمل عليها وناقشهم ، ثم يفرغ من المسائل ما يراه متفقا مع الأصل في العلة ويعد ذاك هو الفقه ، وكان يقول : مثل من يطلب الحديث ولا يتفقه مثل الصيدلاني ، يجمع الأدوية ولا يدري لأي داء هي حتى يجيء الطبيب ، وهكذا طالب الحديث لا يعرف وجه حديثه ، حتى يجيء الفقيه .

ونرى من هذا أنه كان يجعل من تلاميذه مناظرين لا متلقين متوقفين) (٣) .

---

(١) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٤١٨.

(٢) المرجع السابق:ص٣٤٥.

(٣) محمد أبو زهرة:أبو حنيفة،دار الفكر العربي،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص٨٧.

٩- ثناؤه على طلابه ونصحه لهم :

قال أبو يوسف -رحمه الله تعالى-: (اجتمعنا عند أبي حنيفة في يوم مطير في نفر من أصحابه منهم داود الطائي ، وعافية الأودي ، والقاسم بن معن المسعودي ، وحفص بن غياث النخلي ، ووكيع بن الجراح ، ومالك بن مغول ، وزفر بن الهذيل ، وغيرهم ، فأقبل علينا فقال : أنتم مسار قلبي وجلاء حزني ، قد أسرجت لكم الفقه وألجمته ، فإذا شئتم فاركبوا ، وقد تركت لكم الناس يطؤون أعقابكم ويتلمسون ألفاظكم ، وذللت لكم الرقاب ، وما منكم أحد إلا وهو يصلح للقضاء ، وفيكم عشرة يصلحون أن يكونوا مؤدبي القضاة ، فسألتكم بالله وبقدر ما وهب الله لكم من جلالة العلم لما صنتموه عن ذل الاستئمار ، فإن بلي أحدكم بالدخول في القضاء فعلم من نفسه خربة سترها الله عن العباد لم يجز قضاؤه ، ولم يطب له رزقه ، وإن كانت سريرته مثل علانيته جاز قضاؤه ، وطاب رزقه ، فإن دفعته ضرورة إلى الدخول فيه فلا يجعلن بينه وبين الناس حجابا ، وليصل الصلوات الخمس في الجامع ، ولينادِ عند كل صلاة من له حاجة ، فإن صلى صلاة العشاء الآخرة ، نادى ثلاثة أصوات : من له حاجة ؟ ثم دخل إلى منزله ، فإن مرض مرضا لا يستطيع الجلوس معه أسقط من رزقه بقدر مرضه) (١) .

١٠- إعطاء العلم من يحرص عليه :

قال مساور بن الوراق : قال أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- : (لا تحدث بفقه من لا يشتهيه فيؤذيه ويؤذي جليسك ، ومن قطع عليك حديثك فلا تعده فإنه قليل المحبة والأدب) (٢) .

---

(١) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٣٥٩.

(٢) الكردي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٣٥٣.

١٢- لابد من أستاذ مشرف لكل درس :

فالطلاب لا يعلم بعضهم بعضا ، ولا يربي فيهم أخلاق العلم إلا العلماء ، (قيل لأبي حنيفة -رحمه الله تعالى- : في هذا المسجد حلقة ينظرون في الفقه ، قال : ألهم رأس ؟ قالوا لا ، قال : لا يفقه هؤلاء أبدا) (١) .

١٣- الاستعانة على حفظ العلوم بجمع الهم ، وحذف العلائق :

قال ابن وكيع الجراح : (سمعت رجلا يسأل أبا حنيفة بم يستعان على الفقه حتى يحفظ ؟ قال : بجمع الهم ، قال : قلت وبم يستعان على جمع الهم ؟ قال : بحذف العلائق ، قال : قلت : بم يستعان على حذف العلائق ؟ قال : تأخذ الشيء عند الحاجة ولا تزد) (٢) .

١٤- الحض على طلب العلم لأنه رأس العبادة :

قال شقيق بن إبراهيم : (قال أبو حنيفة لإبراهيم بن أدهم : يا إبراهيم إنك رزقت من العبادة شيئا صالحا فليكن العلم من بالك ، فإنه رأس العبادة وقوام الأمر) (٣). وقال أبو يوسف -رحمه الله تعالى- : سئل أبو حنيفة عن مسائل بعد صلاة الصبح فأجاب ، فقال قائل : كانوا يكرهون الكلام في هذا الوقت إلا بخير ، فقال : أي خير أبكر من هذا ، فيقال هذا حلال وهذا حرام ، ينزه الناس عن المعصية ، إن الجراب إذا فرغ منه الزاد جاع صاحبه) (٤) .

١٥- لابد للعلم من أدب واحترام :

لقد كان أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- لا يحدث حتى يغتسل ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ، وكان لا يفتي في الطريق صيانة للعلم وأدبا مع الحديث ، وكان كثير

---

(١) الكردي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص١٧٩.
(٢) ابن حجر العسقلاني:تهذيب التهذيب،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،١-٨١.
(٣) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٣٥٢.
(٤) المرجع السابق:ص٣٥٢.

من المحدثين لا يحدثون في مجالس العلم ، ويطردون عن مجالسهم من يسيء الأدب في مجالسهم .

قال عبد العزيز بن مسلم : (لقيت أبا حنيفة -رحمه الله تعالى- بمنى وسلمت عليه ، وسألته عن حديث ألبان البقر ، فقال : سبحان الله يحملهم الحرص على ترك الأدب ، إن للعلم فضيلة ، وله جلالة ، وصاحبه ينبغي أن يكون له وقار وخضوع وسكون ، ادخر حاجتك إلى غد ، فتباكرت فلم يحدثني ، واشتغلت عنه ، ففاتني الحديث) (١) .

١٦- التحذير من غضب الله تعالى على القول بغير علم :

قال أبو يوسف -رحمه الله- : سمعت أبا حنيفة ....قال : (من تكلم في شيء من العلم وهو يظن أن الله تعالى لا يسأله عنه كيف أفتيت في دين الله ؟ فقد سهلت عليه نفسه ودينه) (٢) .

- **ابن سحنون (ت ٢٥٦هـ)**

هومحمد بن عبد السلام بن سعيد بن حبيب ، اشتهر محمد بابن سحنون ، وسحنون لقب أطلق على والده أبي سعيد عبد السلام ، وسمي بذلك لحدة ذهنه ، وشدة ذكائه ، وسحنون في الأصل طائر في المغرب حديد النظر (٣) .

ولد ابن سحنون في مدينة غدت بالمغرب عام ٢٠٢هـ ، وقد اهتم والده بتربيته ، حيث كان يقول لمؤدبه : (لا تؤدبه إلا بالكلام الطيب ، والمدح ، فليس هو ممن يؤدب بالتعنيف والضرب) (٤) .

---

(١) الموفق المكي:مناقب أبي حنيفة،مرجع سابق،ص٤١٧.

(٢) المرجع السابق:ص٣٥١.

(٣)خير الدين الزركلي:الأعلام،(د.ن)،ط٣،(د.ت)،ج٧،ص٧٦.

(٤) القاضي عياض:ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك،دار مكتبة الحياة، بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ج٣،ص١١٦-١١٧.

عرف ابن سحنون بالورع والتواضع والزهد ، فقد كان منصرفا عن الدنيا رغم مكانته عند الحكام وعامة الناس ، يقول عنه القاضي عياض : (كان ابن سحنون ... سمحا بماله ، كريما في معاشرته ، نفاعا للناس ، مطاعا ، جوادا بماله وجاهه ، وجيها عند الملوك والعامة ، جيد النظر في الملمات) [1] .

كما عرف ابن سحنون بالحلم ، بجانب كونه مجاهدا بقلمه ، فهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وينصح الأمراء ، ويجاهد بسيفه ، فهو يشارك في الجهاد والمرابطة على الثغور ، وشارك في صد عدوان الروم على تونس ، ضاربا بذلك المثل والقدوة للعالم العامل بعلمه [2] .

وكانت للبيئة التي نشأ فيها ابن سحنون الأثر الفعال في إقباله على طلب العلم ، فقد عهد به أبوه سحنون إلى مؤدب منذ صباه ، واهتم كذلك بتعليم ابنه الفقه ، فتلقى العلم على يديه ، كما أخذ ابن سحنون العلم عن علماء عصره المشهورين بأفريقيا ، مثل : الصمادحي ، وابن محي المدني ، و ابن أبي حسن اليحصبي ، وغيرهم ، ثم رحل بعد ذلك إلى مصر والحجاز ، فتزود بالعلم من علمائها ، منهم أبي مصعب الزهري وغيره ، ثم عاد إلى القيروان وقد أدرك من جميع العلوم ما لم يدركه غيره من أهل زمانه [3] . قال عنه أبو العرب : (وكان إماما في الفقه ، ثقة ، وكان عالما بالذب عن مذهب أهل المدينة ، عالما بالآثار ، صحيح الكتاب ، لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه) [4] .

وما كان ابن سحنون يبلغ هذه المكانة ، وذاك الشرف بالراحة والخمول والكسل ؛ بل ناله بالجد والاجتهاد ، والمثابرة و الصبر ، وتحمل المشقة في سبيل تحصيل العلم ، فقد روي أنه كانت له سرية ، فطلب منها ذات يوم أن تعد له طعاما ، وشغل

---

(١) القاضي عياض:ترتيب المدارك وتقريب المسالك،مرجع سابق:ج٣،ص١٠٥.

(٢) المرجع السابق:ج٣،ص٧٦.

(٣) المرجع السابق:ج٣،ص١٠٤.

(٤) المرجع السابق:ج٣،ص١٠٤.

بالتأليف والرد على المخالفين ، وأحضرت الطعام ، وبعد طول انتظار أخذت تطعمه (تلقمه) حتى أتى عليه ، وتمادى في عمله حتى الفجر ، ثم سألها أن تحضر الطعام فأخبرته بأنه أتى عليه دون أن يشعر[1] .

-مؤلفاته :

ترك ابن سحنون عددا كبيرا من الكتب والرسائل في مختلف فروع العلم الموجودة في عصره ، كالفقه والتفسير والحديث والعقيدة والتراجم والسير والتاريخ والأنساب إلخ ، وجاء بعضها على شكل الموسوعات العملية التي شملت الكثير من تلك العلوم والمعارف ، ويقال إن مؤلفاته بلغت المائتي كتاب ورسالة ومصنف ، من أبرزها آداب المتناظرين ، والسير ، والجامع ، وغيرها مما لايزال مخطوطا ، مثل الرسالة السحنونية[2] .

وأهم ما ألف في مجال التعليم هو رسالته المعنونة (آداب المعلمين) وقيل (أدب المعلمين والمتعلمين) ، وهي رسالة صغيرة نسبيا لا يتجاوز عدد صفحاتها ستا وعشرين صفحة من القطع الصغير ، ولكنها على صغر حجمها تحمل دلالات على جانب كبير من الأهمية ، فهي أول ما كتب خاصا بتعليم الأولاد تقريبا ، وما كتب قبلها كان متفرقا ، وقد تبعه العلماء الذي أتوا بعده في هذا المنهج ، فالقابسي في كتابه "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" تأثر إلى حد كبير برسالة ابن سحنون ، رغم فارق الزمان بينهما ، وتعتبر رسالة القابسي تفصيلا وتطويلا لرسالة ابن سحنون ، ويبقى فضل السبق في تخصيص كتاب أو رسالة في هذا الموضوع لابن سحنون .

وتدل هذه الرسالة كذلك على اهتمام المسلمين بتعليم النشء وتنظيمه وتفصيل أحواله في هذه المرحلة المبكرة من تعليمهم وفي هذا الوقت المبكر من الزمان ، وتتضمن الكثير من القيم الإنسانية والمبادئ النبيلة المشتقة من تعاليم الإسلام ، والمطبقة

(١) القاضي عياض:ترتيب المدارك وتقريب المسالك،مرجع سابق:ج٣،ص١١٤-١١٥.

(٢) الزركلي:الأعلام،مرجع سابق،ج٧،ص٧٦.

في مجال التربية والتعليم ، كاحترام الإنسان حتى ولو كان طفلا صغيرا ، والمساواة بين المسلمين في حق التعليم ، لا فرق بين غنيهم و فقيرهم فيه ، ووجوب تعليم الأولاد على آبائهم أو أوليائهم ، والاهتمام بالدين وخاصة القرآن الكريم الذي اعتبر محور التعليم ومنطلقه الأول ، والعناية بتدريس العلوم الأخرى التي كانت موجودة في ذلك العصر ، الأمر الذي يدل على تفتح المسلمين ورغبتهم في المعرفة والعناية بالتربية الخلقية ، والمحافظة على حقوق الإنسان وكرامته .

غير أن ابن سحنون تناول أمور التعليم من الزاوية الفقهية في كثير من المواقف ، وتصور أن هناك عقدا مبرما بين المعلم من ناحية وبين آباء المتعلمين من ناحية أخرى ، ونص على ما لكل طرف في هذا العقد من حقوق وواجبات ، وفصل الكلام في ذلك كما يفعل الفقهاء في أمور المعاملات الأخرى ، بل إنه اعتبر المعلم أجيرا عند الآباء له الحق في الأجر المتفق عليه ، وعليه أن يقوم بتعليم الأولاد على خير وجه ، حتى أننا نستطيع أن نسمي رسالة ابن سحنون (فقه التربية) ، مثل فقه المواريث ، وفقه الوصية مثلا ، هذا بالإضافة إلى أنه تناول موضوعات التعليم انطلاقا من مذهب مالك ، ومن عقيدة أهل السنة التي تؤثر الاتباع على الابتداع .

وقد تناول ابن سحنون في رسالته الموضوعات التالية :

١-ما جاء في تعليم القرآن الكريم .

٢-ما جاء في العدل بين الصبيان .

٣-باب ما يكره محوه من ذكر الله .

٤-ما جاء في الأدب وما يجوز في ذلك وما لا يجوز .

٥-ما جاء في القضاء في هدية العيد .

٦-ما يجب على المعلم من لزوم الصبيان .

٧-ما جاء في إجازة المعلم ومتى تجب .

٨-ما جاء في إجازة المصحف وكتب الفقه .

-آداب العالم والمتعلم في رسالة ابن سحنون :

ابن سحنون من المربين المسلمين الأوائل ، وقبل ذلك هو من فقهاء المالكية البارزين في إفريقية ، وقد عكس في رسالته (آداب المعلمين) ، وجهة نظر الفقهاء المالكية ، وكان له فضل السبق في وضع منهج محدد لتعليم الصغار [1] ، كما أنه خطا في هذا الطريق خطوة عملية فألف كتابه واضعا فيه عناصر منهجه .

وقد عرض ابن سحنون لكثير من الأمور المسائل والتصرفات التي تخص تعليم الصبيان في الكتاب ، مبينا حكمها من الناحية الفقهية ، أحلال هي أم حرام ؟ أجائزة هي أم غير جائزة ؟ ، وحديث ابن سحنون عن هذه المسائل مبعثر في رسالته .

وتحت عنوان واجبات المعلم ، وحقوق المعلم ، تناول ابن سحنون الكثير من الأمور المتعلقة بآداب المعلم ، غير أن الواجبات -عنده- لا تعني دائما الأشياء المفروضة عليه ، بل تشمل كذلك ما يجوز له أن يقوم به ، وكذلك لا تعني حقوقه قبل الصبي أو أبيه أو ما يجب عليهما أداؤها له ، بل تعني كذلك ما ينبغي أن يقوما به قبله ، وكذلك ينبغي أن يكون مفهوما أن واجبات المعلم تعتبر حقوقا للمتعلم والعكس بالعكس .

ومن أهم هذه الواجبات أو الآداب :

١- أن يلزم المعلم الاجتهاد ، وأن يتفرغ لتعليم الصبيان وألا يحضر الصلاة على الجنائز ولا يتبعها ولا يعود المرضى، ويعلل ابن سحنون ذلك بقوله: (لأنه أجير لا يدع عمله) [2] ، (ولا يحل للمعلم أن يشتغل عن الصبيان) [1] ، إلا أن يكون في وقت لا يعرضهم فيه فلا بأس أن يتحدث ، وهو في ذلك ينظر إليهم ويتفقدهم .

---

(١) محمد أحمد جاد:التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص٣٦٩.

(٢) ابن سحنون:رسالة آداب المعلمين،تحقيق العروسي الموطوي،دار الكتب الشرقية،تونس،(د.ط)،١٩٧٢م،ص١٠٠.

٢-وعليه ألا يرسل الصبيان بعضهم في طلب بعض ، (إلا أن يأذن لـــه آبــاؤهم أو أولياؤهم ، أو تكون المواضع قريبة ، وعليه أن يتعهد حضورهم للكتاب آخر النـــهار ويخبر أولياء من لم يجئ أنه لم يجئ) (٢) .

٣-وعلى المعلم ألا يجعل التلاميذ يصرفون أوقاتهم في شيء غير التعلم ، فلا يجوز لـــه مثلا أن يرسل بعضهم في قضاء حوائجه ، بل عليه أن يقوم بذلك بنفسه ، قال : (ولا بأس للمعلم أن يشتري لنفسه ما يصلحه من حوائجه إذا لم يجد من يكفيه) (٣) وهـذا يدل على الالتزام وتحمل الأمانة وأدائها على خير وجه .

٤-ومن واجبه كذلك ألا يشغل نفسه بشيء يصرفه عن متابعتهم وهم يتعلمـــون ، حتى ولو كان هذا الشيء القراءة في كتب العلم ، قال : (ولا بأس أن ينظر في العلـــم في الأوقات التي يستغني الصبيان عنه ، مثل أن يصيروا إلى الكتب (الكتابة) وإمـــلاء بعضهم على بعض إذا كان ذلك منفعة لهم ، فإن هـــذا قـــد ســـهل فيـــه بعـــض أصحابنا) (٤) .

٥-ومن واجبه أن يسوي في التعليم بين الأغنياء والفقراء ، ولا يفرق في المعاملة بـــين هؤلاء وأولئك ، وهذا تطبيق لمبدأ المساواة ، قال : (وليجعلهم بالسواء في التعليـــم ؛ الشريف والوضيع ، وإلا كان خائنا) (٥) ، وروى في ذلك قول النبي ﷺ (أيما مـــؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية فقيرهم مع غنيهم ، وغنيـــهم مـــع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين) (٦) ، كما روى عن الحسن قولـــه (إذا قوطـــع المعلم على الأجرة فلم يعدل بينهم -أي الصبيان- كتب من الظلمة) (٧) .

---

(١) ابن سحنون:رسالة آداب المعلمين،مصدر سابق:ص٩٨.
(٢) المصدر السابق:ص٩٧.
(٣) المصدر السابق:ص١٣٣.
(٤) المصدر السابق:ص١٢٢.
(٥) المصدر السابق:ص١١٣.
(٦) المصدر السابق:ص٨٤.
(٧) المصدر السابق:ص٨٥.

٦-ومن واجب المعلم بصفة عامة أن يقوم بواجبه في تعليم الصبيان ، وأن يرعى الله في ذلك ، وإلا كان من حق آباء الصبيان أو الحاكم أن يؤدبه ويمنعه من مزاولة مهنة التعليم .

٧-أجر المعلم : أجاز ابن سحنون أن يأخذ المعلم أجرا على تعليم الصبيان القرآن الكريم ، قال : (وقال مالك لا بأس بما يأخذ المعلم على تعليم القرآن ، وإن اشترط شيئا كان حلالا جائزا ، ولا بأس بالاشتراط في ذلك) (١) ، ووالد الصبي يدفع هذا الأجر للمعلم ، فإن كان للصبي مال فإن ابن سحنون يرى أن ما يلزم هذا الصبي من مؤونة العلم يكون في ماله وذلك بمنزلة كسوته ونفقته (٢)

وفي هذا دليل على إدراك المسلمين بأهمية التعليم وعلى عنايتهم بتربية الأولاد وذلك قبل أن تتولى الحكومات ذلك عن الآباء بوقت طويل .

وليس من حق المعلم أخذ الأجر على تعليم القرآن فقط ، بل جعلوا له أجرا آخر عندما يختم الصبي القرآن الكريم ، قال ابن سحنون : (وحق الختمة له واجب ، اشترطها أو لم يشترطها ، وعلى ذلك أهل العلم ببلدنا في المعلمين) (٣) .

وينبغي أن نلاحظ حرص ابن سحنون هنا على اقتفاء أثر السابقين وعلى أخذه بالعرف ، وعدم رغبته في الابتداع ، وله أحكام كثيرة في موضوعات تفريعية خاصة بالختم .

وإذا كان من الجائز لمعلم القرآن أن يأخذ الأجر فإنه لا يجوز له أن يقبل الهدية إلا بشروط ، قال ابن سحنون لمن سأله : (وما أهدى الصبي للمعلم أو أعطاه شيئا فيأذن له في ذلك ؟ ، فقال : لا ، إنما الإذن في الختم اليوم ونحوه وفي الأعياد ، قال :

---

(١) ابن سحنون:رسالة آداب المعلمين، مصدر سابق،ص٨٣.

(٢) المصدر السابق:ص١٠٦-١٠٧.

(٣) المصدر السابق:ص٨٣.

من هنا سقطت شهادة أكثر المعلمين لأنهم غير مؤدين لما يجب عليهم إلا من عصم الله) [1] .

وعدم أخذ الهدية إذا كان المعلم يعمل بأجر معلوم كل شهر أو سنة ، (وأما إن كان على غير شرط فما أعطي قبل ، وما لم يعط لم يسأل شيئا) [2] ، و يقول : (ولا يحل للمعلم أن يكلف الصبيان فوق أجرته شيئا من هدية وغير ذلك ، ولا يسألهم في ذلك ، فإن أهدوا إليه على غير ذلك فهو حرام ، إلا أن يهدوا إليه من غير مسألة ، إلا أن تكون المسألة فيه على وجه المعروف ، فإن لم يفعلوا لم يضرهم في ذلك ، وأما إن كان يهددهم في ذلك فلا يحل له ذلك ، أو يخليهم إذا أهدوا له فلا يحل له ذلك ، لأن التخلية داعية الهدية وهو مكروه) [3] .

-الأجر على تعليم غير القرآن :

لا يرى ابن سحنون أن يأخذ المعلم أجرا على تعليم غير القرآن من فقه وشعر ونحو.. الخ ، وإن كان أهل الأندلس يحبذون ذلك ، قال : (روى بعض أهل الأندلس أنه لا بأس بالإجارة على تعليم الفقه والفرائض والشعر والنحو ، وهو مثل القرآن ، فقال : كره ذلك مالك وأصحابنا ، وكيف يشبه القرآن ؟ والقرآن له غاية ينتهي إليها ، وما ذكر ليس له غاية ينتهي إليها ، فهذا مجهول والفقه والعلم قد اختلف فيه ، والقرآن هو الحق الذي لا شك فيه ، والفقه لا يستظهر مثل القرآن ، فهو لا يشبهه ولا غاية له ولا أمد ينتهي إليه) [4] .

ولابن سحنون في موضوع أجر المعلم آراء تفصيلية كثيرة لا داعي لإيرادها هنا ، ويبدو من رأيه في عدم جواز أخذ الأجرة على تعليم غير القرآن التعفف والورع ، وإن كان في مكان آخر من رسالته أجاز أخذ الأجر على تعليم الخط والهجاء ، وقال

---

(١) ابن سحنون:رسالة آداب المعلمين، مصدر سابق،ص٩٥.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق:ص١٣٦.

: (وقد كان النبي ﷺ يفادي بالرجل يعلم الخط)[1] ، ومعنى ذلك أنه لم يقس الفقه وغيره على الخط ، لما في تعليم كل منهما من الجهد الذي يبذله المعلم ، وإنما آثر الاتباع في القياس .

٨-ضرب الأولاد : على الرغم من أن ابن سحنون أجاز للمعلم أن يضرب الصبيان إذا أساءوا المعاملة أو قصروا في التعلم فإنه وضع لهذا الضرب شروطا يجعل ممارسة المعلم لهذا الحق محدودة جدا أو في أضيق الحدود ، ومن تلك الشروط :

أ-أن يستعمل الرحمة والشفقة .

ب-ألا يضربهم وهو غاضب .

ج-أن يكون الضرب لمنفعتهم هم ، لا انتقاما أو شهوة منه في الضرب .

د-ألا يتجاوز ثلاث ضربات ، إلا إذا أذن له الآباء في الزيادة عليها فإنه يجوز له ذلك ، وعلى كل حال لا يتجاوز عشر ضربات ، لأنه لا يتجاوز ذلك إلا في حد من حدود الله .

هـ-أن يكون الضرب بأداة لا تؤذي ولا تجرح كالدرة .

و-ألا تؤذيه في جسمه وإلا كان عليه القصاص .

وهذه الشروط يمكن استخلاصها من حديثه عن الضرب في أماكن متعددة من رسالته .

ولأن ابن سحنون فقيه في المقام الأول اهتم بتفصيل الأحكام الفقهية التي تترتب على إلحاق المعلم أذى بجسمه بسبب الضرب كأن يفقأ عينه أو يمرض بسبب الضرب أو يموت .

ومهما يكن من أمر فإننا نلاحظ من معالجة ابن سحنون لموضوع ضرب الأولاد ما يلي :

---

(١) ابن سحنون:رسالة آداب المعلمين، مصدر سابق،ص١٣١.

أ-عناية المعلم بأخلاق المتعلم ، فلم يكن الضرب قاصرا على تقصير المتعلم في التعليم ، بل على سوء خلقه كأن يكذب أو يؤذي غيره أو يأخذ شيئا منه ، وهذا ما يؤكد أن من أهم أهداف التعليم الأساسية اكتساب الأخلاق الحميدة .

ب-احترام إنسانية المتعلم حتى ولو كان صغيرا ، ذلك أنه وضعت شروط لعقابه ومن أهمها ألا يؤذي في بدنه أو يشوه جسده ، ومنها أن يكون العقاب بقدر الذنب ، وألا يضربه المعلم وهو غضبان ، فمن شأن الغضب أن يحمل على تجاوز الحد وإلحاق الأذى بمن يعاقب.. الخ .

ج-إن ابن سحنون تغلب عليه فقهيته ، فيفصل الأحكام في حالات يبدو أنها كانت منتشرة في وقته .

- **الآجري (ت٣٦٠هـ)**

هو **محمد بن الحسين** ، ينسب إلى آجر وهي قرية من قرى بغداد ، وقد أثنى عليه الخطيب البغدادي ، وذكر له تصانيف كثيرة ، وأنه حدث ببغداد قبل سنة ثلاثمائة وثلاثين ، ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى توفي بها عام ٣٦٠هـ [(١)] .

وقد عاش الآجري في عصر الازدهار العلمي الإسلامي ، في القرن الرابع الهجري ، الذي انتشرت فيه وتعددت مدارس العلم ومعاهده ، ولم يقتصر الازدهار العلمي على ميدان دون آخر بل شمل ميادين العلم المختلفة [(٢)] .

ويعد الآجري من أبرز العلماء في مدرسة الفقهاء والمحدثين ، وتتلمذ على يديه كثير من العلماء، كما ألف أكثر من أربعين كتاباً في مختلف العلوم ، كالحديث والفقه والأخلاق ، ويعتبر الآجري من دعاة الإصلاح الديني والاجتماعي والتربوي في

---

(١) الخطيب البغدادي:تاريخ بغداد،مرجع سابق،ج٢،ص٢٤٣.

(٢) د.حسن عبد العال:التربية الإسلامية في القرن الرابع الهجري،مرجع سابق،ص٢٨.

عصره (1) ، وعلى يديه تخرج عدد من مشاهير العلماء أمثال أبي نعيم صاحب حلية الأولياء ، وأبي الحسن الحمامي شيخ العراق ومسند عصره ، وغيرهما .

ويعد عصر الآجري من العصور التي كثرت فيها الاختلافات المذهبية ، وظهور الفرق المختلفة ، وساءت معاملاتهم فيما بينهم ، وكثرت المناظرات ، وهاجم العلماء بعضهم بعضاً (2) ، من أجل ذلك ألف الآجري كتابه "أخلاق العلماء" تهذيباً لسلوك العلماء ، وتغييراً للاتجاه السائد بينهم ، وذلك بالدعوة إلى العودة إلى منهج علماء السلف ، والاقتداء بأخلاق النبي ﷺ وأخلاق أصحابه ، حيث عقد الآجري في كتابه فصلاً في آداب العلماء بعضهم مع بعض ، ومع أنفسهم ، وفي دروسهم ، مبيناً طريقة السلف من العلماء ، وعقد فصلاً في آداب المناظرة الصحيحة ، وبين أن الغرض منها إظهار الحق وإبطال الباطل ، وفصلاً آخر في طرق التدريس ،ويعد كتابه هذا من أهم الكتب في بابه ، واحتوى كتابه أخلاق أهل القرآن فصلاً في آداب حملة القرآن ، وما ينبغي له القيام به ، والابتعاد عنه ، وفصلاً في آداب القراءة و الإقراء ، وآخر في آداب المقرئ مع نفسه ومع معلم وأقرانه .

- **ابن عبد البر (ت٤٦٣هـ)**

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (3) ، ولد في الخامس والعشرين من ربيع الآخر عام ٣٦٨هـ .

بدأ طلبه العلم في قرطبة مسقط رأسه ، وتفقه على أبي عمر أحمد بن عبد الملك الإشبيلي وغيره ،كما أنه أخذ الحديث عن أبي الوليد ابن الفرضي وغيره (4) ، وقد

---

(١) محمد سعيد عمر:مقدمة تحقيق كتاب تحريم النرد والشطرنج والملاهي للآجري،إدارة البحوث العلمية،الرياض،ط١، ١٩٨١م،ص٢٤.

(٢) عبد الفتاح فؤاد:في الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام،منشأة دار المعارف،الإسكندرية،ط١، ١٩٨٣م،ص٤٦.

(٣) القاضي عياض:ترتيب المدارك وتقريب المسالك،مرجع سابق،ج٤،ص٨٠٨.

(٤) المصدر السابق:ج٤،ص٨٠٨-٨٠٩.

اجتهد ابن عبد البر في طلبه للعلم مما جعله يبرع ويتقدم على أقرانه ، قال عنه أبو علي الجباني : (وصبر أبو عمر على الطلب ، ودأب فيه ، ودرس وبرع براعة فاق فيها من تقدمه من رجال الأندلس ، وعظم شأن أبي عمر بالأندلس وعلا ذكره في الأقطار ، ورحل إليه الناس وسمعوا منه) (١) .

وبهذه الهمة العالية والجهد الوافر صار أبو عمر من كبار العلماء والحفاظ ، ولم يقتصر طلبه على علم الحديث ؛ بل اشتغل بالتاريخ والأدب ، فهو مؤرخ بحاثة أديب ، وارتحل إلى غرب الأندلس وشرقها ، طلباً للعلم وملاقاة العلماء (٢) .

- أهم مؤلفاته :

١-جامع بيان العلم وفضله

٢-الاستيعاب

٣-التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد

٤-بهجة المجالس وأنس المجالس

وغيرها الكثير مما لا يزال مخطوطاً ، وتوفي ابن عبد البر في يوم الجمعة في آخر يوم من ربيع الآخر عام ٤٦٣هـ .

وقد قدم ابن عبد البر خلاصة تجربته ، وحصيلة علمه ، فيما يتعلق بآداب العالم والمتعلم في كتابه الموسوعي (جامع بيان العلم وفضله) ، ويمكن أن نلخص أهم المبادئ والآداب التي أوردها في كتابه على النحو التالي :

١-مبدأ وجوب نشر العلم وتحريم كتمانه :

قال ابن عبد البر : (وسارعت فيما طلبت رجاء عظيم الثواب ، وطمعًا في الزلفى يوم المآب ، ولما أخذه الله عز وجل على المسؤول العالم ، بما سئل عنه

---

(١) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مرجع سابق، ج٤، ص٨٠٩.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص٨٠٨-٨٠٩.

من بيان ما طلب منه ، وترك الكتمان لما علمه ، قال الله عز وجل ﴿وإذ أخــذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ (١) ، وقــال ﷺ : (من سئل علما علمه ، فكتمه جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار) (٢)) (٣).

وقال الحسن : (دخلنا فاغتممنا ، و خرجنا فلم نزدد إلا غما ، اللهم إليــك نشكوا هذا الغثاء الذي كنا نحدث عنه ، إن أجبناهم لم يفقهوا ، و إن ســكتنا عنهم وكلناهم إلى عي شديد ، و الله لولا ما أخذ الله علي العلماء في علمهم ما أنبأناهم بشيء أبدا) (٤) .

وعن أبي هريرة أنه كان يقول : (لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شــيئا أن الله يقول ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات و الهدى من بعــد مابينــاه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا و أصلحوا و بينــوا ، فأولئك أتوب عليهم و أنا التواب الرحيم﴾ (٥) ، ثم قال إن الناس يقولون أكثر أبــو هريرة وذكر الحديث (ما من رجل حفظ علما فسئل عنه فكتمــه إلا جــاء يــوم القيامة ملجما بلجام من نار) (٦) ، وهذا المبدأ التربوي هو الذي ساد العمل بــه في العالم الإسلامي في عصور نهضته وازدهاره .

٢ ـ مبدأ وجوب طلب العلم :

قال ابن عبد البر : باب قوله ﷺ : (طلب العلم فريضة علي كل مسلم) .

ثم ذكر ، تعليقا علي الحديث لا سحق بن راهوية يقــول : (طلــب العلــم واجب ، و لم يصح فيه الخبر إلا أنه يلزمه طلب علم ما يحتاج إليه من وضوئه و صلاته

---

(١) سورة آل عمران:آية ١٨٧.
(٢) الحديث صحيح ، رواة الترمذي .
(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،المطبعة المنيرية،القاهرة،(د.ط)،١٩٧٨م،ص٣-٤ .
(٤) المصدر السابق:ص ٥ – ٦.
(٥) سورة البقرة:آية ١٥٩.
(٦) الحديث صحيح ، رواه الترمذي .

وزكاته إن كان له مال وكذلك الحج وغيره ، وما وجب عليه من ذلك لم يستأذن أبويه في الخروج إليه) [1] .

ثم ذكر رأيه فقال : (قد أجمع العلماء علي أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة بنفسه .. من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان و الإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ، و الشهادة بأن محمدا عبده ورسوله و خاتم أنبيائه حق وأن البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان و الطاعة في الجنة ، ولأهل الشقاوة والكفر و الجحود في السعير ، وإن القرآن كلام الله وما فيه حق من عند الله ، يجب الإيمان بجميعه ، واستعمال محكمه ، وأن الصلوات الخمس فرض ، ويلزمه علم ما يفسد صومه ومالا يتم إلا به ، وإن كان ذا مال وقدرة على الحج لزمه فرضا أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ومتى تجب وفي كم تجب ، ويلزمه أن يعلم بأن الحج عليه فرض مرة واحدة في دهره إن استطاع إليه سبيلا .. إلى أشياء يلزمه معرفة بجملها ولا يعذر بجهلها ، نحو تحريم الزنا و الربا و تحريم الخمر و الخنزير ، وأكل الميتة ، و الأنجاس كلها ، و الغصب و الرشوة على الحكم و الشهادة بالزور وأكل أموال الناس بالباطل .. وتحريم الظلم كله وتحريم نكاح الأمهات و الأخوات ومن ذكر معهن . وتحريم قتل النفس) [2] .

وقد ساق العديد من الأحاديث في وجوب طلب العلم وفضله [3] ، ومن أقوال السلف في مواطن من كتابه .

وهكذا سبق علماؤنا إلى تحقيق مبدأ (إلزامية التعليم) ، وهو ما تحاول التربية الحديثة تحقيقه اليوم ، لكن علماؤنا قرروا مبدأهم على كل المستويات و الأعمار ، فلم يخل مسلم ولا مسلمة من تعلم مبادئ الإسلام وبعض آيات القرآن و الحقوق و

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر السابق،ج١،ص٧-٩.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص١٠-١١.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص٧،٥٤،٥٨.

الواجبات و الآداب الإسلامية و العقيدة وأركان الإيمان والإسلام ، وأصبح كل فرد في الأمة على جانب من الثقافة .

٣ ـ مبدأ العمل بالعلم :

عقد الإمام ابن عبد البر أكثر من باب لهذا المبدأ إلا أنه صرح به في آخر باب (ذم العالم على مداخلة السلطان الظالم) حيث قال : (قد ذم الله في كتابه قوما ، ما كانوا يأمرون الناس بأعماله البر ولا يعملون بها ذما ، ووبخهم الله به توبيخا يتلى على طول الدهر إلى يوم القيامة فقال : ﴿ **أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون** ﴾[١]) [٢] .

وقد عقد أبوابا لبيان هذا المبدأ ، نذكر بعض عناوينها ، لأن علماء الحديث أول ما كانوا يستنبطون الفقه من الحديث كانوا يضعون فقههم في عناوين أبواب كتبهم ، كما فعل البخاري ، وهكذا ضمن عالمنا آراءه حول هذا المبدأ في عناوين مثل :

(باب ما جاء في مساءلة الله عز وجل العلماء يوم القيامة عما عملوا فيما علموا) ، ثم ذكر حديث (**أول الناس يقضي فيه يوم القيامة ثلاثة .. ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن ، فأتى به ، فعرفه نعمه ، فعرفها فقال عملت فيها ..** الحديث) [٣] .

ثم عقد بابا آخر سماه (باب جامع القول في العمل بالعلم) ، ذكر فيها أحاديث نبوية وأقوالا لكبار الصحابة و العلماء والخلفاء والتابعين كعمر و الحسن البصري وإبراهيم بن أدهم ، وسفيان الثوري وغيرهم ، كلها تؤيد هذا المبدأ وتبين وجوب العمل بالعلم ، كقول المأمون : (نحن إلى أن نوعظ بالأعمال أحوج منا أن نوعظ

---

(١) سورة البقرة:آية ٤٤.

(٢) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٩٤.

(٣) المصدر السابق:ج٢،ص٢،والحديث صحيح،رواه مسلم.

بالأقوال) ، وقول أنس بن مالك : (تعلموا ما شئتم أن تعلموا فإن الله لا يأجركم على العلم حتى تعملوا به ، إن العلماء همتهم الوعاية وإن السفهاء همتهم الرواية) (١) .

كما ساق حوادث واقعية وأخباراً مؤثرة ، كلها تدل على أن هذا المبدأ راسخ في نفوس جمهور علماء الأمة وعامتها وأمرائها وحكامها منذ عهد الرسول ﷺ إلى زمن الإمام ابن عبد البر ، وإنه يأخذ بهذا المبدأ ، ويذكره في كتابه ليعمل الناس به ويتعظوا .. وإن سعادة الأمة في الدنيا و الآخرة لا تتحقق إلا بتحقيق هذا المبدأ .

وهذا يثبت لنا سبق المفكرين المسلمين إلى هذا المبدأ قبل أن يأخذ به الغربيون ويقيموا على أساسه (الانقلاب الصناعي) الذي قام على أساس استخدام قوانين العلم في الصناعة ، أي العمل بها وهو أساس مبدأ التقنية .

٤- مبدأ الإخلاص لله في طلب العلم وإرادة الخير به :

عقد ابن عبد البر لهذا المبدأ بابا من كتاب (جامع بيان العلم وفضله) سماه (باب ذم الفاجر من العلماء وذم طلب العلم للمباهاة والدنيا) (٢) ، ثم روى حديث عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : (**لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ، ولا لتماروا به السفهاء ولا لتحتازوا به المجالس ، فمن فعل ذلك فالنار النار**) (٣) ، ثم قال : (وهذا الوعيد لمن لم يرد بعلمه شيئا من الخير) ، ثم روى عن رجل من أهل العراق : (أنهم مروا على أبي ذر فسألوه أن يحدثهم ، فقال لهم : تعلمون أن هذه الأحاديث التي يبتغي بها وجه الله ، لا يتعلمها أحد يريد بها عرض الدنيا فيجد عرف الجنة أبدا) (٤) .

فهذا الباب وما فيه من ذم من لا يريد الخير بعلمه ، ولا يقصد إلا الدنيا ، ومن تصريح أبي ذر بأن هذه الأحاديث يبتغى بها وجه الله دليل على هذا المبدأ : الإخلاص لله في طلب العلم وإرادة الخير به .

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج٢،ص٤.
(٢) المصدر السابق:ج١،ص١٨٦.
(٣) المصدر السابق:ج١،ص١٨٧،والحديث صحيح،رواه ابن ماجة.
(٤) المصدر السابق:ج١،ص١٨٧.

ثم روى بعد ذلك عشرات من الآثار وأقوال التابعين بهذا المعنى ، من ذلك قول سفيان الثوري : (إنما يطلب الحديث ليتقي به الله عز وجل فذلك فضله على غيره من العلوم) [1] ، وقول حماد بن سلمة : (من طلب الحديث لغير الله مكر به) [2] ، وعن إبراهيم التيمي قال : (من طلب العلم لله عز وجل آتاه الله منه ما يكفيه) [3] .

ولقد جعل علماؤنا أول مراتب العلم النية ، ذكره ابن عبد البر عن بعضهم في باب منازل العلم ، فروى عن ابن المبارك قوله : (أول العلم النية) [4] ، وإذا أطلقت النية في طلب العلم أرادوا بها النية الخالصة لله تعالى ، وإلا لم يكن علمه صحيحا .

٥-مبدأ مجانية التعليم :

روى ابن عبد البر عن أبي العالية قال : (مكتوب عندهم في الكتاب الأول : ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا) ، وقال ابن عبد البر معناه عندهم : كما لم تغرم ثمنا ، فلا تأخذ ثمنا ، والمجان عندهم الذي لا يأخذ ثمنا) [5] ، ثم أيد هذا المعنى بحديث عن أبي هريرة قال : قال ﷺ **(من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة)** ، بمعنى ريحها) [6] ، وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : **(علماء هذه الأمة رجلان: رجل أعطاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه صفرا ، ولم يشتر به ثمنا أولئك يصلي عليه طير السماء وحيتان البحر ودواب الأرض ، والكرام الكاتبون ، ورجل آتاه الله علما فضربه عن عباده وأخذ به صفرا واشترى به ثمنا فذلك يأتي يوم القيامة ملجما**

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٩١.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص١٩١.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص١٩١.

(٤) المصدر السابق:ج١،ص ١١٨.

(٥)المصدر السابق:ج١،ص١٨٩.

(٦) المصدر السابق:ج١،ص٩٠،والحديث صحيح،رواه أبو داوود،وابن ماجة.

بلجام من نار) [١] .

٦- مبدأ نشر العلم وتبليغه :

عقد ابن عبد البر لهذا المبدأ باب (دعاء رسول الله ﷺ لمستمع العلم وحافظه ومبلغه) [٢] ، وذكر في هذا الباب روايات وألفاظا عديدة لحديث زيد بن ثابت وابن مسعود أن النبي ﷺ قال : **(نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)** [٣] .

ثم روى في آخر الباب حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : **(تسمعون ويسمع منكم ، ويسمع ممن يسمع منكم)** [٤] ، ثم قال : وفي هذا الحديث أيضا دليل على تبليغ العلم ونشره [٥] ، فدل قوله هذا على أنه عقد الباب لتثبيت هذا المعنى ، وهو نشر العمل وتبليغه ، وإن كان فيه دلالة على معان أخرى ، أيضا يدل على هذا المبدأ قوله ﷺ في هذا الحديث : **(فرب حامل فقه ليس بفقيه)** ، وفي لفظ **(فرب مبلغ أوعى من سامع)** ، وفي لفظ **(ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه)** ؛ فدلت هذه الألفاظ على أن النقل والنشر والتبليغ مقصد نبوي قائم بذاته غير مقصد الفهم والعمل والتفقه بمعنى الحديث ، ويدل عليه أيضا حديث **(بلغوا عني ولو آية)** [٦] ، **(وليبلغ الشاهد الغائب)** ، وحديث **(رحم الله من تعلم فريضة أو فريضتين يعمل بهما أو علمهما من يعمل بهما)** [٧] .

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص٣٨،والحديث ضعيف،رواه الطبراني في الأوسط.

(٢) المصدر السابق: ج١،ص٤٣.

(٣) الحديث صحيح رواه الترمذي.

(٤) الحديث صحيح،رواه أبو داوود.

(٥) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص٤٣.

(٦) الحديث صحيح،رواه البخاري .

(٧) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص٤٢،والحديث رواه ابن الشيخ.

٨- مبدأ الأمانة العلمية والصدق في نقل العلم وإصلاح اللحن والخطأ:

ضمن ابن عبد البر هذا المبدأ في (باب آفة العلم وغائلته وإضاعته) (١)، حيث ذكر عددا من الآثار عن التابعين والعلماء، كالزهري الذي قال: (... ومن غوائله الكذب فيه وهو شر غوائله) (٢)، و أورد المؤلف أثرا عن محمد بن سيرين قال: (كان أنس بن مالك إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثا ففرغ منه قال: أو كما قال رسول الله ﷺ) (٣)، وأورد هذا الأثر في باب كأنما عقده ليدلنا على حرص السلف على الأمانة في نقل العلم و الحديث فقال في عنوانه: (باب الأمر بإصلاح اللحن و الخطأ في الحديث وتتبع ألفاظه ومعانيه) (٤)، ثم نقل عن الأوزاعي قوله: (أعربوا الحديث فإن القوم كانوا عربا)؛ أي حركوا أواخر ألفاظه، وعن ربيعة بن زيد: (أن أبا الدرداء كان إذا حدث عن رسول الله ﷺ ثم فرغ منه قال: اللهم إن لم يكن هذا فشكله) (٥).

وعن محمد بن المثنى قال: (سألت أبا الوليد عن الرجل يصيب في كتابة الحروف: المعجم غير معجم، أو يجد الحرف المعجم تغير بعجمة، نحو التاء ثاء و الباء ياء، وعنده في ذلك التصحيف، والناس يقولون الصواب؟، قال: يرجع إلى قول الناس، فإن الأصل الصحة) (٦).

وأصل هذا المبدأ وما تفرغ عنه حديث رسول الله ﷺ: **(ومن كذب علي فليتبوأ مقعده من النار)** (٧).

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٠٧-١٠٨.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص١٠٧-١٠٨.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص ٧٨-٧٩.

(٤) المصدر السابق:ج١،٧٨-٧٩.

(٥) المصدر السابق:ج١،ص ٧٨-٧٩.

(٦) المصدر السابق:ج١،ص٨٠.

(٧) الحديث حسن،رواه أبو داوود.

٩- آداب العالم والمتعلم :

ذكر ابن عبد البر آداباً للعالم والمتعلم في أبواب من كتابه نذكر منها :

أ-التواضع وترك الدعوى و الفخر :

قال ابن عبد البر : (ومن أدب العالم ترك الدعوى لما لا يحسنه ، وترك الفخر بما يحسنه ، إلا أن يضطر إلى ذلك ، كما اضطر يوسف عليه السلام حين قال : ﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ ، وذلك أنه لم يكن بحضرته من يعرف حقه فيثني عليه بما هو فيه ، ويعطيه بقسطه ، ورأى أنه ذلك المقعد لا يقعده غيره من أهل وقته إلا قصر عما يجب لله من القيام به من حقوقه ، فلم يسعه إلا السعي في ظهور الحق بما أمكنه ، فإذا كان ذلك فجائز للعالم حينئذ الثناء على نفسه والتنبيه على موضعه ، فيكون حينئذ يحدث بنعمة ربه عنده على وجه الشكر لها .

وأفضح ما يكون للمرء دعواه بما لا يقوم به ، وقد عاب العلماء ذلك قديما وحديثا) [(١)] .

فهذان أدبان من آداب طلب العلم يتولهما أدب ثالث عند الضرورة فتكون ثلاثة :

١- أن يترك العالم الدعوى لما لا يحسنه ، لئلا يفتضح أمره ، ويرتكب ما عابه العلماء.

٢- أن يترك الفخر بما يحسنه ؛ لأن ذلك ينقص من قدره ، فالتواضع خير له وأبقى لمكانته وهيبته .

٣-يجوز للعالم الثناء على نفسه بما هو فيه عند الاضطرار ، إذا لم يوجد من يقوم مقامه فيما يثني به على نفسه من أمر التعليم ؛ لئلا تضيع حقوق المتعلمين .

وقد أفرد ابن عبد البر للتواضع فصلاً بعنوان (فصل في مدح التواضع وذم

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٤٥.

العجب وطلب الرياسة) [1] ، ذكر فيه حديث (**وما تواضع أحد إلا رفعه الله**) [2] ، ثم أورد كلام أيوب السختياني : (ينبغي للعالم أن يضع التراب على رأسه تواضعًا لله) [3] .

ب-الترحيب بالأحداث وتعليمهم والتلطف بهم :

وقد أفرد فصلاً لهذا الأدب من آداب العلماء ، فدل على اهتمام ابن عبد البر به ، قال : (وروينا عن أبي هارون وشهر بن حوشب قالا : كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري يقول : مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ ، قال رسول الله ﷺ :(**ستفتح لكم الأرض ويأتيكم قوم أو قال غلمان حديثة أسنانهم يطلبون العلم ويتفقهون في الدين ويتعلمون منكم ، فإذا جاءوكم فعلموهم والطفوا بهم ، ووسعوا لهم في المجلس ، وأفهموهم الحديث**) [4] قالا : فكان أبو سعيد يقول لنا : مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ أمرنا رسول الله ﷺ أن نوسع لكم في المجلس ، وأن نفهمكم الحديث) [5] .

ويستنبط من هذا :

١- بذل عناية خاصة بالأحداث ، والتلطف بهم إذا طلبوا العلم .

٢- الترحيب بالوافدين من البلاد الأخرى لطلب العلم ، وتعليمهم .

٣- التوسيع في المجلس لطالب العلم وللوافدين الراحلين لطلب العلم.

٤- إفهام المتعلم ما يريد تعلمه ، وعدم الاقتصار على الاستحفاظ ، بدليل لفظه (**وأفهموهم الحديث**) .

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٤١.

(٢) الحديث صحيح،رواه مسلم والإمام أحمد والترمذي .

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٤٢.

(٤) الحديث حسن ، واه الترمذي وابن ماجة .

(٥) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٤٥-١٤٦.

ج-احترام العالم والتأدب بحضرته :

قال ابن عبد البر : (ويروى عن علي بن أبي طالب أنه قال : من حق العالم عليك :

١- إذا أتيته أن تسلم عليه خاصة ، وعلى القوم عامة .

٢- وتجلس قدامه بأدب ، لا تغمز بعينيك ، ولا تشر بيديك .

٣- ولا تأخذ بثوبه ، ولا تلح عليه في السؤال .

٤- ولا تقل فلان قال خلاف قولك .

٥- وأن تجله) [1] .

د- ومن آداب العالم والمتعلم :

قال ابن عبد البر : (وقالوا : من تمام آلة العالم :

١- أن يكون مهيبًا ، وقورًا ، بطيء الالتفات ، قليل الإشارة ، لا يصخب .

٢- ولا يلعب ، ولا يجفو ، ولا يلغو .

٣- ويكفيه أن يتأدب بأدب الإسلام ، ثم يفعل ما يشاء ، ... بلغني أن إسماعيل بن إسحاق قيل له : لو ألفت كتابًا في آداب القضاء ، فقال : وهل للقاضي أدب غير الإسلام ؟ .

٤-والواجب على العالم ألا يناظر جاهلا ولا لجوجا ، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر) [2] .

٥- ومن آداب العالم حسن السمت ، وقلة الكلام ، قال ابن عبد البر : (وأحسن ما رأيت في آداب التعلم والتفقه من النظم ما ينسب إلى اللؤلؤ من الرجز ، وبعضهم

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٤٥-١٤٦.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص١٤٦.

ينسبه إلى المأمون ، ثم ذكر الأرجوزة ومنها :

والأدب النافع حسن السمت ... وفي كثير القول بعض المقت

٦- والسكوت عما لا يعلم وعد الاستعجال بالإجابة) [1] .

٧- والاعتراف بجهل مسألة إذا سئل عنها وكان لا يعرفها ، وقد عقد ابن عبد البر بابا لهذا بعنوان (باب ما يلزم العالم إذا سئل عما لا يدريه من وجوه العلم) [2] ، بدأه بحديث ابن عمر سئل فيه الرسول ﷺ : (**أي البقاع خير؟ فقال لا أدري ، حتى أخبره جبريل عن الله : إن خير البقاع المساجد**) [3] .

٨- وألا يجيب حتى يفهم جيدا سؤال السائل ، قال ابن عبد البر : (أوصي يحيى بن خالد ابنه جعفرا فقال : لا ترد على أحد جوابا حتى تفهم كلامه ، فإن ذلك يصرفك عن جواب كلامه إلى غيره ، ويؤكد الجهل عليك ، ولكن أفهم عنه ، فإذا فهمته فأجبه ، ولا تعجل بالجواب قبل الاستفهام ، ولا تستح أن تستفهم إذا لم تفهم ؛ فإن الجواب قبل الفهم حمق) [4] .

٩- أن يضع علمه حيث يعلم أنه ينفع :

وفي هذا يروي عن شعبة قال : (رآني الأعمش وأنا أحدث قوما فقال : ويحك يا شعبة ، وتعلق اللؤلؤ في أعناق الخنازير ؟) [5] ، وروى عن خالد بن يزيد بن عبد الله بن المختار قال : (نكر الحديث الكذب فيه ، وآفته النسيان ، وإضاعته أن تحدث به من ليس من أهله) [6] .

وعن رؤبة بن العجاج قال : (أتيت النسابة البكري ، قال لي : لعلك من قوم أنا

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٤٦ - ١٤٧.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص١٤٨.

(٣) الحديث صحيح،رواه ابن حبان ، والبيهقي في سننه.

(٤) المصدر السابق:ج٢ ص٤٩ - ٥٠.

(٥) المصدر السابق:ج١،ص١٠٨.

(٦) المصدر السابق:ج١،ص١٠٨.

بين أظهرهم إن سكت لم يسألوني وإن تكلمت لم يعوا عني ؟ ، قلت أرجو ألا أكـون منهم ثم قال لي يا رؤبة : إن للعلم آفة وهجنة ونكرا ، فآفته نسـيانه ، وهجنتـه أن تضعه عند غير أهله ، ونكره الكذب فيه) [1] .

وقد روى جزءا من هذا الأثر مرفوعا بسنده حدثنا الأعمش قال : قال رسـول الله ﷺ : (آفة العلم النسيان ، وإضاعته أن تحدث به غير أهله) [2] .

وروى عن الحجاج بن أرطأة قال : قال عكرمة : (إن لهذا العلم ثمنا ، قيل ومـا ثمنه ؟ قال : أن تضعه عند من يحفظه ولا يضيعه) [3] .

• **الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)**

هو أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد ، واشتهر بالخطيب البغـدادي ، ولـد في جمادى الآخرة عام ٣٩٢هـ [4] .

نشأ الخطيب البغدادي في رعاية والده فعلمه القرآن ، ثم دفعه إلى مؤدب ليعلمـه القراءة والكتابة ، و لما بلغ الحادية عشر من عمره بدأ في سمـاع الحديـث ، ثم درس الفقه ، ولما بلغ العشرين من عمره رحل إلى البصرة لسماع الحديث ، و مر بالكوفة ثم رجع إلى بغداد ، و في الثالثة والعشرين من عمره رحل إلى نيسـابور و أصبـهان و همذان والجبال و دينور ، ثم عاد إلى بغداد ، و قد صار محدثا و راويا كبيرا .

مكث الخطيب البغدادي في بغداد إلى أن بلغ الثانية والخمسين مـن عمـره ، و عندها خرج إلى الحج ودخل إلى دمشق وصور ليسمع من محدثيها ، ثم عاد بعد الحـج إلى بغداد ، و لما وقعت فتنة البساسيري المشهورة خرج مهاجرا إلى دمشق ، و اسـتقر بها حتى بلغ التاسعة والستين ، فقصد صور وبقي فيها عاما ، وعـزم بعدهـا علـى

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص١٠٩.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص١٠٨،والحديث ضعيف، رواه الدارمي.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص١٠٩.

(٤) ابن خلكان:وفيات الأعيان،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،١٩٤٨م،ط١،ج١،ص٧٦.

الرجوع إلى بغداد فرجع إليها مارا بطرابلس وحلب ، و بقي في بغداد حتى توفي فيـها عام ٤٦٣هـ ، و له من العمر واحد وسبعون سنة .

-إنتاجه الفكري :

ألف الخطيب ستة وثمانين مصنفا ، منها سبعة و ثلاثون مصنفا في الحديث و علومه و ٢٥ مصنفا في التاريخ ، و ١٤ مصنفا في الفقه و أصوله ، و ٣ مصنفات في الرقائق و مصنفان في العقائد ، و ٣ مصنفات في الأدب ، ومصنفان أحدهما مجهول الموضوع والآخر قد لا تصح نسبته إليه وهو في الرقائق .

لقد اهتم الخطيب بالأحاديث النبوية المتعلقة بالعلم وطلبه فألف كتابا في حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم ، وألف كتابا في ثلاثة أجزاء في حديث قبض العلم ، بالإضافة إلى كتب وأجزاء أخرى في الحديث ، ولا شك أن مؤلفاته في مصطلح الحديث وآداب الرواية تولي عناية خاصة بالجانب الأخلاقي والتعليمي، وقد صنف الخطيب البغدادي مجموعة كتب في آداب المحدث وطلبة الحديث منها :

١-الكفاية في علم الرواية .

٢-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع .

٣-اقتضاء العلم العمل .

٤-شرف أصحاب الحديث .

٥-نصيحة أهل الحديث .

٦-الرحلة في طلب الحديث .

٧-تقييد العلم .

وهذه المؤلفات في قوانين الرواية وآدابها ، وآداب المحدثين ومكانتهم هي مظنة وجود الآراء والأفكار التربوية والتعليمية التي اهتم بها الخطيب البغدادي ، وعلاجها

من وجهة نظر المحدثين ، وهي وجهة تختلف عن مناهج الأخرى من الفلاسفة والصوفية ، وغيرهم .

وثمة كتاب مهم للخطيب لابد أن ينوه به هو كتاب الفقيه والمتفقه الذي ألفه في موضوع أصول الفقه ، وآداب الفقيه والمتفقه .

وهذه المؤلفات لم تكتب في الأخلاق أو نظرية المعرفة كما هي في مباحث الفلاسفة ، وإنما ألفت جميعا على طريقة المحدثين بالاعتماد على سرد الروايات بأسانيدها التي تنتهي عادة في أعلاها إلى النبي ﷺ ، أو أحد الصحابة أو التابعين ، والمقصود بيان السنة أو منهج السلف أو رأي علمائهم في الجزئيات العلمية المطروحة ، وأحيانا يكتفي الخطيب بسرد أقوال السلف أو الأحاديث النبوية تحت عناوين دالة دون أن يتدخل بالشرح والتحليل ، وأحيانا أخرى يتدخل لاستخلاص قاعدة عادة أو استنباط بعرض المفاهيم .

اهتمام الخطيب البغدادي بآداب العالم والمتعلم والتعليم :

لم يؤلف الخطيب كتابا متخصصا وشاملا لكل هذه الموضوعات ، لكنه تناول الموضوعات المتعلقة بآداب العالم والمتعلم والتعليم في بعض مؤلفاته بأسلوب المحدثين في عصره ، فهو يسعى لحشد الشواهد والأدلة لكل مبدأ أو قاعدة أو توجيه فكري أو أخلاقي أو تعليمي ، ليبين أن السنة النبوية تقر تلك المبادئ والتوجيهات ، وأن السلف الصالح عملوا بمقتضاها ، والأصل عنده التأكيد على مناهج السلف التي يريد من أبناء عصره أن يعملوا وفقها .

ويمكن إيجاز أهم المسائل المتعلقة بآداب العالم والمتعلم والتعليم فيما يلي :

-مكانة العلم :

اهتم الخطيب ببيان مكانة العلم ، وأنه فريضة دينية على كل مسلم ، كما تكلم في كتابه (شرف أصحاب الحديث) عن الأحاديث التي تحث على تبليغ العلم

ونشره [1] ، وتكلم في كتابه (الرحلة في طلب الحديث) عن أهمية بذلك المجهود في طلب العلم ولقاء العلماء [2] ، واهتم بالحديث في كتابه (الجامع) عن استحضار النية في طلب العلم ، ليكون طلب العلم عبادة لله تعالى [3] .

-أهمية العلماء :

العلم في نظر الخطيب يرتبط ارتباطا وثيقا بحملته ، وهو ينقص بموت العلماء ، ومن هنا اهتم بتأليف كتاب (طرق حديث قبض العلم) ، وقد سجل في كتابه (شرف أصحاب الحديث) ما روي عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء في شرف أصحاب الحديث وفضلهم وعلو مرتبتهم ونبلهم ومحاسنهم المذكورة ومعالمهم المأثورة ، وسرد الأشعار في الثناء عليهم [4] .

-التعليم في الصغر :

أكد الخطيب في كتابه (نصيحة أهل الحديث) على أهمية طلب العلم في الصغر ؛ لأنه حسب رأيه أثبت ، ولأن المرء إذا كبر استحيا أن يأخذ العلم عن الأصاغر [5] .

ورجح الخطيب أن سماع العلم يصح لمن سنه دون ثلاثة عشرة [6] ، ولكن الرواية وأداء العلم لا يكون إلا بعد البلوغ وأن يكون الراوي وقت أدائه عاقلا مميزا [7] .

---

(1) الخطيب البغدادي:شرف أصحاب الحديث،دار الوعي،حلب،١٩٧٨م،ط١،ص ٧.

(2)الخطيب البغدادي:الرحلة في طلب الحديث،دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت،د.ط،ص ١٩.

(3) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ص ٨١.

(4) الخطيب البغدادي:شرف أصحاب الحديث،مصدر سابق،ص ٢٠ وما بعدها.

(5) الخطيب البغدادي:مختصر نصيحة أهل الحديث،دار الأصالة،الخرطوم،١٩٨٨م،ط١،ص ٣٥.

(6) الخطيب البغدادي:الكفاية في علم الرواية،دار الكتب العلمية،بيروت،د.ت،د.ط،ص٥٤ .

(7) المصدر السابق:ص٧٦ .

- الفهم وليس الحفظ وحده :

نصح الخطيب أهل الحديث بأن يتفقهوا في الحديث وألا يكتفوا بحفظه وروايته ؛ مبينا أن التفقه يكون بمعرفة واستنباط معاني الحديث ، وإمعان النظر فيه ، وبين أن الطعن على المحدثين يأتي من جهلهم بأصول الفقه وأدلته ، فإذا عرف صاحب الحديث بالتفقه خرست عنه الألسن (١) .

وبهذا تناول الخطيب موضوعا خطيرا يمس التعليم ، حيث كان الحفظ يطغى على التفكير والفهم والتحليل ، وقد يؤدي إلى تعطيل ملكة الفهم والقدرة على التحليل والتركيب ، وهذه المشكلة مازالت تواجه الثقافة الإسلامية والتعليم الإسلامي المعاصر ، ولكن الحفظ يبقى ضروريا لبعض جوانب الثقافة الإسلامية ؛ مثل حفظ القرآن الكريم والأحاديث النبوية (٢) .

- تدوين العلم :

لاشك أن كتابة العلم تحفظه من الضياع ، وتمنع احتكاره من قبل فئات محدودة ، وتؤدي إلى نموه المنظم وتراكمه وتحديده كما ونوعا وتمكن من الإضافة عليه بوضوح ودقة ، وقد صنف الخطيب كتابا سماه (تقييد العلم) جنح فيه إلى رفع التناقض بين الأحاديث النبوية التي تسمح بالكتابة والأحاديث التي تمنع منها ، وانتهى إلى بيان الرخصة بالكتابة ، مستدلا بالأحاديث وبعمل الصحابة والتابعين ومن بعدهم ؛ مبينا فضل الكتب وبيان منافعها ، مستشهدا بأقوال أئمة الأدب (٣) ، وقد بين في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع) أنواع الكتب وآلات النسخ وما يستحب من

---

(١) الخطيب البغدادي:مختصر نصيحة أهل الحديث،مصدر سابق،ص ٤٢.

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، مصدر سابق،ج٢،ص٢٥٠-٢٥٢.

(٣) الخطيب البغدادي:تقييد العلم،دار الوعي،حلب،١٩٧٥م،ط٣،ص ٢٤ وما بعدها.

الخط وكيفية تنظيم الكتابة [1] ، وقد حدد آلات النسخ بالمحبرة ، والقلم ، والسكين ، والحبر والكاغد [2] .

ويوصي الخطيب بتحسين الخط وجودته [3] ، إلا إذا كان الطالب فقيرا لا يجد من الكاغد سعة ، أو أن يكون مسافرا فيلدق خطة ليخفف حمل كتابه [4] ، وينصح بإبانة الخط [5] ، و عدم المشق والتعليق .

وينبغي أن يبتدأ ببسم الله الرحمن الرحيم في كل كتاب من كتب العلم [6] ، ثم يكتب اسم الشيخ الذي سمع منه الكتاب وكنيته ونسبه [7] ، ويتم تقييد الأسماء بالشكل والإعجام حذرا من التصحيف والإبهام [8] ، ويجعل بين كل حديثين دارة تفصل بينهما [9] ويستحب أن تكون الدارات خلية من النقط في وسطها ، فإذا عورض الحديث نقط في الدارة التي تليه نقطة أو خط في وسطها خطا وقد كان بعض أهل العلم لا يعتد من سماعه إلا بما كان كذلك أو في معناه [10] .

ويجب على من كتب نسخة من أصل بعض الشيوخ أن يعارض نسخته بالأصل ، فإن ذلك شرط في صحة الرواية من الكتاب المسموع [11] .

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٢٤٩-٢٥٠.

(٢) المصدر السابق: ج١،ص٢٥٤.

(٣) المصدر السابق: ج١،ص٢٦٠.

(٤) المصدر السابق: ج١،ص٢٦١.

(٥) المصدر السابق: ج١،ص٢٦٢.

(٦) المصدر السابق: ج١،ص٢٦٣.

(٧) المصدر السابق: ج١،ص٢٦٨.

(٨) المصدر السابق: ج١،ص٢٦٩.

(٩) المصدر السابق: ج١،ص٢٧٢.

(١٠) المصدر السابق: ج١،ص٢٧٣.

(١١) المصدر السابق: ج١،ص٢٧٥.

ويرى الخطيب رواية الحديث على الصواب ، وترك اللحن فيه وإن كان قد سمع ملحونا ، لأن من اللحن ما يحيل الأحكام ويصير الحرام حلالا والحلال حراما ، فلا يلزم اتباع السماع في هذه (١) .

ويلزم الخطيب الراوي بمراجعة أصل كتابه للتثبيت من صحة معلوماته التي حفظها (٢) ، ويلزمه الرجوع عن الخطأ (٣) .

-اقتران العلم بالعمل :

أكد الخطيب البغدادي على أهمية اقتران العلم بالعمل في كتابه اقتضاء العلم العمل ، فسرد الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من العلماء في ضرورة عمل العالم بعلمه (٤) ، ثم عقد بابا في ذم طلب العلم للمباهاة به والمماراة فيه ، ونيل الأغراض وأخذ الأعواض عليه (٥) ، ثم خصص أبوابا في وعيد من قرأ القرآن للصيت وليس للعلم به ، أو حفظ حروفه وضيع حدوده (٦) ، أو تفقه لغير العبادة (٧) ، أو طلب الحديث للمفاخرة (٨) ، أو تعلم النحو للخيلاء والزهو (٩) ، ثم عقد بابا في التوثق للآخرة (١٠)،

وبابا في التزود بالعمل الصالح (١١) ، وبابا في اغتنام الشباب والصحة والفراغ في

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج٢،ص٢٣.

(٢) المصدر السابق: ج٢،ص٣٨-٣٩.

(٣) المصدر السابق: ج٢،ص٤٠.

(٤) الخطيب البغدادي:اقتضاء العلم العمل،المكتب الإسلامي،بيروت،١٩٨٤م،ط٥،ص١٦-٦٣.

(٥) المصدر السابق:ص٦٤-٦٧.

(٦) المصدر السابق:ص٦٩-٧١.

(٧) المصدر السابق:ص٧٨-٨٠.

(٨) المصدر السابق:ص٨١-٩٠.

(٩) المصدر السابق:ص٩١-٩٣.

(١٠) المصدر السابق:ص٩٥.

(١١) المصدر السابق:ص٩٧-٩٩.

العمل الصالح [1] ، وأخيرا في ذم التسويف [2] .

وبذلك أوضح الخطيب الأهداف والأطر الأخلاقية للعلم ، كما أوضح بقوة مبدأ اقتران العلم بالعمل ، فلا يطلب العلم لذاته وإنما للانتفاع به في ارتقاء الحياة وسعادة الأحياء ، وهو يعالج مشكلة فكرية ما زالت مطروحة على صعيد الثقافة الإنسانية ، حيث حاول أصحاب نظريات شتى الإجابة على التساؤل عن العلاقة بين العلم أو الفن أو الأدب وبين الحياة ، ومن خلال الإطار الذي رسمه الخطيب البغدادي ووثقه بالنصوص يبدو أن نظرية الفن للفن والأدب للأدب والعلم للعلم لا تحظى باهتمام من وجهة النظر ، التي تقرن العلم بالعمل ، والذي أكد عليه الإسلام ووضحه الخطيب البغدادي في مؤلفه هذا ، وتجدر الإشارة إلى أن بعض الفلسفات الوصفية انتهت إلى هذه النتيجة كالبراجماتية التي تسود الحياة الأمريكية المعاصرة ، ولكن البراجماتية لم تتخط المادية والنفعية ، في حين يجعل الإسلام العلم عبادة ، ويقرنه بالنية ، ويحكمه بالقيم الخلقية المطلقة ، وينظمه بالشريعة .

وقد أكد الخطيب على المسؤولية الدينية عن العلم ، فالعبد يسأل عن علمه يوم القيامة فيم فعل فيه [3] .

- الاستمرار في طلب العلم :

يؤكد الخطيب في كتابه الفقيه والمتفقه على طلب العلم في الشباب والشيبة [4] ، ويقول عن طالب العلم (ينبغي أن لا تفارقه محبرته وصحفه ، لئلا يعرض له من يحدثه بما يحتاج إلى كتابته) [5] .

---

(١) الخطيب البغدادي:اقتضاء العلم العمل،مصدر سابق،ص١٠٠-١١١.
(٢) المصدر السابق:ص١١٣-١١٤.
(٣) الخطيب البغدادي:الجامع،مصدر سابق،ج١،ص٨١.
(٤) الخطيب البغدادي:الفقيه والمتفقه،مصدر سابق،ص٨٩.
(٥) المصدر السابق:ج٢،ص١٨٤.

-حرية اختيار الشيخ ، والمنهج (التعليم الحر) :

يميل الخطيب البغدادي إلى حرية الطالب في اختيار شيوخه ، واختيار الموضوعات التي يدرسها ، وقد أكد على حسن اختيار الشيوخ وصفاتهم في كتابيه الفقيه والمتفقه (١) ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢) .

-مجانية التعليم :

عقد الخطيب بابا في كتابه الكفاية في (كراهة أخذ الأجر على التحديث) (٣) .

-مراعاة الفروق الفردية واستعدادات الطلاب :

يرى الخطيب أن يتجنب المحدث في أماليه رواية ما لا تحتمله عقول العوام (٤) .

ويرى الخطيب أن حق الفائدة لا تساق إلا إلى مبتغيها.. فإذا رأى المحدث بعض الفتور في المستمع فليسكت (٥) ، كذلك يكره الامتناع من بذل العلم لأهله (٦) .

وقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه الجامع بابا بعنوان (باب كراهة التحديث لمن لا يبتغيه وأن من ضياعه بذله لغير أهله) (٧) ، و يرى أن لا يأخذ الطالب نفسه بما لا يطيقه ، بل يقتصر على اليسير الذي يضبطه ويحكم حفظه و يتقنه (٨) ، ويقترح التوسط في مدة الدرس كراهة ملل الطلاب (٩) .

---

(١) الخطيب البغدادي:الفقيه والمتفقه،دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٠م،ط٢،ص٩٦-٩٧ .
(٢) الخطيب البغدادي:الجامع،مصدر سابق،ج١،ص١٢٦.
(٣) الخطيب البغدادي:الكفاية،مصدر سابق،ص١٥٣.
(٤) الخطيب البغدادي:الجامع،مصدر سابق،ج٢،ص١٠٧.
(٥) المصدر السابق:ج١،ص٣٣٠.
(٦) المصدر السابق:ج١،ص٣٤١.
(٧) المصدر السابق:ج١،ص٣٢٧.
(٨)المصدر السابق:ج١،ص٢٣١.
(٩) المصدر السابق:ج١،٢٣٣،ج٢،ص١٢٧.

-مراعاة المعلم لمظهره :

وقد عقد الخطيب عدة أبواب تتعلق بجملة أحوال الشيخ ومظهره الخارجي ، من حسن الثياب والوقار ، والزينة وإصلاح الهيئة [1] .

-أخلاق الشيوخ والطلاب :

عقد الخطيب في (الجامع) بابا بعنوان (ذكر ما ينبغي للراوي والسامع أن يتميزا به من الأخلاق الشريفة [2] .

وإذا كان يوصي الأستاذ بحسن المظهر والوقار ؛ فإنه يوصي طالب العلم أن يتجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسخف والضحك والقهقهة وكثيرة التنادر ، وإدمان المزاح والإكثار منه ، فإنما يستجاز من المزاح يسيره ونادره وطريفه الذي لا يخرج عن حد الأدب وطريقة العلم ، فأما متصله وفاحشه وسخيفه وما أوغر منه الصدور وجلب الشر فإنه مذموم ، وكثرة المزاح والضحك يضع من القدر ويزيل المروءة [3] .

-مسألة التفرغ للدراسة :

يقول الخطيب : (إذا كان للطالب عيال لا كاسب لهم غيره ، فيكره له أن ينقطع عن معيشته ، ويشتغل بالحديث عن الاحتراف لهم) [4] ، و الأدلة التي ساقها تفيد أن طالب العلم ينبغي أن يكون ذا حرفة يعيش منها لئلا يتعيش بدينه [5] ، ويرى الخطيب أن طالب الحديث إذا كان عزبا وآثر طلب العلم على الاحتراف ، فإن الله تعالى يعوضه ، ويأتيه بالرزق من حيث لا يحتسب [6] .

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع،مصدر سابق،ج١،ص٣٧٣.
(٢) المصدر السابق:ج١،ص٩١.
(٣) المصدر السابق:ج١،ص١٥٦.
(٤) المصدر السابق:ج١،ص٩٧.
(٥) المصدر السابق:ج١،ص٩٨.
(٦) المصدر السابق:ج١،ص١٠٤.

-إيثار العزوبة للطالب :

وقد استحب الخطيب لطالب العلم أن يكون عزبا ما أمكنه ذلك ، لئلا يقتطعه الاشتغال بحقوق الزوجة والاهتمام بالمعيشة عن الطلب [1] ، وقد عاش الخطيب دون عيال ، ولعله لم يتزوج أصلا ، بل انقطع للعلم .

-التعاون بين الطلبة في تحصيل العلم :

حيث عقد باب (وجوب المناصحة فيما يروي ، وذكر إفادة الطلبة بعضهم بعضا) [2] ، وقد تكلم عن كتابة الأقران عن بعضهم [3] .

-اقتران العلم بالسلوك :

يري الخطيب أن طالب العلم ينبغي أن لا يقتصر على حشد المعلومات في رأسه ، بل لا بد أن تترك أثرها على سلوكه ، وأن تتفاعل عمليتا التعليم و التربية إذ (ينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن العوام ، باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه وتوظيف السنن على نفسه) [4] .

-مسؤولية العلم :

عقد الخطيب فصولا طويلة للكلام عن شروط الراوي ، وعدالة العالم ، مما يبين خطورة العلم وعظيم مسؤوليته ، وأنه يؤخذ عن الثقات العدول ، ولا يؤخذ عن الضعفاء والمتروكين .

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع،مصدر سابق،ج١،ص١٠١.

(٢) المصدر السابق:ج٢،ص١٤٩.

(٣) المصدر السابق:ج٢،ص٢١٦.

(٤) المصدر السابق:ج١،ص١٤٢.

-إعارة الكتب :

عقد الخطيب بابا (في الترغيب في إعارة الكتب وذم من يمتنع عن إعارتـه) [1] ، فإذا كان لرجل كتاب مسموع من بعض الشيوخ الأحياء ، فطلب منه ليسمع مـن ذلك الشيخ ، فيستحب أن لا يمتنع من إعارته لما في ذلك من البر واكتساب المثوبـة والأجر ، وهكذا إذا كان في كتابه سماع لبعض الطلبة من شيخ قد مـات ، فـابتغى الطالب نسخة ، استحب له إعارته إياه ، وكره له أن يمنعه منه [2] .

ولكن المستعير للكتب عليه أن يعجل بردها إلى أصحابهـا [3] ، لأن تأخيرهـا يؤدي إلى امتناع البعض من إعارتها ، وربما أخذوا الرهون عليها من الأصدقـاء [4] ، وعلى المستعير أن يشكر المعير [5] .

- **الزرنوجي برهان الدين (ت٥٩٣هـ-٦٢٠هـ)**

هو النعمان بن إبراهيم بن الخليل الزرنوجي ، ينتسب إلى زرنوج مـن بـلاد الترك فيما وراء النهر ، ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ ميلاده ، أما وفاته فقـد رجح المؤرخون أنها كانت على الأرجح ما بين ٥٩٣هـ و ٦٢٠هـ ، ومن الملاحظ ندرة ما كتب عن حياته ونشاطه .

واشتهر الزرنوجي بأنه أديب ، ومن أهم مؤلفاته :

١- الموضح في شرح المقامات الحريرية .

٢- كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم [6] .

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع،مصدر سابق،ج١،ص٢٤٠.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص٢٤٠.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص٢٤٢.

(٤) المصدر السابق:ج١،ص٢٤٢.

(٥) المصدر السابق:ج١،ص٢٤٧.

(٦) ابن خلكان:وفيات الأعيان،مرجع سابق،ج٩،ص٣.

وقد ألف الزرنوجي كتابه "تعليم المتعلم" في أواخر القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع ، وقد حدد آبل و جرينباوم تاريخ تأليف الكتاب بعام ٥٩٩هـ .

ولكتاب الزرنوجي تاريخ حياة طويل ، يدل على مدى العناية والاهتمام الذي ناله هذا الكتاب ، فقد ترجم إلى اللاتينية ضمن ما ترجم إبان احتكاك الثقافة الأوروبية بالثقافة الإسلامية فترة الحروب الصليبية (١) ، و في عام ١٩٣٨م ترجم الأستاذ إبراهيم سلامة عناوين فصول الكتاب ، ثم عرض بعض آرائه في إيجاز ، وكان ذلك في دراسة له منشورة باللغة الفرنسية .

كما أن الكتاب ترجم حديثا إلى اللغة الإنجليزية (٢) .

وأخيرا طبع الكتاب طبعتين محققتين ، إحداهما في القاهرة بتحقيق الأستاذ مصطفى عاشور ، والثانية في دمشق بتحقيق الأستاذ نذير حمدان و محمد الخيمي .

هذا التاريخ الطويل من حياة الكتاب ، في الشرق والغرب ؛ يدل على حيوية كبيرة ، واحتفاء شديد من الفكر العلمي الحديث ، إلى جانب اهتمام العلماء والمتعلمين المسلمين به منذ ظهوره في القرن السادس الهجري .

-محتويات الكتاب :

يحتوي الكتاب على ثلاثة عشر فصلا بعد المقدمة ، أو خطبة الكتاب ، وهذه الفصول حسب ترتيبها هي (٣) :

١-ماهية العلم والفقه وفضله

---

(١) د.سيد أحمد عثمان:التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي،مرجع سابق،ص٨٨. وطبعت هذه الترجمة في ألمانيا عام ١٧٠٩م،بعناية المسيو ريلندوس .ثم طبع في ليبزج عام ١٨٣٨م،بعناية المسيو كاسباري،وطبع في مرشد آباد في عام ١٢٦٥هـ-١٨٥٢م،وطبع في قازان في عام ١٨٩٨م ، وعام ١٩٠١م،وطبع في تونس عام ١٨٦٩م،كما طبع في الآستانة عن الطبعة التونسية في أعوام :١٨٧٥م،و١٨٨٩م،و١٩١٤م،ثم طبع في مصر عدة طبعات متعددة في أعوام :١٨٨٣م و١٨٨٩م،و١٨٩٤م،و١٩٠١م،و١٩٣١م .

(٢) د.سيد أحمد عثمان:التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي،مرجع سابق،ص٨٨-٨٩.

(٣) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٢٣.

٢-النية

٣-اختيار العلم والأستاذ والشريك والثبات

٤-تعظيم العلم وأهله

٥-الجد والمواظبة والهمة

٦-بداية السبق وقدره وترتيبه

٧-التوكل

٨-وقت التحصيل

٩-الشفقة والنصيحة

١٠-الاستفادة والاكتساب والأدب

١١-الورع في حال التعلم

١٢-فيما يورث الحفظ وما يورث النسيان

١٣-فيما يجلب الرزق وما يمنعه وما يزيد في العمر وما ينقص .

وقد وجه الدكتور أحمد فؤاد الأهواني للكتاب عدة انتقادات ، من أهمها :

أ-ضآلة شأن الكتاب ، وصغر حجمه و (لا يكاد يبلغ فصلا من الفصول المؤلفة في التربية في كتب الفقه) [(١)] .

ب-عدم احتوائه على أي شئ جديد فيما يتعلق بآداب العالم والمتعلم ، يقول الدكتور أحمد فؤاد الأهواني إن صاحب كتاب تعليم المتعلم : (لم يأت بجديد ، وإنما ذكر ما هو معروف ومتداول ، ومزج الآراء بالحكايات وبعض الأشعار والأمثال) [(٢)] .

ج-الجمود ، حيث عاب الدكتور الأهواني على الزرنوجي بعض الأمور ، مثل نصح المتعلم بتجنب استعمال المداد الأحمر في الكتابة ، ويعلق على ذلك بقوله : (إن هذا منتهى الغاية في الجمود ، و التعسف في الرأي دون علة معقولة) [(٣)] .

(١) د.أحمد فؤاد الأهواني:التربية في الإسلام،دار المعارف،القاهرة،١٩٨٣م،(د.ط)،ص٢٣٩.

(٢) المرجع السابق:ص٢٣٨.

(٣) المرجع السابق:ص٢٣٩.

د-العامية واللاعلمية ، ففي بعض الأحيان ينــزل الزرنوجي في كلامه إلى مســتوى العامة فيذكر أمورا غير علمية ، وأوهاما لا تستند إلى أساس علمي أو دليل شـرعي ، يقول الدكتور الأهواني إن الزرنوجي (كثيرا ما يترل إلى مستوى العامة في الاعتقـاد بأوهام لا تستند إلى أساس علمي ، قال فيما ينفع الرزق كلاما لا ينبغـي أن يقولـه العلماء ، منه : كنس البيت في الليل ، وحرق قشر البصل والثوم ، والامتشاط بمشـط منكسر ، والتعمم قاعدا ، والتسرول قائما) [1] .

ويمكن الرد على هذه الملاحظات والانتقادات بما يلي :

أولا : فيما يتعلق بصغر حجم الكتاب ، فالحق أن صغر حجمه بالنسبة إلى غيره مـن المصنفات المماثلة في مجاله يحسب للكتاب وليس عليه ، ذلك أن صاحبه لـو أراد أن يزيد من حجم الكتاب لكان ذلك أمرا غاية في اليسر عليه ، ولكنه أفرد حديثه كلـه لموضوع التعلم وطرائقه وشرائطه ، ولم يرد أن تتشعب بالقارئ أو طالب العلم السبل في مواضيع تشتت انتباهه ، وتبدد اهتمامه بالموضوع ، وكان من حرص الزرنوجـي على الالتزام بهذا النهج في الكتابة ، أنه كان عندما يمر في حديثه بفرع متصل بـالأصل فإنه يلفت إليه منوها به ، مشيرا إلى المصادر التي يمكن لقارئه أن يستزيد منها .

وعلى أي الأحوال فإن الاختصار في الكتابة العلمية لا يلام عليه إلا إذا كـان ثمـة إخلال أو غموض ، أما الاختصار مع الاستيفاء والوضوح فهو فضيلة تحسب للمؤلف لا عليه .

ثانيا : الزعم بأن الزرنوجي لم يأت بجديد ، فالواقع أن تاريخ العلم يشير إلى أن كافـة العلوم وفروعها في تطورها ونموها قديما وحديثا ، تحتاج في كل مرحلة من مراحلـها إلى عالم منظم ومنسق ، عالم يستوعب ما في عصره من معارف وحقائق ، ومسـائل ومشكلات ، في فرع من فروع العلم التي يتمثلها ، ثم ينظمـها ، ويعيـد بناءهـا ، ويضعها في بنية متماسكة ، جامعا لشتاتها ، رابطا بين متشابهها ، موضحا لغامضـها ،

---

(١) د.أحمد فؤاد الأهواني:التربية في الإسلام،مرجع سابق:ص٢٣٨-٢٣٩.

إلخ ، مثل هذا العالم يبدو وكأنه لم يأت بجديد ، وإن كان تاريخ العلم يرجع إليه معظم الفضل فيما يكتشف من جديد في ذلك الفرع من العلم .

ويكفي الزرنوجي فضلا أنه قدم خلاصة مركزة ، ومستوعبة ومنظمة لما سبقه من الفكر العلمي الإسلامي فيما يتعلق بالتعلم ، تلك الخلاصة التي جعلت من السهل على الدارس المعاصر أن يبني منها نسقا للتعلم عند الزرنوجي ، يمكن اعتباره من أرقى التصورات العلمية للتعلم في الفكر الإسلامي القديم .

ثالثا : فيما يتعلق بالجمود ، فقد علل الزرنوجي نصحه للمتعلم بعدم استخدام المداد الأحمر في الكتابة ، لأن استعماله كان من صنيع الفلاسفة لا من صنيع السلف والفقهاء ، فالزرنوجي رجل سني يريد أن يحفظ لطالب العلم نقاء دراسته الفقهية ، وأن يحتفظ بطابعه المميز له ، ولا بأس بهذا في مراحل التعليم الأولى ، ثم له أن يختار بعد ذلك ما يشاء من منحى ، ولا ينبغي أن نغفل أن الزرنوجي كان حنفي المذهب ، وأن اتجاهه بعيد عن الفلاسفة والمتكلمين .

رابعا : وأما فيما يتعلق بالمأخذ الأخير وهو العامية واللاعلمية ، فقد يكون الزرنوجي متأثرا فيما ذكر من هذه الأمور بالأعراف والتقاليد والعادات الاجتماعية التي كانت شائعة في ذلك الوقت ، أو قد تكون هذه المسائل موضوعة ومضافة إلى الكتاب من قبل النساخ ، ومما يبرر هذا الافتراض عدة أمور :

١-أن هذه المسائل الغريبة في الكتاب ، مركزة في الفصل الأخير منه ، بينما يخلو باقي الكتاب من مثل هذه المسائل ، مما يزيد من احتمال الوضع والإضافة في هذا الجزء خاصة ، ومما يغري بالإضافة أن هذا الفصل يعالج موضوعات متصلة بزيادة الرزق ونقصه ، وطول العمر ونقصانه .

٢-مستوى الكتابة في سائر الكتاب ، فكرا وتحليلا وأسلوبا ، لا يتفق مع ذكر بعض الأمور غير المقبولة عقلا في أواخره .

٣-من المستبعد جدا أن يقع الزرنوجي وهو فقيه حنفي ، درس على أعلام المذهب في زمانه في أمور تبدو مجافية لأصول الإسلام وتعاليمه ، أو تبعد دارس كتابه عن التركيز على ما هو من صميم الدين إلى ما هو أقرب إلى الخرافات الشائعة في زمانه ، وما الذي يلجئ الزرنوجي في الحث على الصحيح من الآداب إلى مصدر آخر غير مصدر الدين الحنيف ، الذي لابد من أن يجد فيه غنية عما سواه ؟! .

٤-ربما كان ذيوع الكتاب وانتشاره بين الدارسين مما يغري الدارس ذاته عند قراءته بأن يضيف في هوامشه أو بين سطوره ما يراه هو مما يزيد فائدته ، أو قد يفعل بعض النساخ هذا ، مما يشكك في أن النسخ التي طبع منها الكتاب فيما بعد فيها بعض الإضافات .

٥-ومما يؤكد احتمال الإضافة أن عنوان الكتاب نفسه ، رغم ذيوعه وانتشاره ، قد تعرض للتغيير ، فإذا كان ما هو معروف ومشهور قد تعددت صوره ، ودخل التغيير عليه ، فليس من المستبعد أن يتعرض شيء من المحتوى لبعض هذا التغيير .

- **ابن جماعة (ت٧٣٣هـ)**

هو أبو عبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ، ولد في حماة عام ٦٣٩هـ [١] .

نشأ ابن جماعة في بيت علم وزهد ، وقد ساعد ذلك في انصرافه للعلم منذ الصغر ، حيث سمع من شيخ الشيوخ الأنصاري عام ٦٥٠هـ بحماة ، ومن غيره ، كما درس الحديث والفقه والأصول والتفسير [٢] ، حتى صار إماما مصنفا .

تولى مشيخة الشيوخ ، إضافة إلى عمله في التدريس ، كما ولي العديد من المناصب في القضاء ، في مصر والشام ، وظل كذلك حتى شاخ و أصابه العمى [٣] .

---

(١) ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب،دار الآفاق،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،ج٦،ص١٠٥.

(٢) الكتبي:فوات الوفيات،مرجع سابق،ص٢٩٧.

(٣) ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب،مرجع سابق،ج٥،ص١٠٥.

قال عنه الذهبي في معجم شيوخه : (قاضي القضاة شيخ الإسلام الخطيب المفسر ، له تعاليق في الفقه والحديث والأصول والتواريخ ، وغير ذلك ، وله مشاركة حسنة في علوم الإسلام ، مع دين وتعبد وتصوف ، وأوصاف حميدة ، وأحكام محمودة ، وله من النظم والنثر والخطب والتلامذة والجلالة الوافرة) (1) .

وفيما سبق دلالة على الدور الاجتماعي الذي مارسه ابن جماعة من خلال الخطابة والتدريس ، وقد ساعده على تحقيق تلك السمعة علمه الواسع ، وتجربته الطويلة حيث عمر أكثر من تسعين عاما .

من أهم مؤلفاته :

١-تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم

٢-المنهل الروي في الحديث النبوي

٣-كشف المعاني في المتشابه من المثاني

٤-مختصر السيرة

٥-رسالة في الإسطرلاب

وغير ذلك مما لا يزال مخطوطا ، توفي ابن جماعة في عام ٧٣٣هـ .

ويعد كتابه "تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم" أهم كتبه وأشهرها ، حيث وضع فيه عصارة فكره ، وخلاصة تجاربه في مجال التربية الأخلاقية ، والتعليم ، وتنظيم المدارس وآدابها ، واعتبره كثير من الباحثين أحد المصادر المهمة للفكر التربوي وآداب العالم والمتعلم (2) .

---

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، مرجع سابق، ج٣، ص١٠٦.

(٢) من هؤلاء: خليل طوطح، د.أحمد شلبي، د.عبدالله عبد الدائم، د.عبد الأمير شمس الدين، وغيرهم.

الغاية من تأليف الكتاب :

وقد كانت غاية ابن جماعة من تأليف للكتاب ، وضع منهج أخلاقـــي وســـلوكي شامل ، ومنظم ، للعالم والمتعلم ، لابد من الالتزام بها ، والسير على نهجها ، إذا مـــا أردوا النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة ، يقول ابن جماعة : (ولما بلغت رتبـــة الأدب هذه المزية ، وكانت مدارك مفضلاته خفية ، دعاني ما رأيت من احتياج الطلبة إليـــه ، وعسر تكرار توقفهم عليه ، إما لحياء فيمنعهم الحضور ، أو لجفاء فيورثهم النفـــور ، إلى جمع هذا المختصر مذكرا للعالم ما جعل إليه ، ومنبها للطالب ما يتعين عليه) [1] .

أقسام الكتاب :

وقد رتب ابن جماعة كتابه على خمسة أبواب ، خصص الباب الأول للحديث عن فضل العلم وأهله ، وشرف العالم ونسله ، والباب الثاني خصصـــه لآداب العـــام في نفسه ، ومراعاة طلابه ، ودرسه ، أما الباب الثالث ، فقد جعله للحديث عـــن آداب المتعلم في نفسه ، ومع شيخه ورفقته ، ودرسه ، وجعل الباب الرابع لتنـــاول علاقـــة الطالب بالكتاب وما يتعلق به من أدب ، وأخيرا الباب الخامس خصصه لآداب سكنى المدارس ، وما يتعلق بها .

منهج ابن جماعة في تأليف الكتاب :

وكان منهج ابن جماعة في كتابه هو تجميع خلاصة الآراء والأقوال المتعلقة بـــآداب وسلوكيات العالم والمتعلم ، سواء ما سمعه مشافهة ، أو حصله مذاكرة واطلاعـــا ، ثم حذف الأسانيد ، وترتيب المادة وفقا للأبواب الموضوعة ، يقول ابن جماعة شـــارحا منهجه في تأليف الكتاب : (وجمعت ذلك مما اتفق من المسموعات ، أو اســـتفدته في المذاكرات ، وذكرته محذوف الأسانيد ، كيلا يطول على مطالعه أو يمله ، وقد جمعت

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٣.

فيه بحمد الله من تفاريق آداب هذه الأبواب ما لم أره مجموعا في كتاب ، وقدمت على ذلك بابا مختصرا في فضل العلم والعلماء) [1] .

وأول ما نلحظه في منهج ابن جماعة ، هو إفراده مقدمة الكتاب للحديث عن أهمية الأدب ، وتهيئة النفس ، والتحلي به أولا قبل التعليم والتعلم ، وفي هذا إشارة واضحة إلى أنه لكي تنجح عملية التعليم والتعلم ، وتؤتي ثمارها والغرض المطلوب منها ، فلابد للعالم والمتعلم من التخلق بأحسن الآداب ، والتزام أرفع السلوكيات ، وكانت وسيلته إلى ذلك التذكير بأن العلماء ورثة الأنبياء ، والعلم ميراثهم ، ووسيلتهم لتحصيله هو حسن الخلق [2] ، لأنه لا فائدة للعلم بدون أدب .

وبالإضافة إلى تلك المقدمة في توضيح أهمية الأدب ، خصص بابا كاملا للحديث عن فضل العلم والعلماء ، واعتبره مدخلا إلى آداب العالم والمتعلم ، وأورد العديد من الآيات والأحاديث وآثار السلف ، للتدليل على هذا الفضل والمكانة ، وكان في بعض الأحيان يستعمل الاستنتاج العقلي ، والقياس المنطقي من سلسلة إيراد الآيات القرآنية ، يقول ابن جماعة : (وقال تعالى ﴿ **أولئك هم خير البرية** ﴾ إلى قوله ﴿ **ذلك لمن خشي ربه** ﴾ فاقتضت الآيتان أن العلماء هم الذين يخشون الله تعالى ، وأن الذين يخشون الله هم خير البرية ، فينتج أن العلماء هم خير البرية) [3] .

وقد انتهج ابن جماعة منهجا تفصيليا دقيقا في بيان آداب العالم والمتعلم ، يحيط بالموضوع والغرض منه ، حيث قسم كل باب من أبواب الكتاب إلى فصول ، وكل فصل تحته أنواع ، تحدث عن كل نوع منها على حدة ، وطريقته في ذلك أن يحدد الفصل ، ويذكر أنواعه إجمالا ، ثم يتحدث عن كل نوع منها ، مدعما بالأدلة والأسانيد من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وأقوال السلف من العلماء ، فعلى سبيل المثال يقول : (في آداب العالم في درسه ، وفيه اثنا عشر نوعا ، الأول إذا عزم على

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ص٣-٤.

(٢) المصدر السابق: ص٥.

(٣) المصدر السابق: ص٥-٦.

بجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث وتنظف وتطيب ....، الثاني إذا خرج من بيته دعا بالدعاء الصحيح عـــن النـبي ......ﷺ ، الثـالث أن يجلـس بـارزا لجميـع الحاضرين ...) (١) .

وهو في كل نوع من هذه الأنواع يستشهد له بما أمكن من القـرآن والحديـث ، والمأثور .

وقد تفرد ابن جماعة في كتابه عن السابقين بالحديث عن آداب التعامل مع الكتـاب والمكتبة ، وآداب سكنى المدارس ، ولذا اعتبره بعض الباحثين أكمل المؤلفين في بيـان آداب العالم والمتعلم ، وأكثرهم إحاطة بها (ولا ندعي أن ابن جماعة أنشأ نظرية حديثة في التربية والتعليم ، وإنما حسبه أنه كان جامعا للآداب والخصائص التي ينبغي للهيئـة التعليمية أن تتحلى بها كمنهج وسلوك) (٢) .

وقد اعتمد ابن جماعة على خبرته ، وطول تمرسه في الحديث عـن آداب سـكنى المدارس ، حيث عمل بالتدريس في مدارس دمشق والقاهرة .

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٣٠-٣٣.

(٢) د.عبد الله عبد الدائم: التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤، ط٥، ص٢٣٨.

- اتجاه الفلاسفة (المدرسة العقلية):

يعد اتجاه الفلاسفة في هذا الموضوع أقل الاتجاهات تأثيرا ونتاجا من الاتجاهات الأخرى ، ولعل ذلك يرجع إلى طبيعة نظرة المجتمع الإسلامي للفلسفة والفلاسفة [1] ، ولقد كانت هناك مجموعة من العوامل جعلت الفكر الفلسفي فكرا غريبا على الجمهور الإسلامي ، أو بمعنى أدق فكرا انعزاليا محدود التأثير ، من أهم هذه العوامل :

١-أن الذين نقلوا أصول هذا الفكر الفلسفي إلى العالم الإسلامي في البداية هم في الغالب من العناصر غير الإسلامية ، أمثال آل بختشيوع وهم من السريان النساطرة ، وآل حنين وهم من نصارى الحيرة ، وقسطا ابن لوقا البعلبكي من نصارى الشام ، وآل ماسرجويه وهو يهودي المذهب سرياني اللغة ، ولهذا فقد نقلوه دون مراعاة لروح الإسلام ، فكان من الطبيعي أن يصبح هذا الفكر دخيلا يشتغل به الدخلاء غير العرب ، ولقد ظل اشتغال غير المسلمين بالفكر الفلسفي ، حتى كان الكندي هو أول فيلسوف عربي اشتغل بنقل الفلسفة إلى اللغة العربية والتأليف فيها .

٢-أن الفلاسفة المسلمين تعصبوا في الغالب للفكر اليوناني وقدروه أكثر من اللازم [2] ، حتى قدموه على النص أحيانا ، وأولوا النصوص حتى تتوافق مع بعض الآراء اليونانية ، وخاصة آراء أرسطو ، ولا أدل على ذلك التعصب من شكوى ابن سينا -وهو فيلسوف- من هؤلاء المتعصبة بقوله : (فقد بلينا

---

(١) إبراهيم عبد المجيد:الفلسفة والمجتمع الإسلامي،مكتبة النهضةالمصرية،(د.ط)،١٩٥٤م،ص١٧٦.

(٢) روزنتال:مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي،ترجمة أنيس فريحة،دار الثقافة،بيروت،(د.ط)،١٩٦١م،ص١٥٥-١٥٦.

برفقة منهم (طلاب الفلسفة) عاري الفهم كأنهم خشب مسندة ، يرون التعمق في النظر بدعة ، ومخالفة المشهور ضلالة) [1] .

٣-أن الفلاسفة اشتغلوا بالبحث في المسائل الميتافيزيقة أكثر من اشتغالهم بالعلم العملي التطبيقي ، مخالفين روح الإسلام التي تهدف إلى التطبيق العلمي للعلم والمعرفة في سائر شئون الحياة [2] ، ومن ثم فقد رفض المسلمون هذا التفلسف الميتافيزيقي البحت .

٤-أن الفلسفة بمعناها عند المسلمين كانت من علوم الخاصة ، والفلاسفة أنفسهم جميعاً أصروا على ذلك ، ونهوا العوام عن الاشتغال بها ، وكتبوا شروطاً للمشتغل بها ، وما يجب عليه أن يدرسه قبل أن يتعلم الفلسفة [3] ، وكانت لغتها صعبة وغامضة في بعض الأحيان ، ربما لطبيعة موضوعاتها ، وربما بقصد من الفلاسفة لأسباب خاصة بهم ، وقد علل الفارابي تعمد هذا الغموض في كتب الفلسفة بثلاثة أسباب : (أحدها استبراء طبيعة المتعلم ، هل يصلح للتعليم أم لا ، والثاني لئلا تبذل الفلسفة لجميع الناس ، بل لمن يستحقها فقط ، والثالث ليروض الفكر بالتعب في الطلب) [4] .

٥-ارتباط الفلاسفة بالخلفاء والأمراء ، والاعتماد على تشجيعهم ، وهذا كان يهيئ لهم الفرصة للدراسة والبحث ، طالما كان هؤلاء الحكام والأمراء أحرار الفكر ، وذوي قوة وسلطان ، ولكنه في نفس الوقت عرضهم لسلطان هؤلاء الحكام وبطشهم ، واقتصار دائرة تأثيرهم في حالات أخرى كثيرة [5] .

---

(١) ابن سينا:مقدمة منطق المشرقيين،مطبعة المؤيد،القاهرة،(د.ط)،١٣٢٨هـ،ص٣-٤ .

(٢) د. النشار:نشأة الفكر الفلسفي،دار المعارف،القاهرة،(د.ط)،١٩٦٢م،ج١،ص٣٥-٣٦.

(٣) الفارابي:ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة،المكتبة السلفية،القاهرة،(د.ط)،١٣٢٨هـ،ص٢.

(٤) الفارابي:ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة،مرجع سابق:ص١٤.

(٥) د.حامد عمار:في بناء البشر،مركز سرس الليان،المنوفية،(د.ط)،١٩٦٤م،ص٣٧.

٦-محاربة العلماء والفقهاء الاتجاه الفلسفي ، ورموا رجاله بالكفر والزندقة في بعض الأحيان ، كما فعل الغزالي ، وابن تيمية ، حتى أنه أُحرِقت كتب ابن سينا وإخوان الصفا في بغداد عام ١١٥٠م ، وعدت هذه الكتب هرطقة وخروجاً عن الدين الحنيف [١] .

لهذه الأسباب ولغيرها كان الاتجاه الفلسفي محدود التأثير ، أرستقراطي الفكر ، يمثل اتجاه الخاصة ، أو مدرسة القلة ، ويستثني الدكتور أحمد فؤاد الأهواني إخوان الصفا (الذين تقربوا إلى الجمهور برسائلهم المعروفة) [٢]، ويرى البعض أن أفكار الفلاسفة وكتبهم كانت تمثل (دوائر منفصلة عن تيار الفكر الإسلامي العام) [٣] ، قليلة التأثير على حياة المجتمع العقلية والخلقية ، وهذا الرأي على جانب كبير من الصحة ؛ إذا قيس بتأثير الاتجاه الفقهي أو الصوفي ، في تاريخ الفكر الإسلامي .

وبالرغم مما سبق ، فلا يمكن بأي حال تجاهل هذه المدرسة ، إذ ليس في مقدور أي باحث للحركة الفكرية في العصور الإسلامية الزاهية أن يتجاهل هذا التيار الفلسفي ، أو أن يقلل من شأنه ، خصوصاً وأنه تيار خصب ومبدع في بعض نواحيه .

- **خصائص وسمات المدرسة العقلية :**

اتسمت المدرسة العقلية بمجموعة من الخصائص الفريدة ، التي أعطت لها شكلاً مميزاً ، وطبيعة خاصة ، جعلتها تبدو مختلفة إلى حدٍّ كبير عن غيرها من المدارس والاتجاهات الأخرى في الفكر الإسلامي ، ومن أبرز هذه الخصائص ما يلي :

---

(١) عبد الدائم أبو العطا: أهداف الفلسفة الإسلامية، (د.ن)، القاهرة، (د.ط)، ١٩٤٨م، ص٤٢.

(٢) د.أحمد فؤاد الأهواني: التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص٩٣.

(٣) علي سامي النشار: مناهج البحث عند مفكري الإسلام ونقد المسلمين للمنطق الأرسطي، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، ١٣٦٧هـ، ص٣.

أ-اهتمت المدرسة العقلية بالقضايا الفيزيقية و الميتافيزيقية ، أكثر من اهتمامها بالقضايا العملية الواقعية ، فبحثت في الوجود والعدم ، والكون والفساد ، والخلق والخالق ، والعقل والنفس ، والحركة والثبات ، إلخ ، ويبدو أن ذلك كان بسبب كونها أجنبية المصدر ، حيث نقلت موضوعاتها وقضاياها من الفلسفة اليونانية ، التي كانت مهتمة بمثل تلك القضايا العقلية المجردة ، مما جعل فكر هذه المدرسة بعيداً عن أرض الواقع ، بعيداً عن معالجة مشكلات المجتمع المتجددة والمتطورة ، وبالتالي انعزال هذا الفكر عن الناس والمجتمع ، واقتصار نفعه على أصحابه المشتغلين به .

ب-الاعتماد الكامل على العقل ، والاستعانة بالمنطق الأرسطي للوصول إلى الحقائق ، واستخلاص النتائج من المقدمات ، فلا مجال هنا للنصوص أو النقل ، يقول الفارابي : (المنطق لتقويم العقل وتسديد الإنسان نحو الصواب في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات) (1) .

فإذا كان الفقهاء والمحدثون يعتبرون الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس ، أساس النقل والعقل ، وإذا كان الصوفية يعتبرون الرياضة والحدس أساس إجلاء القلب لتلقى الفيض ، فإن المدرسة العقلية اعتبرت المنطق الأداة والأسلوب ، وفي هذا يقول متى بن يونس : (يكفيني من لغة العرب الاسم والفعل والحرف ، وبذلك القدر أتبلغ إلى أغراض قد هذبتها لي يونان .... فالمنطق آلة من آلات الكلام يعرف بها صحيح الكلام من سقيمه ، وفاسد المعنى من صالحه ، كالميزان ، فإني أعرف به الرجحان من النقصان ، والشائل من الجانح) (2) .

---

(1) الفارابي:إحصاء العلوم،تحقيق عثمان أمين،مكتبة الأنجلو،القاهرة،(د.ط)،١٩٦٨م،ص٦٧.

(2) أبو حيان التوحيدي:الإمتاع والمؤانسة،المكتبة العصرية،بيروت،(د.ت)،د.ط)،ص١١٥.

- منهج المدرسة العقلية في تناول الموضوع :

لم يبتعد أصحاب المدرسة العقلية من المفكرين المسلمين عن نظرائهم أصحاب الاتجاه الفقهي في ربط العلم والتعلم والتعليم بالغاية الدينية ، فقد سلم إخوان الصفا بأن (كل علم وأدب لا يؤدي صاحبه إلى طلب الآخرة ولا يعينه على الوصول إليها فهو وبال على صاحبه وحجه عليه يوم القيامة) (١) ، ولكنهم خالفوهم قطعا في التعامل مع الفكر الأخلاقي والتربوي تعاملا عقلانيا فلسفيا ، وهذه النزعة العقلانية الفلسفية هي أول ما يواجه الباحث في أسلوبهم أو منهجهم ، وهي تظهر في تعريفهم للعلم والتعلم بما يبعدهم بعدا يكاد يكون تاما عن اتجاه الفقهاء والمحدثين ، يقول إخوان الصفا في تعريف العلم : (واعلم يا أخي بأن العلم في صورة المعلوم في نفس العالم ، وضده الجهل وهو عدم تلك الصورة من النفس ، واعلم بأن أنفس العلماء علامة بالفعل وأنفس المتعلمين علامة بالقوة ، وإن التعلم والتعليم ليسا شيئا سوى إخراج ما في القوة ، يعني الإمكان ، إلى الفعل ، يعني الوجود ، فإذا نسب ذلك إلى العالم سمي تعليما ، وأن نسب إلى الثاني سمي تعلما) (٢) .

في هذا التعريف الجامع المانع تطرح أركان النظرية التعليمية مرة واحدة ، فأنفس المتعلمين هي علامة بـ "القوة" ، أي قادرة على التعلم أو مستعدة له أو أنها بالاصطلاح التربوي المعاصر "قابلة للتعليم" ، وعملية التعليم ما هي إلا التحول بهذا الاستعداد للتعلم إلى تعلم فعلى ، أي إمكانية التحول بنفس المتعلم من نفس علامة بالقوة إلى نفس علامة بالفعل ، وإن روح العملية التعليمية -بالتبعية- هو فن التحول بالقدرات الإنسانية إلى قوى أو مكتسبات سلوكية ، ولقد كان هذا شأوا بعيدا من مفهوم المعرفة الدينية التي مال إليها اتجاه الفقهاء والمحدثين .

---

(١) إخوان الصفا:الرسائل،دار صادر،بيروت،١٩٥٧م،ط١،ج١،ص٢١٣.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص٤١١.

ولقد كان اتجاه الفلاسفة يسترفد كثيرا من مفاهيمه من الفكر الفلسفي الإغريقي ، الذي انفتح عليه وحاول أن يلائم بينه وبين المقولات الأساسية في الموقف الديني .

لقد مثل هذا المذهب إخوان الصفا و الفارابي وابن سينا وابن مسكويه ، وإن يكن الإخوان هم الذين حملوا لواءه وتكلموا باسمه كلاما موسوعيا مقننا من هنا استحقوا اهتماما خاصا .

إن أول ما يستوقف المتأمل في تعاليم الإخوان هو تفاعلهم بعيد الغور مع العقل الإغريقي في أحسن جوانبه ، تفاعلا نسب إليهم غرس الحكمة اليونانية في بلاد الشرق ، وأعطاهم أول أساس مذهبهم التعليمي والأخلاقي ، فقرروا أن مرجع كل شيء إلى النفس وما لها من القوى ، على نحو شبيه جدا بما كانت تقول به (النزعة الغنوصية) (1) ، وعلى ضوء وجهتهم هذه بلوروا مواقفهم الأساسية من الإنسان والمعرفة والتربية .

لقد كان إخوان الصفا تعليميين منذ البداية ، وكانت النزعة التعليمية مصدر تفكيرهم التربوي ، ومنذ البداية أيضا أدرك الإخوان أن المعلم هو عماد العملية التعليمية ، ولهذا فقد أثبتوا له مكانه في الدعوة والمجتمع معا (واعلم أيها الأخ أن سعادتك أن يتفق لك معلم ذكي جيد الطبع حسن الخلق صافي الذهن محب للعلم طالب للحق غير متعصب الرأي من المذاهب) (2) ، كذلك حددوا مفهومهم في التعليم بوضوح كبير (واعلم أن مثل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم

(1) يقول الأستاذ فيليب في تعريف الغنوصية إنها (عقيدة مذهب المعرفة عند اليونان يرتقي إليها السالك بما أوتيه من النور الباطني ، وهي غير العلم بالله الذي يتيسر بواسطة التسليم للتقاليد المرعية عن طريق العقل ، وهو يرى أن الصوفية أيضا تأثرت بهذا المذهب منذ القرن الثاني للهجرة وأصبحت الطريقة المتصوفية تعتبر عند أصحابها سبيلا عاطفيا لتطهير النفس البشرية ، بحيث تتعرف إلى الله وتتوصل إلى محبته والاتحاد به لمجرد المحبة والاتحاد وليس لاكتساب الرضوان أو الثواب في الآخرة .) فيليب حتي: تاريخ العرب،المكتبة العصرية،بيروت،ط1،1961م،ج2،ص523.

(2) إخوان الصفا:الرسائل،مصدر سابق،جـ 4،ص114-115.

بوضوح كبير (واعلم أن مثل أفكار النفوس قبل أن يحصل فيها علم من العلوم واعتقاد من الآراء كمثل ورق أبيض نقي لم يكتب فيه شيء حقا كان أم باطلا) (١) .

ثم أثبتوا الجهة التي يجب أن ينصرف إليها الجهد التعليمي فأكدوا إنها الأطفال والشباب ، فهم وحدهم امتداد اليوم في الغد ، وعناصر تكوينه (ينبغي لك أيها الأخ أن لا تشغل بإصلاح المشايخ الهرمة الذين اعتقدوا من الصبا آراء فاسدة وعادات رديئة وأخلاقا وحشة فأنهم يتعبونك ولا ينصلحون وإن صلحوا قليلا فلا يفلحون ، ولكن عليك بالشباب السالمي الصدور الراغبين في الآداب المبتدئين بالنظر في العلوم المريدين طرق الحق والدار الآخرة) (٢) .

إن التأكيد على العناية بالشباب وإغفال المتقدمين في السن ينم عن نزعة عملية قوية في تفكير الإخوان ، و يبدوا أنهم اجتهدوا في أن يجعلوا من منهجهم هذا صورة لثقافة عصرهم وما كان يمور به من العلوم والمعارف ، خصوصا الإغريقية منها التي حاولوا أن يلائموا بينها وبين الوجهة الإسلامية في المعرفة ، فوفقوا أحيانا وفاتهم التوفيق أحيانا أخرى .

– أبرز شخصيات الاتجاه :

• ابن مسكويه (ت٤٢١هـ)

هو أبو علي أحمد بن يعقوب مسكويه ، لا يعرف على وجه التحديد تاريخ ميلاده ، وكان ابن مسكويه طبيبا ولغويا ومؤرخا وباحثا ، اشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق ، ثم أولع بالتاريخ والأدب والإنشاء ، وكان قيما على خزانة كتب ابن العميد ، ثم عضد الدولة ابن بويه ، ولذلك لقب بالخازن ، وقد ألف في التربية والنفس ، وكان متأثرا في تناوله للموضوعات التي يعالجها بالفكر والفلسفة اليونانية (٣) ، قال عنه أبو حيان في جملة وصفه : (لطيف الألفاظ ،

---

(١) إخوان الصفا:الرسائل،مصدر سابق،جـ ٤،ص١١٤-١١٥.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) خير الدين الزركلي:الأعلام،مرجع سابق،ج١،ص٢٠٤.

سهل المأخذ ، مشهور المعاني ، شديد التوقي ، ضعيف الترقي ، يتطاول جهده ثم يقصر ، وله مآخذ وغرائب من الكذب -كذا- وهو حائل العقل لشغفه بالكيمياء) [1] .

من أهم مؤلفاته :

١-تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق

٢-تجارب الأمم وتعاقب الهمم

٣-ترتيب العادات

٤-طهارة النفس

٥-كتاب أدب العرب والفرس

وغيرها ، توفي ابن مسكويه في مدينة أصفهان عام ٤٢١هـ .

وقد وضع ابن مسكويه آراءه المتعلقة بالأدب والسلوك في كتابه "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" ، وأهم آرائه التي تناولها في كتابه هي :

١-إن الغاية من التربية هي الأخلاق ؛ التي تتحول إلى سلوك ، فتطبع التلميذ بطابع الحق والخير والجمال .

٢-نفس المتعلم صفحة بيضاء ، وأولى وأول ما ينقش عليها آداب السلوك ؛ لتستقر فيها .

٣-نهاية العلم بالشريعة السلوك المستقيم .

٤-يتأكد هذا السلوك بالاطلاع والقراءة في كتب الأخلاق .

(١) محمد ناصر:الفكر التربوي العربي الإسلامي،وكالة المطبوعات،الكويت،ط١،١٩٧٧،ص١١٩.

- ابن سينا (ت٤٢٨هـ)

هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا ، ولد بقرية أفشنة بالقرب من بخارى عام ٣٧٠هـ ، وحفظ القرآن الكريم ، وكثيرا من الشعر ، وهو دون العاشرة من عمره ، ثم درس الفقه ، والرياضة ، والمنطق ، والهندسة ، والفلك ، والطب علما وعملا ، وهو في السادسة من عمره ، ثم أعاد قراءة المنطق والفلسفة ، وأتم الرياضيات والطبيعيات ، وهو في الثامنة عشرة ، وأتيحت له فرصة الاطلاع على مكتبة نوح بن منصور الساماني ؛ الذي دعاه لعلاجه ، وكانت مكتبته عامرة بكتب العلوم والفنون المختلفة ؛ فازداد بكتبها علما ومعرفة .

اتصل ابن سينا بعلماء عصره ، من أمثال ابن مسكويه الفيلسوف ، وأبو الريحان البيروني الرياضي اللغوي الأديب ، وأبو الفرج بن طيف الطبيب ، وكان لهذه الاتصالات أثرها في إثراء فكره وتخصيب معارفه ، يقول ابن سينا واصفا حاله وشغفه بالعلم وتحصيله : (لازمت العلم ، وكلما أحار في مسألة ترددت على الجامع ، وصليت ، واتجهت إلى مبدع الكون ، حتى يفتح المغلق ويتيسر المتعسر ، وكنت أشتغل ليلا في داري بالكتابة والقراءة ، فإن غلبني النوم ، حلمت بالمسائل التي كنت أعالج حلها ، حتى إن كثيرا منها اتضح لي في المنام) [(1)] .

ألف ابن سينا الكثير من المؤلفات من أهمها :

١-القانون في الطب

٢-الشفاء في الفلسفة

٣-الإشارات والتنبيهات

٤-رسالة السياسة

---

(١) القفطي:عيون الأنباء في طبقات الأطباء،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،ص ٢٢٠.

٥-هدية الأمير في القوى الإنسانية

٦-لسان العرب

وغير ذلك من المؤلفات ،

وقد تناول ابن سينا في رسالة السياسة ما يتعلق بالعالم والمتعلم ، ومن أهم مـــا ذهب إليه في هذا الشأن :

١-يفضل التعليم في المدرسة ، عن التعليم في البيت ؛ لأن التلاميذ في المدرسة يترافقون ويتبادلون الزيارة ، فتحسن عاداتهم ، وتتهذب أخلاقهم ، يقول ابن سينا (وينبغـــي أن يكون مع الصبي في مكتبه صبية من أولاد الجلة ، حسنة آدابهم ، مرضية عاداتهم ، فإن الصبي عن الصبي ألقن ، وهو عنه آخذ وبه آنس ..ثم إنهم يترافقون ويتعاوضون الزيارة وكل ذلك من أسباب المباراة والمباهاة والمساجلة والمحاكمـــة ، وفي ذلـــك تهذيـــب لأخلاقهم وتحريك لهممهم وتمرين لعاداتهم) [١] .

٢-إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن ، وأصول اللغة ، يتم النظر في ما يرغب في تعلمه ، وفي هذا مراعاة لما يسمى بالميول ، والاستعداد العقلي .

٣-يجب على المعلم مراعاة استعداد المتعلم ، وميوله ، وقدراته ، لأنه (ليس كل صناعة يرومها ممكنة له مواتية ، لكن ما شاكل طبعه وناسبه) [٢] .

٤-أدرك ابن سينا دور القدوة في حياة المتعلم ، وأن الدور الذي يلعبه المعلم يتجـــاوز حدود عرض المعلومات على المتعلم ، ولذا رأى أنه ينبغي أن يكون المعلم (عـــاقلا ذا دين ، بصيرا برياضة الأخلاق ، حاذقا .. وقورا ، رزينا ، بعيدا عن الخفة والسخف ، قليل التبذل) [٣] .

---

(١) ابن سينا:رسالة السياسة،مجلة الآداب،بيروت،١٩٠٦م،ط١،ص٣٤.

(٢) المصدر السابق:ص١٥.

(٣) المصدر السابق:ص٣٢.

٥-يجب على المعلم مراعاة الحالة النفسية للمتعلم فـ"يتأمل كل وقت ما يشتهيه ويحن إليه ، فيقرب منه ، ومن الذي يكرهه ، فينحى عن وجهه ، لا استجابة لأمره ، ولكن تيسيرا عليه" [١] .

٦-التوازن الدقيق في استخدام أساليب الترغيب والترهيب ، دون شطط أو إخلال .

- **إخوان الصفا :**

هم جماعة من الفلاسفة ، ينتسبون إلى المذهب الإسماعيلي الشيعي ، ظهروا في منتصف القرن الرابع الهجري ، وعاشوا في مدينة البصرة بالعراق ، لم تعرف شخصياتهم على وجه التحديد ، ولا عددهم كأفراد ، و ضمنوا آراءهم وأفكارهم وطريقتهم في اثنتين وخمسين رسالة ، وهي في أربعة أجزاء .

-الجزء الأول : في الرياضة ، والصناعة ، والمنطق ، وفيه أكثر آرائهم في التربية .

-الجزء الثاني : في الطبيعيات ، والسماوات ، والأفلاك ، والمعادن ، والنبات ، والحيوان ، والإنسان .

-الجزء الثالث : في النفس ، ومعنى الحياة والموت ، واللذة والألم ، وفي النشوء والارتقاء ، والبحوث ، واللغات .

-الجزء الرابع : في الإلهيات ، والديانات ، والشرائع ، والتصوف [٢] .

-إخوان الصفا ورؤيتهم العقلانية في التعلم والتعليم :

لم تثر فئة فكرية إسلامية من الجدل حولها ما آثاره إخوان الصفا ، كما أن أحدا لم يكن له مثل عطائهم الفكري وفرة وشمولا ، ولا بلغ من التأثير في الحياة العقلية الإسلامية مبلغهم ، وقد أثاروا لذلك كله كثيرا من الإعجاب بهم ومن الخوف

---

(١) ابن سينا:رسالة السياسة،مصدر سابق:ص١٦.

(٢) لمعرفة المزيد حول جماعة إخوان الصفا ، يراجع ،د.نادية جمال الدين:فلسفة التربية عند إخوان الصفا،المركز العربي للصحافة،القاهرة،ط١،١٩٨٣م،ص٨٣ وما بعدها.

منهم ، حتى ظلت رسائلهم من الكتب المتهمة - باصطلاح الجاحظ - ردحا من الزمن طويلا .

وقد عادوا يثيرون جدلا عنيفا حولهم مرة أخرى في الزمـــن الحـــاضر منــذ أن نشرت رسائلهم مجددا عام ١٩٢٨م .

لقد قدم إخوان الصفا أنفسهم إلى أهل عصرهم على أنهم (إخـــوان أصدقـــاء أصفياء ، وادون محبون علماء أخيار فضلاء كرام متعاونون) [١] ، ثم دعوا النـــاس إلى مشاطرتهم الدخول في هذه الرابطة الأخوية والانتماء (إلى صحبة إخوان لك فضـــلاء وأصدقاء كرام علومهم حكمية وآدابهم نبوية وسيرتهم ملكية ولذاتهم روحانية وهممهم إلهية ، ولنترك صحبة إخوان الشياطين الذين لا يريدونك إلا لجر منفعة الأجســـاد أو لدفع المضرة عنها ، وكن يا أخي من المؤمنين الذين بعضهم أولياء بعـــض يـــأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) [٢] .

ويستخلص بعض المؤرخين المعاصرين أن إخوان الصفا (كـــانوا جماعـــة مـــن المتفلسفين الأخلاقيين الذين رأوا النـــزاع الاجتماعي والسياسي والديني راجعـــا إلى تعدد الأديان والمذاهب الدينية والجنسية -القومية- في الخلافة العباســـية ؛ فـــأحبوا أن يذيبوا جميع تلك الخلافات في مذهب واحد جامع مبني على أشياء مأخوذة من جميـــع الأديان والمذاهب) [٣].

وما يعنينا عنهم في هذا المقام أنهم كانوا فعلا جماعة ذات مقاصد سياســـة أرادت تغيير المجتمع ؛ لا عن طريق الثورة العنيفة وإنما عن طريق تغيير (طريقة التفكير) عنـــد سواد الناس ؛ لأنهم يتفقون على ما يبدو أن الظلم والاستبداد والتفسخ السياســـي لا يقيض لهما الوجود والاستمرار إلا مع جهل الجماهير وغفلتها ، ومتى نفي عن هـــذه

---

(١) إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفا،مصدر سابق،ج١،ص١٣١،ج٤،ص٨٥.

(٢) المصدر السابق،ج٢،ص١٩.

(٣) عمر فروخ:تاريخ الفكر العربي،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٦٥م،ط١،ص٣٧٩.

الجماهير الجهل والغفلة تعذر استغلالها أو استعبادها ، ومن هنا تفردوا في تاريخ الفكر الإسلامي بهذه النزعة التعليمية التربوية واختصوا بها .

ولهذا أيضًا كانوا (تعليميين) في مزاولة نشاطهم العلمي والسياسي ، وتتجلى هذه النزعة التعليمية في العمل السياسي عندهم في نوعية العلاقات التي كانت تنتظمهم وتحدد منازل بعضهم من بعض في مراتب الدعوة ، التي كانت هي الأخرى تعليمية في ذات الوقت ، وكان التدرج في الدعوة والعمل في صفوف إخوان الصفا مرتبًا على طبقات .. الطبقة الأولى شبان يتراوح عمرهم بين ١٥ - ٣٠ سنة ، تنشأ نفوسهم على الفطرة ، ونظرًا لأنهم تلاميذ فواجب عليهم أن ينقادوا لأستاذهم انقياد تامًا ، أما الطبقة الثانية فرجال بين الثلاثين والأربعين تفتح لهم أبواب الحكم الدنيوية ويتلقون المعرفة بالأشياء بطريق الرمز ، والطبقة الثالثة أفراد أعمارهم بين الأربعين والخمسين ، وهم يعرفون الناموس الإلهي معرفة كاملة مطابقة لدرجتهم ، وهذه هي طبيعة الأنبياء ، فإذا نيف الرجل على الخمسين فقد ارتقى إلى الطبقة العليا ، وقيض له أن يشهد حقائق الأشياء على ما هي عليه مثل الملائكة المقربين .

وفي تصنيف آخر لمراتب الدعوة عند الإخوان ينقسم الأعضاء إلى :

١-الأبرار الرحماء : وهم من بلغوا الخامسة عشرة ، ويمتازون بصفاء الجوهر وسخاء النفس وجودة القول وسرعة التصور .

٢-الأخيار الفضلاء : وهم من بلغوا الثلاثين ، ويمتازون بمراعاة الإخوان وسخاء النفس وإعطاء الفيض والشفقة والرحمة والتحنن على الإخوان .

٣-الفضلاء الكرام : وهم من بلغوا الأربعين ، ويمتازون بالسلطان والأمر والنهي والنصر والقيام بدافع العناد والخلاف عند ظهور للمعاند المخالف لهذا الأمر بالرفق واللطف والمداراة في إصلاحه .

٤-البالغون ملكوت الله : وهم من بلغوا الخمسين ، ويمتازون بالتسليم وقبول التأييد ومشاهدة الحق عيانًا [١] .

وصفة أخرى لإخوان الصفا تتمثل في تيسيرهم على أنفسهم في مصادر المعرفة ، فلم يقيدوا أنفسهم بمصدر واحد ، ومن هنا كانت نظرتهم الشمولية إلى مصادر المعرفة الإنسانية فجعلوها في أربع جهات :

١-الكتب المنزلة مثل التوراة والإنجيل والقرآن .

٢-الكتب المصنفة على ألسنة الحكماء والفلاسفة ، من الرياضيات والطبيعيات والآداب والفلسفة .

٣-الطبيعة ، أي صور أشكال الموجودات بما هي عليه .

٤-التأمل في الكون ونظامه الطبيعي أو ما يسمونه (جوهر النفوس وأجناسها وأنواعها وجزئياتها وتصاريفها للأجسام [٢]).

ثم هناك سمة لعلها أن تكون من أبرز سماتهم الفكرية ، وهي رفضهم التعصب ، والتزامهم بحرية الفكر كقاعدة ملزمة لطلب الحقيقة ، فطالبوا أشياعهم بـ (ألا يعادوا علمًا من العلوم أو يهجروا كتابًا من الكتب و ألا يتعصبوا على مذهب من المذاهب) [٣] ، ومن هذا الرفض المطلق للتعصب ، ومن هذا التسليم بالانفتاح العقلي استطاعوا أن يستبقوا عصرهم إلى معرفة أهمية الخلاف العقلي وتنوع المذاهب الفكرية في تنمية الحركة العلمية وزيادة نبض التقدم العقلي والاجتماعي قوة وتدفقا .

وقد رأوا (في اختلاف العلماء والآراء والمذاهب فوائد كثيرة تخفى على كثير من العقلاء فمن أجل ذلك تجد العقول بتفاوتها اختلافات كثيرة لا يحصي عددها إلا الله الواحد القهار... وخصلة أخرى من الفوائد في اختلاف العلماء وذلك أنه لما كان

---

(١) إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، مصدر سابق، ج٤، ص٧ -٥٨.

(٢) المصدر السابق: ج٤، ص٢٦.

(٣) المصدر السابق: ج٤، ص٤١-٤٢.

الإنسان لا يخلو من محاسن وفضائل ولا ينفك عن مساوئ ورذائل أيضًا في أخلاقه وسيرته ومذهبه وأفعاله ، وكان أكثر الناس تجدهم يتزينون بمحاسنهم ويفتخرون بفضائلهم ويغفلون عن رذائلهم وينسون عيوبهم ومساوئهم ، ثم يدعوهم اختلافهم في الآراء والمذاهب إلى كشف عيوب بعضهم لبعض وذكر مساوئ بعضهم لبعض ويكون ذلك تنبيهًا للجميع عن ترك الرذائل وحثًا لهم على اكتساب الفضائل ويكون في ذلك إصلاح الكل إذا فعلوا ما يؤمرون به وتركوا ما يعابون عليه ، ومن أجل هذا قيل اختلاف العلماء رحمة ، وخصلة أخرى من فوائد العلماء في الاختلاف في أحكام الدين وشرائعه وفنون المذاهب وهو أن لا يكون الدين ضيقًا حرجًا لا رخصة فيه ولا تأويل كما قال تعالى ﴿ **ما جعل عليكم في الدين من حرج** ﴾ وقال عليه السلام : (**ادرأوا الحدود بالشبهات**) فبهذا الوجه أيضًا اختلاف العلماء رحمة واختلاف أهل الديانات في أمر الدين وسنن أحكامه حكمة جليلة لا يعرفها إلا المحققون المستبصرون) [1] .

بهذه المزايا الأربع :

١-تطبيق العلم على مشاكل المجتمع من خلال نظام محكم للتربية يستهدف قلب الموازين العقلية والأخلاقية وتحرير الطاقة العقلية للجماهير .

٢-الطبيعة التعليمية لتنظيمهم السياسي .

٣-تنويع مصادر المعرفة .

٤-رفض التعصب ، والإيمان بالحرية ومعرفة أهمية الخلاف الفكري الموضوعي في التقدم الاجتماعي والفكري .

استطاع إخوان الصفا أن يتبوءوا مكانتهم الرفيعة في تاريخ الفكر الإسلامي ، وأن يبلغوا من التأثير الإيجابي فيه شأوا عز على غيرهم بلوغه ، وتركوا آثاراً بارزة في تطور حركة الفكر الإسلامي ، منها :

---

(١) إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفا،مصدر سابق،ج٣،ص٤٩٠ -٤٩١.

١-استيعابهم للحياة العقلية في القرن الرابع للهجري .

٢-وضعهم أول موسوعة فكرية فلسفية إسلامية هي رسائلهم المشهورة .

٣-محاولتهم تثقيف الجماهير (العامة) بفنون العلم والفلسفة [١] .

-أهداف التعليم والتربية عند إخوان الصفا :

كان طبيعيًا أن تنعكس خصائص إخوان الصفا الفكرية على رؤيتهم التعليمية و التربوية ، وكان أول ما عناهم هو رسم الغايات الفردية والاجتماعية التي يجب أن يسعى التعليم و التربية إلى تحقيقها ، وقد غلّبوا الهدف الاجتماعي على الهدف الفردي تغليبًا شديدًا ، وهذا مفهوم ومبرر ، فقد أقلق إخوان الصفا انتشار (الآراء الفاسدة) ، وكثرة أهلها في عصرهم ، (وأن أضرهم على العلماء من إذا سئلوا عن أشياء هي موجودة مقدرة بين الناس ومعروفة مشهودة عند الحكماء لا يحسنون أن يجيبوا عليها ، بل يخوضون في طغيانهم وجهالاتهم ويكتبون في إبطالها المقالات المزخرفة يعارضون بها العلماء والحكماء ويشنعون عليهم ، مثل قولهم أن علم المنطق والطبيعيات كفر وزندقة وأن أهلها ملحدون ، ويوردون تلك الاعتقادات الفاسدة بفصيح العبارات ويكتبونها بأصح الخطوط وأجود ورق) [٢] .

ومن هذا المنطلق في مكافحة الآراء الفاسدة لم يصبح العلم عندهم -كما كان عند غيرهم- غاية في ذاته ، وإنما هم اقتنعوا بأن العلوم موظفة -أو يجب أن توظف- لخدمة غرض تربوي جليل هو معرفة المرء لذاته (فاعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه ، بأن غرض الفلاسفة والحكماء من النظر في العلوم الرياضية ، وتخريجهم تلامذتهم بها ، إنما هو السلوك والتطرق منها إلى علوم الطبيعيات ، وأما غرضهم من النظر في الطبيعيات فهو الصعود منها والترقي إلى العلوم الإلهية الذي هو أقصى غرض الحكماء والنهاية التي إليها يرتقي بالمعارف الحقيقية ، ولما كان أول درجة من النظر في العلوم

---

(١) عمر فروخ:تاريخ الفكر العربي،مرجع سابق،ص٣٨٤.

(٢) إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفا،مصدر سابق،ج١،ص٧٥.

الإلهية هو معرفة جوهر النفس ، والبحث عن مبدئها من أيـــن كـــان قبـــل تعلقـــها بالجسد ، والفحص عن معادها إلى أين تكون بعد فراق الجسد الذي يسمى المـــوت ، وعن كيفية ثواب المحسنين كيف يكون في دار الآخرة ، وخصلة أخرى أيضًـــا ، لمـــا كان الإنسان مندوبًا إلى معرفة ربه ، ولم يكن له طريق إلى معرفته إلا بعـــد معرفـــة نفسه ، كما قال الله تعالى : **﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفســـه﴾** أي جهل النفس ، وكما قيل : من عرف نفسه فقد عرف ربه ، وقد قيل أيضًا : أعرفكم بنفسه أعرفكم بربه ، فوجب على كل عاقل طلب علم النفس ومعرفـــة جوهرهـــا وتهذيبها ، وقد قال الله تعالى : **﴿ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾**) [1] .

على أن هذا الالتزام بمعرفة الإنسان لذاته لم يكن هو الآخر غاية في نفسه ، وإنما كان وسيلة إلى التسامي بالإنسان عمومًا ، لأن الهدف الأعلى للتربية هـــو الارتقـــاء بالإنسان إلى مراتب الملائكة الأطهار ليبلغ بذلك مرضاة الله ، ولا يكون ذلـــك إلا إذا سلك مسلكًا أخلاقيًا (يبلغ به نهاية الإنسانية مما يلي رتبة الملائكة ويقربه من باريه عـــز وجل ، ويجازى بأحسن الجزاء مما يقصر الوصف عنه كما وصفه الله عز وجل فقـــال : **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**) [2] .

-خطوات التعليم والتربية عند إخوان الصفا :

تبدأ عملية التربية عند الإخوان قبل الولادة ، ذلك أن مزاج الطفل ونموه يتأثران بظروف الحمل وصحة الأم الحامل ، وعلى هذا فإن العناية بتربية الإنسان تبدأ به جنينًا (لأن مكث الجنين في الرحم تسعة أشهر إنما لكي تتم البنية وتستكمل الصورة... وقد يعرف كل عاقل أن من يولد غير تام البنية ولا كامل الصورة لا ينتفع في هذه الدنيـــا ... وقد أوصى الأطباء الحوامل من النساء بالرفق بأنفسهن في حركتهن وتصرفـــاتهن

(١) إخوان الصفا: رسائل إخوان الصفا، مصدر سابق، ج١، ص٧٥.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص٤٤٨.

باعتدال وبوسائط وبلا إفراط ولا تقصير ، كي يسلم الجنين من الآفات العارضة هناك ويخرج الطفل سالما إلى هذه الدنيا) [1] .

وأول ما ينبغي الحرص عليه في تنشئة الطفل هو التأكد من سلامة نموه الحسي وحمايته مما يعوق نمو حواسه ؛ لأنها منافذ تواصله مع الكون الخارجي وتفاعله معه ، ولذا أوجبوا على الآباء والمربين والمعلمين أن يعلموا طبيعة نمو هذه الحواس وتدرجها في النمو ، (واعلم أن فهم القراءة والكتابة ومعرفتها متأخرة عن الكلام والأقاويل ، كما أن فهم الكلام والأقاويل ومعرفتها متأخرة عن فهم المحسوسات.. وذلك أن الطفل إذا خرج من الرحم فإنه في الوقت نفسه والساعة تدرك حواسه محسوساتها ، فيحس بالقوة الذائقة طعم اللبن ، وبالقوة السامعة الأصوات ، وبالقوة الشامة الروائح ، ولكنه لا يعلم معاني الكلام والأصوات إلا بعد حين ، فأول شيء يحس باللمس فيتألم لأن حاسة اللمس أعم الحواس ، ثم يحس بالطعم فيميز لبن أمه من غيره .. ثم يميز بين الروائح.... ثم يميز بين الصوت الشديد الجهر وبين الصوت الضعيف الخفيف ، ثم يفرق بين الصور.. ثم شيئا بعد شيء على التدرج ، وعلى هذا المثال فهمه ومعرفته بسائر الحواس ، إلى أن تتم سن التربية ويغلق باب الرضاع ويفتح الكلام والنطق ، ثم بعد ذلك تجيء أيام الكتابة والقراءة والآداب والصنائع والرياضيات) [2] .

لقد قادهم هذا الوعي الشديد لأهمية الحواس في اكتساب المعرفة واستقرارها في الكيان الإنسان الحسي والعقلي إلى تقدير أهمية (الجسد) عموما للسعادة الإنسانية ، واستواء حياة الإنسان ، فأفردوا له بابا بارزا في رسائلهم سموه (فصل السياسة الجسمانية) وأكدوا فيه على ضرورة العناية بالجسم والرفق به ووقايته من الإسراف

---

(١) إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفا،مصدر سابق،ج١،ص٤٤٢.

(٢) المصدر السابق:ج٣،ص٤١٤.

عليه بالأكل أو غيره من اللذات (فإذا لم تحمل على جسمك من المآكل والمشـــارب والباءة والحركة إلا معتدلاً لازمتك العافية وعدمت الأسقام) [1] .

أن هذا التوجه إلى تقرير أهمية الحواس الإنسانية في تنظيم إدراك الإنسان للعـــالم الخارجي وتكوين مفاهيم عنه ، وحيوية سلامة الجسم الإنساني لسعادة الإنسان فرديـة كانت أم جماعية ، كل هذا لم يصرف إخوان الصفا عن حقيقة أن الغاية العليا للتعليـم هي غاية أخلاقية ، وأن التعليم بمجمله هو عمل أخلاقي ، وهذا ما أسموه (السياســة النفسية) ، (فبكون أخلاقك رضية وعادتك جميلة وأفعالك مستقيمة تؤدي الأمانـة إلى أهلها كائنًا من كان من ولي وعدو ، وتأخذ نفسك بحفظها وتراعي حق من استرعاك حقها ، وتحسن بمجاورة جارك وتصفي مودة صديقك وتخلص المحبة لمحبك ، مع قلـــة الطمع وإزالة الفزع في مستعجل زائل وحادث نازل ، وتريد للغير ما تريد لنفســك ، وسبيلك أن تعود نفسك عمل الخير لأنه خير ، لا تريد بفعلك عوضًا ولا يحملك على فعله خوف ، فما فعلت لطلب المكافأة لم يكن خيرًا ، وإن لم تطلب المكافــأة وأردت الذكر والاسم كنت أيضًا منافقًا ، ولم يكن خيرًا ، والمنافق لا يستأهل أن يكـــون في جوار الروحانيين) [2] .

وتجنيباً للناشئ من عواقب النفاق -وهو لديهم رمز لكل الشذوذ الســـلوكي- أكد إخوان الصفا على أهمية البيئة التي ينشأ في ظلها الفرد ، فقالوا منبهين ومحذريـن : (إن العادات الجارية بالمداومة عليها تقوى الأخلاق المشاكلة لها ، كما أن النظـــر في العلوم والمداومة على البحث عنها والدرس لها والمذاكرة فيها يقـــوي الحـــذق بهـــا والرسوخ فيها ، وهكذا المداومة على استعمال الصنائع والتدريب فيها يقوي الحـــذق بها والأستاذية فيها ، وهكذا حكم الأخلاق والسجايا ، مثال ذلك أن كثــــيرًا مـــن الصبيان إذا نشأوا مع الشجعان والفرسان وأصحاب السلاح وتربوا معـــهم طبعـــوا بأخلاقهم وصاروا أمثالهم ، وهكذا أيضًا كثير من الصبيان إذا نشأوا مـــع النســـوان

(١) إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفا،مصدر سابق،ج١،ج٤،ص٢٥٦.

(٢) المصدر السابق:ج٣،ص٢٥٨.

والمخانيث وتربوا معهم تطبعوا بأخلاقهم ، إن لم يكن في كل الخلق ففي البعـــض ، وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الأخلاق والسجايا التي ينطبع عليها الصبيان مـــن الصغر ، إما بأخلاق الآباء والأمهات أو الإخوة أو الأتراب والأصدقـــاء والمعلمـــين والأستاذين المخالطين لهم في تصاريف أحوالهم ، وعلى هـــذا القيـــاس حكـــم الآراء والمذاهب والديانات جميعًا) [1] .

-المعلم ودوره عند إخوان الصفا :

أسند إخوان الصفا للمعلم دوراً مركزيًا في العملية التربوية ، ولذا اشترطوا فيـــه الرشد والهداية والسداد والذكاء وجودة الطبع وحسن الخلق وصفاء الذهـــن وحـــب العلم طلبًا للحق ونبذ التعصب [2] ، وذلك لأنهم اعتبروا التعليم نوعًا من الأبوة الثانيـــة لأن (المعلم والأستاذ أب لنفسك وسبب لنشوئها وعلة حياتها كما أن والدك أعطـــاك صورة جسدانية ومعلمك أعطاك صورة روحانية ، وذلك أن المعلم يغـــذي روحـــك بالعلوم ويربيها بالمعارف ويهديها طريق النعيم واللذة والسرور والأبديـــة والراحـــة السرمدية ، كما أن أباك كان سببًا لكون جسدك في دار الدنيا ومربيك ومرشـدك إلى طلب المعاش فيها التي هي دار الفناء والتغيير والسيلان ساعة بساعة ، فسل يا أخـــي ربك أن يوفق لك معلما رشيدا هاديا سديدا) [3] .

-الخلاصة :

تلك هي نظرية إخوان الصفا في التعليم والتربية وأهدافها الاجتماعية والعقليـــة ، وقد توجوا نظريتهم هذه بموقف أخلاقي رفيع ، من وجوب اتخاذ العلـــم ســـبيلا إلى التسامي الذاتي ، وجعلوا ذلك مسئولية أساسية على الفرد نحو نفسه ونمو مجتمعه ونحـــو الله ، منطلقين إلى ذلك من إقرارهم بأن (الله جل ثناؤه قد فرض على المؤمنين أشـــياء كثيرة يفعلونها ، ونهاهم عن أشياء كثيرة يتركونها ، ..ولكن ليس من فريضة من جميع

---

(١) إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفا،مصدر سابق،ج١،ج٤،ص٣٠٧ -٣٠٨.

(٢) المصدر السابق:ج٤،ص٥٠.

(٣) المصدر السابق:ج٤،ص٥٠.

مفروضات الشريعة وأحكام الناموس أوجب ولا أفضل ولا أجل ولا أشرف ولا أنفع لعبد ، ولا أقرب إلى ربه بعد الإقرار به ، والتصديق لأنبيائه ورسله فيما جاءوا به وخبروا عنه ، من العلم وطلبه وتعليمه ، وبيان ذكر شرف العلم ، على ما ذكرناه من فضله وجلالته وفضل طلبه وتعليمه ، ما روي عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : (**تعلموا العلم فإن في تعلمه لله خشية وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد**) وتعليمه لمن لا يعلمونه صدقه ، وبذله لأهله قربة ، لأنه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل الجنة ، والمؤنس في الوحدة والوحشة ، والصاحب في الغربة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والمقرب عند الغرباء ، والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة يهتدي بهم ، وأئمة في الخير تقتفي آثارهم ، ويوثق بأعمالهم وينتهى إلى آرائهم ، وترغب الملائكة في خلقهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، وفي صلاتها تستغفر لهم ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، حتى الحيتان في البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه ، والسماء ونجومها ، لأن العلم حياة القلب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، وقوة الأبدان من الضعف ، يبلغ به العبد منازل الأحرار ومجالس الملوك ، والدرجات العلى في الدنيا والآخرة ، والفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام ، به يطاع الله ، وبه يعبد ، وبه يعلم الخير ، وبه يتورع ، وبه يؤجر وبه توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، واعلم أن العلم أمام و العمل تابعه ، ويلهمه الله السعداء ويحرمه الأشقياء) (1).

ولم يفتهم وهم في هذا المقام من تعظيم الهدف الأخلاقي للعلم أن يحذروا من علماء السوء الذين لهم آفات وعيوب وأخلاق ردية ؛ يجب تجنبها والحذر منها ، كالكبر والعجب والافتخار ، ومنها الخلاف والمنازعة فيه ، وطلب الرياسة به ، والتعصب والعداوة والبغضاء فيما بينهم .

(ومن آفات العلماء الخوض في المشكلات ، والترخيص في الشبهات ، وترك العمل بموجبات العلم ، ومن آفات العلماء كثرة الرغبة في الدنيا وشدة الحرص في

---

(1) إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفا،مصدر سابق،ج1،ص246 -247.

طلبها ، وقد قيل في المثل : إن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والحرص في طلبها مرض للنفوس وسقام لها ، وعلماء أحكام الناموس هم أطباء النفوس ومداووها ، فمثل العالم الراغب في الدنيا ، الحريص على طلب شهواتها ، كمثل الطبيب المداوي غيره وهـــو مريض لا يرجى صلاحه ، فكيف يشفي المريض بعلاجه ؟ وقد قيل : إن عالما زاهـــدا في الدنيا ، يكون عالما بدين الله ، وبصيرا بطريق الآخرة ، خير من ألف عالم راغـــب فيها ، وقال المسيح عليه السلام : أيها العلماء والفقهاء قعدتم على طريق الآخرة فـــلا أنتم تسيرون إليها فتدخلون الجنة ، ولا تتركون أحدا يجوزكم فيصل إليـــها ، وغـــن الجاهل أعذر من العالم وليس لواحد منهما عذر) [1] .

(٢) إخوان الصفا:رسائل إخوان الصفا،مصدر سابق،ج١،ج٤،ص٢٤٧-٢٤٨.

- اتجاه الصوفية (المدرسة الذوقية) :

يعد التصوف تجربة خاصة وفريدة في تاريخ الفكر الإسلامي ، على المستوى الفردي والجماعي ، والمستوى السلوكي والروحي ، من هنا كانت تحكمها كثير من المجاهدات والشطحات ، والرموز والأسرار .

وتعمق التصوف ، وسبر أغواره يحتاج إلى تذوق وتجربة ومعاناة ، وليس ذلك متاحا لكل دارس أو باحث .

فالتصوف شأن أي تجربة روحية يحتاج إلى تصديق واقتناع ، استهواء واستحسان ، أما العقل والبرهان ، أو الحجة والدليل ، فيزهد فيها ، ويربي مريديه على الزهد فيها ، والاكتفاء بالقلب والكشف والذوق والفيض ، أي بالعاطفة والوجدان .

والصوفية لهم نظرة خاصة في طبيعة الإنسان ، والمعرفة ، العلم والعالم، الروح والنفس ، البصر والبصيرة ، الأخلاق والآداب ، العقل والهوى ..... إلخ .

ومثل هذه النظرة الخاصة تميزهم عن غيرهم من الاتجاهات والمدارس الفكرية والأخلاقية الأخرى ، فهم من أكثر الاتجاهات تميزا واستقلالية ، تفردا وخصوصية في إعداد المريد (المتعلم) . [1]

ولقد تبلور الاتجاه الصوفي كمدرسة متميزة في نهاية القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري ، متمثلة في طلائع الزهاد الأوائل أمثال : الفضيل بن عياض ، وعبد الله بن المبارك ، وإبراهيم بن أدهم ، وبشر الحافي ، والحارث المحاسبي .

وكان على المدرسة الصوفية أن تبني كيانها على أصول واضحة ، وتتخذ منهجا محددا ، فأدى ذلك إلى تدوين مفاهيمها ، وظهرت المصنفات والمؤلفات، وخرج الصوفية إلى المجتمع بمؤسسات تعليمية تعبدية ، من أهم هذه المؤسسات:

١-الخوانق ، والخوانق كلمة فارسية معناها البيت أو الدير أو المعبد ، والمقصود بها تلك الدور التي يسكنها الصوفية وتجري عليها الأرزاق ، ويشرف عليها العلماء والشيوخ ، ويتم فيها التفرغ للعبادة والذكر والعلم والتعليم .

ومن أشهر الخوانق في مصر ، خانقاه سعيد السعداء ، وخانقاه ركن الدين بيبرس ، وخانقاه شيخو [1] ، والاصطلاح المشهور في مصر لوصف الخوانق هو الزاوية والزوايا ، أو التكية والتكايا .

٢-الربط ، وهي جمع رباط ، وتمثل عند الصوفية بيوت العلم والجهاد ، وفي المغرب الإسلامي اتخذ الرباط شكلا خاصا ، إذ هو عبارة عن ثكنة عسكرية محصنة ذات صحن تعلوه مئذنة للأذان ومراقبة السواحل اتقاء لغارات الأعداء .

والرباط أخذ تسميته من المرابطة في سبيل الله ، حيث المجاهدون برابطون في سبيل الله للجهاد والعبادة والعمل ، وكان العلماء والشيوخ يرابطون بالربط فترة كل عام للجهاد وتدريس العلم احتسابا لوجه الله تعالى .

ومسألة التطوع وخدمة الغير احتسابا مسألة أساسية لدى الصوفية ، فمن أهم واجبات المريد (المتعلم) أن يقضي عاما في خدمة الناس تطوعا بغير أجر ، سوى رياضة النفس على حب الخير ، ومساعدة المرضى والفقراء .

من هنا جاءت فكرة المجاهدة وصلتها بالجهاد ، والتطوع وصلته بتطويع النفس ، والمرابطة وصلتها بالرباط .

وبالإضافة إلى الخوانق والربط فهناك الخلاوي ، التي ماتزال تلعب دورا تعليميا وتربويا هاما في العديد من الدول الإسلامية وخاصة السودان ودول جنوب الصحراء [2].

---

(١) عبد العظيم شرف الدين:ابن القيم الجوزية (عصره ومنهجه)،مكتبة الكليات الأزهرية،١٩٦٧م،الطبعة الثانية،ص٥٤-٥٥.

(٢) حسن جوهر:السودان أرضه وتاريخه،(د.ن)،القاهرة،ص٢٠٣-٢٠٧.

وفي الخوانق والربط يأخذ الصوفي نفسه بمنهج متكامل من العبادات (كالأدعية والأوراد) ، والسلوكيات (كخشونة الأكل والملبس) ، والرياضات النفسية (كالتواضع والخشية) ، ومثل هذا المنهج وضع بعناية ودقة بحث يسهم في ترقية الحس ، وسمو النفس ، وإرهاف القلب ، وبذلك يتكامل المنهج ويؤدي إلى الوصول للنتيجة المرجوة منه وهي إيجاد الإنسان الصالح .

خصائص وسمات الاتجاه الصوفي :

امتاز الاتجاه الصوفي بخصائص وسمات فريدة في المنهج والوسائل والأهداف ميزته عن سائر الاتجاهات الفكرية ، ومن أهم هذه الخصائص ما يلي :

١- التركيز على تزكية النفس وتهذيب الروح والمغالاة في ذلك :

فالهدف الأسمى عند الصوفية هو الوصول إلى المحبوب ، والأنس بقربه ، ولا يكون ذلك إلا بتزكية النفس ، وتطهير القلب من الصفات المرذولة ، والوساوس والخطرات الشيطانية ، التي تحول دون تحقق الهدف ، وللوصول إلى هذا اتخذ الصوفية عدة وسائل منها : الزهد والتقشف ، والبعد عن الملذات وشهوات النفس ، وكثرة الذكر والدعاء والعبادة ، والخلوة والانقطاع عن الخلق واعتزالهم فـ(لا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده عن الخلق) (١) .

٢- ضرورة الالتزام بشيخ واحد :

فلا يكتمل الطريق من غير شيخ يهتدى به ويتعلم منه ، فهو أساس الطريق ومبدؤه ، فالشيخ يأخذ بيد المريد ، ويساعده على التدرج في الطريق ، والمريد بحاجة إليه ليقتدي به ، وليهديه سواء السبيل ، فسبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة (٢) .

---

(١) القشيري:الرسالة القشيرية،مصدر سابق،ص ٥١.

(٢) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج٣،ص٦٥ .

والشيخ عند الصوفية معنى يجب على المريد أن يتمثله ويطبع نفسه عليه ، وبدون ذلك لا يكون المريد صادقا في سلوكه ، ولا مخلصا في طريقه ، ولن يظفر بالوصول مهما أفرغ جهده في العبادات ، وبذل وسعه في الطاعات (١) .

فالتعلم الذاتي ، وعدم الاعتماد على موجه أو دليل مرفوض في الفكر الصوفي ، فيجب على المريد أن يتخذ شيخا لا يحيد عنه ، ولا يلتفت إلى غيره ، بل ولا يجوز له أن يطلب العلم من غيره (٢) .

٣- المغالاة في توقير الشيخ واتباعه :

غالى المتصوفة في الشروط التي أوجبوها على المريد نحو شيخه ، بصورة جعلت من هذه الشروط قيودا وأغلالا ، على حرية وعقل وفكر المريد (المتعلم) ، و يبدو أن الإفراط في طاعة المريد للشيخ طاعة يطرح معها عقله وتفكيره ، والتسليم له ظاهرا وباطنا ؛ إنما ينبع من حرص أشياخ التصوف على تأصيل مفهوم عصمة الشيخ ، فهم يقولون : النبي معصوم ، والولي محفوظ ، ولا يثبتون فرقا بين العصمة والحفظ إلا في اللفظ (٢) ، ومن هذه الشروط التي أوجبوها على المريد :

أ-عدم مخالفة الشيخ مطلقا فيما يأمر به ، وأن تكون موافقة الشيخ بالقلب والجوارح ، فلا إنكار ولا مخالفة لشيء مما يقوله مطلقا ، وشعارهم دائما (كن بين يدي شيخك كالميت بين يدي مغسله) ، يقول القشيري : (وأن لا يخالف شيخه في كل ما يشير عليه لأن خلاف المريد في ابتداء حاله دليل على جميع عمره) (٣) ، ويقول : (ومن شروطه أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه) (٤) .

---

(١)د.عبد الفتاح الفاوي:التصوف عقيدة وسلوكا،مكتبة الزهراء،القاهرة،ط١،١٩٩٢م،ص١٨٠

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق:الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة،مكتبة ابن تيمية،الكويت،ط٣،١٩٨٦م،ص٣١٤.

(٣)صادق سليم صادق:مصادر التلقي عند الصوفية،مكتبة الرشد،الرياض،ط١،١٩٩٤م،ص٥٣.

(٤) القشيري:الرسالة القشيرية،مصدر سابق،ص١٨٢.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

وهذا الشرط لم يقل به أحد على هذا الإطلاق ، بل المعلوم من سيرة السلف أنهم كانوا لا يقبلون إلا ما وافق الشرع والعقل والعرف الصحيح ، أما الموافقة الدائمة وعدم الاعتراض أو الإنكار مطلقا فلم يقل به أحد غيرهم ، لأن في ذلك إماتة للعقل والقلب معا ، وقد يكون فيه قبولا لمنكر أو مستهجن ، فليس أحد بعد الأنبياء معصوما من الخطأ أو الزلل ، فواجب على المريد أو المتعلم إذا ما رأى شيخه على شيء من ذلك أن يلفت نظره إلى ذلك ؛ مراعيا الأدب والحكمة في ذلك.

ب_لا يجوز للمريد أن ينكر شيئا على الشيخ أبدا ، حتى لو كان معه دليل ، فلا حرج على الشيخ أن يفعل ما يشاء ، ولا يجوز أن يظن المريد خلاف الخير والحق في شيخه ، يقول ابن عربي : (ومن شروط المريد أن يعتقد في شيخه أنه على شريعة من ربه ونبيه ، ولا يزن أحواله بميزانه ، فقد تصدر من الشيخ صورة مذمومة في الظاهر وهي محمودة في الباطن ، والحقيقة يجب التسليم ، وكم من رجل كأس خمر بيده ورفعه إلى فيه وقلبه الله في فيه عسلا ، والناظر يراه يشرب خمرا ، وهو ما شرب إلا عسلا ، ومثل هذا كثير) [1] .

ج-لا يجوز للمريد أن يتحرك أو يسكن إلا بأمر الشيخ وإذنه : فقد جعلوا من آداب المريد مع شيخه أنه لا يجوز له أن يتحرك أو يسكن ، أو يتصرف في نفسه أو ماله أو زوجه ، إلا بإذن شيخه [2] ؛ لأنه -في اعتقادهم- أعلم بحال المريد من نفسه .

٤- حطهم من قيمة الدليل العقلي والنقلي في مقابل (الكشف و الوجد و الذوق ، أساسا للمعرفة ، واعتبروا حقائق الأمور تنال بهذا الطريق) [3] .

---

(١) أحمد بن مبارك السلجماسي:الإبريز،البابي الحلبي،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص٢٠٢.

(٢) عبد الرحمن عبد الخالق:الفكر الصوفي،مرجع سابق،ص٣٣٢ بتصرف.

(٣) صادق سليم صادق:المصادر العامة للتلقي عند الصوفية،مكتبة الرشد،الرياض،١٩٩٤م،ط١،ص٥.

أبرز شخصيات الاتجاه الصوفي :

- **الغزالي (ت٥٠٥هـ)**

كانت حياة أبي حامد الغزالي قصيرة بقدر ما كانت عاصفة ، فهو لم يعمر إلا خمسا وخمسين سنة فقط ، فقد ولد في طوس سنة ٤٥٠هـ ، ثم فقد أباه صغيرا ، وكرس حياته لطلب العلم والتفقه في الدين متتلمذا على كبار علماء عصره مثل على بن أحمد الرادكاني وابن نصر الإسماعيلي الذي أخذ عنه الفقه و الكلام والجدل والمنطق وشيئا من الفلسفة ، وكان آخر من درس على يديه قبل أن يلمع نجمه ، واختلف إلى أبي المعالي الجويني ، وجد في التعلم على يديه حتى تخرج في وقت قصير وصار من الأعيان ، بعد أن برع في المذهب الشافعي والخلاف والجدل والمنطق والحكمة والفلسفة وغيرها ، حتى لقب بحجة الإسلام [1] ، وبعد موت الجويني خرج الغزالي - وقد استوثق من نفسه- إلى الوزير السلجوقي نظام الملك الذي لقيه بالحفاوة وأقبل عليه إقبالا حميما ، وكان في حضرة الوزير جماعة من الأفاضل ؛ فجرت بين الغزالي وبينهم عدة مناقشات ومناظرات ظهر فيها عليهم ؛ فأعجب به نظام الملك ، ثم رأى أن يستعين به في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والرد على الباطنية ؛ فولاه منصب التدريس في المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٨٤هـ ؛ فأقبل الطلاب عليه إقبالا منقطع النظير ، واتسعت حلقاته وذاع صيته ، حتى لقب بإمام العراق ؛ فكلفه الخليفة العباسي المستظهر بالله بالرد على الباطنية الذين اشتد أزرهم ؛ فصنف في الرد عليهم عدة كتب منها : المستظهر ، وحجة الحق ، ومفصل الخلاف ، والدرج المرقوم ، والقسطاس المستقيم ، وغيرها [2] .

وهكذا أصبح الغزالي لسان السلطة السياسية في الرد على مخالفيها في الأفكار والاعتقادات ، ويبدو أن بهاء المجد قد أخذ عليه لبه ؛ فاندفع يوظف ذكاءه وعلمه في مقارعة المذاهب الدينية والفلسفية التي لا ترضى عنها الخلافة العثمانية ؛ غير أن استمتاعه بهذا المجد لم يطل أكثر من أربع سنوات -كما يذهب الدكتور عمر فروخ- [3] ؛ فانتابته سنة ٤٤٨هـ أزمة نفسية خطيرة أفسدت عليه حياته العاطفية

---

(١) ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب،مرجع سابق،ج٤،ص١١.

(٢) جميل صليبًا : تاريخ الفلسفة العربية،دار الكتاب اللبناني،بيروت،١٩٧٠م،ط١،ص٣٣٤.

(٣) د.عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي،مرجع سابق،ص٤٨٦.

واستقراره النفسي إذ تبين له أن اندفاعه في خدمة السلطة السياسية لم يكن مما يرضي الله أو يتفق مع ضميره الديني الحقيقي ؛ وأنه بعمله هذا إنما صار طالب دنيا لا طالب دين ، فاعتورته معاناة روحية قاسية وصفها وصفًا مؤثرًا في كتابه "المنقذ من الضلال" الذي كتبه بعد تجاوزه لتلك الأزمة ونجاته منها بأربعة عشر عامًا ، يقول الغزالي في وصفه أزمته النفسية هذه : (ثم لاحظت أحوالي فإذا أنا منغمس في العلائق وقد أحدقت بي من الجوانب ، ولاحظت أعمالي وأحسنها التدريس والتعليم فإذا أنا مقبل فيها على علوم غير مهمة ولا نافعة في طريق الآخرة ، ثم فكرت في نيتي في التدريس فإذا هي غير خالصة لوجه الله تعالى بل باعثها ومحركها طلب الجاه وانتشار الصيت فتيقنت أني على شفا جرف هار ، وأني قد أشفيت على النار إن لم أشتغل بتلافي الأحوال... فصارت شهوات الدنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام ومنادي الإيمان يقول الرحيل فلم يبق من العمر إلا القليل وبين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل ، ثم يعود الشيطان ويقول : هذه حال عارضة إياك أن تطاوعها فإنها سريعة الزوال ، فلم أزل أتردد بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة قريبًا من ستة أشهر أولها رجب سنة ثمان وثمانين وأربعمائة وفي هذا الشهر جاوز الأمر حد الاختيار إلى الاضطرار إذ أقفل الله على لساني حتى اعتقل عن التدريس ، وأورثت هذه العقلة في اللسان حزنًا في القلب بطلت معه قوة الهضم ومراءاة الطعام والشراب فكان لا ينساغ لي ثريد ولا تنهضم لي لقمة وتعدى إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم في العلاج وقالوا : هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إلى العلاج إلا بأن يتروح السر عن الهم الملم ، ثم لما أحسست بعجزي وسقط بالكلية اختياري التجأت إلى الله تعالى التجاء المضطر الذي لا حيلة له ، فأجابني الذي يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والأصحاب ، وأظهرت عزم الخروج إلى مكة وأنا أدبر في نفسي سفر الشام حذرًا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي على المقام في الشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدًا)[1] .

ويذهب الدكتور عمر فروخ إلى أن الغزالي تعرض في هذه الفترة من حياته إلى مرض حقيقي كانت العرب تسميه "الكنظ" أو "الفنظ" وهو قريب على ما يبدو من

(١) الغزالي : المنقذ من الضلال،دار الأندلس،بيروت،ط١،١٩٦٧م،ص١٠٣-١٠٤.

مرض "الكآبة" المعروف في زماننا الحاضر والذي غالبًا ما تقود إليه عوامل نفسيه وضميرية شبيهة بتلك التي ألمت بالغزالي ، ويصف عمر فروخ "الكنظ" بأنه : (هبوط في القوى الجسمانية والعقلية ينتج اضطرابًا نفسيًا يتسم صاحبه بالقلق .. وهو يظهر عادة بعد الخامسة والثلاثين ويمتد من ثلاثة إلى ستة أشهر وهو قابل للشفاء ، وتتألف مدة المرض من فترات يتعرض المريض أثناءها لأزمات خفيفة أو حادة متقاربة أو متباعدة ، ويرافق المرض ضعف في الذاكرة وتشتت الفكر مع الحزن والتشاؤم والهروب من تبعات الحياة ، والمريض بالكنظ يقل أكله ونومه ويستولي عليه خشوع من التقوى والورع) [1] .

خرج الغزالي من بغداد متوجهًا إلى الشام فبيت المقدس فمدينة الخليل لزيارة قبر إبراهيم ثم الحجاز لتأدية فريضة الحج ثم إلى مصر للسفر منها إلى المغرب لملاقاة الأمير يوسف بن تاشفين ، غير أن ابن تاشفين توفي قبل توجه الغزالي إليه ، فظل يضرب في الآفاق (يهيم على وجهه في البراري والقفار لابسًا المرقعة ومعه المزود وبيده العصا حتى لقيه بعض أصحابه فعذله على هذه الحال والتمس منه الرجوع إلى بغداد) [2] .

فخرج ولكن إلى طوس ، عازفًا على التفرغ إلى علمه وتعبده ، إلا أنه استدعى للتدريس في نظامية نيسابور بطلب من فخر الملك ابن نظام الملك عام ٤٩٩هـ ، ولكن عمله في نيسابور لم يزد عن سنتين ؛ إذ قتل فخر الملك فعاد الغزالي إلى طوس وكرس بقية حياته لخدمة العلم ومخالطة الصوفية وأهل الحديث وفي الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة ٥٠٥هـ انتقل إلى جوار ربه [3] .

بعد عوته الغزالي الأخيرة إلى طوس تفرغ لمراجعة نفسه بعد أن تطهرت من علائقها الدنيوية وخلص يقينها لله تعالى ، وفي هذه الحقبة كتب أخلد كتبه "إحياء علوم الدين" ورسالته "أيها الولد" .

إن ما يعنينا من استعراض هذه السيرة المقتضبة للغزالي هو تعريف الظروف النفسية التي نتجت عنها أفكاره فيما يتعلق بآداب العالم والمتعلم ، وأفكاره الأخلاقية على وجه العموم .

---

(١) عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي،مرجع السابق،ص٤٨٦.

(٢) جميل صليبًا : تاريخ الفلسفة العربية، مرجع سابق،ص٣٣٧.

(٣) ابن خلكان:وفيات الأعيان،مرجع سابق،ج٣،٢١٨.

يتعامل الغزالي تعاملاً مباشرًا مع آداب العالم والمتعلم في كتابه "إحياء علوم الدين" ورسالته "أيها الولد" ، ومن المهم أن نلاحظ أن الكتابين هما من إنتاجه بعد شفائه من أزمته النفسية ، ويتضح هنا أن هذه الحقيقة هي التي حصرت تفكير الغزالي في الأخلاق والتربية لكونها (تقديم طهارة النفس على رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى) [1] .

لقد وضع الغزالي خلاصة آرئه فيما يتعلق بآداب العالم والمتعلم في كتابه "إحياء علوم الدين" ، وفي رسالته "أيها الولد" ، ويتركز حديث الغزالي عن آداب العالم والمتعلم في "الإحياء" حول ثلاث قضايا أساسية هي :

١- إظهار فضيلة العلم على الجهل .

٢- تصنيف العلوم وما ينبغي تحصيله منها ، أو المنهج في اصطلاحاتنا الحديثة .

٣- الآداب المتوقعة من المتعلم والمعلم على حد سواء .

فيما يتعلق بالقضية الأول يورد مجموعة من الشواهد النقلية والعقلية ، وشواهده النقلية مأخوذة من الكتاب والسنة وأقوال الحكماء ، أما شواهده العقلية فهي التي تميزه عن سواه فهو يوجهها نحو غاية نهائية واحدة هي توجيه الفرد إلى الله تعالى : (لأن الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة إلى الله عز وجل لمن يتخذها آلة ومنزلاً و لم يتخذها مستقرًا ووطنًا) [2] ، يقول الغزالي : (أعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته ، وما لم تفهم الفضيلة في نفسها و لم يتحقق المراد منها لم يكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال ، فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيداً حكيماً أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها ، والفضيلة مأخوذة من الفضل وهي الزيادة ، فإذا تشارك شيئان في أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشيء .... والعلم فضيلة في ذاته وعلى الإطلاق من غير إضافة ، فإنه وصف كمال الله سبحانه وبه شرف الملائكة والأنبياء ....

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج١، ص٦٢.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص٢٣.

واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعًا ، فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره ، والمطلوب لغيره : الدراهم والدنانير فإنما حجران لا منفعة لهما ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما كانا والحصباء بمثابة واحدة ، والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ، ولذة النظر لوجه الله تعالى ، والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن ، وبهذا الاعتبار إذا نظرت إلى العلم رأيته لذيذًا في نفسه فيكون مطلوبًا لذاته ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها ، وذريعة إلى القرب من الله تعالى ، ولا يتوصل إليه إلا به ، وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية ، وأفضل الأشياء ما هو وسيلة إليها ، ولن يتوصل إليها إلا بالعمل ، ولا يتوصل إلى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل ، فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم ؛ فهو إذاً أفضل الأعمال ، وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضًا بشرف ثمرته ، وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقاربة الملأ الأعلى هذا في الآخرة ، وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى إن أغنياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة ؛ بل البهيمة بطبعها توقر الإنسان لشعورها بتميز الإنسان بكمال مجاوزة لدرجتها ، هذه فضيلة العلم مطلقًا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها) [1] .

(فأشرف هذه الصناعات بعد النبوة إفادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة ، وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهي المراد بالتعليم ، وإنما قلنا إن هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات ، لأن شرف الصناعة يعرف بثلاثة أمور : إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها ، كفضل العلوم العقلية على اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل ، واللغة بالسمع ، والعقل أشرف من السمع .

وإما بالنظر إلى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة ، وإما بملاحظة المحل

---

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٢٣.

الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة .

وليس يخفى أن العلوم الدينية وهي فقه طريق الآخرة إذ ما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان ... إذ به تقبل أمانة الله ، وبه يتوصل إلى جوار الله سبحانه) [١] .

أما القضية الثانية ، فإن العلوم تنقسم عند الغزالي :

١- العلم الذي هو فرض عين .

٢- العلم المفروض فرض كفاية [٢] .

أما المفروض فرض عين فينقسم إلى:

أ- علم المعاملة .

ب- علم المكاشفة .

والمعاملة المكلف بها العبد العاقل البالغ ثلاثة أشياء : اعتقاد ، وفعل ، وترك .

(وأما فرض الكفاية فهو علم لا يستغنى عنه في قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضروري في حاجة بقاء الأبدان ، وكالحساب فإنه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمورايث وغيرهما ، وهذه هي العلوم التي لو خلا البلد ممن يقوم بها حرج أهل البلد ، وإذا قام بها واحد كفى ، وسقط الفرض عن الآخرين ، فلا يتعجب من قولنا أن الطب والحساب من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة ، فإنه لو خلا البلاد من الحجام تسارع الهلاك إليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك .

وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق في دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة في القدر المحتاج إليه .

وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات .

وأما المباح منه ، فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجري مجراه .

وأما العلوم الشرعية وهي المقصودة بالبيان فهي محمودة كلها ، ولكن قد يلتبس

---

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٢٤.

(٢) فرض العين هو الفرض الواجب على كل مسلم ومسلمة كالصلاة والصوم، أما فرض الكفاية فهو الفرض الذي إذا قام به البعض سقط عن الباقين مثل الطب والتجارة وما إليها.

بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة ، فتنقسم إلى المحمودة والمذمومة)[1] .

وفيما يتعلق بالقضية الثالثة وهي التي تهمنا في هذا البحث فقد عالج الغزالي "آداب العالم والمتعلم" تحت اسم "وظائف المعلم والمتعلم" على النحو التالي :

–وظائف المعلم :

نظر الغزالي إلى عمل المعلم نظرة مثالية مطلقة ، فمن (عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ فهو الذي يدعى عظيمًا في ملكوت السماوات)[2] ، ومن هنا أكد على قيمة اقتران العلم بالعمل وشبه المعلم الحق بالشمس التي تضيء لغيرها وهي مضيئة في نفسها والمسك الذي يطيب غيره وهو طيب ، أما من لم يعمل بما علم (فهو كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم ، وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع ، والإبرة التي تكسو غيرها وهي عارية ، وذبالة المصباح التي تضيء لغيرها وهي تحترق)[3] .

ومن منظور هذه الرؤية المثالية المطلقة إلى عمل للمعلم قرر الغزالي (أن من اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرًا عظيمًا وخطرا جسيمًا فليحفظ آدابه ووظائفه)[4] .

أما (الآداب) أو (الوظائف) التي أوجبها على المعلم فهي ثمان :

–الوظيفة الأولى : (الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه ، قال رسول الله ﷺ : **(إنما أنا لكم مثل الوالد لولده)**[5] ، بأن يقصد إنقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ، ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين ؛ فإن الوالد سبب الوجود والحاضر والحياة الفانية ، والمعلم سبب الحياة الباقية ، ولولا المعلم لانساق ما حصل من جهة الأب إلى الهلاك الدائم ، وإنما المعلم هو المفيد للحياة الأخروية الدائمة ، أعني لعلم علوم الآخرة ، أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا ، فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك وإهلاك نعوذ بالله منه)[6] .

---

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٢٧.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص٦٩.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) الحديث صحيح ، رواه أبو داوود ، والنسائي .

(٦) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٦٩.

–الوظيفة الثانية : (أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرًا ، بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبًا للتقرب إليه ، ولا يرى لنفسه منة عليهم ، وإن كانت المنة لازمة عليهم ، بل يرى الفضل لهم إذ هذبوا قلوبهم لأن تتقرب إلى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذي يعير الأرض لتزرع الأرض فكيف تقلده منة وثوابك في التعليم أكثر من ثواب للتعلم عند الله تعالى ، ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب ، فلا تطلب الأجر إلا من الله تعالى كما قال عز وجل : ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالاً إن أجري إلا على الله﴾ [1] فإن المال وما في الدنيا خادم البدن ، ومركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم إذ به شرف النفس) [2] .

–الوظيفة الثالثة : (ألا يدع من نصح المتعلم شيئًا ، وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ، ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب إلى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ، ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن) [3] .

–الوظيفة الرابعة : (وهي من دقائق صناعة التعليم ، أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعرض ما أمكن ولا يصرح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ ؛ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم ويهيج الحرص على الإصرار ؛ إذ قال ﷺ وهو مرشد كل معلم : (**لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا : ما نهينا عنه إلا وفيه شيء**) [4] وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه ، فما ذكرت القصة معك لتكون سَمَراً بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ، ولأن التعريض أيضًا يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانية فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا يعزب عن فطنته) [5] .

–الوظيفة الخامسة : (أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي ألا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم

---

(١) سورة هود:آية ٢٩.

(٢) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٧٠.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) هذا الحديث ليس له أصل في كتب السنة .

(٥) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٧١.

الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ، ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول : ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن .

فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب ، بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعليم في غيره وإن كان متكفلاً بعلوم فينبغي أن يراعى التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة) [1] .

-**الوظيفة السادسة** : (أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقى إليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر ﷺ حيث قال : (**نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ، ونكلمهم على قدر عقولهم**) فليبث إليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها ، وقال ﷺ : (**ما أحد يحدث قومًا بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم**) ، وقال علي رضي الله عنه ، وأشار إلى صدره : (إن ههنا لعلوماً جمة لو وجدت لها حملة) ، وصدق رضي الله عنه فقلوب الأبرار قبور الأسرار) [2] .

-**الوظيفة السابعة** : (أن المتعلم ينبغي أن يلقي إليه الجلي اللائق به ، ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقًا ، وهو يدخر عنه ، فإن ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه) [3] .

-**الوظيفة الثامنة** : (أن يكون المعلم عاملاً بعمله ، فلا يكذب قوله فعله ، لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالأبصار ، وأرباب الأبصار أكثر ، فإذا خالف العمل العلم منع الرشد) [4] .

-**واجبات المتعلم :**

أما المتعلم فيجب عليه عشرة واجبات أو "وظائف" باصطلاح الغزالي هي:

-**الوظيفة الأولى** : (تقديم طهارة النفس على رذائل الأخلاق ومذموم الأوصاف ، إذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن إلى الله تعالى ، وكما لا تصح الصلاة

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٧١.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق:ص٧٢.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

التي هي وظيفة الجوارح الظاهرة إلا بتطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث ، فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب إلا بعد طهارته عن خبائث الأخلاق وأنجاس الأوصاف ، قال ﷺ : (بني الدين على النظافة) (١) ، وهو كذلك باطنًا أو ظاهرًا ، قال الله تعالى : ﴿إنما المشركون نجس﴾ (٢) تنبيهًا للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس ، فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أي : باطنه ملطخ بالخبائث ، والنجاسة عبارة عما يتجنب ويطلب البعد منه ، وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب ؛ فإنها مع خبثها في الحال مهلكات في المآل ؛ ولذلك قال ﷺ : (لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب) (٣) والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم ، والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وإخوانها ، كلاب نابحة فأنى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ، ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب إلا بواسطة الملائكة : ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا ، أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء﴾ (٤) ، وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم إلى القلوب ، إنما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرءون عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون إلا طيبًا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله إلا طيبًا طاهرًا ، ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكني أقول هو تنبيه عليه (٥) .

—الوظيفة الثانية : (أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن ؛ فإن العلائق شاغلة وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ، ولذلك قيل : العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك ، فإذا أعطيته كلك فأنت من عطائه إياك بعضه على خطر ، والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه ، فنشفت الأرض بعضه ، واختطف الهواء

---

(١) الحديث ليس له أصل في كتب السنة ، وفي الضعفاء لابن حبان (تنظفوا فإن الإسلام نظيف)

(٢) سورة التوبة:آية٢٨.

(٣) الحديث متفق عليه.

(٤) سورة الشورى:آية٥١.

(٥) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٦٢.

بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع) [1] .

-الوظيفة الثالثة : (ألا يتكبر على العالم بل يلقي إليه زمام أمره بالكلية في كل تفصيل ، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق ، وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، قال الشعبي : صلى زيد بن ثابت فقربت إليه بلغته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد : خل عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء ، فقبّل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ ، وقال ﷺ : (**ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا في طلب العلم**) [2] فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ، ومن تكبره على المعلم أن يستنكف الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة ، فإن العلم سبب النجاة والسعادة) [3] .

-الوظيفة الرابعة : (أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الإصغاء إلى اختلاف الناس ، وسواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فإن ذلك يدهش عقله ويحير ذهنه ويفتر رأيه ويؤيسه عن الإدراك والاطلاع ، بل ينبغي أن يتقن أولاً الطريقة الجيدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغي إلى المذاهب والشبه ، وإن لم يكن أستاذه مستقلاً باختيار رأي واحد وإنما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فإن إضلاله أكثر من إرشاده ، فلا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم ، ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل) [4] .

-الوظيفة الخامسة : (ألا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ، ولا نوعًا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرًا يطلع به على مقصده وغايته ، ثم إن ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالأهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فإن العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ، ويستفيد منه في الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فإن الناس أعداء ما جهلوا ، قال الله تعالى : ﴿**وإذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا أفك قديم**﴾ [5] ، وقال الشاعر :

---

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٦٣.

(٢) الحديث ضعيف،أخرجه ابن عدي.

(٣)الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٦٣.

(٤) المصدر السابق:ص٦٤.

(٥) سورة الأحقاف:آية١١.

ومن يك ذا فم مر مريض يجد مراً به الماء الزلالا

فالعلوم على درجاتها إما سالكة بالعبد إلى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعًا من الإعانة ، ولها منازل مرتبة القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظه كحفظ الرباطات والثغور ، ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر في الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى) (١) .

–والوظيفة السادسة : (ألا يخوض في فن من فنون العلم دفعة بل يراعي فيه الترتيب ، ويبتدئ بالأهم ؛ فإن العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبًا فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه ، ويصرف جمام قوته في الميسور من عمله إلى استكمال العلم الذي هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة ؛ أعني قسمي المعاملة والمكاشفة ؛ فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ، ولست أعني به الاعتقاد الذي يتلقفه وراثةً أو تلقفًا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة في تحصين الكلام من مراوغات الخصوم كما هو غاية التكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث) (٢) .

–الوظيفة السابعة : (ألا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله ؛ فإن العلوم مرتبة ترتيبًا ضروريًا ، وبعضها طريق إلى بعض ، والموفق من راعي ذلك الترتيب والتدريج ، قال تعالى: **﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾** (٣) أي : لا يجاوزون فنًا حتى يحكموه علمًا وعملاً) (٤) .

–الوظيفة الثامنة : (أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم ، وأن ذلك يراد به شيئان أحدهما شرف الثمرة ، والثاني وثاقة الدليل وقوته ؛ وذلك كعلم الدين وعلم الطب ؛ فإن ثمرة أحدهما الحياة الأبدية ، وثمرة الآخر الحياة الفانية ، فيكون علم الدين أشرف ، ومثل علم الحساب وعلم النجوم ؛ فإن علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها ، وإن نُسبَ الحساب إلى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته ، والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان أشرف ؛ وإن كان أكثره

---

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٦٥.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) سورة البقرة:آية١٢١.

(٤) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٦٦.

بالتخمين ، وبهذا تبين أن أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله ، والعلم بالطريق الموصل إلى هذه العلوم ، فإياك وأن ترغب إلا فيه وأن تحرص إلا عليه) [1] .

-**الوظيفة التاسعة** : (أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة ، وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي إلى جوار الملأ الأعلى من الملائكة والمقربين ، ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران ، وإذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الأقرب إلى مقصوده وهو علم الآخرة ؛ ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة إلى سائر العلوم أعني علم الفتاوى وعلم النحو واللغة والمتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلم التي هي فرض كفاية ، ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم) [2] .

-**الوظيفة العاشرة** : (أن يعلم نسبة العلوم إلى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ، ومعنى المهم ما يهمك ؛ ولا يهمك إلا شأنك في الدنيا والآخرة ، وإذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلاً والبدن مركبًا والأعمال سعيًا إلى المقصد ولا مقصد إلا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وإن كان لا يعرف في هذا العالم قدره إلا الأقلون) [3] .

ويمكننا استخلاص بعض النتائج المهمة في هذه الوظائف العشر ، تقوم مؤشرًا على الطبيعة العامة لتفكير الغزالي فيما يتعلق بآداب العالم والمتعلم :

١- أن طلب العلم لا يبرره إلا مرضاة الله تعالى ، ولذا فإن العلم هو -أو ينبغي أن يكون- طهارة للنفس الإنسانية من رخيص المطامع والغايات ، وهذه ولا ريب دعوة إلى الرفعة النفسية والتسامي الروحي .

٢- تؤكد هذه الوظائف على نظرية (المعرفة الإلهامية) ؛ التي جعلها الغزالي أساسًا لنظريته التربوية والأخلاقية ، وقد أكد في أكثر من مكان على أن العلم نور يقذفه الله تعالى في القلب .

---

(١) الغزالي:إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج١،ص٦٦.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق:ص٦٧.

٣- تأكيد الهدف الديني من طلب العلم وجعله الغاية العليا منه بتقريره (أن أشرف العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله) (١) .

٤- حصر كلمة العلم بـ(العلم بالله) وحده ، يقول الغزالي : (العلم فضيلة في ذاته على الإطلاق من غير إضافة فإنه وصف كمال الله سبحانه ، وبه شرف الملائكة والأنبياء) (٢) .

تلك هي المبادئ العامة التي وضعها الغزالي لآداب العالم والمتعلم في "إحياء علوم الدين" ، وهي بمجملها تكون رؤية متكاملة في العملية التربوية وشروطها ، غير أنه أودع فلسفته النهائية لآداب العالم والمتعلم في رسالته "أيها الولد" التي كتبها بعد "الإحياء" .

وتتألف الرسالة -على صغرها- من مقدمة وستة أقسام :

- أما المقدمة فهي ديباجة للرسالة مدارها النصيحة ومجادلة الفلاسفة في الغاية من العلم ، والعلاقة بين العلم والعمل به ، وأن العلم هو الطاعة ، وأن العبادة هي متابعة الشرع .

-ويتناول القسم الأول معنى صحة الاعتقاد ، والتوبة ، واجتناب الخصام في العلم ، وتحصيل العلوم الشرعية .

-ويدور القسم الثاني حول العمل الصالح ، ومجاهدة النفس ، واحتقار الدنيا بالعبادة ، وتنزيه النفس عن الطمع ، والحث على معاداة الشيطان .

-أما القسم الثالث فيتعامل مع التربية من حيث هي استئصال الأخلاق السيئة من النفس ، وغرس الأخلاق الحسنة مكانها .

-ويتناول القسم الرابع آداب المتعلم وهي قريبة مما قرره الغزالي في "الإحياء" .

أما القسم الخامس فموضوعه خصال المتصوف الحق ، وشروط الاستقامة مع الله والسكون مع الخلق .

وفي القسم السادس يتوجه الغزالي بجملة نصائح للمتعلمين ؛ يحثهم فيها على قرن العلم بالعمل ، وينهاهم عن المناظرة إلا لإظهار الحق ، وعن مخالطة أصحاب السلطان وقبول عطاياهم ؛ لأن التعامل الصحيح يجب أن يكون مع الله ، للملك القدوس ،

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، مصدر سابق، ج١، ص٣١.

(٢) المصدر السابق: ص٢٣.

وفيما يرضي الله من السعي في الخيرات .

- اتجاه الشيعة :

تختلف الشيعة اختلافاً جوهرياً عن سائر الاتجاهات الفكريـــة والمذهبيـــة في الإسلام ، فالشيعة مذهب أقيمت عليه دول وممالك كبيرة في العالم الإســلامي ، ونظر الشيعة إلى أنفسهم على أنهم أصحاب حركة فكرية عالمية .

فالفاطميون مثلاً –وهم شيعة إسماعيلية– يعتبرون أنفسهم خلفـــاء الأرض ، ويقسمون المعمورة إلى اثني عشرة إقليماً ، ويعتـــبرون الأرض كلـــها مداهـــم ومنطقة حكمهم ونفوذهم .

ومن المؤكد أن الشيعة اختلفت فكراً ومنهجاً ومسلكاً في التعليم والتربيـــة ، واستخدمت مناهج ، وتوسلت بوسائل نفسية وعقلية ، تعليميـــة وتربويـــة ؛ لإعداد الحجج والدعاة في مراتبهم المختلفة ، ولمهامهم المتنوعة [1] .

وقد كان للشيعة مؤسساتهم التعليمية الخاصة بهم ؛ لإعداد التلاميذ ليكونـــوا دعاة وحججاً ، وكانت أشبه ما تكون بمعاهد للدراسات العالية ، ومن أهـــم هذه المؤسسات على سبيل المثال :

-دار الحكمة التي أنشأها الفاطميون في مصر عام ٣٩٥هـ بأمر الحاكم بـــأمر الله ، حيث توفر فيها فرص التفرغ والانقطاع للعلمـــاء والطلبـــة ، للـــدرس والاستيعاب ، وقد ألحق بها مكتبة كبيرة سميت بدار العلـــم ، وحُمِـــل إليـــها المصنفات والمراجع من القصور ودور الكتب ، وأوقف لها أوقافاً خاصة للنفقـــة عليها وعلى من فيها من العلماء والطلبة .

وكانت هذه الدار أشبه ما تكون بالأكاديمية أو الجامعة ، لخدمة أغـــراض المذهب الإسماعيلي ، حيث يتفرغ لها المدرسون والطلاب ، ويتقاضون الرواتـــب

---

(١)محمـــد الســـعيد جمـــال الديـــن:دولـــة الإسماعيليـــة في إيـــران،مؤسســـة ســـجل العرب،١٩٧٥م،القاهرة،(د.ط)،ص٣٩-٤٠.

والمنح ، وتتوافر لهم الإقامة والتغذية والكسوة والعلاج والمراجع مجاناً ، بل وكانت تصرف لهم الأقلام والمحابر والأوراق أيضاً [1] .

كذلك اتخذ الشريف الرضي (ت٤٠٦هـ) الشاعر والأديب الإمامي المشهور داراً ، سماها دار العلم ، وفتحها لطلاب العلم ، وعين لهم جميع ما يحتاجون إليه (ويدل مجرد اسم هذه المؤسسات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة ، فكانت دار الكتب تسمى قديماً خزانة الحكمة ، وهي خزانة كتب ليس غير ، أما المؤسسات الجديدة فتسمى دور العلم ، وخزانة الكتب جزء منها) [2] .

وإلى جانب دور العلم ، كان كثير من أئمة الشيعة يقومون بالدعوة إلى مذهبهم ، ونشر عقائدهم في بيوتهم الخاصة ، أو في مشاهدهم -وهي المساجد التي دفن فيها أئمتهم ، والتي عرفت فيما بعد عندهم بالعتبات المقدسة- فقد كان الشيخ المفيد محمد بن النعمان ، شيخ الإمامية (ت٤١٣هـ) يعقد (مجلس نظر بداره يحضره كافة العلماء ، وكانت له منزلة عند أمراء الأطراف يميلهم إلى مذهبه) [3] .

خصائص وسمات اتجاه الشيعة :

١-بذل الشيعة وأئمتهم جهداً كبيراً في الدعوة إلى مذاهبهم ، وتهذيب نفوس أتباعهم ، وبناء شخصياتهم عن طريق التربية ، فكانوا يبذلون قصارى جهودهم مع كل من يواليهم وتعليمه ، وكانوا لا يعتبرون الرجل تابعاً وشيعة لهم إلا إذا أخذ بتعاليمهم وإرشاداتهم .

(١) خطاب عطية علي:التعليم في مصر في العصر الفاطمي،دار الفكر العربي،القاهرة،(د.ط)،١٩٤٧م،ص١٥٠-١٥٤.
(٢) آدم متز:الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،مرجع سابق،ج٢،ص٣٣٠.
(٣) ابن الجوزي:المنتظم،مرجع سابق،ج٨،ص١١.

٢-يعتقد الشيعة أن أئمتهم محيطون بالعلوم الإلهية ، وأن النبي ﷺ كلفهم بتبليغ تلك العلوم ، فنتج عن ذلك أن ما أُخِذَ عنهم كان بمثابة ما أخذ عن النبي ﷺ (١) .

٣-الشيعة -الإمامية بوجه خاص- رغم اعتقادهم أن القرآن الموجود بين أيدينا هو كتاب المسلمين كافة بما فيهم فرقتهم ، وأن السنة تفسر وتكمل القرآن ، يرون أن غيرهم من المسلمين -ويقصدون أهل السنة- لم ينقلوا المصدرين المذكورين من منابعهما-يعني أهل البيت- ، ونتج عن هذا الاختلاف في الاعتقاد بين الإمامية وغيرهم من المسلمين نتائج ذات شأن ، من أهمها : أن الرحلة في طلب العلم ، وخاصة في عصر الأئمة اتخذت طابعاً يميزها عن الرحلة عند غيرهم من المسلمين ، فهي عندهم تحقق غرضاً دينياً في طابعه ، بالإضافة إلى الغرض العلمي ، فالطالب الشيعي يرحل للقاء الإمام ليأخذ العلم من مصدره الذي لا شك فيه ، في حين أن الطالب غير الشيعي يرحل لتلقي العلم من أناس ليسوا معصومين حسب اعتقاد الشيعة (٢) .

أبرز شخصيات الاتجاه :

- **نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)**

هو أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن (٣) ، ولد الطوسي في الحادي عشر من شهر جمادى الأولى عام ٥٩٧هـ ، بمشهد طوس ، ونشأ في أحضان أبيه ، الشيعي الاثنا عشري ، وخاله الحكيم فاضل بابا أفضل الكاشي ، الفيلسوف ، وبذلك نشأ الطوسي في أجواء الفلسفة ، وظهر انطباعها في شخصيته إلى حد

---

(١) علاء الدين القزويني:الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية،دار الثقافة،القاهرة،(د.ط)،١٩٨٥م،ص٤٦٣-٤٦٤ بتصرف.

(٢) المرجع السابق:نفس الصفحة.

(٣) ابن العماد الحنبلي:شذرات الذهب في أخبار من ذهب،مرجع سابق،ج٥،ص٢٣٩.

بعيد ، وتهيأت له فرصة الدراسة المنظمة في نيسابور [1] ، وتعد الفترة التي قضاها هناك من أخصب فترات حياته العلمية ، حيث درس على يد معين الدين المصري ، وفريد الدين الداماد ، وكمال الدين الموصلي ، وتركزت دراسته في تلك المرحلة على الحكمة والفقه والرياضيات [2] .

وبعد سقوط نيسابور في أيدي المغول عام ٦١٩هـ ، انتقل الطوسي مرة أخرى إلى طوس ، وعاش منعزلاً بنفسه ، وكتبه ، وعقله ، فكان يمارس تثقيفاً ذاتياً فلسفياً ، حتى صار عالماً بالفلسفة ، متخصصاً فيها ، فاشتهرت آراؤه وأفكاره في الميتافيزيقا والطبيعة ، والأخلاق والسياسة [3] ، مما أدى لأن يكون الطوسي موضع اهتمام الإسماعيليين ، فقد التحق الطوسي بالقلاع الإسماعيلية من عام ٦٢٥هـ إلى عام ٦٥٣هـ ، وهي الفترة الخصبة فيما كتب ، وبحث في الفلسفة والرياضة والعلوم العقلية .

وكانت للطوسي علاقة قوية بالمغول ، ذلك أنه عندما سقطت قلعة "ألموت" الإسماعيلية في أيدي المغول ، بدأت فترة جديدة في حياة الطوسي ، إذ انضم إلى حاشية هولاكو ، الذي أمنه على حياته ، بعدما أعلمه الطوسي بأنه شيعي اثنا عشري المذهب ، وليس سنياً على مذهب الخلافة العباسية ، كما أعلمه أنه على علم بالفلك والتنجيم ، الأمر الذي سيتيح لهولاكو معرفة الأحداث التي سيمر بها مقدماً ، ومن ثم فإن هولاكو اتخذ من الطوسي مستشاراً خاصاً ، وكاتباً لمراسلاته [4] .

وبعد سقوط بغداد في أيدي المغول عام ٦٥٦هـ ، وكان الطوسي شاهداً الواقعة وهو في معية هولاكو (وكان معه في واقعة بغداد ، ومن الناس من يزعم

---

(١) د.عبد الأمير الأعسم:الفيلسوف نصير الدين الطوسي،دار الأندلس،بيروت،ط٢،١٩٨٠م،ص٢٦.

(٢) المرجع السابق:ص٢٨-٢٩.

(٣) المرجع السابق:ص٣٠.

(٤) المرجع السابق:ص٤٣.

أنه أشار على هولاكو بقتل الخليفة) [1] ، سلمه هولاكو الأوقـــاف والتفتيـــش على شئون البلاد ، فتفقد الطوسي أحوال البلاد وحاول إصلاحها .

وأتم الطوسي الإصلاح الأكبر عندما أقنع هولاكو ببناء مرصد فلكي بمراغة ، واجتهد كثيراً في جمع الكتب من أنحاء العراق ، حتى استطاع تأسيس مكتبـــة ضخمة احتوت على شتى العلوم والمعارف ، وخاصة الفلسفة [2] .

واستمر الحال على هذا الوضع حتى مات هولاكو عام ٦٦٣هـ ، وتـــولى الزعامة بعده ولده أبا قاخان ، الذي استمع كثيراً إلى نصائح الطوسي بتحســين الوضع العام في العراق ، حتى وافق عليها في سنة ٦٧٢هـ .

فأقام الطوسي في بغداد وتصفح أحوال الأوقاف ، وقرر قواعدها ونظمـــها وأصلحها بعد اختلالها ، وأشرف على أحوال الفقهاء والمدرسين والصوفيـــة ، واستمر الحال على هذا الوضع إلى أن يئس الطوسي من عجزه عن إنقاذ بغداد .

توفي الطوسي في بغداد في الثامن عشر من ذي الحجة عـــام ٦٧٢هـــ ، ووافق يوم وفاته يوم "غدير الشيعة" [3] ، وكان له من العمر خمسة وســـبعون عاماً .

أهم مؤلفاته :

١-التذكرة في علم الهيئة

٢- تحرير المجسطي

٣-شرح كتاب الثمرة في أحكام النجوم

٤-زبدة الإدراك في هيئة الأفلاك

---

(١) ابن كثير:البداية والنهاية،مرجع سابق،ج١٣،ص٢٣٨.

(٢) د.عبد الأمير الأعسم:الفيلسوف نصير الدين الطوسي،مرجع سابق،ص٥٠.

(٣) المرجع السابق:ص٥٥.

٥-الرسالة المعينية

٦-نزهة النظر

٧-رسالة آداب المعلمين

وغير ذلك من المؤلفات الكثيرة .

وتعد رسالته آداب المعلمين الأثر الوحيد الباقي من تراث الاتجاه الشيعي في هذا الموضوع ، ولم يأت الطوسي فيها بجديد يختلف عما جاء في المؤلفات الأخرى ، اللهم إلا في الاعتماد على المصادر الشيعية في استقاء النصوص ، وقد اتبع فيها نفس النهج والأسلوب الذي نهجه الفقهاء في التقسيم ، فخصص الباب الأول لفضل العلم والعلماء ، والباب الثاني ، في آداب العلماء ، والباب الثالث في آداب المتعلمين .

الباب الثاني

آداب العالم في الفكر الإسلامي

الفصل الأول

آداب العالم نحو ربه ونفسه

للعالم المعلم رسالة هامة جداً في حياته ، عليه أن يؤديها ، وهي تتلخص في نقل المعرفة ، وتشكيل اتجاهات الأفراد ، وتوجيههم وإرشادهم وعلاج مشكلاتهم ، وعليه أن يؤدي هذه الرسالة ، قدوة واقتداء ، وتوجيهاً وإرشاداً وتعليماً .

وأفضلية العالم المعلم وكرامته نابعة أصلاً من تكريم الله له ، ويرتبط هذا بعمله وبعلمه ، وإخلاصه والتزامه ، وترجمته لعلمه في سلوك واقعي .

و إن فعالية عمل العالم لا يقف عند مجرد التدريس فقط ، بل يتعداه إلى كثير من الأعمال و الأنشطة المرتبطة برسالته ودوره ، خاصة فيما يتصل باعتباره فرداً في جماعة ، فعليه واجب تجاه ربه ونفسه ، وتجاه أقرانه من العلماء ، وتجاه تلاميذه والمستفيدين منه ، وتجاه أمته والمجتمع الإنساني العام (١) .

ولقد رأى المفكرون المسلمون أن هناك آدابا يجب أن يكتسبها العلماء ، ويلزموا أنفسهم بها إذا شاءوا أن ينجحوا في تعليمهم ، فهذا الالتزام يؤدي به إلى إنتاج تعليم هادف ومنظم ومؤثر ، ولا أدل على ذلك من جمعهم لطائفة من الآداب بعد أن وقفوا على الحاجة الملحة لهذه الآداب .

وعلى الرغم من اعتقادهم بأن التحلي بالآداب الفاضلة ، والأخلاق الحميدة ، ينبغي أن يكون غاية كل إنسان لا يحيله عن ذلك حائل ، فإن العلماء هم أحق الناس بكرم الأدب ، وحسن الخلق ، (إن أهم ما يبادر به اللبيب شرخ شبابه ، ويدئب نفسه في تحصيله واكتسابه ، حسن الأدب الذي شهد الشرع والعقل بفضله ، واتفقت الآراء والألسنة على شكر أهله ، وإن أحق الناس بهذه الخصلة الجميلة ، وأولاهم بحيازة هذه المرتبة الجليلة أهل العلم الذين حلوا به ذروة المجد والسناء ، وأحرزوا به قصبات السبق إلى وراثة الأنبياء) (٢) .

وتكمن أهمية التزام العالم بآداب تعليم العلم -عند المفكرين المسلمين- في أن عيون الناس جميعا ؛ لا عيون طلابه وحدهم ترمقه ، وأبصارهم تتجه إليه فلا تخطئه ، فإن قال ما لا يفعل ، أو ناقض سلوكه ما دعا الناس إليه ، سقط من أعين الناس ، واستخف به

---

(١) عمر محمد التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص٢١٥-٢١٦.

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١-٢.

طلابه والناس أجمعون ؛ ومن هنا كان حرصهم على أن يلتزم العـالم بـالآداب الحسـنة والأخلاق المرضية ، وأن (يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها ؛ لأن العلماء هـم القـدوة ، وإليهم المرجع في الأحكام ، وهم حجة الله تعالى على العوام ، وقد يراقبهم للأخذ عنـهم من لا ينظرون ، ويقتدي بهديهم من لا يعلمون) [١] .

فالقدوة تعتبر من أعظم وسائل التربية ، وأكثرها فعالية ، فالتلميذ سريع التأثر بمعلمه الذي يحبه فهو (يسلك في السمت والهدى مسلكه ، ويراعي في العلم والديـن عاداتـه وعباداته ، ويتأدب بآدابه ، ولا يدع الاقتداء به) [٢] ، وقد ثبت أن (الناس لديهم حاجـة نفسية إلى أن يتشبهوا بالأشخاص الذين يحبونهم ويقدرونهم) [٣] ، هذا إلى جانب أن مهنـة التعليم في حد ذاتها تستدعي أن يكون العالم على أكمل حـال ، إذ تنتقـل صفاتـه إلى تلاميذه ؛ وذلك لأهميته لهم ، وهم يتشربون بقصد أو بغير قصد مبادئه وقيمه ، ويتـأثرون دائمًا بشخصيته ، وبمجمل سلوكه .

ومن هنا كان المفكرون المسلمون محقين في دعوتهم لأن يكون العلماء أكمل النـاس وأحقهم بجميل الخصال ، ولقد ثبت أن (مهنة التعليم من أكثر المهن سعيًا وراء السـواء ، والبعد عن المرض بالمفهوم النفسي ؛ حيث أن سـلوك المعلـم يُمتَـصُّ مـن جـانب التلاميذ) [٤] .

وأكدوا على أن الحاجة إلى اكتساب الأدب لا تقل عن الحاجة إلى اكتساب العلـم والمعرفة ، وأن واجب المعلم ليس تزويد تلاميذه بالمعارف المختلفة فحسب ، بل إكسـابهم حسن الخلق وكريم الأدب ، ولن يستطيع المعلم ذلك ما لم يكن أهلاً لكل خصلة حميدة ، وكما هو معروف فاقد الشيء لا يعطيه ، قال ابن سيرين : (كانوا يتعلمون الهدى كمـا

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢١.

(٢) المصدر السابق:ص٩٠.

(٣) أحمد عبد العزيز سلامة،وحيد عبد السلام عبد الغفار:علم النفـس الاجتمـاعي،دار النهضـة العربية،(د.ط)،١٩٧٠م، ص٢٠٠.

(٤) عزيز حنا داود،وزكريا أثناسيوسي: دراسات في علم النفس،مكتبة النهضة العربيـة،القـاهرة (د.ط)،١٩٧٢، ص٤٧.

يتعلمون العلم) [1] ؛ بل وذهب بعضهم إلى أن الحاجة إلى الأدب أشد من الحاجة إلى العلم ؛ فالعلم بغير الأدب يضيع أثره ويفقد قيمته (قال حبيب بن الشهيد لابنه : يا بني اصحب الفقهاء والعلماء وتعلم منهم وخذ من أدبهم ، فإن ذلك أحب إلي من كثير من الحديث ، وقال بعضهم لابنه : يا بني لأن تتعلم بابا من الأدب أحب إلي من أن تتعلم سبعين بابا من أبواب العلم ، وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك : نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث) [2] .

و يجب على العالم أن يكون دائم السعي في اكتساب الأدب وحميد الصفات ؛ مع فضله وسبقه في تحصيل العلم ، قيل للشافعي -رضي الله عنه- : (كيف شهوتك للأدب ؟ فقال : أسمع بالحرف منه مما لم أسمعه ، فتود أعضائي أن لها أسماعا فتنعم به ، قيل : وكيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره) [3] .

ولا يكتفي العالم علمه بحميد الخصال ، وجميل الخلال ، ومعرفته بها ، وتلقينها لتلاميذه ، دون أن يتحول هذا العلم وتلك المعرفة إلى سلوك يعبر عنه ، فقيمة الأدب -عند المفكرين المسلمين- أن يبرز للأبصار من خلال المواقف المختلفة ، فالعالم إن لم يستفد بما يعلم ؛ كان أبعد عن الإفادة ، فـ(ليس العلم ما حفظ ، العلم ما نفع) [4] ، ولهذا عظمت زلة العالم لما يترتب عليها من المفاسد ، لاقتداء الناس به .

وقد نص المفكرون المسلمون على مجموعة من الآداب التي يجب أن يتحلى بها العالم نحو ربه و نفسه ، وهي لائقة به لازمة له ، وأهمها ما يلي :

- الإيمان العميق والشامل بالله تعالى:

إن العلم من غير إيمان وثيق في صحة مصدره ، وصدق قائله ؛ علم لا يمكن أن يوصف بأنه علم نافع ؛ لـه من الثمرات الواضحة والصحيحة على العالم به ، وعلى من يتعدى إليه علمه ، بل هو في صور عديدة قد يخرج من دائرة العلم النافع ليستقر الوصف

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢.

(٢) المصدر السابق:ص٢-٣.

(٣) المصدر السابق:ص٣.

(٤) المصدر السابق:ص٢١.

عليه بأنه علم ضار ، أو على الأقل لا طائل من تحصيله .

ومن ثم فلا غرابة حينئذ حينما نجد آيات القرآن الكريم تدعو المؤمنين كافة إلى الدخول في (جميع شرائع الإيمان وشعبه وأركانه ودعائمه ، وتعد من خرج عن هذا الإيمان قد أبعد في طريق الضلال) [1] كما في قوله تعالى : **﴿يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ﴾** [2] .

وإذا كان الإيمان مطلبا ضروريا لكل مؤمن أن يتحقق به ، فإنه في حق العلماء المعلمين مطلب لا مناص من العمل على تحقيقه ورعايته على الدوام [3] ، وإذا كان لكل شيء حقيقة ؛ كما قال النبي ﷺ [4] ، فإن الإيمان بالله يستلزم من العالم عددا كبيرا من الآداب نحو ربه ونفسه ، وقد جاءت هذه الآداب في الكتاب والسنة ، ونص عليها العلماء في الفترة التي نعنى بدراستها [5] .

وهذا الإيمان الذي لا ينفك عن العالم المعلم لا يكتفى فيه بما يكتفى به في حق العوام من جملة المسلمين المؤمنين ، إذ لا بد أن يقوم على معرفة عميقة وشاملة بالله تعالى ، وقضايا الإيمان جملة وتفصيلا وتحققا بها في كل شاردة وواردة من حياته ، تلك المعرفة التي (إذا قويت في قلب العارف واستحكمت ، لاح له من ربه اللطف الخفي والنور الجلي ، واستولى على قلبه حب ربه) [6] .

---

(١) راجع:ابن كثير،تفسير القرآن العظيم،مرجع سابق،ج١،ص٥٦٦.

(٢) سورة النساء:آية١٣٦.

(٣) د.عمر التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص٢١٦.

(٤) جاءت هذه العبارة البليغة في حديث أبي الدرداء:(لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه) ،كما جاء في حديث الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له:كيف أصبحت يا حارث؟ قال: أصبحت مؤمنا حقا ، قال: انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ فقال: عزفت نفسي عن الدنيا)،رواه أحمد والطبراني وحسنه السيوطي في الجامع الصغير.

(٥) د.عمر التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص١١٦-١١٧.

(٦) المرجع السابق:ص١١٧.

- الإخلاص، والصدق وإصلاح السريرة :

وذلك مقام لا يقدره حق قدره إلا العلماء العاملون ، فقد رهن الله جل جلاله حقيقة الإيمان بسببين : العمل ، والإخلاص فقال ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ (١) .

وأحاديث النية والإخلاص ليس في شهرتها أحاديث ، ولذلك كان اهتمام العلماء بهذا المقام كبيرا ، إلى الحد الذي يبالغون فيه بإخفاء أعمالهم الصالحة ، ويرشدون تلاميذهم إلى ذلك ، فهذا الحسن يسأل عن الإخلاص والرياء فيقول : (من الإخلاص أن تحب أن تكتم حسناتك ولا تحب أن تكتم سيئاتك) (٢) .

ومن جانب آخر فقد كانوا ينفرون مما يناقض الإخلاص ، ويستخفون بصاحبه ، يقول القرطبي : (قال علماؤنا -رضي الله تعالى عنهم- : وقد يقضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به ؛ كما يحكى أن طاهر بن الحسين قال لأبي عبد الله المروزي : منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة ، وأنا منذ ثلاثين سنة صائم ؛ فقال يا أبا عبد الله سألناك عن مسألة فأجبتنا عن مسألتين !!) (٣) .

ولذلك كانت دعوة القرآن الكريم صريحة للمؤمنين في أن يكونوا مع الصادقين ، يقول تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ (٤) .

يقول الإمام القرطبي: قيل : (هم الذين استوت ظواهرهم و بواطنهم . قال ابن العربي : وهذا القول هو الحقيقة والغاية التي إليها المنتهى ، فإن هذه الصفة يرتفع بها النفاق في العقيدة والمخالفة في الفعل) (٥) .

وقد جاءت وصايا المفكرين المسلمين بما يعلي من هذا الأدب ويؤكده ، يقول الإمام أبو حنيفة : (وكن في سرك كما أنت له في علانيتك ، ولا يصلح أمر العلم إلا بعد أن

---

(١) سورة الكهف:آية١١٠.
(٢) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،مرجع سابق،ج١١،ص٧١.
(٣) المرجع السابق:نفس الصفحة.
(٤) سورة التوبة:آية١١٩.
(٥) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،مرجع سابق،ج٨،ص٢٨٩.

يجعل سره كعلانيته) [1] ، وعن عون بن عبد الله قال : (كان الفقهاء يتواصون بثلاث ، ويكتب بعضهم إلى بعض : أنه من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس) [2] .

-الخلوة :

ومن آداب العالم نحو ربه ، أن يجعل لنفسه خلوة بينه وبين الله ، فذلك أدعى لتحقق الصفات الإيمانية ، وقيامه على التدبر والتفكر من غير شاغل ينتج عن المخالطة ، كما أنه يكون أدعى لكمال الإخلاص ، حيث لا يطلع على عبادته حينئذ غير الله ﷻ ، يقول السهروردي: (ومن أدب الشيخ أن تكون له خلوة خاصة ، ووقت خاص لا يسعه فيه معاناة الخلق) [3] .

-الاستقامة على طريق الإيمان :

الاستقامة ضد الاعوجاج ، وهي صفة ضرورية تأتي بعد الإيمان كما في قوله تعالى: ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ...﴾ [4]، ولذلك كان الحسن يقول في دعائه : (اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة) [5] .

وقد جاء الحديث النبوي الشريف ليؤيد مضمون هذه الآية ، في قوله ﷺ : (قل آمنت بالله ثم استقم) [6] .

وهذا يعني أن تكون الصفة الإيمانية راسخة في حياة العالم ؛ غير مذبذبة ، كما يقول عمر بن الخطاب ﷺ : (استقاموا والله لله بطاعته ، ولم يروغوا روغان الثعالب) [7] ،

---

(١) أبو حنيفة:وصية أبي حنيفة،مصدر سابق،ص١٧.
(٢) القاضي عياض:الإلماع،مصدر سابق،ص:٢٢٢.
(٣) عبد القاهر السهروردي، عوارف المعارف،دار الكتاب العربي،بيروت،١٩٨٣م،(د.ط)، ص٤١٦، ٤١٧.
(٤) سورة فصلت:آية٣٢.
(٥) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،دار التراث،بيروت،(د,ت)،(د.ط)،ج١٦،ص٣٥٨.
(٦) الحديث رواه مسلم .
(٧) ابن كثير:تفسير القرآن العظيم،مرجع سابق،ج٤،ص٩٨.

وقد جاء هذا المعنى في قوله تعالى : **﴿ وألو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا ﴾** (١) .

- شكر الله ﷻ على النعم:

وإذا كانت نعم الله على الإنسان لا تعد ولا تحصى ، فإن نعمته على العالم تفوق شتى النعم ، ومنته عليه تفوق جليل المنن ، إذ شرفه بالعلم والإيمان ...، وإذا كان كثير من الناس يتناسون نعم الله الكثيرة عليهم ؛ بما ألفوه من دوامها ، فإن العالم لا ينبغي له أن يتغافل عن نعم الله عليه ؛ وإلا هلك ، ودخله من الآفات النفسية الكثير ، أقلها داء العجب بالنفس ، والإحساس بأن ما أوتيه من علم هو من عند نفسه .

ولهذا جاءت آيات القرآن الكريم لتقرر مبدأ مهما ؛ ألا وهو أنه ما من نعمة يرفل بها الإنسان فهي من عند الله ، يقول الله ﷻ : **﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾** (٢) .

ومن ثم جاءت توجيهات المفكرين المسلمين تحمل هذا المعنى ، يقول الإمام أبو حنيفة في وصيته : (واتخذ لنفسك وردا خلف الصلوات ، تقرأ القرآن ، وتذكر الله تعالى ، وتشكره على ما أودعك من الصبر ، وأولاك من النعم) (٣) .

- التحقق بتقوى الله ﷻ :

التقوى مطلب إيماني ، دعت إليه آيات القرآن الكريم بقوة في العديد منها ، يقول الله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ﴾** (٤) ، ويقول تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾** (٥) .

والرسول ﷺ قد عرف التقوى في الحديث الصحيح بقوله : **(لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس)** (٦) .

وإذا كان هذا المطلب يدعى إليه المؤمنون ؛ بل الناس عامة كما في قوله تعالى:

---

(١) سورة الجن:آية١٦.

(٢) سورة النحل:آية٥٣.

(٣) أبو حنيفة:وصية أبي حنيفة،مصدر سابق،ص١٧.

(٤) سورة البقرة:آية٢٧٨.

(٥) سورة آل عمران:آية١٠٢.

(٦) الحديث رواه ابن ماجة،في كتاب الزهد،باب الورع والتقوى،مرجع سابق،ج٢،ص١٤٠

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾ [1] ، فإن العلماء هم أولى الناس جميعا بالتحقق من هذا الأدب ، بل كان ذلك الأدب (من أميز ما يجب أن يتصف به المربي) [2] .

ولذلك جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ ونسوا حظا مما ذكروا به ﴾ [3] ، عن ابن مسعود ﷺ قال : (إني لأحسب الرجل ينسى العلم كان يعلمه بالخطيئة يعملها) [4] .

ونسيان العلم بالمعصية أمر قد رصده العلماء وتحدثوا عنه ، (فالعلم والتقوى هذا قرينان...، فالعلم نبل وشرف ، والخطيئة خسة ، ولا يجتمعان في قلب واحد) [5] .

يقول الآجري في وصف العلماء وحملة القرآن : (وأول ما ينبغي له أن يستعمل تقوى الله في السر والعلن ، باستعمال الورع في مطعمه ومشربه وملبسه ومكسبه) [6] .

لقد كان تركيز العلماء على هذا الأدب إدراكا منهم لكثير من الآثار التربوية للتقوى على العالم ، حيث ينال بها رضى الله ﷻ ، وتطمئن نفسه ، وتيسر له الكثير من أموره الدنيوية والأخروية ، كما أنها في أهم وأعظم آثارها تعد سببا رئيسا في صحة الفهم والمعرفة ودوام الذكر له .

- الخشوع والخشية :

من أعظم الآداب التي يتحلى بها العالم ، وقد ورد القرآن بما يعظم من هذه الصفة في حق العلماء ، حتى غدا العلم هو الخشية ﴿ **ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور** ﴾ [7] .

-محبة الله ﷻ :

ومن أهم الآداب التي يتحلى بها العالم بينه وبين ربه ، أن يكون محبا صادقا لله تعالى ، تلك الصفة التي تدفعه لمزيد من المعرفة ، والعمل ، والثبات على التقوى ، والاستقامة على الإيمان ، وقد وردت هذه الصفة في حق المؤمنين في القرآن الكريم ، فهي في حق العلماء

---

(١) سورة النساء:آية١.

(٢) د.سعيد إسماعيل علي:رؤية إسلامية لقضايا تربوية،مرجع سابق،ص٢٩٦.

(٣) سورة المائدة:آية١٣.

(٤) رواه الطبراني في المعجم الكبير، ورجاله موثقون.

(٥) عبد الغني الدقر:أعلام التربية العربية الإسلامية،مرجع سابق،ج١،ص٨٧-٨٨.

(٦) الآجري:أخلاق حملة القرآن ،مصدر سابق،ص٢٥.

(٧) سورة فاطر:آية٢٨.

أوجب ، وأكثر ضرورة وطلبا للتحقق ، يقول الله تعالى : ﴿ **والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾ (١) ، وقوله تعالى : ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾ (٢) ، وغيرها من الآيات .

ومن ثم فإن من يتحقق بهذه الصفة يكون قريبا من التحقق بصفة الإيمان ، ويحس لذته في قلبه ، كما قال ﷺ : (**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان ، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**) (٣) .

ولا شك أن لهذا الأدب مع الله من الآثار الإيجابية في حياة العالم وعلمه ، حيث (ينشط للبذل ... ويتابع سيره إلى الكمال ليحظى بحب الله ويفوز برضاه) (٤) .

- الاجتهاد في عبادة الله :

ركز المفكرون المسلمون على ضرورة توثيق العلاقة بين العالم وربه ، برباط متين قويم ، قائم على العبودية لله جل وعلا ، فالعلماء ورثة الأنبياء ، وحري بهم التخلق بالأخلاق الحميدة فيما بينهم وبين ربهم ، وقد اعتبرت هذه الأخلاق صفة لازمة في حق العلماء العاملين ، فقد وصفهم الآجري بقوله : (إنهم شاكرون لله ، وذاكرون له دائما ، مع شعورهم بحلاوة حب المذكور ، مع لذة مناجاته) (٥) .

وعلى هؤلاء العلماء أن يعتبروا أنفسهم بعيدين عن الله تعالى إذا فترت قلوبهم عن ذكرهم له ، بل يعدونه من أعظم المصائب (٦) .

---

(١) سورة البقرة:آية١٦٥.

(٢) سورة آل عمران:آية٣١.

(٣) الحديث رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما.

(٤) د.عمر التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص١١٨.

(٥) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص٨٤.

(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة.

واهتم المفكرون المسلمون بهذا الأدب لإدراكهم آثاره التربوية والخلقية على العملية التعليمية ، من توجيه سلوك العالم ، وتعويده على الصدق والإخلاص ومراقبة الله تعالى ، كما أنها تحقق له السعادة الأبدية ، وتبعث فيه روح الاجتهاد والجد والمثابرة .

وقد كانت كثرة العبادة منتشرة بين العلماء العاملين ، فكان محمد بن المسيب (ت٣١٤هـ) من العباد والمجتهدين والزهاد والبكائين ، القانتين الموصوفين بالاجتهاد في العبادة وقيام الليل ، وكان لا ينام في اليوم والليلة إلا ساعتين ويختم القرآن في كل يوم [١] ، وأيضا عبد الله بن زيدان الكوفي (ت ٣١١ هـ) وكان أكثر كلامه في مجلسه ، يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك ، وكان صاحب ليل [٢] . وغيرهم من العلماء الكثير .

وذكر الغزالي العلاقة بين العالم وربه في رسالته بقوله : (أن تجعل معاملتك مع الله بحيث لو عاملك بها عبدك ترضى بها منه ، ولا يضيق خاطرك عليه ولا يغضب ، والذي لا ترضى به لنفسك من عبدك المجازي ؛ فلا ترضاه أيضا لله تعالى وهو سيدك الحقيقي) [٣] .

كما أشار الحسين بن أمير المؤمنين إلى ذلك بقوله : (أن يحافظ على المندوبات الشرعية ؛ القولية والفعلية ، ويبالغ في ما يتضمن إجلال صاحب الشريعة النبوية واتباعه ﷺ ، فيلازم تلاوة القرآن وذكر الله تعالى بالقلب واللسان) [٤] .

- الاشتغال بالتدبر والتفكر والاعتبار :

التدبر : هو النظر في عواقب الأمور ، أو التفكير في دبر الأمور ، والتدبر بمعنى التأمل والتبصر كما في قوله تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ﴾ [٥] .

---

(١) ابن العماد، شذرات الذهب،مرجع سابق،ج٢،ص٢٧١.

(٢) المرجع السابق: ج٢،٢٦٦.

(٣) الغزالي:أيها الولد،مرجع سابق،ص١٤٥.

(٤) الحسين بن أمير المؤمنين:آداب العلماء والمتعلمين، ط١،بيروت، الدار اليمنية، ١٩٨٥) ص٢٧.

(٥) سورة النساء:آية٨٢.

أما التفكر : فكلمة فيها معنى النظر والتفهم ، وقد عرف الراغب الأصفهاني التفكير بأنه جولان قوة الفكر بحسب نظر العقل ، ويستعمل الفكر في المعاني ، وهو فحص الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها ، ولذلك تقول اللغة : إن الفكر هو إعمال النظر في الشيء ، ولكن على وجه العبرة والعظة [1] .

أما الاعتبار : فهو نتيجة للتفكر .

ومن الآداب الخلقية بين العالم وربه التي قررها المفكرون المسلمون الاشتغال بالفهم والاعتبار ، والانشغال بمعرفة ما أوجب الله ، ومعرفة حقوقه وما يجب عليه من الأعمال في حق الله تعالى ، يقول الآجري واصفا حال العالم : (دائما مشتغلا بالفهم والاعتبار ، عالم بداء نفسه ، متهم لها في كل حال...) [2] .

وقد دلت الآيات القرآنية على هذه الأدب في قوله تعالى : **﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾** [3] ، و في قوله تعالى : **﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾** [4] .

وقد اهتم المفكرون المسلمون بهذا الأدب ؛ لإدراكهم آثاره النفسية التي تنتج عنه لدى العالم ، حيث وضعوا بعض القواعد المتعلقة بهذا الأدب ، يقول الآجري : (والقليل من الدرس مع الفكر فيه وتدبره ، أحب إلي من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبر ولا تفكر فيه) [5] ، ويقول أيضا : (ولم يكن مراده متى أختم السورة ؟ ، وإنما مراده متى أعقل من الله الخطاب ؟ ، متى أزدجر ؟ ، متى أعتبر ؟) [6] .

---

(١) أحمد الشرباصي:موسوعة أخلاق القرآن،دار الرائد،بيروت،ط١،١٩٨١م،ج١،ص٢٢٠-٢٢٢.

(٢) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص٨٥ .

(٣) سورة يونس:آية ١٠١.

(٤) سورة آل عمران:آية١٩٠.

(٥) الآجري:أخلاق أهل القرآن،مصدر سابق،ص١٦٩.

(٦) المصدر السابق:ص ٣٦.

ومن آثار التفكر والتدبر والمحاسبة أنها تؤدي إلى التربية الذاتية للعالم ، يقول : (متى أكون من المتقين ؟ ، متى أكون من المحسنين ؟ ،.. متى أقصر أملي ؟ ، ومتى أتأهب ليوم موتي وقد غيب عني أجلي ؟ ، متى أعمر قبري ؟ ..) [1] .

كما بينوا أن للتفكير والتدبر آثارا سلوكية كالخشوع والتقوى والحزن والبكاء [2] ، إذ استدلوا بقوله تعالى ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ﴾ [3] .

وللتدبر والتفكر آثار تربوية في شخصية العالم يمكن إجمالها فيما يلي :

١- تصون العالم من التقليد والمتابعة العمياء .

٢- تورث العالم اليقظة القلبية والفكرية .

---

(١) الآجري:أخلاق أهل القرآن،مصدر سابق،ص٨٠-٩٠.

(٢) المصدر السابق:ص١٦٧.

(٣) سورة الزمر: آية ٢٣ .

٣- تورث العالم العبرة والعظة .

٤- تبعد العالم عن القبائح وأعمال السوء .

٥- تؤدي إلى الإقبال على كل ما هو جميل ومقبول .

٦- تحث العالم على الاجتهاد في طلب العلم والعبادة .

٧- تنجب العالم من الغرور ، وتورثه الحزم والمثابرة في الأمور .

- عدم تزكية النفس :

نتيجة للبيئة الثقافية التي ملئت بالفرق والمذاهب المختلفة ، كثرت الفئات التي تزكي نفسها ، وتطعن في غيرها ، لذا فقد ركز المفكرون المسلمون على ذلك ، وأوجبوا على العلماء العاملين أن يعدوا أنفسهم خاطئين مذنبين ؛ مع شدة اجتهادهم في العمل وشدة خوفهم من الله [(١)] ، فقد قال تعالى : ﴿ **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾ [(٢)] ، وقال تعالى : ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة إنهم إلى ربهم راجعون** ﴾ [(٣)] ، وقد جاء في تفسير هذه الآية : (أي الذين يعطون العطاء وهم خائفون وجلون ألا يتقبل منهم ، فخوفهم أن يكونوا قد قصروا في القيام بالواجبات الشرعية) [(٤)] ، وهي درجة من درجات أهل الصدق والإخلاص ، وأما المغرورون فإنهم يرون أنفسهم في عليين على أدنى الأعمال والأفعال .

ولهذه السمة الطيبة بين العبد وربه آثار جليلة ؛ إذ تورث العالم التواضع والخضوع لله رب العالمين وللناس أجمعين ، ويدرك أن الله هو الذي وهبه العلم ، ومن ثم يحترم آراء الآخرين في المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية .

---

(١) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص٨٥.

(٢) سورة النجم:آية٣٢.

(٣) سورة المؤمنين:آية٦٠.

(٤) محمد علي الصابوني:مختصر تفسير ابن كثير،بيروت،دار القرآن،ط١،١٩٨١م،ج٧،٥٦٨.

- **التواضع و مجانبة العجب :**

وهما مضادان للكبر والعجب بالنفس ، وهما يمثلان انحرافا خلقيا ، يجنح بالإنسان عن سبيل الحق ، ومن أخطر العوامل التي تؤدي إلى الانحراف الفكري ، وغمط الحق ، وطمس معالمه ، وهذا إذا وجد في العلماء فإنه يكون خطيرا ، لأنه يفقدهم صفتهم كقدوة ، والناس يقتدون بهم ، لذا وجب عليهم أن يتجنبوا الكبر والعجب بالنفس ، وعليهم أن يلتزموا بالتواضع ، لأن (التواضع عطوف ، والعجب منفر ، وهو بكل أحد قبيح ، وبالعلماء أقبح) [١] .

ويدخل العجب العلماء ، من باب تفردهم بالعلم ، و(علة إعجابهم انصراف نظرهم إلى كثرة من دونهم من الجهال ، وانصراف نظرهم عمن فوقهم من العلماء ، فإنه ليس متناه في العلم ، إلا وسيجد من هو أعلم منه ، إذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر) [٢] .

(وأولى بهم أن لا يعجبوا مما عندهم لأنهم لو نظروا حق النظر ، وعملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم أولى و بجانبة العجب بهم أحرى ، لأن العجب نقص ينافي الفضل ،.... فلا يفي ما أدركوه من فضيلة العلم ، بما لحقهم من نقص العجب) [٣] .

وعلاج العجب أن ينظر العالم إلى نفسه بتقصير ما قصر فيه ؛ ليسلم من العجب بما أدرك من العلم ، أما ذلك المعجب بنفسه لعلمه ، فلا تجده إلا مقصرا ومقلا في العلم ، ومتحكم فيه داء العجب ، ويقترن بشعور جاهل ، وغرور بالاستغناء الذاتي عن كل علم ، وعن كل أحد ، إلى جانب طموح متزايد جامح للامتياز على الآخرين ، و رغبة في احتلال المرتبة المتفوقة ولو بغير حق ، ولذا نرى من تتحكم فيه هذه الصفة محتقرا لعلم غيره ، متكلفا ما لا يحسنه ، وهذا ليس له غاية ينتهي عندها ، ولا حد يقف عنده ، (ومن كان تكلفه غير محدود ، فأخلق به أن يضل ويضل) [٤] .

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق، ص٨٠.

(٢) المصدر السابق:ص٨١.

(٣) المصدر السابق:ص٨٠.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

و من الآثار السلبية والخطيرة للكبر والعجب ؛ أنه قد ينزع بالعالم إلى الخوض فيما ليس يعلمه ولا يعرفه ، وهو لا يدري أن العلم لا يحاط به ، لأنه ليست له نهاية ، وحتى لا يقع العالم في هذا المزلق الخطير ، ينصحه الماوردي قائلا : (فإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم سبيل فلا عار أن يجهل بعضه ، وإذا لم يكن في جهل بعضه عار ، لم يقبح به أن يقول لا أعلم فيما ليس يعلم) [1] .

وعلى مثل هذا أن يتعلم ويستزيد من العلم ، إذ (لا ينبغي للرجل وإن صار في طبقة العلماء الأفاضل أن يستنكف من تعلم ما ليس عنده ، ليسلم من التكلف له) [2] .

إذن يجب على العالم أن يتجنب الكبر والعجب بالنفس ، إذ فيهما مقاتل العلماء وبهما ينصرف العالم عن طلبه وهو الاستزادة من العلم ، طلبه الدائم ، والمطلوب استمراره ، وفي نفس الوقت يفقد قوة القدوة المطلوبة للتربية والتعليم .

ويجب على العالم (ألا يقنع من العلم بما أدرك ؛ لأن القناعة فيه زهد ، والزهد فيه ترك ، والترك له جهل) [3] .

وقد جعل المفكرون المسلمون من قضية الاستكثار من العلم واستمرارية التعلم التزاما خلقيا على العالم ، فلا ينبغي له أن يجهل من نفسه مبلغ علمها ، ولا يتجاوز قدر حقها ، فإذا أحس في نفسه التقصير فإن هذا أفضل من تجاوز حقها ، لأنه سيذعن بالانقياد للازدياد ، أما إذا تجاوز حقها فإنه سيكف عن الازدياد ، فلابد أن يقف على حال نفسه وعلمه ، ليعرف حاجتها ، لأن من جهل نفسه كان لغيرها أجهل ، وبالتالي فإن من حاله هذه لا يصلح لوظيفة التعليم والتربية ، قال بعض الحكماء : (عليك بالعلم والإكثار منه ، فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير ، وكثيره أشبه بكثيره ، ولن يعيب الخير إلا القلة ، فأما كثرته فإنها أمنية ، وقال بعض البلغاء : من فضل علمك ، استقلالك لعلمك ، ومن كمال عقلك استظهارك على عقلك) [4] .

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق، ص٨٢.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق: ص٨٤.

(٤) المصدر السابق:ص٨٣-٨٤.

- بذل العلم ، وعدم البخل به :

والعلم لابد لـــه أن يبذل ، وهذا هو حو الإسلام الصحيح ، فالإسلام والمســـلم والمجتمع الإسلامي كله يقوم على العلم ، ويفرض العلم وطلبه علـــى الجميـــع ، وعنايـــة الإسلام بهذا بالغة ، فهو يقرر في آيات القرآن الكريم رفعة الذين أوتوا العلم **﴿ يرفـــع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾** (١) ، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يطلـــب المزيد من العلم فقال : **﴿ وقل رب زدني علما ﴾** (٢) .

ونشر العلم على أيدي العلماء أمر مهم ، وقد وعى علماء المسلمين هذا فعملوا على نشر العلم كل على قدر استطاعته ، إدراكا منهم لخطورة دور العلم في حيـــاة الأفـــراد والمجتمعات .

وإدراكا من المفكرين المسلمين لخطورة العلم ؛ يرون أن من آداب العلمـــاء (أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون ، فإن البخل به لؤم وظلـــم ، والمنع منه حسد وإثم ، وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جودا من غير بخل ، وأتوه عفوا من غير بذل ؟! ، أم كيف يجوز لهم الشح بما إذا بذلوه زاد ، وإن كتموه تناقص ووهـــى ، ولو استن بذلك من تقدمهم ، لما وصل العلم إليهم ، ولا نقرض عنـــهم بانقراضـــهم ، ولصاروا على مرور الأيام جهالا ، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالا) (٣) .

ويستدلون على ذلك بنصوص كثيرة ، من ذلك ، قوله تعالى: **﴿ إن الذين يكتمـــون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتـــاب أولئـــك يلعنـــهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾** (٤) ، وما روى عن النبي ﷺ أنه قال : (**من كتم علما يحســـنه ، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**) (٥) .

ولا جدال أن هناك العديد من الفوائد تنتج عن بذل العلم وتعليمه ، فالعلم لا يتقـــدم إلا بتراكمه ، وانتقاله من جيل إلى جيل ، مع الإضافة والابتكار ، فواجب على العلماء أن

---

(١) سورة المجادلة:آية١١.

(٢) سورة طه:آية١١٤.

(٣) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٧.

(٤) سورة البقرة:آية١٥٩.

(٥) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٧.

ينقلوه ولا يبخلوا به ، ويبذلوه ولا يستروه ، ويشيعوه ولا يسروه ، وهذا واجب يلقيه العلم على أهله وبذلك تتحقق لهم فائدتان :

- الأولى : نوال ما يرجوه العالم من ثواب الله تعالى ، فقد جعل النبي ﷺ التعليم صدقة ، فقال ﷺ : (**تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ، ورأى يسدده**) ، وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: (**تعلموا وعلموا، فإن أجر العالم والمتعلم سواء قيل : وما أجرهما؟ قال : مائة مغفرة ، ومائة درجة في الجنة**) [1] .

- الثانية : زيادة العلم ، وإتقان الحفظ ، والعلم لا ينقصه ما أخذ منه ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه ، ومن ثم فالبخل به هو سبب فنائه ، ولذا وجب عدم البخل به .

وحين يجعل المفكرون المسلمون من نشر العلم التزاما أخلاقيا ، وأدبا للعالم ، فإنه يهدف إلى جعل العلم اتجاها عاما في الطلب والسلوك والبذل ، ولا غرو إذا علمنا أن المجتمع المعلم المتعلم هو هدف من أعظم الأهداف في الإسلام .

وتعد ظاهرة نشر المعرفة من الأعمال الجليلة ، وهي عمل الأنبياء والرسل ، قال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ [2] ، كما أن لها فائدة عظيمة على الإنسانية جمعاء ، إضافة إلى الفائدة المحتمة في الآخرة ، فقد جاء في الحديث : (**إذا مات ابن آدم ، انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوا له**) [3] ، ويقول في هذا المعنى ابن حجر الهيتمي : (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره) [4] .

ويترتب على عدم الاهتمام بنشر العلم آثار سلبية وهي :

١- انتشار الجهل بين الناس .

٢- انتشار الأخلاق الذميمة والجرائم الشنيعة نتيجة للجهل .

٣- ظهور الأنانية والبغضاء بين العلماء وعامة الخلق .

٤- ضعف النشاط العلمي في أقطار العالم .

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٨.

(٢) سورة يوسف: آية ١٠٨.

(٣) الحديث صحيح،رواه مسلم في كتاب الوصية باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته.

(٤) ابن حجر الهيتمي:الزواجر عن اقتراف الكبائر،دار الفكر،بيروت،(د.ط)،١٩٨٣م،مج ا،ص٩٦.

٥- عدم تبادل الثقافات المختلفة بين الشعوب المتنوعة .

- التخلق بالزهد و التنزه عن شبه المكاسب ودنيئها :

مما يلفت نظر الباحث بشدة أن القرآن الكريم مع ما فيه من الآيـــات الكريمـــات الكثيرات التي تزهد في الدنيا وترغب في الآخرة فإن كلمة الزهد لم تأت فيـــه إلا مـــرة واحدة في وصف إخوة يوسف حين باعوه للسيارة في قوله تعالى: ﴿ **و شروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين** ﴾ (١) ، أما في الحديث النبوي الشريف فأكثر ما في كتب الحديث حكم عليه العلماء بالضعف ؛ إلا حديثا واحدا مشهورا وهو حديـــث : (**ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس**) (٢) ، ولكن مع هـــذه الندرة في استخدام مصطلح الزهد في القرآن والسنة فإنه قد شغل حيزا كبيرا في الفكـــر الإسلامي ، وقد دار على ألسنة الصحابة رضوان الله عليهم ، وألسنة العلماء من بعدهـم ، وقد عد ابن جماعة الزهد من الآداب المهمة التي ينبغي للعالم أن يتحلى بها ومـــن ذلـــك قوله : (أن يتخلق بالزهد في الدنيا و التقلل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفســـه أو بعياله فإن ما يحتاج إليه لذلك على الوجه المعتدل من القناعة ليس يعد من الدنيـــا وأقـــل درجات العالم أن يستقذر التعلق بالدنيا لأنه أعلم الناس بخستها وفتنتها وســـرعة زوالهـــا وكثرة تعبها ونصبها فهو أحق بعدم الالتفات إليها والاشتغال بهمومها) (٣).

ومثل دعوة ابن جماعة هذه تعني أن من آداب العالم أنه لا يستكثر من الدنيـــا وأن يعيش حد الكفاف ، والحق أنه مع كثرة دوران هذا المصطلح في الفكر الإســـلامي فـــإن التعرف على حقيقته أمر قد تباينت فيه ألفاظ الناس على اختلاف مذاهبهم ، فلم يكـــن مفهومه محل اتفاق بين العلماء ، مما يجعل تطبيق العلماء لهذا الأدب محل اختلاف إلى يومنـــا هذا .

وقد أشار الإمام ابن القيم رحمه الله إلى ذلك قائلا : (وقد أكثر الناس من الكـــلام في الزهد وكل أشار إلى ذوقه ، ونطق حاله وشاهده ، فإن غالب عبارات القـــوم عـــن

---

(١) سورة يوسف:آية٢٠.

(٢) الحديث صحيح،رواه ابن ماجه في سننه،والطبراني في الكبير .

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٦.

أذواقهم وأحوالهم...) [١] .

لكن اللافت للنظر بحق أن القرآن مع دعوته الحارة إلى توجيه نظر الإنسان إلى الدنيا ومدى حقارتها بالنظر إلى الآخرة ؛ فإنه لم يدع إلى التزهيد فيها بلفظ الزهد ، ولكنه أيضا دعا إلى البعد عن تحريم ما خلقه الله للإنسان من الطيبات ومن الزينة ، والاستمتاع بها بشرط عدم الإسراف فيها يقول تعالى : ﴿ **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ﴾ [٢] ، ويقول سبحانه : ﴿ **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين** ﴾ [٣] .

ومن ثم فإذا كان بعض العلماء قد عرف الزهد بأنه : (الزهد في الدينار والدرهم) [٤] ، فإن هناك اتجاها آخر قد عرفه بقصر الأمل ، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباءة ، كما يقول سفيان الثوري[٥] ، ولعل من أجمع ما قيل في تعريف الزهد-كما يقول ابن القيم : (ترك ما لا ينفع في الآخرة) وهو من تعريفات الإمام ابن تيمية [٦] .

وفي الحق أن الزهد إذا كان ترك ما لا ينفع في الآخرة ، فإن من الواجب حينئذ أن لا يقتصر على ما يروى في الزهد من أحاديث وآثار ، بل ينظر إلى مجموع النصوص الشرعية ، إذ من شأن ذلك أن يجنب من زلل الوقوع في شرك العبارات الآسرة التي قد تقضي على العالم أن يعيش فقيرا كي يتحلى بهذه الصفة ، فيقع في هوان العيش ويضيع من يعول وهذا ما تأباه النصوص الإسلامية في مجملها [٧] .

---

(١) ابن القيم:مدارج السالكين،دار التراث العربي،القاهرة،ط١،١٩٨٨م،ج٢،ص١٠.
(٢) سورة الأعراف:آية٣٢.
(٣) سورة القصص:آية٧٧.
(٤) ابن القيم:مدارج السالكين،مرجع سابق،ج٢،ص١٢.
(٥) المرجع السابق:ص١١.
(٦) المرجع السابق:ص١٠.
(٧) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني:الأخلاق الإسلامية وأسسها،دار الفكر،سوريا،١٩٩٢م،ط٢،ج٢،ص٥٢٥ وما بعدها.

فمما لا شك فيه أن الحالة المادية والمعيشة للعالم شيء هام ومهم ، إذ إن العالم فـرد من الناس ، له حاجاته التي يجب أن تشبع ، وله احتياجاته التي لابد أن يحصل عليـها ، لأن فقد هذه الحاجات يؤدي إلى ضعف النفس والجسد ، بل وضعف الدنيا كلها ، وهـذا لا يجوز في حق الإنسان ككل ، فضلا عن ذلك العالم باعتباره إنسانا .

ولهذا فإنه لابد له من حياة كريمة لسد حاجاته عند الضرورة ، ولكن لابد من تـرك الفضول وما زاد على قدر الكفاية ، و ينصح المفكرون المسلمون أن يتنــزه العالم عن شبه المكاسب ، (والقناعة بالميسور من كد المطالب ، فإن شبه المكاسب إثم ، وكد المطـالب ذل ، والأجر أجدر به من الإثم ، والعز أليق به من الذل) [1] .

وهم بهذا لم يخرجوا عن الجو الإسلامي العام إطلاقا ، فقد أجمع علماء المسـلمين ، على أهمية الزهد والورع في حياة الإنسان عامة ، والعلماء خاصة ، وهذا الزهد لا يعـني الانصراف عن الدنيا دفعة واحدة ، (بل هو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى مـا هو خير منه ، ففي المطعم يكون هدف العالم منه ما يدفع الجوع مما يوافق البدن ، أمـا في الملبس ، فالاقتصار فيه على ما يدفع الحر والبرد ويستر العورة ، ويكون فيه من التجمل مما لا يخرجه إلى الشهرة ، وهكذا) [2] .

فالزهد والتنــزه هنا عن الفضول ، وما أسموه شبه المكاســب ، وأن يقنـع العـالم بالميسور من المطالب ، في المطعم والمشرب والملبس ، وهـذا ضـروري للعـالم ، لأن لا ينشغل عن العلم بشيء من فضول الدنيا ومكاسبها ، فلذة العلم فوق كل لذة ، إذ هـي عوض عن كل لذة ، ومغنية عن كل شهوة ، فوجب عليه (أن يتخلق بالزهد في الدنيـا و التقلل منها بقدر الإمكان الذي لا يضر بنفسه أو بعياله فإن ما يحتاج إليه لذلـك علـى الوجه المعتدل من القناعة ليس يعد من الدنيا وأقل درجات العالم أن يستقذر التعلق بالدنيا لأنه أعلم الناس بخستها وفتنتها وسرعة زوالها وكثرة تعبها ونصبها فـهو أحـق بعـدم الالتفات إليها والاشتغال بهمومها) [3]

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٩١، ٩٢.

(٢) ابن قدامة المقدسي:مختصر منهاج القاصدين،مرجع سابق،ص٢٨٣-٢٨٧.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٦.

وتمام هذا أيضا أن يتحرى الحلال في طعامه ، بل في كل شـــأنه ، فذلــك أولى إلى إفادته من العلم وتحقيق ثمرة الخير منه ، فلابد (أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شـــأنه ، ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ، وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعيالــه ، ليستنير قلبه ، ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به) [1] .

-السكينة والوقار:

هاتان اللفظتان وإن كان لكل منهما ما يختص به من المعاني والصفات فإنهما مـــا يزالان يقترنان حتى بدا أنهما مترادفان ، وكثيرا ما يفســـر أحدهمـــا بـــالآخر في كـــلام العلماء [2] ، وإذا كان القرآن الكريم قد وصف المولى ﷻ بأنـــه : ﴿ **هو الـــذي أنـــزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم** ﴾ [3] ، وفسرت السكينة في بعض تفسيراتها كما جاء في قول قتادة بالوقار [4] ؛ فإن السكينة والوقـــار قـــد اجتمعـــت في أحاديث نبوية شريفة ، منها حديث مسلم عن عن أبي هريرة ﷺ **(إذا سمعتـــم الإقامـــة فامشوا إلى الصلاة، وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، ومـــا فاتكم فأتموا)** [5] ، وما يزال العلماء يفسرون الوقار بالسكينة .

ومن خصائص النبي ﷺ التي تناقلتها كتب السير والسنة خصيصة (الوقار) ، كمـــا ورد أن النبي كان يجلس مع أصحابه كأن على رؤوسهم الطير من الوقار ؛ ذلـــك الأدب الذي حرص العلماء المسلمون على أن يجعلوا لـــه بابا مفردا في كتب الحديث ، ففي سنن أبي داود مثلا في كتاب الأدب : (باب في الوقار) ، جاء فيه حديث النبي ﷺ **(إن الهـــدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة)** [6] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٧٥.

(٢) يقول المباركفوري في تحفة الأحوذي في باب المشي إلى المساجد: و(الوقار) قال عياض والقرطبي : هو بمعنى السكينة ... وقال النووي : الظاهر أن بينهما فرقـــا وأن (الســـكينة) : التـــأني في الحركات واجتناب العبث ، و(الوقار) : في الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الإلتفات)

(٣) سورة الفتح:آية٤.

(٤) ابن كثير: تفسير ابن كثير،مرجع سابق،ج٤،ص١٨٤.

(٥) الحديث صحيح ، رواه مسلم .

(٦) الحديث صحيح ، رواه أبو داوود .

ولعل ما أوردناه الآن من القرآن والسنة يبين لماذا احتل هذا الأدب مكانة في الفكر الإسلامي ليصير أحد الخصائص والآداب التي ينبغي للعالم أن يتحلى بها ، بل ويداوم على التخلق بها كما ينص الإمام ابن جماعة [1] ، ويروي في ذلك أثرا لعمر ﷺ يقول فيه : (تعلموا العلم وتعلموا له السكينة والوقار) [2] .

ولما كان من سمت النبي ﷺ الوقار ، وكان الوقار جزءا من النبوة ، وقد جعل العلماء من الوقار صفة من صفات عباد الرحمن الواردة في آيات سورة الفرقان ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما** ﴾ [3] فقد دعا المفكرون المسلمون إلى هذا الخلق الرفيع وأحد الآداب المهمة في الفكر الإسلامي التي ينبغي للعالم أن يتحلى بها .

وفي الحق أن هذا الخلق وإن كانت الدعوة إليه جاءت غير مفصلة ، فهي دعوة إلى الوقار فحسب ، فإن العلماء قد ذهبوا في تفسيراتهم للنصوص الإسلامية يعددون بعض هذه الصفات التي تنبثق من هذا الخلق ، وإن كنت أرى أن العرف آنئذ قد لعب دورا بارزا في بيان مفهوم هذا الأدب ، وكذلك فإن هذا الأدب قد شمل كثيرا من الصفات الظاهرة والباطنة ، كما دل على العديد من الصفات المادية والنفسية والعقلية ، فمن الصفات الظاهرية مثلا تحسين الهيئة بلبس العمامة وإرخاء العذبة بين الكتفين [4] ، ويلاحظ في هذا المثال كيف لعب العرف دورا بارزا في هذا الأدب ، ومن الصفات النفسية والعقلية ، ما جاء أن من الوقار الذي يتحلى به العلماء (الحلم والرزانة) ، ويستشهد المناوي على ذلك بما رواه الإمام ابن المبارك عن الإمام مالك –رحمه الله– أنه : (لدغته عقرب ست عشرة لدغة فتغير لونه وتصبر و لم يقطع الحديث ، فلما فرغ سألته فقال : صبرت إجلالا لحديث المصطفى ﷺ) [5] ، وهذه خصلة نفسية نفيسة ربما حملت البعض على المبالغة في هذه القصة المروية عن مالك رحمه الله ، وربما كان تخلق العلماء

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٥.

(٢) المصدر السابق:ص١٦.

(٣) سورة الفرقان:آية٦٣.

(٤) المناوي:فيض القدير،دار الحديث،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)ج١،حديث رقم ١١٤٢.

(٥) المرجع السابق:حديث٣٣٢١.

بأخلاق النبي وسعيهم لأن يتسموا ببعض من صفات النبوة كما جاء في الحديث ، وذلك يعني سعيا إلى المثال والكمال الأخلاقي المتمثل في أشرف الخلق ﷺ ، دعا الإمام مالك – رحمه الله– هارون الرشيد إلى خلق الوقار فكتب إليه قائلا : (إذا علمت علما فلير عليك أثره وسكينته وسمته ووقاره لخير العلماء ورثة الأنبياء) [1] .

وربما كان من مبالغة العلماء في أهمية تخلق العالم بهذه الصفة أن قدح بعضهم في بعض لأنه لم يلتزم بمقتضيات هذا الأدب ، وإن كانت بعض مفرداته مبنية على العرف وليس على الدين كعدم ارتداء العمامة أو الأكل ماشيا وغير ذلك .

–دوام مراقبة الله :

هذا المصطلح مع دورانه على ألسنة العلماء منذ العصور الإسلامية الأولى، فإنه لم يأت بلفظه في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وإن كان من أسماء الله ﷻ الرقيب. ولكن آيات القرآن و كذلك السنة النبوية المشرفة قد جاء فيهما ما يحض ويؤكد على مضمون ذلك الأدب الرفيع ، الذي يدل على أن المتمسك به هو من العالمين برب العالمين وإن كان قليل التحصيل في العلوم ، ولذلك كان العالم هو من أولى الناس تخلقا بهذا الأدب وإلا صار إلى النقيض من ذلك بفقدانه ، إذ إن المراقبة في مفهومها تعني : (دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق سبحانه وتعالى على ظاهره وباطنه ، فاستدامته لهذا العلم واليقين هي المراقبة ، وهي ثمرة علمه بأن الله سبحانه رقيب عليه...) [2] ، كما في قوله تعالى : ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ [3] .

ولذلك فإن العالم لا بد وأن يتخلق بهذا الخلق الذي سوف يجعل منه عالما ربانيا أمينا على ما استودعه الله من العلوم ، كما يقول ابن جماعة : (دوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن ، والمحافظة على خوفه في جميع حركاته و سكناته ، وأقواله وأفعاله ، فإنه أمين على ما أودع من العلوم وما منح من الحواس و الفهوم) [4] .

ومما جاء يوضح ذلك أن العالم الذي يراقب الله كان من شأنه أنه لا يقول إلا

---

(١) المناوي:فيض القدير،مرجع سابق،حديث ٣٣٢١.

(٢) ابن القيم:مدارج السالكين،مرجع سابق،ج٢،ص٦٧-٦٨.

(٣) سورة العلق:آية ١٤.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٥.

الحق ، فإن أخطأ فلا يحمله الكبر على التمادي في خطئه ، ولكن المراقبة تحمله على أن يعاود ما أخطأ فيه بالتصويب ، وقد جاء في كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لأبي موسى الأشعري ﷺ : (ولا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت لرشدك أن تراجع الحق ، فإن الحق قديم ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل) (١) .

وفي كلمات سيدنا عمر ﷺ يقول السرخسي : (وفيه دليل أنه إذا تبين للقاضي الخطأ في قضائه بأن خالف قضاؤه النص أو الإجماع فعليه أن ينقضه ولا ينبغي أن يمنعه الاستحياء من الناس من ذلك ، فإن مراقبة الله تعالى في ذلك خير له)(٢) .

ولذلك كان من وصايا العلماء بعضهم لبعض بخلوص نياتهم في السر ، ومراقبة الله لا مراقبة المخلوقين ، كما أوصى أبو حفص أبا عثمان النيسابوري بقوله : (إذا جلست إلى الناس فكن واعظا لقلبك ونفسك ، ولا يغرنك اجتماعهم عليك ، فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك) (٣) .

-تنزيه العلم عن المطامع واجتناب مواضع التهم:

إن من أهم الصفات الواجب توافرها في العالم ، وما يجب أن يتميز به عن غيره ، هو تنزيه العلم عن جعله وسيلة للحصول على أغراض ومطامع دنيوية ، فالعلم أجل من أن يستخدم في هذا الشأن ؛ ومن واجب العالم أن يقوم له بما يستحقه من العزة والشرف والصيانة ، وأن (ينزه علمه عن جعله سلما يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو تقدم على أقرانه) (٤) ، كما ينزه العلم (عن الطمع في رفق من طلبته بمال أو خدمة أو غيرها بسبب اشتغالهم عليه وترددهم إليه) (٥) ؛ بل (يصون العلم كما صانه علماء السلف ويقوم له بما جعله الله تعالى له من العزة والشرف) (٦)

---

(١) السرخسي:المبسوط،دار الكتب العلمية،بيروت،(د,ط)،(د.ت)،ج٥،ص٢١٧.

(٢) المرجع السابق:نفس الصفحة.

(٣) ابن القيم:مدارج السالكين،مرجع سابق،ج٢،ص٦٨.

(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٩.

(٥) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٦.

(٦) المصدر السابق:ص١٩.

إن من أعظم الخطأ أن يستعين العالم بعلمه للحصول على فضول الأغراض الدنيوية ؛ لأن في ذلك إذلالا للعلم ، وامتهانا له ، وهو ما يجب أن يحترز منه العالم .

والعالم لن ينزه العلم ما لم يتنزه هو في نفسه ، فينأى بنفسه مترفعا (عن دنيء المكاسب و رذيلها طبعا ، و عن مكروهها عادة وشرعا) [1] ، ويسلك سلوك الأخيار الفضلاء ، فليست النزاهة في أن يسلك العالم سلوكا يقره عليه الناس فحسب ؛ بل تتحقق النزاهة له حين لا يعرض نفسه للتهم ، وإن كان فعله طيبا ومسلكه حميدا ؛ فذلك كمال النزاهة والمروءة ، فإذا صادف وفعل ما ظنه خروجا عن الأدب ، سارع فبين وجه فعله حتى لا ينفر الناس منه ؛ فيحذرون أخذ العلم على يديه ، وتمتنع الفائدة منه ، يقول ابن جماعة : (يتجنب مواضع التهم و إن بعدت ، ولا يفعل شيئا يتضمن نقص مروءته ، أو ما يستنكر ظاهرا وإن كان جائزا باطنيا ، فإنه يعرض نفسه للتهمة ، وعرضه للوقيعة ، ويوقع الناس في الظنون المكروهة ، وتأثيم الوقيعة ، فإن اتفق وقوع شيء من ذلك لحاجة أو نحوها ، أخبر من شاهده بحكمه ، وبعذره و مقصوده ؛ كي لا يأثم بسببه أو ينفر عنه فلا ينتفع بعلمه) [2] .

-المحافظة على شعائر الإسلام:

أوجب المفكرون المسلمون على العالم (أن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام وظواهر الأحكام كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات وإفشاء السلام للخواص والعوام) [3] ، والسر في وجوب ذلك على العلماء أنهم (هم القدوة وإليهم المرجع في الأحكام وهم حجة الله تعالى على العوام وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون ويقتدي بهديهم من لا يعلمون وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به) [4] ؛ (ولهذا عظمت زلة العالم لما يترتب عليها من المفاسد لاقتداء الناس به) [5] .

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٩،٢٠.

(٢) المصدر السابق:ص٢٣.

(٣) المصدر السابق:ص٢٠.

(٤) المصدر السابق:ص٢١.

(٥) المصدر السابق:ص٢١.

-المحافظة على صحته النفسية والتنزه عن الأخلاق الرديئة :

وقد جعل المفكرون المسلمون من مسئولية العالم أن يهتم بصحته النفسية ، وضرورة أن يتمتع بالاتزان الانفعالي ، وأول علامات الصحة النفسية وأهم عناصرها هو رضاه عن عمله ، فلا شك أن اقتناع العالم بقيمة العمل الذي يؤديه يكسبه شعورا بالأمن ويبعث في نفسه الطمأنينة ، ويبعد عنه الاضطراب والقلق وسيطرة الأفكار البغيضة ، والعالم إن اقتنع بعمله ، وبأنه ذو قيمة كبيرة انعكس ذلك على سلوكه بوجه عام ، وعلى علاقاته بتلاميذه بوجه خاص ، وقد حرص المفكرون المسلمون على تأكيد هذا المعنى ، فنراهم يذكرون العالم بقيمة عمله ، وسمو رسالته ، وليس أدل على ذلك من اعتبارهم أن (تعليم العلم من أهم أمور الدين وأعلى درجات المؤمنين) (١).

والعالم باشتغاله بالتعليم يمارس عبادة يستحق بها رضاء الله والناس أجمعين ، فقد قال رسول الله ﷺ : (**إن الله ملائكه وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها يصلون على معلم الخير**) (٢) ، و(لعمرك ما هذا إلا منصب جسيم ، وإن نيله لفوز عظيم) (٣) .

وتتجلى الصحة النفسية للعالم في احتفاظه بهدوئه واتزانه الانفعالي في علاج حالات سوء أدب تلاميذه ، والصبر في معالجة خروجهم عن حدود اللياقة والتماس الأعذار لهم ، فمن واجبه نحو تلميذه (الصبر على جفاء ربما وقع منه ، ونقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف وتعسف ، قاصدا بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه) (٤) .

كما تتجلى صحته النفسية أوضح ما تكون في تقديمه قدوة صالحة ونموذجا طيبا لتلاميذه بسلوكه العام ، وتصرفاته في المواقف المختلفة ، وهو بتقديمه هذا النموذج الطيب

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٤٧.

(٢) المصدر السابق: ص٤٧.

(٣) المصدر السابق: ص٤٧.

(٤) المصدر السابق: ص٤٩، ٥٠.

يدفع تلاميذه إلى التحلي بكريم الصفات وجميل الأخلاق ؛ اقتداء به والتزاما بمنهجه ، ولا شك أن للقدوة في هذا المجال أثرا لا ينكر .

وقد عرض المفكرون المسلمون لعدد من الأدواء النفسية التي تصيب بعض العلماء مما له أخطر الأثر على علاقتهم بتلاميذهم ، وقد أسموها الأخلاق الرديئة ، وطالبوا العالم أن يبادر إلى التخلص منها إذا ابتلي بها ؛ لأنها في رأيهم أصل كل شر وسبب كل مفسدة ، وقد نصحوه (أن يطهر باطنه وظاهره من الأخلاق الرديئة ، ويعمره بالأخلاق المرضية) [1] ، وعددوا هذه الأدواء النفسية ، فذكروا منها : (الغل والحسد والبغي والغضب لغير الله تعالى ، والغش والكبر والرئاء والعجب والسمعة والبخل والخبث والبطر والطمع والفخر والخيلاء والتنافس في الدنيا والمباهاة بها ، والمداهنة والتزين للناس ، وحب المدح بما لم يفعل ، والعمى عن عيوب النفس والاشتغال عنها بعيوب الخلق ، والحمية والعصبية لغير الله ، والرغبة والرهبة لغير الله ، والغيبة والنميمة والبهتان والكذب والفحش في القول ، واحتقار الناس ولو كانوا دونه ، فالحذر الحذر من هذه الصفات الخبيثة والأخلاق الرذيلة ، فإنها باب كل شر ، بل هي الشركة كله ، وقد بلي بعض أصحاب النفوس الخبيثة من فقهاء الزمان بكثير من هذه الصفات ؛ إلا من عصم الله) [2] .

وأخلاق الإنسان وسلوكه قابلان للتعديل والتغيير ، ومن ثم فعلى العالم إن اعتراه مرض من هذه الأمراض النفسية عامة (ولا سيما الحسد والعجب والرئاء واحتقار الناس) [3] أن يبادر إلى التخلص منه بتعديل سلوكه وتغيير خلقه ، ولم يذهب المفكرون المسلمون إلى الرأي القائل بأن الأخلاق لا تتغير ، لأن الخلق-عند أصحاب الرأي- صورة الباطن ، كما أن الخلق صورة الظاهر ، وكما أن الباطن لا يتغير فكذلك الخلق ، وإنما رأوا إمكانية تعديل الأخلاق والسلوك بالمجاهدة .

أما كيف يتم تعديل الأخلاق وتغييرها ؛ فإن المفكرين المسلمين جعلوا ذلك مراحل :

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣.
(٢) المصدر السابق:ص٢٣،٢٤.
(٣) المصدر السابق:ص٢٤.

-أولا : الوقوف على تلك الأخلاق المرذولة ، وهذه الأدواء النفسية الخبيثة ،

-ثانيا : تأتي مرحلة العلاج ، وقد طرح المفكرون المسلمون وسائل عامة لعلاج كل هذه الأدواء ، و لم يفصلوا في ذكر وسائل العلاج ، وإنما أحالوا إلى كتب الرقائق التي كانت مشهورة في عصرهم ، يقول ابن جماعة : (وأدوية هذه البلية مستوفاة في كتب الرقائق ، فمن أراد تطهير نفسه منها فعليه بتلك الكتب) (١) .

ومع هذه الإحالة لكتب الرقائق ، ذكروا أن العلاج العام والناجع لكل هذه الأدواء يكمن في : (دوام التوبة والإخلاص واليقين والتقوى والصبر والرضا والقناعة ورؤية الإحسان ، وشكر النعمة ، والشفقة على خلق الله تعالى ، والحياء من الله تعالى ومن الناس ، ومحبة الله تعالى هي الخصلة الجامعة) (٢) .

-ثالثا : طرح المفكرون المسلمون وسائل علاج لكل داء من هذه الأدواء النفسية التي تصيب العلماء على حدة ، وليس ما يصلح لعلاج بعضها يصلح لعلاج البعض الآخر ، فعلاج الحسد مثلا -في نظرهم-هو : (الفكر بأنه اعتراض على الله سبحانه وتعالى في حكمته المقتضية تخصيص المحسود بالنعمة ، مع ما فيه من غم ، وتعب للقلب وتعذيبه بما لا ضرر فيه على المحسود) (٣) .

وعلاج العجب هو أن (يذكر أن علمه وفهمه وجودة ذهنه وفصاحته وغير ذلك من النعم فضل الله عليه ، وأمانة عنده ليرعاها حق رعايتها ، وأن معطيه إياها قادر على سلبها منه في طرفة العين) (٤) .

وعلاج الرياء (الفكر بأن الخلق كلهم لا يقدرون على نفعه بما لم يقضه الله تعالى له ، ولا على ضره بما لم يقدره الله تعالى عليه ، فلم يحبط عمله ، ويغير دينه ، ويشغل

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٤.
(٢) المصدر السابق:ص٢٦.
(٣) المصدر السابق:ص٢٥.
(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

نفسه بمراعاة من لا يملك له في الحقيقة نفعا ولا ضرا ، مع أن الله تعالى يطلعهم على نيته وقبح سريرته) [1] .

ومن أدوية احتقار الناس (تدبر قوله تعالى : **﴿لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾** [2] وقوله تعالى : **﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** [3]وقوله تعالى : **﴿فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى﴾** [4]، (وربما كان المحتقر أطهر عند الله قلبا وأزكى عملا ، وأخلص نية) [5] .

وهكذا عرض المفكرون المسلمون لكل مرض من هذه الأمراض النفسية ، وبينوا للعالم ما يترتب عليه من نتائج سلبية وآثار وخيمة ، ولا شك أن ذلك يتطلب معرفة جيدة بالسلوك الإنساني ، والظواهر النفسية ، ثم طرحوا العلاج معتمدين في ذلك على إثارة الجانب التفكيري و الإدراكي للعالم ، وإيقاظ باعث الدين في نفسه على أساس أنه الضابط المنظم للسلوك ، ثم عرضوا بعد ذلك وسائل أخرى للعلاج ، وهي التمرس بالأخلاق الطيبة المرضية ، والابتعاد عن أسباب الخلق المذموم ومثيراته ؛ وذلك يحتاج إلى مجاهدة النفس ، وبذل غاية الجهد لتغيير الأخلاق المذمومة ، وعلاج هذه الأمراض النفسية ، وتكون المجاهدة بحمل النفس على الأعمال التي تكسب نقيض الصفات المرذولة ، والمواظبة على هذه الأعمال وتكرارها ليتعودها .

وعلى العالم (دوام الحرص على الازدياد بملازمة الجد والاجتهاد ، والمواظبة على وظائف الأوراد من العبادة والاشتغال) [6] ، كذلك عليه أن (يحافظ على المندوبات الشرعية القولية والفعلية ، فيلازم تلاوة القرآن ، وذكر الله تعالى بالقلب واللسان ، وكذلك ما ورد من الدعوات والأذكار في آناء الليل والنهار، ومن نوافل العبادات من

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٥.
(٢) سورة الحجرات: آية رقم ١١.
(٣) سورة الحجرات: آية رقم ١٣.
(٤) سورة النجم: آية رقم ٣٢.
(٥) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٦.
(٦) المصدر السابق:ص٢٦.

الصلاة والصيام.. الخ) [1] ، وبهذه المجاهدة يقاوم العالم الأمراض النفسية قبل وقوعها ؛ وبذلك تسلم له صحته النفسية .

-العناية بالمظهر العام و الحفاظ عليه :

تميل النفس الإنسانية إلى الجمال وتقبل عليه ، وتنفر من القبح وتعزف عنه ، وتلك سجيتها منذ الأزل ، ولما كان المظهر الخارجي للأشخاص والأشياء يرسل أول الانطباعات إلى النفوس عن طريق العين ، فيستهويها حين يكون مقبولا ، ويثير اشمئزازها حين يكون بشعا أو ممجوجا ، لذا اعتنى المفكرون المسلمون بمسألة المظهر الخارجي للعالم ، ووجوب الاعتناء به ، والحرص على الظهور بشكل لا يشوبه نقص ولا عيب ولا تشويه .

فالمظهر العام له أهمية كبيرة في حياة العالم والمتعلم على السواء ، فبالنسبة للعالم يعطيه المظهر الخارجي من المهابة والمكانة ما يعظمه في عيون الناس ، كما يدل على تعظيم العلم ، وبالنسبة للمتعلم يلعب المظهر الخارجي دورا حيويا ، ذلك أن المتعلم يقلد أستاذه (ويسلك في السمت والهدي مسلكه ....ويتأدب بآدابه ، ولا يدع الاقتداء به) [2] .

وما دام المعلم قدوة لتلاميذه ، والتلميذ لا يدع الاقتداء به في كل شيء ، لذا وجب عليه أن يظهر لتلاميذه دائما في صورة طيبة ، دون مغالاة أو إسراف ، وأن يظهر لهم بالمظهر المناسب ، من حيث نظافته ، ونظافة ثيابه ، فالأنظار ترمقه ، ونفوس طلابه تميل إلى تقليده ومحاكاته .

وقد وضع المفكرون المسلمون مجموعة من الآداب ، التي يجب على العالم أن يلتزمها في حياته اليومية ، وعند ذهابه إلى درسه ، إجلالا للعلم ومكانته ، وحفاظا على هيبة العالم و قدوته ، فلابد أن يكون (على أكمل هيئته ، وأفضل زينته ، ويتعاهد نفسه ... بإصلاح أموره التي تجمله عند الحاضرين) [3] ، وأهم هذه الآداب :

أ-استعمال السواك ، ونحوه لتنظيف الفم ، وتطييبه ، يقول الخطيب البغدادي :

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢١.

(٢) المصدر السابق:ص٩٠.

(٣) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٣٧٣.

(وليبتدئ بالسواك ....عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : **(استاكوا ، لا تأتوني قلحا ، لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة)**)[1] .

ولا شك أن رائحة الفم الكريهة تنفر الناس من صاحبها ، وهذا لا يليق بالعالم ، الذي يعاشر الناس ، ويعلمهم ، فلابد أن يكون زكي الرائحة ، طيب الفم .

ومما يساعد على طيب رائحة الفم تجنب الأطعمة ذات الرائحة الكريهة ، كالبصل والثوم ونحوهما ، فلقد نهى رسول الله ﷺ عن أكل البصل والكراث والثوم ، كراهة لرائحته وقال ﷺ : **(من أكل من هذه الشجرة الخبيثة ، فلا يقربن مسجدنا ، فإن الملائكة تتأذى بما يتأذى منه الإنس)** [2] .

ب-تقليم الأظافر ، وقصها إذا طالت [3] **، وقص الشارب ، أو الأخذ منه** ،فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **(وقت لنا رسول الله ﷺ حلق العانة ، وتقليم الظافر ، وقص الشارب ، ونتف الإبط ، أربعين يوما)** [4] .

ج-تهذيب الشعر ، وتسكين شعثه ،وتسريح اللحية : فمن جمال الهيئة أن يكون المرء غير ثائر الشعر ، فقد كان رسول الله ﷺ إذا رأى رجلا شعث الرأس يقول : **(أما وجد هذا شيئا يسكن به شعره ؟)** [5] .

كما يستحب له أن يسرح لحيته بالمشط كان يفعل رسول الله ﷺ ، فعن الحكم أن رسول الله ﷺ كان يسرح لحيته بالمشط [6] ، و(كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج يحدث ، توضأ وضوءه للصلاة ، ولبس أحسن ثيابه ...ومشط لحيته ، فقيل له في ذلك ، فقال أوقر به حديث رسول الله ﷺ) [7] .

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٣٧٣،والحديث رواه أحمد في المسند بمعناه.

(٢) الحديث صحيح ، رواه مسلم،مرجع سابق،كتاب المساجد .

(٣) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٣٧٤-٣٧٥.

(٤) المصدر السابق:ج١،ص٣٧٥،والحديث صحيح ،رواه مسلم،كتاب الطهارة.

(٥) المصدر السابق:ج١،ص٣٧٥،والحديث صحيح، رواه أبو داود،كتاب اللباس.

(٦) المصدر السابق:ج١،ص٣٨٧.

(٧) المصدر السابق:ج١،ص٣٨٨.

د–التطيب بالطيب ، أو المسك ونحوه [1] .

هـ–النظر في المرآة : وذلك للاطمئنان على حسن الهيئة والهندام ، فقد قال بعض الحكماء : (ينبغي للعاقل أن ينظر كل يوم إلى وجهه في المرآة ، فإن كان حسنا لم يشنه بفعل القبيح ، وإن كان قبيحا لم يجمع بين قبيحين) [2] .

و–ارتداء أحسن الثياب وأجملها : و(يكره له أن يلبس الثوب الخلق ، وهو يقدر على الجديد) [3] ، (وكما يكره له أن يلبس أدون الثياب ، فكذلك يكره له لبس أرفعها خوفا من الاشتهار بها ، وأن تسموا إليه الأبصار فيها) [4] .

و لم يشترط الإسلام لباسا معينا للعلماء ، واللباس عنوان على انتماء الشخص ، بل تحديد له ، فهو وسيلة من وسائل التعبير عن الذات ، فلابد أن يكون لباس العالم عنوانا على شخصيته ، من حيث الوقار والرصانة ، فيلبس من اللباس ما يزينه ولا يشينه ، ولا يجعل فيه مقالا لقائل ، ولا لمزا للامز .

والمفكرون المسلمون في كل ذلك يربطون بين عناية العالم بمظهره العام ، وبين قيمة يحرص الإسلام عليها وهي تعظيم العلم ، وهم بذلك ينفون أية شبهة للعجب بالنفس ، أو للخيلاء بالثياب وما أشبه ذلك ، هذا بالإضافة إلى ما سبق ذكره من أن العالم نموذج يحتذى ، و قدوة يقتفى أثرها .

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٣٨٩.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص٣٩٠.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص٣٨١.

(٤) المصدر السابق:ج١،ص٣٨٢.

الفصل الثاني

آداب العالم نحو تلاميذه

احتلت علاقة العالم مع تلاميذه مكانا بارزا لدى المفكرين المسلمين ، إذ هي المحور الأساسي والفعال في عملية التعليم والتعلم ، وبدون وضوح هذه العلاقة ، وقيامها على أسس متينة وقوية ، عمادها الاحترام والجدية من قبل المتعلم ، والعطف والرعاية من قبل العالم ، فلا يمكن لعملية التعليم والتعلم أن تؤتي ثمارها المرجوة ؛ لذا كان الاهتمام والتركيز على هذه العلاقة ، ووضع الآداب والضوابط التي يجب على كل طرف الالتزام بها .

ويمكن إبراز تلك الآداب والضوابط التي حظيت باهتمام المفكرين المسلمين ، واعتبروها أساسيات في ممارسة عملية التعليم كما يلي :

- الرفق بالمتعلم وعدم تعنيفه :

يرى المفكرون المسلمون أن المتعلمين لا يؤثر فيهم إلا العالم الذي يرفق بهم ، ويشفق عليهم ويحبهم ، ويفرح بتعليمهم ، ويكلف نفسه كل مشقة في سبيل رعاية مصالحهم ، وتهذيب أخلاقهم ، وإرشادهم إلى ما ينفعهم باللين والرحمة ، وذلك كله من دلائل حب العالم للتعليم ، وعنوان نجاحه فيه ، وقدرته عليه ، ومن فقد القدرة على معاملة التلاميذ برفق وشفقة ، فقد القدرة على التأثير فيهم ؛ ولذا كان من أهم صفات العالم (أن يحب لطالبه ما يحب لنفسه -كما جاء في الحديث- ويكره له ما يكره لنفسه) [١] ، وأن يعتني بمصالح الطلاب ، ويعاملهم بما يعامل به أعز أولاده ، من الحنو والشفقة عليهم والإحسان إليهم [٢] ، فأنجح المعلمين هم أشدهم حبا لتلاميذهم ، وأكثرهم رعاية لهم ، وشفقة عليهم ، ورفقا بهم ، عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: (أكرم الناس علي جليسي الذي يتخطى رقاب الناس إلي ، لو استطعت ألا يقع الذباب عليه لفعلت) ، وفي رواية (إن الذباب ليقع عليه فيؤذيني) [٣] ، ومما يروى من سيرة البويطي [٤] صاحب الإمام الشافعي ، الذي قام مقامه في التدريس والفتوى بعد وفاته ، أنه

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٩.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) هو أبو يعقوب يوسف بن يحيى المصري البويطي صاحب الشافعي، كان واسطة عقد جماعته وأظهرهم نجابة ، قام مقامه في التدريس والفتوى بعد وفاته ، كان قد حمل في أيام الواثق بالله من مصر إلى بغداد في مدة المحنة ، وأريد على القول بخلق القرآن الكريم فامتنع من الإجابة إلى ذلك،

(كان يدني القراء ويقربهم إذا طلبوا العلم ...ويقول : كان الشافعي يأمر بذلك ويقـــول : أُصبِّر الغرباء وغيرهم من التلاميذ) [1] ، (وكان أبو حنيفة أكرم الناس بمجالسة وأشـــدهم إكراماً لأصحابه) [2] .

والرفق بالمتعلمين أمر نادى به كل علماء المسلمين ، ومفتاح هذا في الإقبال علـــى المتعلمين بالحبور ، (فلا تقوم تربية –كما قيل– بـــدون حبـــور... ، إن الحبـــور روح التربية ، لأنه يعني الشباب الدائم للوعي ، وهذا ما يحدد موقف المربين حيال طلابهم .

إن ضخامة مهمة العالم لا ينبغي أن تلقى عليه ثوباً من الجلال العاجز عن الابتسـلم ، ولا ينبغي أن توحي إليه بالتحرج المفرط ، أو بالهيئة القاسية دوماً ، وليس عليه أن يثـــير الخوف ؛ بل المحبة ، ولا أن يثير الانكماش بل انطلاق النفوس) [3] .

و المفكرون المسلمون أدركوا هذا جيداً ، يقول المـــاوردي : (ومـــن آدابهـــم أن لا يعنفوا متعلماً ولا يستصغروا مبتدئاً ، فإن ذلك أدعى إليهم ، وأعطف عليهم ، وأحـث على الرغبة فيما لديهم ، وروى عن النبي ﷺ أنه قال : **(علموا ولا تعنفوا ، فإن المعلـــم خير من المعنف)** ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : **(وقروا من تتعلمون منه ، ووقروا مـــن تعلمونه)** [4] .

إن التعليم والتربية ليست قَصَاصاً نفرضه على المتعلمين ، وليس عقاباً على خطيئـة ، أو فساد أصيل في طبيعة المتعلم ، وأنى للتعليم أن يثمر ثمره إذا كان جو التعليم والتربية هو

فحبس ببغداد و لم يزل في السجن والقيد حتى مات . قال الربيع : ما رأيت أحدًا أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي ، وقال : كتب إلي أبو يعقوب من السجن : (إذا قرأت كتابي فأحسن خلقك مع أهل حلقتك ، واستوص بالغرباء خاصة خيرًا) . توفي –رحمه الله– سنة إحدى وثلاثين ومائتين في القيد والسجن ببغداد . انظر ابن خلكان:وفيات الأعيـــان مرجـــع سابق،جـــ٧،ص٦١-٦٤

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٦٦.

(٢) المصدر السابق:ص٦٧.

(٣) رونيه أوبير:التربية العامة،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٧٩م،ط٤،ص٧٩١-٧٩٢.

(٤) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٩٣.

جو القسوة ، والقلق .

-مظاهر الرفق بالمتعلم وصوره :

ويرسم المفكرون المسلمون صورة للمعلم الرفيق بتلاميذه ، الشفيق عليهم ، المحب لهم ، تبدو من خلالها خصائصه وسماته ، فهو (يتواضع مع الطالب وكل مسترشد سائل ..ويخفض جناحه ، ويلين له جانبه) [1] ؛ ذلك لأن للطالب على معلمه (حق الصحبة ، وحرمة التردد ، وصدق التودد ، وشرف الطلب ، وفي الحديث : لينوا لمن تعلمون ، ولمن تتعلمون منه) [2] ، وهو (يرحب بالطلبة إذا لقيهم ، وعند إقبالهم عليه ، ويكرمهم إذا جلسوا إليه ، ويؤانسهم بسؤاله عن أحوالهم ، وأحوال من يتعلق بهم) [3] .

ويعاملهم بطلاقة الوجه ، وظهور البشر ، وحسن المودة ، وإعلام المحبة ، وإظهار الشفقة [4] ، وهو يهذب أخلاق تلاميذه باللين ، ويرشدهم إلى الصواب إذا أخطأوا بأسلوب رحيم ، ويصبر على خطئهم ويعالجه بحكمة ، فمن أهم صفات المعلم الجيد (الصبر على جفاء ربما وقع منه ، ونقص لا يكاد يخلو منه إنسان ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف ولا تعسف ، قاصداً بذلك حسن تربيته ، أو تحسين خلقه ، وإصلاح شأنه) [5] .

وهو يشيع جواً من الألفة والود في ساعة الدرس و (يخاطب كلاً منهم بكنيته ونحوها من أحب الأسماء إليه ، وما فيه تعظيم له وتوقير) [6] ، ولهذه التكنية ، أو تسمية التلميذ بأحب الأسماء إليه أثر طيب في إشباع حاجته إلى التقدير الاجتماعي ، وتنمية شعور الاحترام فيه ، ودعم ثقته في نفسه ، إلى جانب ملاطفته وإدخال السرور عليه .

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٦٤.

(٢) المصدر السابق:ص٦٥.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة

(٥) المصدر السابق:ص٤٩-٥٠.

(٦) المصدر السابق:ص٦٥.

وهناك مسألة مهمة ينبغي عدم إغفالها في هذا المقام ، ألا وهي أن الرفق بالمتعلم وعدم الجهر بالنصيحة حفاظا على تلك العلاقة السامية بين طرفي العملية التعليمية ؛ لا يعني أن يترك الطالب وفق هواه أو على سجيته يفعل ما يشاء ، أو أنه لا يعنف في بعض المواضع ، فالأمر غير ذلك والضرورة تقدر بقدرها ، فأحيانا يكون الزجر بالنصيحة الجهراء أرفق وأوفق .

- النصح والإرشاد والتوجيه :

لا يقتصر أمر التعليم على مجرد تعليم المادة أو المواد المدروسة ، وحشو الأذهان بها ، بل إن الأمر يقتضي نصح المتعلمين وإرشادهم إلى أحسن الطرق للتعلم ، ووسائله الصحيحة الجيدة ، حتى يتيسر له طلب العلم .

و لا يغيب عن المفكرين المسلمين أثر هذا فينصحون العالم به ، يقول الماوردي : (ومن آدابهم نصح من علموه ، والرفق بهم ، وتسهيل السبيل عليهم ، وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم ، فإن ذلك أعظم لأجرهم ، و أسنى لذكرهم ، وأنشر لعلومهم ، وأرسخ لمعلومهم) [1] .

والفكر الإسلامي لم يكن في مسيرته ضعيف الأفق ليقصر أمر النصيحة على أمور العلم ، و لم يكن المعلم في تصوره مجرد وعاء لحفظ العلوم ، و إفراغها وقتما شاء ، فالعلم له غاية وهدف ، وليس علما مجردا ، ولذلك أدرك المفكرون المسلمون أن أمر النصيحة بعيد الشأن ، لا يقتصر على أمور العلم ؛ بل يتعدى ذلك إلى تهذيب النفوس ، وتقويم الأخلاق ، و يعد الغزالي من وظائف المعلم (نصح المتعلم ، وزجره عن الأخلاق الرديئة بالتعريض والتصريح...) [2] .

-صور وأشكال النصيحة المطلوبة :

والحديث عن نصيحة المعلم لتلاميذه تطرقت عند الغزالي إلى دراسة الصورة التي تخرج النصيحة في إطاره ، وليس لما يتمتع به العالم من مكانة ونفوذ لدى تلاميذه الحق في

---

١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق:ص٩٣.

٢) الغزالي:ميزان العمل،مصدر سابق،ص٢١٥.

أن يجاهرهم بالنصيحة ابتداء ، فذلك قد يكون مضرا ومفسدا للعلاقة بينهما ؛ ولهذا يذهب الغزالي إلى أهمية أن تكون النصيحة بالتعريض ، فذلك في رأيه أدعى ألا (يهتك حجاب الهيبة والتصريح...) [1] ، ومن ثم فإن الراغب الأصفهاني وإن كان يعتبر النصيحة وإصلاح المتعلم واجب وحق من حقوق المعلم ، فإنه يرى أن تكون هذه النصيحة عن طريق التعريض فهو عنده (أبلغ من التصريح) [2] .

وابن جماعة يوجه هذا الأدب من آداب العالم توجيها أعمق ، حيث لا يكتفي بأن تكون النصيحة من حق المعلم ، أو أن من واجبه أن ينصح لهم ، وإنما عليه أن يراقب أحوال الطلبة كلها ، وهذا يبين مدى اهتمام المفكرين المسلمين بالدور التربوي الذي يلعبه المعلم ، وأكثر من هذا فابن جماعة يرى أن المراقبة لا تقف عند حد المظاهر الخارجية ؛ بل إنها تشمل البواطن وحركات النفوس أيضا فهو (يراقب أحوال الطلبة في هديهم وأخلاقهم باطنا وظاهرا) [3] .

إن باب النصيحة والإرشاد في حق المعلم ليتسع أكثر عن ابن جماعة ليشمل أمور الدنيا كذلك ، وهذا إن دل فإنما يدل على ما يتمتع به الفكر الإسلامي والعقلية الإسلامية من استيعاب الجوانب الإنسانية في العملية التعليمية ، وتقدمه المرن في هذا المجال ، يقول ابن جماعة : (وبالجملة فكما يعلمهم مصالح دينهم لمعاملة الله تعالى ، فيعلمهم مصالح دنياهم لمعاملة الناس ليكمل لهم فضيلة الحالتين) [4] .

فإذا وقع من المتعلم شيء يستوجب النصح أو التأديب كأن يقع في (نقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، يوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف لا بتعنيف وتعسف ، قاصدا بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه وإصلاح شأنه ، فإن عرف ذلك لذكائه بالإشارة فلا حاجة

---

١) د.ماجد فخري:الفكر الأخلاقي العربي،الدار الأهلية،بيروت،١٩٧٨م،ط١،ص٢١٥.
٢) الراغب الأصفهاني:الذريعة إلى مكارم الشريعة،دار الوفاء،القاهرة،١٩٨٧م،ط٢،ص٢٤٥.
٣) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٦٠.
٤) المصدر السابق:ص٦١.

إلى صريح العبارة وإن لم يفهم ذلك إلا بصريحها أتى بها وراعى التدريج في التنطف)[1]

وأحيانا يتطلب الأمر أن يكون هناك عقاب مقرر كنوع من الردع ؛ لتفادي تكرار الخطأ ، وذلك إذا (ظهر منه لدد في بحثه ، أو سوء أدب أو ترك الإنصاف بعد ظهور الحق ، أو أكثر الصياح بغير فائدة ... بشرط ألا يترتب على ذلك مفسدة تربو عليه)[2].

وحتى لا يفرط المعلم في تفسير مقدار العقوبة فعلى العالم أن يتدرج في العقوبة ؛ بما يتناسب معها من جهة ، ومع صاحبها من ناحية أخرى ، وكما أن أقلها قد يكون بالجهر أو تغليظ القول ، فإن أقصاها لا يتعدى الطرد والإعراض [3].

وبذلك دعا المفكرون المسلمون إلى أن يقرن المعلم الشدة بالرحمة ، والعزم بالصبر ، فالتلاميذ في الواقع لا يضبطهم إلا معلم رحيم صبور قوي .

وثمة ملاحظة مهمة وهي كما أن للعلم يتوجه بالنصيحة إلى المتعلمين ، ويتعهدهم بالرعاية والمراقبة لتزكية نفوسهم من كثير من الأخلاق والسلوكيات السيئة ، وقد يؤدي ذلك في بعض الأحايين أن يعاقب بعضهم ، فإن عليه أيضا أن يبدي اهتماما بأولئك المتفوقين في ذلك ويكافئهم على حسن الأخلاق وذلك تشجيعا لنشر الآداب الرفيعة بين طلبته [4].

إن الأمر يتعلق بإرشاد المتعلمين إلى أيسر السبل للتعلم ، وهذا يتطلب منه الإقبال عليهم ؛ إقبال المحب الشفيق المشفق ، الحريص عليهم ، يذلل لهم الصعوبات ، ويشاركهم في آلامهم وآمالهم ؛ فإن فعل كان ذلك أدعى لعظم أجره ، وأكبر عامل على نشر العلم.

- إثابة المجتهدين و مكافأتهم :

إن في استخدام الثواب والمكافأة باعث كبير على التعلم ، وهناك علاقة بين كل من الثواب وبين الحفظ والأداء ، وقد أولى المفكرون المسلمون الإثابة اهتماما كبيرا باعتبار

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع، مصدر سابق، ص٥٠.

(٢) المصدر السابق: ص٤١.

(٣) د. عبد الأمير شمس الدين: المذهب التربوي عند ابن جماعة، مرجع سابق، ص: ٢٤.

(٤) المرجع السابق: ص٢٤.

أن أثرها أقوى في تحسين التعلم ، فطالبوا العالم أن يثيب طلابه ؛ إذا قاموا بما يستحقون عليه الإثابة أو المكافأة ، فـ (إذا فرغ الشيخ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به ؛ يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم ، فمن ظهر استحكام فهمه له بتكرر الإصابة في جوابه شكره) [١] ،

وبينوا أن أثر هذه الإثابة بالشكر والثناء سيدفع المتعلم إلى مزيد من الإصابة والنجاح ، وتقوية رغبته في التحصيل ، كما بينوا أثرها في مجتمع الطلاب ، إذ تبعثهم على الاجتهاد سعيا للحصول على تقدير المعلم ورضائه ، فعلى المعلم أن (يطالب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات ، ويمتحن ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة والمسائل الغريبة ، ويختبرهم بمسائل تبنى على أصل قرره أو دليل ذكره ، فمن رآه مصيبا في الجواب ، ولم يخف عليه شدة الإعجاب وشره ، أثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد) [٢] .

وبذلك يكون الإعجاب والثناء دافعا للتعلم ؛ لا للطالب المجيد وحده ؛ بل لغيره من الطلاب .

ولعل في استخدام الشكر والثناء من بين ألوان المكافأة المختلفة ما يفيد أنه ليس من الضروري أن تكون المكافأة أو الإثابة شيئا ماديا ملموسا ؛ كإعطاء هدية أو ما أشبه ، ولقد ثبت لدى البعض أن (أفضل أنواع المعززات التي يمكن للمعلمين استعمالها عند تعاملهم .. هي القبول والاستحسان) [٣] ، وأيا كانت الإثابة فإن المفكرين المسلمين كانوا حريصين على أن يعبر العالم عن سروره لإنجاز التلميذ ، وهو ما عناه ابن جماعة بقوله : (شكره وأثنى عليه بين أصحابه) ؛ لتحقق هذه الإثابة أهدافها .

وحتى لا يظن بعض الطلاب أن إثابة المعلم لزملائهم المجدين ، وإكرامه لهم ليست نوعا من المحاباة من جانب العالم لهم ، فلابد له أن يبين للتلاميذ ويوضح لهم أن هذا

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع، مصدر سابق، ص٥٣.

(٢) المصدر السابق: ص٥٤.

(٣) برسيفال سيموندز: الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٤م، ط٢، ص٣٨.

الإكرام مرده اجتهادهم ، وحسن أدبهم ، وليس شيئا آخر ، ولذا ألزموا العلم إن رأى أن (بعضهم أكثر تحصيلا وأشد اجتهادا ، أو أبلغ اجتهادا ، أو أحسن أدبا ، فأظهر إكرامه وتفضيله ، وبين أن زيادة إكرامه لتلك الأسباب ، فلا بأس بذلك لأنه ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات) (١) .

ولقد جاءت أبحاث علم النفس الحديث لتؤكد ما ذهب إليه المفكرون المسلمون فأثبتت أن (استحسان المعلم مصدر أساسي للتدعيم بالنسبة لتلاميذه في مراحل التعليم المختلفة ، وبصفة عامة) (٢) ، كما أثبتت (أن الشخص عادة ما يستجيب بصورة أحسن إذا ما وجد تشجيعا ، أما إذا وجد تثبيطا لهمته فعادة ما ينهار أداؤه) (٣) .

-معاقبة المقصرين وحثهم على الاجتهاد :

ودعا المفكرون المسلمون -أيضا- لاستخدام العقاب باعثا للتعلم ، إضافة إلى أنه وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي ، غير أنهم في إقرارهم لاستخدام العقاب باعثا للتعلم يؤكدون على استخدام النوع الخفيف من العقوبة ، ذلك النوع الذي لا يتسبب في الألم والأذى الشديدين ، أي العقاب الذي يدعو المتعلم إلى أخذ الحيطة والحذر ، ويكفه عن السلوك غير المرغوب فيه ، دون أن يجرح كبرياءه أو يلحق به الإهانة ، ولذا لم ينصحوا باستخدام عقوبات صارمة ، فإذا رأى العالم تلميذه (مقصرا و لم يخف نفوره ، عنفه على قصوره ، وحرضه على علو الهمة) (٤) ، وهذا العقاب أو اللوم على التقصير الذي أشار إليه ابن جماعة وأعقبه بقوله (و لم يخف نفوره) أكثر فائدة من (العقاب الذي يجرح كبرياء الفرد... فذلك نوع ضار عقيم من العقاب ، تزيد أضراره على فوائده ؛ إذ إنه قد يولد في نفس المعاقب الكراهية ، أو الشعور بالنقص أو فقد الثقة بالنفس) (٥) .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٥٩.

(٢) إبراهيم قشقوش وطلعت منصور:دافعية الإنجاز وقياسها،مكتبة الأنجلو،القاهرة،ط١، ١٩٧٢م،ص٢١٥.

(٣) محمود الزيادي:أسس علم النفس العام،مكتبة سعيد رأفت،القاهرة،ط١، ١٩٧٢م،ص٢١٥.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٥٤.

(٥) أحمد عزت راجح:أصول علم النفس،مرجع سابق،ص٢٢٧.

-التحذير من استخدام العقوبات الشديدة أو العنيفة:

وقد حذر المفكرون المسلمون من التعنيف الذي يعد ، درجة متوسطة في العقوبة ، ووضحوا أن للتعنيف تأثيرا على شخصية المتعلمين ، لأن هذه الطريقة سيئة من الوجهة التربوية ؛ ذلك لأنها تشعر المتعلم بالمهانة والحقارة ، وتفقده الثقة في نفسه ، وتحوله إلى مستهتر لا يبالي بأي عقاب ، كما تؤدي إلى تكوين العقد النفسية ، التي يصعب حلها ، بالإضافة إلى نفور المتعلم من التعلم ، ومن الممكن أن تورثه الخجل ، الذي يمنعه من السؤال والمناقشة ، لذا نصحوا باللطف واللين [1] .

وقد ظل هذا الرأي مختلفا فيه على مر العصور الإسلامية ، فخالفه فريق وأيده آخرون ، فمثلا الخطيب البغدادي نراه مؤيدا لمبدأ العقوبة المعتدلة ، وذلك بالإعراض عن المتعلم إذا أخطأ باللين والرفق من غير تعنيف ولا غلظة .

إلى أن وصل الرأي في التربية الحديثة إلى أن الضرب من العوامل التي تؤدي إلى نتائج عكسية [2] ، إذ اعتبرت الضرب له تأثير سلبي على شخصية المتعلم ، مع تقريرها بعض العقوبات ، إذا جعلتها في سلم تدريجي ؛ يبدأ المعلم من أسفله وينتقل من درجة لأخرى بحذر شديد ، لأن أقصى درجات الشدة لا فائدة منها عند تكرار العقوبة [3] .

ويعد دوركايم من المؤيدين للعقوبة ، إذ يرى استخدام التأنيب الفردي للطالب ، ومن ثم الجماعي والعلني أمام الفصل ، ثم العقاب مع وقف التنفيذ ، أو النظرة الشزرة ، أو حركة امتعاض ، أو قطع الكلام بالسكوت [4] .

ومن المعروف أن قسوة المعلمين في عقاب التلاميذ تترك آثارا سيئة ، تظهر أحيانا في ردود أفعالهم المباشرة (وقد تظهر في صورة مستترة أو ظاهرة نحو المدرس وأمثاله ، أو ما يماثله من قوانين ونظم ، فربما يظهر أثر القسوة في الثورة العاجلة أو الآجلة نحو المعلم أو ما يشابهه ، أو يكون لها أثر الانكماش الذي يسمى الطاعة أحيانا ، والقسوة من جانب المعلم

---

(١) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص٧٢.
(٢) عبد الرحمن حجازي:المذهب التربوي عند ابن سحنون،ص٨٤.
(٣) إميل دور كايم:التربية الأخلاقية،مرجع سابق،ص١٩٤ - ١٩٧.
(٤) المرجع السابق:نفس الصفحة.

وما يترتب عليها من الخوف أو الكراهية من جانب المتعلم تؤدي كلها على عكس المقصود من غاية التعليم) (١) .

وتتضح كراهية المفكرين المسلمين للعقاب الشديد والمهين من دعوتهم للمعلم إلى التحلي بالحلم في معالجة أخطاء تلميذه ، (والصبر على جفاء ربما وقع منه ونقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه ، وسوء أدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان ، ويوقفه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف ولا تعسف ، قاصدا بذلك حسن تربيته) (٢) ، بل إنهم يذهبون في التلطف في معالجة أخطاء التلاميذ إلى الحد الذي يدعون فيه المعلم إلى مراعاة طبيعة المتعلمين وما بينهم من فروق ، فليسوا جميعا سواء في درجة التأثر بالعقوبة ، ولذا ينبغي أن تتنوع وسائلها تبعا لطبيعة كل منهم ، فبعضهم تكفيه إشارة من معلمه تكون كفيلة بتوجيه سلوكه وردعه عن غير المرغوب فيه ، والبعض الآخر لا تكفيه الإشارة وحدها ، بل لا ينفع معه إلا التصريح بلفظ التأنيب أو عبارة اللوم ، على أن يراعي المعلم التدرج في استخدام العقاب ، فالمعلم إذا أراد عقاب تلميذه على خطأ ارتكبه ، أو أظهر عدم رضاه عن سلوكه (فإن عرف ذلك لذكائه بالإشارة فلا حاجة إلى صريح العبارة ، وإن لمن يفهم إلا بصريحها أتى بها وراعى التدريج في التلطف) (٣) .

ويؤكد المفكرون المسلمون على ضرورة أن يرشد المعلم الطالب المخطئ وينصحه (ويوقفه على ما صدر منه بنصح وتلطف لا بتعنيف وتعسف) (٤) ، ذلك لأن التعليم عندهم يعنى بالإرشاد ، وتوجيه السلوك وتعديله ، أكثر من عنايته بإنزال العقوبة على المتعلمين ، أو كبت سلوكهم ، ومن هنا كان على المعلم ألا يكتفي بتوقيع عقوبة اللوم أو التأنيب على تلميذه ، بأن ينبهه إلى تقصيره ويرشده إلى خطئه فحسب ، وإنما يساعده على إدراك الاستجابة المحققة للهدف المنشود ، وأن يرشده إلى ما ينبغي عليه عمله

---

(١) عبد العزيز القوصي:أسس الصحة النفسية،دار القلم،الكويت،ط٨، ١٩٧٠م، ص٢٤١.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٤٩، ٥٠.

(٣) المصدر السابق:ص٥٠.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(ويؤدبه بالآداب السنية ، ويحرضه على الأخلاق المرضية ، ويوصيه بالأمور المعرفية ، على الأوضاع الشرعية) [١] ، مراعيا (حسن التلطف في تفهيمه) [٢] .

وأدرك المفكرون المسلمون أن آثار العقاب تعتمد -جزئيا- على شعور المعاقب عند إنزاله العقوبة ، فبادروا إلى بيان أن الدافع للعقاب عند المعلم ، ينبغي أن يكون إصلاح شأن التلميذ المعاقب وحسن تربيته ، وليس دافع العقاب الانتقام منه ، والسخط عليه ، والكراهية له ، (ويوفقه مع ذلك على ما صدر منه بنصح وتلطف ، لا بتعنيف وتعسف ، قاصدا بذلك حسن تربيته وتحسين خلقه وإصلاح شأنه) [٣] .

وعلى المتعلم أن يتفهم ذلك ويدرك مقصود معلمه من عقابه باللوم أو التقريع أو غيرها ، خصوصا بعد أن يساعده المعلم على إدراك الاستجابة الصحيحة ، وبعد أن يرشده إلى ما يجب عليه عمله تصحيحا لخطئه ، ولذا يجدر بالمتعلم (إذا أوقفه الشيخ على دقيقة من أدب ، أو نقيصة صدرت منه.. (أن) يشكر الشيخ على إفادته ذلك واعتنائه بأمره ، فإن كان له في ذلك عذر ، وكان إعلام الشيخ به أصلح فلا بأس به) [٤] ، كما أن عليه (أن يشكر الشيخ على توقيفه على ما فيه فضيلة ، وعلى توبيخه عما فيه نقيصة ، أو على كسل يضر به ، أو على قصور يعانيه ، أو غير ذلك مما في إيقافه عليه وتوبيخه إرشاده وصلاحه ، ويعد ذلك من الشيخ من نعم الله عليه ، باعتناء الشيخ به ونظره إليه) [٥] .

ويحرص المفكرون المسلمون على إرشاد المعلم -حتى في عقاب التلاميذ- إلى احترام ذواتهم ، وهم بذلك يضفون الاحترام على العملية التعليمية نفسها ، ويساعدون المعلمين على معرفة الطريق لمعالجة أخطاء التلاميذ ، وكيفية التعامل مع المعاندين أو سيئي الأدب ، على أساس أن التعامل مع هؤلاء ينطوي على صعوبات كبيرة ، وهم يرفضون أن يواجه

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٥٠.
(٢) المصدر السابق:ص٥١.
(٣) المصدر السابق:ص٥٠.
(٤) المصدر السابق:ص٩٣.
(٥) المصدر السابق:ص٩٢،٩٣.

المعلم أخطاءهم مواجهة تتسم بالعداء أو نفاد الصبر ، فهؤلاء من الطلاب الذين يحتاجون إلى صبره واهتمامه ورعايته ، أكثر من حاجة زملائهم الأسوياء ، ولذا نراهم يوجهون المعلم إلى معاملة كل واحد من هذه الفئة بأن (يعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه ، والإحسان إليه ، والصبر على جفاء ربما وقع منه ، ونقص لا يكاد يخلو الإنسان عنه ، وسوء الأدب في بعض الأحيان ، ويبسط عذره بحسب الإمكان) (١) .

ورسم المفكرون المسلمون للمعلم خطوات متدرجة لمعالجة إساءات الطلاب بطريقة تجعلهم يكفون عن الاستجابات السيئة ، ويقلعون عن سوء الأدب دون مساس بكرامتهم ، وتمكن المعلم من حل المشاكل التربوية بروح المربي السمحة ، لا بصورة الانفعال الشديد ، فينصحون المعلم (أن يراقب أحوال الطلبة في آدابهم وهديهم وأخلاقهم.. فمن صدر منه من ذلك ما لا يليق من ارتكاب محرم أو مكروه ، أو ما يؤدي إلى فساد حال ، أو ترك اشتغال أو إساءة أدب في حق الشيخ أو غيره ، أو كثرة كلام بغير توجيه ولا فائدة ، أو حرص على كثرة الكلام ، أو معاشرة من لا تليق عشرته ، أو غير ذلك.. عرض الشيخ بالنهي عن ذلك بحضور من صدر منه ، غير معرض به ولا معين له ، فإن لم ينته نهاه عن ذلك سرا ، ويكتفي بالإشارة مع من يكتفي بها ، فإن لم ينته نهاه عن ذلك جهرا ، أو يغلظ القول عليه إن اقتضاه الحال ليزدجر هو وغيره ، ويتأدب به كل سامع) (٢) .

وهكذا تتدرج العقوبة من التعريض بها دون التعريض بصاحبها ، إلى العتاب سرا ، إلى الجهر باللوم وإغلاظ القول ، و في اللجوء إلى إغلاظ القول له أمام زملائه لينزجر هو وغيره ممن سمع التقريع استغلال للخوف الأدبي عند المتعلم ، وخشيته من فقدان شيء من احترامهم له نتيجة لذلك الزجر العلني ، أما المتعلمون من زملائه المشاهدين (لهذه العقوبة فالتأثير فيهم لا يقل عن الأثر الذي يلحق المذنب ، ذلك أن الألم ينتقل إلى الناس كالعدوى بدافع المشاركة الوجدانية ، أو التعاطف ، وهو من النزعات الفطرية في الإنسان ، ويلعب التصور أو الخيال دورا كبيرا في هذه المسألة ، ذلك أن مشاهد العذاب

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٥٠.

(٢) المصدر السابق:ص٦٠، ٦١.

يتصور في خياله ما ينزل به إذا كان هو الواقع تحت العذاب ، فهو يتألم كما لو كان التأثر حقيقيا لا وهميا ، وهو يخشى العقاب ويرهبه خشية المذنب ورهبة المعاقب) [1] . وذلك واضح في قول ابن جماعة (لينزجر هو وغيره ، ويتأدب به كل سامع) .

ومع أن المفكرين المسلمين يرون في العقاب باعثا على التعلم ؛ بالتفصيل والشروط التي عرضناها من خلال توجيهاتهم ، فمما هو جدير بالذكر أن العقاب ما زال موضوع خلاف بين التربويين المعاصرين من حيث آثاره على التعلم ، بل لا يكاد يثير أي جانب من جوانب التربية خلافات في الرأي وفي التطبيق أكثر مما يثيره موضوع العقاب ، يقول هوريس مان : (من المحتمل ألا يوجد في أي موضوع تربوي خلافات ملحوظة ، بل وعداء في الرأي كتلك الخلافات الناشبة في موضوع العقاب ، كما لم يظهر في أي موضوع آخر إصرارا -إن لم يكن عنادا - في التمسك بالآراء التي تكونت مثلما ظهر في هذا الموضوع ، فمن جهة يحبذ العقاب كباعث للتعلم ، ويشجب من جهة أخرى باعتباره شيئا بغيضا ، وإن مسألة مثيرة للجدل كهذه لابد أن تستفيد من الحقائق التي يوفرها لها علم النفس ، والمتعلقة بالنتائج المترتبة على استعمال العقاب) [2] ، كما تستفيد من تجارب أسلافنا العلماء وآرائهم .

- العدل والمساواة بين الطلبة :

من المسلم به أن العالم في معاملته مع تلامذته إنما يتحقق بالمنهج القرآني والهدي النبوي في سلوكياته ، وانطلاقا من أمر القرآن العظيم بأن الله يأمر بالعدل ، يسوي العالم بين تلامذته ، فليس هناك ما يمكن أن يكون حائلا بين العالم وبعض طلبته من مستوى اجتماعي أو عامل جنسي أو غير ذلك ، ومن ثم (بات في وعينا التربوي التاريخي اجتناب إظهار تفضيل الطلبة بعضهم على بعض ، إذ الإنصاف فرض هنا ، والمساواة نافعة وواجبة) [3] .

---

(١) أحمد فؤاد الأهواني:التربية في الإسلام،مرجع سابق،ص١٣٧.

(٢) برسيفال سيموندز:الدروس التي تتعلمعله التربية من علم النفس،مرجع سابق،ص٤٥.

(٣) د.عبد الأمير شمس الدين:الفكر التربوي عند العلموي،مرجع سابق،ص٢٨.

إن من أهم صفات وآداب المعلم العدل بين التلاميذ ، والبعد عن الهوى في الحكم عليهم والتعامل معهم ، ذلك لأن قدرا كبيرا من الصحة النفسية للطالب يتوقف على نوع المعاملة التي يتلقاها من المعلم ، وكلما خلت معاملة المعلم من تفضيل تلميذ على آخر - بغير حق- كانت فرصة هذا التلميذ مواتية لكي ينمو نموا سليما .

ولقد أدرك المفكرون المسلمون هذه الحقيقة ، فدعوا إلى أن يحكم العدل سلوك المعلم في تعامله مع التلاميذ ، وكرهوا له أن يميز البعض أو يحابيهم ، وبينوا أن فقدان صفة العدل في المعلم يعوق عملية التعليم ، نتيجة لما يسببه ذلك في قلوب ونفوس الطلاب من نفور ووحشة وكراهية للمعلم والتعليم جملة ، فإذا شاء المعلم أن ينجح في تعليمه فإن عليه (أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودة أو اعتناء ، مع تساويهم في الصفات من سن وديانة أو فضيلة ، فإن ذلك ربما يوحش منه الصدر ، وينفر القلب) [١]. وعليه كذلك أن لا (يقدم أحدا في نوبة غيره ، أو يؤخره عن نوبته ، إلا إذا رأى في ذلك مصلحة تزيد على مصلحة مراعاة النوبة) [٢] .

إن المساواة بين التلاميذ مطلب ملح عند المفكرين المسلمين ، وعلى المعلم أن يربأ بنفسه من أن يجعل الغنى والجاه سبيلا لتفضيل بعض المتعلمين على بعض ، فلا يعدل بينهم في التعليم ، وضربوا العديد من الأمثلة الطيبة للمساواة بين التلاميذ ، وعدم تفضيل بعضهم لغنى أو جاه أو حسب ، وقد ألح المفكرون المسلمون على هذا الأدب ، وأوجبوا استمساك العلماء بهذه الفضيلة ، حتى ولو أدى بهم الإنصاف إلى مواجهة مع أعلى السلطات ، أو عرضهم للوم ، غير أن العدل فضيلة لا يمكن لعالم أن يتخلى عنها ، فقد (حضر بعض أولاد الخليفة المهدي عند شريك ، فاستند أحدهم إلى الحائط وسأله عن حديث ، فلم يلتفت إليه شريك ... قال تستخف بأولاد الخلفاء ؟! قال : لا ، ولكن العلم أجل عند الله من أن أضيعه) [٣] .

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٩.

(٢) المصدر السابق:ص٥٩-٦٠.

(٣) المصدر السابق:ص٨٨-٨٩.

ويجب أن يظهر العدل في كل حالات المعلم ، حتى في التفاته إلى التلاميذ ونظره إليهم أثناء شرح الدرس ، ويجب ألا يخص بعضهم بكثرة التفات دون بعض ، بل يجب أن (يكون نظر الشيخ إليهم جميعا عند الشرح ، ولا يخص بعضهم في ذلك دون بعض) [1] .

والمفكرون المسلمون في حرصهم على اتصاف المعلم بالعدل بين تلاميذه وطلابه ، إنما يبرزون حقيقة إسلامية نابعة من أمر الله سبحانه وتعالى ، وأقوال رسوله الكريم ﷺ ، وهم بهذا يبينون أن كل فضيلة وأدب ينبغي أن يتحلى به العالم إنما تنبع أساسا من الإسلام العظيم ، وهي من توجيه القرآن الكريم ، والسنة النبوية إلى هذه الفضيلة أو ذلك الأدب .

ويتصل بالعدل اتصالا وثيقا التزام المعلم بالموضوعية في الحكم على التلاميذ ، والمعلم الجيد هو الذي لا يحابي أحدا من طلابه ، أو يؤثره بغير حق على زملائه ، بل يتمسك بالإنصاف ويعطي كل ذي حق حقه ، إنه بهذا يهيئ بيئة صالحة للتعليم ، خالية من كل أسباب الحقد والضغينة ، فأصلح العلماء المعلمين هو الذي (يلازم الإنصاف في بحثه وخطابه) [2] ، وهو الذي يكسب تلاميذه الموضوعية في الحكم على الأشياء ، وذلك بأن يذكرهم دائما (بما جاء في كراهية المماراة ولا سيما بعد ظهور الحق) [3] ، وأن يكون هدفهم دائما من كل بحث ومناقشة ودراسة (ظهور الحق ، وخمول الباطل) [4] .

- التواضع :

التواضع خلق إسلامي رفيع ، عمل الإسلام على التمكين له في نفوس المسلمين ، وقد كان النبي ﷺ هو المثل الأعلى للمسلمين في هذا الخلق الكريم ، وقد توفرت السنة النبوية المشرفة لتؤكد أهمية تلك الصفة عند الله وعند الناس .

وحقيق بالعالم أن يكون من أولى الناس تمسكا بها في حياته كلها ، ومع طلبته بوجه خاص ، فهو أعلم الناس بأن (**من تواضع لله رفعه**) [5] .

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص١٦١.

(٢) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق: ص٤٢.

(٤) المصدر السابق: ص٤٧.

(٥) الحديث رواه مسلم.

فابن جماعة حين يؤكد على أهمية هذا الخلق في حق العالم يقول : (أن يتواضع مع الطالب ، وكل مسترشد سائل) [1] ، ويستشهد بما أوصى به الله نبيه محمدا ﷺ من أن يخفض جناحه للمؤمنين ﴿ واخفض جناحك للمؤمنين ﴾ [2] ، والنبي ﷺ يبين لصحابته أن الله (أوحى إلى أن تواضعوا تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد) [3] .

وكما أن السنة قد بينت أن الله قد وعد المتواضع بأن يرفع مكانته ، فإن السلف قد فهموا أن رفع مكانة العالم عند الله بأن يزداد علما ، ولذلك يروي ابن جماعة عن الفضيل أنه قال : (من تواضع لله ورثه الحكمة) [4] .

إننا إذا تفقدنا ذلك الخلق الكريم وتلك العلاقة السامية بين العالم وطلبته ألفينا علماءنا قد تحققوا بنصيب وافر منه ، مما حمل تلاميذهم على احترامهم والتمسك بمآثرهم ... فالإمام أبو حنيفة -رحمه الله- كان من تواضعه مع طلبته أنه يلاطفهم في مجلسه ، ويعطيهم من الحرية الكاملة في إبداء آرائهم ، وحينما كانوا يصولون ويجولون في شتى الفنون كان -رحمه الله- بينهم خافض الجناح ، ساكتا ، لا يتكلم حتى يقتضي الأمر فيشرع في الحديث ، فكأن ليس في المجلس غيره [5] .

بل إن التواضع قد أخذ مأخذه من علماء المسلمين ؛ حتى إنهم كانوا يتفقدون طلبتهم الفقراء ، وربما حملوا إليهم الطعام بأنفسهم! ، ولا يخفى ما في ذلك الخلق الجم من جميل الأثر في نفوس التلاميذ ، وفي الحياة العلمية بعامة بل في المجتمع بأسره ، فهل كان هؤلاء التلاميذ إلا جانبا مهما في المجتمع مؤثرا ومتأثرا .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع و المتكلم،مصدر سابق،١٠٧.

(٢) سورة الشعراء:آية٢١٥.

(٣) الحديث رواه مسلم.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٠٧.

(٥) عبد الغني الدقر:أعلام التربية العربية الإسلامية،مرجع سابق،ج١،ص١٤٧-١٤٨.

- الحرص على تعليمهم :

إن درجات أفهام المتعلمين في تفاوت كبير ، وقد حرص المفكرون المسلمون على أن يهتم المعلم برصد هذا التفاوت ، والعمل بمقتضاه في العملية التعليمية ؛ حرصا على العدل بين تلامذته ، والوصول بهم جميعا إلى أعلى مراتب الفهم والإجادة .

ولا شك أن هذه المسألة تحتاج من المعلم استفراغ الطاقة والجهد ، كما تحتاج منه إلى كثير من الصبر على معاناة هذا الأمر ، ومن ثم فقد اهتم المفكرون المسلمون بالتنبيه على أدب جم ينبغي للمعلم أن يأخذ به نفسه نحو تلامذته ألا وهو الحرص على تعليم تلاميذه ، ذلك الحرص الذي يحمله على تذوق مرارة الصبر ، واحتمال تفاوت العقول الذي قد يؤدي به إلى التكرار والتبسيط ، أو تخصيص وقت إضافي لأولئك الذين لا تمكنهم قدراتهم العقلية من متابعة بقية زملائهم ، بل وأكثر من ذلك أن العلماء المسلمين نبهوا العالم إلى ضرورة عدم الإكثار على تلامذته ، اتقاء الملالة أولا [(١)] ، ومراعاة أن يحمل عقولهم أكثر مما تستطيع حمله ثانيا .

ولا شك أن مراعاة التفاوت العقلي في هذه النقطة ضروري جدا ، وإرادة العالم وحرصه على التعليم والتفهيم سوف يعينه على ذلك .

يتحدث ابن جماعة عن ذلك فيقول : (أن يحرص على تعليمه وتفهيمه ، ببذل جهده وتقريب المعنى له ، من غير إكثار لا يحتمله ذهنه ، أو بسط لا يضبط حفظه ، ويوضح لمتوقف الذهن العبارة ، ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره) [(٢)] .

- فهم طبيعة المتعلم وأهدافه من التعلم وحثه على إخلاص النية :

يعتبر فهم طبيعة المتعلم وأهدافه من التعلم العماد الأساسي لنجاح عملية التعليم ، والعالم الناجح هو ذلك الذي يستطيع أن يفهم بعمق نفوس طلابه ، ويكون لديهم الرغبة الجادة في مساعدتهم على النمو ، وإذا ما تواجد هذا لدى العالم ، فإنه سيتوفر لديه مجموعة من الصفات الأساسية اللازمة ، مثل حب المتعلم ، واحترامه ، واحترام القيم الاجتماعية والأخلاقية وغير ذلك ، مما يسهم في إحداث عملية تربية وتعليم جيدين .

---

(١) د.عمر التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،٢٣٠-٢٣١.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٢ .

والمفكرون المسلمون يوجهون العالم إلى هذا ، ويشرحون لـه أحوال المتعلمين ، مساهمة منهم في توضيح وفهم طبيعتهم .

والمتعلمون — في رأي الماوردي — نوعان :

الأول : مستدعى ، وهو من استدعاه العالم إلى التعلم ، لما ظهر له من جودة ذكائه وقوة خاطره ، فإذا وافق استدعاء العالم لهذا الطالب شهوته ورغبته في التعلم ، كانت النتيجة ، درك النجباء وظفر السعداء [١] ، وذلك لاجتماع رغبة المتعلم وحبه للتعلم ، وتوفر العالم على التعليم ، مع ذكاء المتعلم ورغبته للاستكثار من العلم .

وظاهر هنا أن العالم هو الذي يستدعى المتعلم لما يفهمه من طبيعته ، وفهم لذكائه وقدراته ، وقوة رغبته للتعلم ، ولأن العالم يفهم هذا من المتعلم جيدا ، فإنه يستدعيه للتعلم عليه ، والتلقي منه ، وهذا يؤدي إلى جودة التعلم ، لتوفر العالم على التعليم من ناحية ، وتوفر الرغبة من المتعلم من ناحية أخرى ، ويعتبر هذا أجود أنواع التعلم الناجح.

الثاني : طالب علم (لداع يدعوه ، وباعث يحدوه) [٢] ، أي : الطالب الذي تتوفر لديه الرغبة والباعث للتعلم ، ولكن العالم لا يستدعيه ، وهذا النوع يجب أن ينظر العالم في أمره ، في ضوء البواعث التي تبعثه إلى التعلم ، والتي لا تخرج بحال عن ثلاث :

أ- باعث ديني .

ب- باعث غير ديني مباح .

جـ- باعث محظور أو ممنوع .

وعلى العالم ، أن يتخذ الموقف المناسب الذي يقفه إزاء كل نوع من هذه الأنواع الثلاث:

أما موقفه من النوع الأول :

فيجب على العالم أن يفهم طبيعته وحالته : (فإذا كان الداعي دينيا ، وكان المتعلم

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٨.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

فطنا ذكيا ، وجب على العالم أن يكون عليه مقبلا ، وعلى تعليمه متوافرا ، لا يخفي عنه مكنونا ، ولا يطوي عنه مخزونا .

أما إذا كان المتعلم (بليدا بعيد الفطنة ، فينبغي ألا يمنع من اليسير فيحرم ، ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم ، ولا يجعل بلادته ذريعة لحرمانه ، فإن الشهوة باعثة ، والصبر مؤثر) [1] .

ومن هنا نرى أهمية فهم طبيعة المتعلم ، مع ضرورة مراعاة حالاته ، وبواعثه وأهدافه ، بحيث لا يساوي بين الطالب الذكي النجيب ، وبين الطالب بعيد الفطنة البليد ، فواجبه نحو الأول إعطاؤه ما يوازي قدرته ، وما يستطيعه ، ولا يخفي عنه شيئا ، أما الثاني ، فلبلادته وبعد فطنته وقلة ذكائه ، فينبغي عليه ألا يحرمه اليسير ، ما دام الباعث متوفرا ، والرغبة قوية ، والصبر على هذا النوع لابد وأن يؤتي ثماره ، ويجعله يقبل على التعلم والمعلم ، ولكن على قدره ، حتى لا يحرم نعمة العلم ، ولا يظلم بالكثرة عليه ، فإن كثرة ما يلقي عليه تنفره وتمله وتسئمه من التعليم ، ولا تحدث لديه الاستجابة اللازمة للتعلم .

والموقف من النوع الثاني :

يتلخص في النظر في أمر صاحبه ، (فإذا كان الباعث مباحا ؛ كرجل دعاه إلى طلب العلم حب النباهة ، وطلب الرياسة ، فالقول فيه يقارب القول الأول في تعليم من قبله ، لأن العلم يعطفه إلى الدين في ثاني الحال ، وإن لم يكن مبتدئا به في أول حال ، وقد حكي عن سفيان الثوري أنه قال : تعلمنا العلم لغير الله تعالى ، فأبى أن يكون إلا لله ، وقال عبد الله بن المبارك : طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا) [2] .

وقال الماوردي : إن الشهوة باعثة ، والصبر مؤثر ، والعالم بفهمه للمتعلم يستطيع أن يؤثر فيه ، وأن يعطفه على أغراضه وأهدافه ؛ ما دام الفهم موجودا من قبل المعلم والرغبة موجودة من قبل المتعلم .

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٨-٨٩.

(٢) المصدر السابق:ص٨٩.

وليس المقصود بالدين هنا علاقة الإنسان بربه فقط ؛ كما يحب البعض أن يفسر معنى كلمة الدين ، ولكن المعنى هنا هو المعنى الشامل ، أي قصد وجه الله تعالى من العلم ، وبالتالي معرفة الإنسان بالله ، ورضا الله ، وتلقي المثوبة منه ، وهنا تدخل كافة العلوم ، لا العلوم الدينية والفقهية وحدها .

أما موقف العالم من النوع الثالث :

وهو طلب العلم لباعث وهدف محظور ، ومثله مثل رجل دعاه إلى طلب العلم شر كامن ، ومكر باطن ، يريد أن يستعملهما في شبه دينية ، وحيل فقهية ، فموقف العالم هنا أن يحول بين هذا وهدفه ، بأن (يمنعه من طلبته ، ويصرفه عن بغيته ، ولا يعينه على إمضاء مكره ، وإكمال شره) [1] ، بل يرشده إلى ضرورة التمسك بـ(حسن النية ... قولا وفعلا ، ويعلمه بعد أنسه به ، أنه ببركة حسن النية ينال الرتبة العلية من العلم والعمل ....وانشراح الصدر وتوفيق العزم وإصابة الحق وحسن الحال والتسديد من المقال وعلو الدرجات يوم القيامة) [2] .

ومن خلال ما سبق نرى أن المفكرين المسلمين لا يوصون العالم بفهم المتعلم فقط ، ولا يوصون بالفهم العميق للطبيعة الإنسانية فقط ، بل بفهمه من حيث بواعثه وأهدافه وحالات ذكائه وقدراته ، ويمكننا تلخيص ما سبق فيما يلي :

أ- واجب على العالم أن يفهم طبيعة المتعلم جيدا ، ويفهم البواعث والأهداف التي دفعت به إلى التعلم ، ففي هذا ما يساعده على إحداث تعليم ناجح ومرغوب فيه .

ب- ويجب على العالم أن يعطي كل متعلم ما يطلبه ، وما بعثه على التعليم ، فإذا كان الباعث مما يرضي الله ويوافق أهداف الدين من تحقيق نفع الدنيا والآخرة ، أو هو مباح ، فإن عليه أن يتوافر عليه ، ويزكيه ويكبره ، ويأخذ صاحبه بما يوافقه إن كان ذكيا أو بليدا بعيد الفطنة قليل الذكاء ، وعليه بالصبر معه حتى يحدث النتيجة المرغوب فيها.

جـ- وواجب عليه إزاء من يطلب العلم للمراء أو الجدال ، ولا يحقق نفعا للدنيا

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٩.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٨.

والآخرة ، أن يصرفه عنه ؛ لأنه لن يحقق إلا شرا ، ويضل الناس ، ويفسد المجتمع ، ولـــذا واجب عليه أن يصرفه عن هذا الهدف .

إن معرفة العالم بتلاميذه تتعدى المعرفة السطحية عند المفكرين المسلمين إلى الحـــــد الذي يوصون العالم فيه إلى أن يحيط بتلاميذه أسماء وأنسابا وبلدانا بل وأحوالا .

لقد أوقفنا المفكرون المسلمون على حقيقة أن كل متعلم فريــــد في نوعــه ، وأن التعليم ينبغي أن يكيف وفق قدرات المتعلم ، بل وأكثر من ذلك حيث أشاروا إلى أهمية أن يكون العالم أعرف بتلميذه من نفسه ؛ بحكم علمه وخبرته الواسعة ، ومن المستحســن أن يقوم باختبار ذهنه ، وقدرته العقلية قبل بدء الدراسة ، ومن ثم يستطيع العالم أن يوجهــــه إلى ما يمكن أن ينفعه إذا لم يحسن الاختيار ، وهذا ما تقوم به الآن المؤسسات التعليميـــــة والتربوية الحديثة ، فيما يعرف باختبار القدرات ، يقول ابن جماعة : (فإن استشار الشـــيخ من لا يعرف حاله في الفهم والحفظ في قراءة فن أو كتاب ، لم يشر عليه بشــــيء حـــتى يجرب ذهنه ، ويعلم حاله) (١) .

إن تركيز علمائنا ومفكرينا على فهم طبيعة المتعلم ، ومعرفة أهدافه من التعلم ليؤكد على مدى سبق المسلمين والفكر الإسلامي لكثير من الأفكار التربوية التي يعتنقها الغـــرب في نهضته الحديثة ، مما يؤكد لنا ريادة الفكر الإسلامي في هذا المجال الذي يعد من العلـــوم التربوية والنفسية الحديثة ؛ التي تدرس في جامعات الغرب على أنها اكتشافات حديثـــة لم يكن لها أثر في الماضي .

- مراعاة الفروق الفردية :

يعرف علماء النفس الفروق الفردية بأنها: (تلك الصفات التي يتميز بها الإنسان عـــن غيره من الأفراد سواء كانت تلك الصفات جسمية أم عقلية أم مزاجيــــة ، في ســـلوكه النفسي أو الاجتماعي) (٢) .

ومراعاة الفروق الفردية ذات أهمية كبيرة في العملية التعليمية ، فالمتعلمون يختلفـــون

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٦.

(٢) عبـــد الحميـــد الهـــاشمي:الفـــروق الفرديـــة،دار التربيـــة للتـــأليف والنشــــر والتوزيع،دمشق،(د.ط)،(د.ت)،ص٧.

فيما بينهم في عديد من القدرات والصفات ، ويهم العالم (أن يكون على دراية بما بين المتعلمين من فروق ليتعرف على نواحي القوة ونواحي الضعف فيهم ، فيوجه التعليم بما يساعد التلاميذ على مواصلة الدراسة كل حسب قدراته واستعداداته) [(١)] .

ويعني هذا أن يبذل العالم قصارى جهده لمساعدة جميع المتعلمين على التعلم ؛ ليبلغوا مستوى عاليا ، وعليه أيضا أن يفهم ويعي أنهم سوف يختلفون من حيث القدرة ، فبعضهم قدراته أفضل من بعض .

ولقد وعى المفكرون المسلمون هذا جيدا عند تناولهم لأنماط المتعلمين ، وأوضحوا أن العالم إذا لم يراع ما بين المتعلمين من فروق فردية كان هو والمتعلمون في تعب ، لأن فيهم الذكي المحتاج إلى زيادة العلم ، وفيهم البليد الذي يكتفي بالقليل منه ، وإذا لم يراع هذا ، ويعطي كلا قدره وحقه من العلم ، أعجز الذكي والبليد على السواء ، وإذا كان الأمر كذلك فإن النتيجة تكون واضحة ، الملل والسأم من جانب للعلم ومن جانب المتعلمين على السواء ، ومن ثم وجب على المعلم أن يراعي تلك الفروق بين المتعلمين أثناء تعليمهم إذا أراد أن ينجح في عمله .

ولهذا فقد أشاروا إلى أهمية ألا يبدأ المعلم في تعليم أحد تلامذته (حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله) [(٢)] .

فإذا أوقفه التجريب والعلم بحال المتعلم على حدود قدراته كان من الطبيعي أن (لا يلقي إليه ما لم يتأهل له ، لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه) [(٣)] .

ولعل جانبا آخر يمتد إلى مخاطبة العالم لعوام الناس في دروسه ، فإن ذلك أمر لم يغفله العلماء المسلمون ،حيث أشاروا إلى وجوب أن (يتجنب المحدث في أماليه ما لا تحتمله عقول العوام ، لما لا يؤمن عليهم فيه من دخول الخطأ والأوهام) [(٤)] .

وإذا كان العوام يتجنب العالم في حقهم ما لا تحتمله عقولهم ، فإن المتعلمين لهم

---

(١) د.حسن إبراهيم عبد العال:المعلم في الفكر التربوي عند الإمام النووي،مرجع سابق،ص٢١٨.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٦.

(٣) المصدر السابق:ص١٠٠.

(٤) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ص١٠٧ــ١٠٨.

شأن ، حيث ينهج العالم معهم منهج التدرج والترقي (فلا يرقيهم إلى الدقيق من الجلـي ، وإلى الخفي من الظاهر هجوما وفي أول رتبة ، ولكن على قدر الاستعداد) (١) .

والغزالي بإحساسه المرهف يشير إلى أدب دقيق المأخذ في سنة الترقي ، ومراعاة أحوال المتعلمين بعد ظهور الفوارق الجلية بينهم ، فيرى أن العالم حينما يقتصر بالمتعلم القاصر على ما يحتمله ذهنه ، فإنه (لا يذكر له أن ما وراء ما ذكرت ... تحقيقا وتدقيقا أدخره عنك) (٢) ، وذلك مراعاة لما قد ينشأ لدى المتعلم من حالة الإحباط ، التي قد تحرمه من الاستفادة مما يلقيه العالم عليه ، والغزالي يرى أن على العالم أن يخيل لتلميذه أنه كل المقصود (حتى إذا استقل به رقي إلى غيره بالتدريج) (٣) .

هذا وقد ورد عن الصحابة ما يرشد إلى هذه السنة التعليمية الحسنة ، فمن ذلك ما قاله عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-: (ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة) (٤) .

ولا شك أن في كلام ابن مسعود-رضي الله عنه- وغيره ما يشير إلى أن مثل هذا العلم لا يمنع تداوله نهائيا ، وإنما يمنع منه الذي لا يحتمل عقله أن يستوعبه ، أما أهل العلم والطلبة الأذكياء فليس ذلك بممنوع عنهم أن يتدارسوه ، ومما يؤيد ذلك ما يروى عن ابن عباس ﷺ أنه كان (يخفي أشياء من حديثه ، ويفشيها إلى أهل العلم) (٥) ، وقد روي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب ﷺ وغيره (٦) ، ويروي الخطيب البغدادي عن وهب بن منبه تشبيه العالم وتلامذته بالطباخ للآكلين ، ويا له من تشبيه يبين مدى فقه علماء المسلمين لهذه المسالك الدقيقة التي تقتضي أن يراعي العالم أحوال مستمعيه ، يقول وهب بن منبه : (ينبغي للعالم أن يكون بمنزلة الطباخ الحاذق ، يعمل لكل قوم ما يشتهون من الطعام ،

---

(١) الغزالي:ميزان العمل،مصدر سابق،ص٢١٦.
(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٤) الحديث صحيح ، رواه مسلم.
(٥) رواه الديلمي كما في كشف الخفاء للعجلوني.
(٦) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص١٠٨.

وكذلك ينبغي للعالم أن يحدث كل قوم بما تحتمله قلوبهم وعقولهم من العلم) [1] .

ومراعاة لهذا الجانب نظر المفكرون المسلمون إلى الفروق الفردية من جانبين :

– **الجانب الأول الاجتماعي** : فقد تفشت ظاهرة التكسب بالعلم ، والاهتمام بأبناء الأغنياء والأمراء ، وتحقير أبناء الفقراء ، لذا نرى الآجري يقول : (ينبغي على العالم أن يوفي كل ذي حق حقه ؛ إن كان يريد بتلقينه القرآن وجه الله تعالى ، ولا ينبغي له أن يقرب الغني ويبعد الفقير ، فإن فعل ذلك فقد جار في فعله ، وينبغي له تلقين الصغير والكبير والحدث ، والغني والفقير ، مع التواضع للفقير وتقريبه من مجلسه متعطفا عليه ، متقربا إلى الله بذلك) [2] .

ومراعاة هذا الجانب له أثر في الحياة الاجتماعية الفكرية ، إذا يؤثر في مستوى التلاميذ في جميع الطبقات الاجتماعية .

–**أما الجانب الثاني** : فقد راعوا فيه القدرات الفكرية والعقلية المتباينة بين التلاميذ ، وأشاروا إلى الاختلافات المتباينة في مستويات الذكاء ، والقدرات والمواهب والاستعدادات العقلية ، فأرشدوا العالم بالصبر على أصحاب العقول بطيئة الفهم ، مع الرفق بهم حتى يستطيعوا أن يفهموا ما يصعب عليهم باستخدام أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة [3]. وبالمقارنة مع التربية الحديثة نلاحظ أنها انتهت لمثل هذه النتائج أيضا ، ممثلة في دراسات ثورنديك ، وسبيرمان .

ويؤكد المفكرون المسلمون على أن كل متعلم لا يمكن فهمه إلا فردا في جماعة تتكون من أفراد آخرين يشابههم في بعض الوجوه ، ويختلف عنهم في وجوه أخرى كثيرة ، لأن لكل متعلم استعداداته الخاصة ، وقدراته المتميزة عن باقي المتعلمين ، ويحتاج المعلم إلى الوقوف على استعدادات وإمكانات كل متعلم على حدا ، ليكون تعليمه له حسب ما تؤهله قدراته وتمكنه استعداداته ، ومن هنا كان توجيههم للمعلم أن لا يبدأ في تعليم أحد من التلاميذ (حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله) [4] ؛ فإذا أوقفه التجريب والعلم

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص١١٠.

(٢) الآجري:أخلاق أهل القرآن،مصدر سابق،ص١١١.

(٣) المصدر السابق:ص٧١.

(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٦٠.

بمجال المتعلم على حدود قدراته ومدى استعداده ؛ كان من الطبيعي أن (لا يلقي إليه ما لم يتأهل له ، لأن ذلك يبدد ذهنه ويفرق فهمه) (١) ، ثم يكسبه ما يحتاجه من معارف وخبرات ومهارات (من غير إكثار لا يحتمله ذهنه أو بسط لا يضبطه حفظه) (٢) .

فالحقيقة إذن هي أن كل متعلم فريد في نوعه ، وأن التعليم ينبغي أن يُكَيَّفَ وفقَ قدرات المتعلمين ؛ وذلك قبل أن تُثبِتْ لنا عمليات قياس الفروق الفردية أنه (لا يمكن أن يتشابه فردان أبدًا ، ولا يوجد أي بحث علمي يمكن أن يبين أن هناك فردين يتماثلان تمامًا في التكوين أو السلوك ، وإذا كانت الحاجة تدعو في بعض الأحيان إلى مقارنة الفرد بغيره ، إلا أن الاهتمام يجب أن يوجه إلى الفرد على أساس أنه يختلف عن غيره من الأفراد) (٣) .

ويذهب المفكرون المسلمون إلى أن معرفة المعلم بتلاميذه معرفة تامة ؛ تمكنه من مساعدتهم على بلوغ أهدافهم ، فقد يخطئ المتعلم في تقدير إمكاناته ، وتقويم قدراته ، ويحاول جاهدًا بلوغ أهداف تقصر دونها استعداداته ، ويضع لنفسه مستوى من الطموح يفوق ما عنده من قدرات .

وهنا تبدو أهمية معرفة المعلم التامة بتلميذه ، فيسارع إلى إرشاده وتوجيهه إلى ما يتلاءم مع قدراته ، وإلى ما لا يعجز عن تحقيقه وبلوغه من غايات وأهداف ، يقول ابن جماعة : (إذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله ، أو تحمله طاقته وخاف الشيخ ضجره ، أوصاه بالرفق بنفسه ، وذكّره بقول النبي ﷺ **(إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى)** ، ونحو ذلك مما يحمله على الأناة والاقتصاد) (٤) .

ولقد أثبت بعض الباحثين أن الطلاب -لعدم معرفتهم التامة بأنفسهم وتقديرهم غير الصحيح لقدراتهم- أضعف الناس تقديرًا لقابليتهم ولمزاياهم الشخصية ، فبعضهم يغالي في

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،ص٥٦.
(٢) المصدر السابق:ص٥١.
(٣) سعد جلال:التوجيه النفسي والتربوي والمهني،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،(د.ط)،١٩٥٧م،ص٢٢١.
(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٢.

تقدير نفسه ، وبعضهم الآخر يقلل منها ، والأغلب يكونون من المغالين ، ويستدلون على ذلك بنتائج اختبارات واسعة أجريت على مجموعات مختلفة من الطلاب) [١] .

فإذا وضع الطالب لنفسه مستوى من الطموح يعجز عن بلوغه ؛ تبعًا لتقويم غير صحيح لقدراته ، أوجب المفكرون المسلمون على المعلم أن (يُعَرِّفَهُ أن ذلك يضره ولا ينفعه) [٢] ، ويساعده على بلوغ أهداف تناسب إمكاناته ، مبيناً له أن ثنيه عن مواصلة العمل لتحقيق طموحه الأول إنما هو (لشفقته عليه ، ولطف به ، لا بخلاً عليه ، ثم يُرَغِّبُهُ عند ذلك في الاجتهاد والتحصيل ليتأهل لذلك وغيره) [٣] ، ومادام كل متعلم فريد من نوعه ، مختلف في سماته وقدراته عن كل من سواه ، فإن المعلم يخطئ إن لم يعلمه تعليمًا يناسب حالته ، ويختلف عن تعليم غيره ، فالمتعلم الذكي النابه ينبغي على المعلم أن (لا يدخر عنه من أنواع العلوم ما يسأله عنه وهو أهل له ، لأن ذلك ربما يوحش الصدر وينفر القلب ويورث الوحشة) [٤] ، والمتعلم قليل الذكاء أو (متوقف الذهن) -على حد تعبير ابن جماعة- ينبغي للمعلم (أن يحرص على تعليمه وتفهيمه ؛ ببذل جهده وتقريب المعنى له .. ويوضح لمتوقف الذهن العبارةَ ، ويحتسب إعادة الشرح له وتكراره ، ويبدأ بتصوير المسائل ثم يوضحها بالأمثلة) [٥] ؛ ليقرب المعاني إلى ذهنه ، أما المتعلم عادي الذكاء فينبغي للمعلم أن (لا يلقي إليه ما لم يتأهل له ، لأن ذلك يبدد ذهنه) [٦] .

وهكذا فيجب على المعلم -فيما يرى المفكرون المسلمون- ألا يقدم لتلاميذه تعليمًا واحدً ، وبطريقة تدريس واحدة ؛ ذلك لأن كل فرد يختلف عن غيره ، وقد أوقفتنا الدراسات الحديثة على صحة ما ذهبوا إليه ، حين أثبتوا أن لكل فرد عالمه الخاص الفريد ، وشخصيته المتميزة عن باقي الأفراد ، وله حاجاته وقدراته وميوله ، وهو يختلف

---

(١) انظر كليفورد صوران،وجيمس ديز:فن الدراسة،ترجمة فؤاد جميل،مكتبة الحياة،(د.ط)،(د.ت)،ص٣١،٣٢.

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥١.

(٣) المصدر السابق:ص٥١،٥٢.

(٤) المصدر السابق:ص٥١.

(٥) المصدر السابق:ص٥٢.

(٦) المصدر السابق:ص٥١

عن كل من سواه بسبب سماته الموروثة ، وخصائصه المكتسبة .

- ترغيب المتعلم في طلب العلم ، (إثارة الدافعية) :

قبل أن يوقفنا علم النفس التعليمي حديثًا على مبادئ التعلم وقوانينه ، كان للمفكرين المسلمين محاولات جادة لسبر العلاقة بين طبيعة المتعلم وعملية التعليم ، كما كان لهم اهتمام بالغ بالتعرف على العوامل التي تؤثر في التعلم وتهيمن عليه ، والوقوف على الأسس التي يتحدد بها التعلم المنتج ، ويتحقق بها التعليم الجيد ، ومن أهم هذه العوامل :

مبدأ الدافعية (الرغبة):

لم ترد كلمة (الدافعية) فيما كتبه المفكرون المسلمون ، وإنما عبروا عن الدافعية بما يحمل معناها من المفردات العربية مثل : "النية" (1) و"الهمة" (2) و"الرغبة" (3) و"المبادرة" (4) و"جمع القلب" (5) و"جمع الهم" (6) .

وقد أدركوا أن الطلاب يتعلمون بصورة أفضل إذا ما اشتدت رغبتهم في التعلم ، وحسنت نيتهم له ، وتأهبوا لتلقي العلم ، حينئذ يحقق التعليم هدفه في الحصول على تعلم جيد ، تظهر آثاره على المتعلم ، فإذا قويت الرغبة في تحصيل العلم ، وصدقت النية وجمع القلب ، أو بتعبير آخر قويت دوافع الطلاب لتعلم العلم (ظهرت بركته ، ونما كالأرض إذا طُيِّبتْ للزرع نما زرعها وزكا) (7) ، (وإن خلصت فيه النية قبل ، وزكا ونمت

---

(1) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٤٨.

(2) المصدر السابق:ص١٣٣.

(3) المصدر السابق:ص٤٩.

(4) المصدر السابق:ص٧٠.

(5) المصدر السابق:ص٧١.

(6) المصدر السابق:ص٧٢.

(7) المصدر السابق:ص٦٧.

بركته) [1] ، أما إذا افتقد المتعلم النية أو الهمة أو الرغبة أو المباردة أو الدوافع إلى التعلم (حبط وضاع وخسرت صفقته.. فيخيب قصده ويضيع سعيه) [2] .

وعلى الرغم من أن معالجة موضوع (الدوافع المساعدة على التعلم والتقدم من أهم مشكلات سيكلوجية التعلم وأعقدها) [3] ، على الرغم من هذه الصعوبة ، فقد كان للمفكرين المسلمين رأي ذو قيمة في تنمية دوافع الطلاب للتعلم ، لقد أدركوا صعوبة معالجة الدوافع أو النيات والرغبات ، يقول سفيان الثوري : (ما عالجت شيئًا أشد على من نيتي) [4] ، يقصد تعديل ميلها ، وتكوين اتجاهات مرغوبة فيها .

-طرق إثارة وتنمية الرغبة في التعلم :

و لم يُرِدْ المفكرون المسلمون للعالم أن يقف موقفًا سلبيًا تجاه تنمية دوافع تلاميذه للتعلم ، فبينوا للعالم كيفية إثارة دوافع الطلاب ، وتنمية ميولهم واتجاهاتهم نحو تعلم العلم ، وتحفيزهم ، و إثارة شهيتهم العقلية للتحصيل ، بترغيبهم في طلب العلم بشتى الوسائل والسبل ، وجعلوا من أهم واجباته تجاه تلميذه (أن يرغبه في العلم وطلبه في أكثر الأوقات بذكر ما أعد الله تعالى للعلماء من منازل الكرامات ، وأنهم ورثة الأنبياء ، وعلى منابر من نور يغبطهم الأنبياء والشهداء ، أو نحو ذلك مما ورد في فضل العلم والعلماء من الآيات والآثار والأخبار والأشعار ، ويرغبه مع ذلك بتدريج على ما يعين على تحصيله) [5] ، إن العالم بذلك يحرك نشاط تلاميذه ويشجعهم ، ويولد اهتمامهم بتحصيل العلم ، ولعل في قولهم : (يرغبه في العلم وطلبه في أكثر الأوقات) ما يفيد حرصهم على استمرارية نشاط التلاميذ واهتماماتهم ، والإبقاء على دوافعهم للتعلم ، حيث لا يتم التعلم

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٦٩.

(٢) المصدر السابق:ص٧٠.

(٣) رمزية الغريب: التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية،مكتبة الأنجلو،ط٥،١٩٧٥م،ص٥٠٥.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٦٨.

(٥) المصدر السابق:ص٤٨.

بغير دافع ، وذلك ما يؤكد عليه الآن علم نفس التعلم (لأن التعلم هو تغير في السلوك ينجم عن نشاط يقوم به الفرد ، والفرد لا يقوم بنشاط من غير دافع) [1] .

ويذهب المفكرون المسلمون إلى أن المتعلم في بداية تعلمه يكون أشد حاجة إلى الترغيب والتشجيع ، وإثارة دوافعه للتعلم ، وعبروا عن تلك الإثارة وذلك التشجيع "بالتحريض" ، يقول ابن جماعة : (الشيخ يحرض المبتدئ) [2] على التعلم ، وذلك بتذكيره أنه بالتعلم (ينال الرتبة العلية من العلم والعمل ، وفيض اللطائف وأنواع الحكم ، وتنوير القلب وانشراح الصدر ، وتوفيق العزم ، وإصابة الحق ، وحسن الحال ، والتسديد في المقال ، وعلو الدرجات) [3] ، وتلك كلها مرغبات وغايات تحفز طلاب العلم -وخاصة المبتدئين منهم- على التعلم ، وهي قوية التأثير فيهم وقد ثبت (أن الاعتماد على الحوافز التي تثير نشاط المتعلم في بدء تعلمه أمر له قيمته ؛ إذا كان قيامه بهذا النشاط الضروري يكسبه شيئًا يرغب فيه ، أو يجنبه شيئًا يكرهه) [4] .

و لابد لتكوين الميول والاتجاهات المرغوب فيها ، وإثارة دوافع الطلاب لتعلم موضوع ما (من أن تزداد خبرة التلاميذ المعرفية بالموضوع المراد تكوين ميولهم نحوه ، فلو فرض مثلاً أن أراد المعلم تكوين اتجاه ديني.. فلابد أن يزودهم بالمعلومات والمعرفة الضرورية لإيضاح الهدف في أذهانهم ، وإلا كان نشاطهم غير موجه ، قليل القيمة التربوية) [5] ، ولذا فإن المفكرين المسلمين أكدوا على ضرورة تزويد المعلم لتلاميذه بهذه الخبرة المعرفية ؛ لتكوين الميول وإثارة الدوافع ، واتخذوا من تعلم الفقه مثالاً لذلك يحتذى في بقية الموضوعات والعلوم ؛ فلكي يقبل الطلاب على تعلم الفقه برغبة قوية ، فإن على المعلم أن يوقفهم على أهمية علم الفقه ، ويعرفهم الهدف من تعلمه ، والنتائج المترتبة على

---

(١) د.أحمد عزت راجح:أصول علم النفس،المكتب المصري الحديث،الإسكندرية ط٩،١٩٧٣م،ص٢٢٤.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٤٧.

(٣) المصدر السابق:ص٤٨.

(٤) فكري حسن ريان:التدريس،أهدافه،أسسه،أساليبه،تقويم نتائجه وتطبيقاته،عالم الكتب،القاهرة،ط٢،١٩٧١م،ص٧٩.

(٥) رمزية الغريب:التعلم،مرجع سابق،ص٥٠٧.

تحصيله ، والفرق بين صرف الهمة فيه وتعلم غيره من العلوم ، وعلى المعلم أن يصبغ هذه الخبرة المعرفية بصبغة انفعالية ، تقوي رغبة التلاميذ في التعلم ، وتثير دوافعهم للتحصيل ، بعقد مقارنة لهم بين قيمة تعلم ذلك العلم وبين الاشتغال بغيره من نوافل العبادات البدنية ؛ فتكون نتيجة هذه المقارنة تفضيل تعلم العلم وأولويته ؛ لأن الهدف من تعلمه أسمى ، يقول ابن جماعة : (وقد ظهر بما ذكرناه أن الاشتغال بالعلم لله أفضل من نوافل العبادات البدنية من صلاة وصيام وتسبيح ودعاء ونحو ذلك ، لأن نفع العلم يعم صاحبه والناس ، والنوافل البدنية مقصورة على صاحبها ، ولأن العلم مصحح لغيره من العبادات فهي تفتقر إليه وتتوقف عليه ولا يتوقف هو عليها ، ولأن العلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والتسليم ، وليس ذلك للمتعبدين ، ولأن طاعة العالم واجبة على غيره فيه ، ولأن العلم يبقى أثره بعد موت صاحبه ، وغيره من النوافل تنقطع بموت صاحبها) (١) .

وبهذه الخبرة المعرفية تتضح للتلاميذ أهمية العلم ومعناه ، أو الموضوع المراد لهم تعلمه ، ومن ثم يندفعون إلى تعلمه ، ويسهل عليهم تحصيله بعد بيان مقاصده ومعانيه وقيمته ، وذلك شرط أساسي في استخدام المعلم للدوافع استخدامًا ناجحًا إذ إن (من واجب المدرس أن يجعل المادة التي يعلمها للتلميذ ليست جذابة شائقة فحسب ، بل ذات معنى وأهمية بالنسبة له كذلك) (٢) .

-الدافعية والمنافسة :

تعد المنافسة من أكثر الوسائل انتشاراً ، لإثارة الأفراد لنواحي النشاط اللازم للتعلم ، ومن المحقق أن صغار المتعلمين (الذين لا يبذلون الجهد اللازم لتعلمهم يمكن استثارتهم بالمنافسة والمسابقة لكي يبذلوا نشاطًا كبيرًا) (٣) .

وقد أباح المفكرون المسلمون للمعلم استخدام المنافسة مثيرًا لدوافع التلاميذ للتعلم ، وباعثًا لهم على بذلك الجهد والنشاط ، وأشاروا بصريح العبارة إلى أن المنافسة تكون قوية

(١) بن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص١٣.

(٢)ج.ب.جيلفورد: ميادين علم النفس النظرية والتطبيقية،أشرف على ترجمته يوسف مراد،(منشورات جماعة علم النفس التكاملي)،دار المعارف،القاهرة،ط٤، ١٩٧٥م،ص١٩٨.

(٣) المرجع السابق:ص٢٠٠.

الأثر في زيادة النشاط ، فالمعلم إن أثار روح التنافس بين التلاميذ و(كان بعضهم أكثر تحصيلات وأشد اجتهاداً.. فأظهر إكرامه وتفضيله ، وبين أن زيادة إكرامه لتلك الأسباب فلا باس بذلك ، لأنه ينشط ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات) [1] .

-طريقة إثارة روح المنافسة الشريفة بين المتعلمين :

وذهب المفكرون المسلمون أنه من الممكن للمعلم أن يثير روح المنافسة بين المتعلمين بأن (يطالب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات ، وتمحيص ضبطهم لما قدم لهم من القواعد المهمة والمسائل الغريبة ، ويختبرهم بمسائل تبنى على أصل قرره أو دليل ذكره ، فمن رآه مصيباً في الجواب ولا يخف عليه شده الإعجاب شكره ، وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب الازدياد) [2] .

والمعلم بإظهاره الإعجاب بالمتفوقين وشكرهم والثناء عليهم إنما يلجأ إلى الاستثارة الدافعة للنشاط ، التي عبر عنها ابن جماعة بـ (الاجتهاد في طلب الازدياد) ، وبذلك يتمكن المتعلم من إحداث تعلم جيد.

-التحذير من سوء استخدام المنافسة :

ومع اعتقاد المفكرين المسلمين بقيمة المنافسة كوسيلة من وسائل الاستثارة الدافعة ، وهي بلا شك وسيلة نافعة في يد المعلم القدير ، إلا أنهم حذروا من سوء استخدامها ، أو الإفراط في استعمالها ؛ على أساس أنها مشجع للتلاميذ على التقدم ، فطلبوا من المعلم الحذر في استخدامها ؛ لما قد يسببه سوء الاستخدام من إثارة الشحناء والبغضاء والعداوة بين التلاميذ ؛ وليس هذا -في رأيهم- مقصود الاجتماع للتعلم والدرس .

فإن أدى استخدام المعلم للمنافسة إلى إثارة الحسد والكراهية والضغينة بين التلاميذ ؛ أوقفها المعلم بكل السبل وامتنع عن استخدامها ، وذلك لأنه (لا يليق بأهل العلم تعاطي

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٥٩.
(٢) المصدر السابق:ص٥٤.

المنافسة والشحناء ، لأنها سبب العداوة والبغضاء ، بل يجب أن يكون الاجتماع ومقصوده خالصًا لله) [١] .

وواقع الأمر أن المنافسة (إذا لم تستخدم بمهارة ، وإذا لم يوجهها المعلم الوجهة السليمة ، قد تكون مثيرة للحسد والحقد بينهم ؛ فيتنازعون الكتب والمراجع ، ويتحين كل منهم الفرصة للإضرار بزميله ، وبذلك يكون المعلم قد استخدم المنافسة لا لتشجيع التقدم إنما لهدم العلاقات السليمة بين أعضاء المجتمع المدرسي) [٢] ، هذا إلى جانب أن المنافسة إذا لم توجه توجيهًا سليمًا عطلت التعلم ولم تشجع عليه ، إذ إن زيادة (الاهتمام بالمنافسة قد يؤدي أولاً إلى أن يتعلم الفرد كيف ينافس) [٣] ، ويصبح تحصيل العلم والتعليم وسيلة للعلو والتعالي على الأقران ، وسبيلاً للفوز عليهم ، وهو ما حذروا منه فيما يحكونه عن أبي يوسف[٤] -رحمه الله- إذ يقول : (يا قوم أريدوا بعلمكم الله تعالى فإني لم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ، ولم أجلس مجلسًا قط أنوي فيه أن أعلوهم حتى أفتضح ، والعلم عبادة من العبادات وقربة من القرب) [٥] ، فلا ينبغي أن يؤدي إلى الشحناء والعداوة .

وحذر المفكرون المسلمون المعلم من الآثار الخطيرة لنوعٍ من المنافسة أشد خطورة من منافسة التلاميذ بعضهم لبعض ، وهو منافسته لتلاميذه ، وقد يعمد إلى هذه المنافسة بعض المعلمين من أصحاب النفوس الضعيفة ، حين يحملهم الحسد على الوقوف من تلامذتهم موقف المنافس ، وبينوا أن ذلك لا يليق بالمعلم ولا يصح منه ؛ لأن فضل تلاميذه يعود إليه بالدرجة الأولى باعتباره السبب في هذا الفضل ، بالإضافة إلى أن حسن تربيتهم

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٤٠.

(٢) رمزية الغريب:التعلم،مرجع سابق،ص٥٠٤.

(٣) جيلفورد:ميادين علم النفس،مرجع سابق،ص٢٠٠.

(٤) القاضي يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة ، كان فقيهًا عالمًا حافظًا ، وكانت ولادته سنة ثلاثة عشرة ومائة وتوفي يوم الخميس أول وقت الظهر لخمس خلون من شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين ومائة ببغداد ، وقيل توفي سنة اثنين وسبعين ومائة،والأول أصح،انظر ابن خلكان:وفيات الأعيان مرجع سابق،جـ ٦ ، ص٣٨٨.

(٥) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٦٩.

يعود عليه بالخير في الدنيا والآخرة ، (وليحذر كل الحذر من منافسة بعضهم لكثرة تحصيله ، أو زيادة فضائله ، لأن ثواب فضائلهم عائد إليه ، وحسن تربيتهم محسوب عليه ، وله من جهتهم في الدنيا الدعاء والثناء الجميل ، وفي الآخرة الثواب الجزيل) [١] ،

كما ذكروه (أن الطالب الصالح أعود على العالم بخير الدنيا والآخرة من أعز الناس عليه وأقرب أهله إليه.. ولو لم يكن للعالم إلا طالب واحد ينتفع الناس بعلمه وعمله وهديه وإرشاده لكفاه ذلك الطالب عند الله تعالى ، فإنه لا يصل شيء من علمه إلى أحد فينتفع به إلا كان له نصيب من الأجر) [٢] ، ومن هنا كان تحذيرهم للمعلم من منافسة بعض تلاميذه لكثرة تحصيله ، أو سعة علمه ، أو زيادة فضله .

وقد تفسر كراهية المفكرين المسلمين للمنافسة غير الموجهة والمفضية إلى العداوة والحسد اهتمامهم بالتفاعل والتعاون بين التلاميذ بديلاً لهذه المنافسة ، مع أخذ المنافسة مثيرًا للدوافع في الحسبان ، إذا استطاع المعلم أن يستخدمها بمهارة ويوجهها الوجهة السليمة (بالرغم من أنه كان من المعتقد أن سلوك التنافس غريزي ويفوق الميول التعاونية المكتسبة ، فإن البحوث في ميدان النمو الاجتماعي للأطفال والبالغين قد أظهرت أن كلا السلوكين التنافسي والتعاوني ينموان من المطالب التي يفرضها المجتمع على الفرد ، ومن موافقة الجماعة على أعمال معينة) [٣] ، ومن الجدير بالملاحظة أن المفكرين المسلمين قد حثوا المعلم على تنمية السلوك التعاوني بين تلاميذه ، وتشجيع التفاعل الاجتماعي بينهم .

-استخدام التعاون والتفاعل الاجتماعي بديلاً عن المنافسة:

أصبح من المتعارف عليه الآن أن إدخال التعاون و التفاعل الاجتماعي في الدرس وسيلة من وسائل الاستثارة الدافعة ، ويعد أحد الوسائل النافعة الممتعة ، وقد دلت (التجارب العلمية على أن الإنتاج يزيد كثيرًا إذا صحب التعلم قدر من النشاط الاجتماعي ، وقد وجد بعض علماء النفس الألمان منذ بداية هذا القرن أن التعلم يتحسن

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٥٩.

(٢) المصدر السابق:ص٦٣.

(٣) آرثر جيتس وآخرون:التعلم ومقاييسه،ترجمة إبراهيم حافظ وآخرين،إشراف وتقديم عبد العزيز التوحي،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط٣،١٩٦٠م،ص٣.

في الظروف الاجتماعية ، كما وجدوا أن الواجبات المدرسية التي يقوم بها التلميذ في منزله تكون أقل دقة وأكثر بطئًا من الأعمال التي يقوم بها في مثل هذه الظروف الاجتماعية التي تهيئها قاعة الدراسة) [1]

وقد نصح المفكرون المسلمون بالتفاعل بين المتعلمين في حلقة الدرس ، وطلبوا من المعلم أن يجعل هذا التفاعل نصب عينيه ، لما له من فائدة (وينبغي للشيخ أن يأمر الطلبة بالمرافقة في الدروس ،...وبإعادة الشرح بعد فراغه فيما بينهم ليثبت في أذهانهم ويرسخ في أفهامهم) [2] ، كما طلبوا منه أن يهتم بوجود التعاون فيما بينهم ، وأن (يتعاهد ما يعامل به بعضهم بعضًا من .. التحابب والتعاون على البر والتقوى ، وعلى ما هم بصدده) [3] ، (وأن يسعى في مصالح الطلبة وجمع قلوبهم) [4] ، وأن يذكر لهم أهمية التعاون (فإن الله تعالى في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته) [5] .

ورغب المفكرون المسلمون المتعلم في مشاركة زملائه ، والتعاون معهم ومساعدتهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ولا ينبغي أن يدفعه حرصه على التفوق ، ورغبته في الفوز والمنافسة ، من عدم مشاركة أقرانه والتعاون معهم .

فالموقف التعاوني في التعلم -عند المفكرين المسلمين- أعظم أثرًا في نمو شخصية المتعلم من وسائل التحصيل والتعلم الفردية ، وقد صبغ المفكرون المسلمون توجيههم للمتعلم بصبغة أخلاقية ، فذكروا أنه لا ينبغي له أن تعميه المنافسة عن (أن يرغب بقية الطلبة في التحصيل ، ويدلهم على مظانه ، ويصرف عنهم الهموم المشغلة عنه ، ويهون

---

(١) جيلفورد:ميادين علم النفس،مرجع سابق،ص١٩٨.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٥٤.

(٣) المصدر السابق:ص٦١.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

عنهم مؤونته ، ويذاكرهم بما حصله من الفوائد والغرائب ، وينصحهم بالدين : فبذلك يستنير قلبه ، ويزكو عمله ، ومن بخل عليهم لم يثبت علمه ، وإن ثبت لم يثمر) [1] .

ذلك لأن المشاركة للغير في الأداء والتعلم بصفة عامة أعظم أثـراً مـن المنافسة الشخصية ؛ لأن ما يتعلمه الفرد بالتعاون مع غيره من الأفراد ومشاركتهم أنفع وأعلى قيمة مما يتعلمه نتيجة للنشاط الذي تحدثه المنافسة ، ومما هو جدير بالذكر أن الفرد يتعلم بمشاركة زملائه كيف يتعاون ، بالإضافة إلى تعلم مواد الدراسة (وتشجع التربية التعاون أكثر من تشجيعها التنافس ؛ لا لأن ذلك يؤدي إلى زيادة فعالية التعليم ، بل لأن هذا يؤدي إلى نتائج اجتماعية مرغوب فيها) [2] .

إذن الرغبة والدافعية والباعث هي من الشروط الأساسية في علمية التعلم ، و(يتوقف عليها تحقيق الهدف من عملية التعليم في أي مجال من مجالاته المتعددة ، سواء في تعليم أساليب وطرق التفكير ، أو تكوين الاتجاهات والقيم ، أو تعديل بعضها ، أو تحصيل المعلومات والمعارف) [3] .

وحينما يتوافر (لدى الإنسان دافع قوي للحصول على هدف ما ، فإن الحصول على هذا الهدف الذي يشبع دافعه يعتبر ثواباً أو مكافأة تسبب الشعور باللذة أو السرور والرضا ، والفشل في الحصول على هذا الهدف يعتبر نوعاً من العقاب الذي يسبب له الشعور بالألم ، أو الضيق أو الكدر) [4] .

والمفكرون المسلمون أدركوا أهمية إثارة الدافعية ، وأدركوا أيضاً أهمية ترغيب المتعلم في طلب العلم ، يقول الماوردي : (ومن آدابهم ألا يمنعوا طالباً ، ولا ينفروا راغباً ، ولا يؤيسوا متعلماً ، لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم ، والزهد فيما لديهم ، واستمرار ذلك

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص١٦٢،١٦٣.

(٢) برسيفال سيموند:الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس،مرجع سابق،ص٣٧.

(٣) د. سيد أحمد عثمان وآخرون:التعلم وتطبيقاته،دار الثقافة للطباعة،القاهرة،ط٢،١٩٧٨،ص١٣٥.

(٤) د. عثمان نجاتي:التعلم،دار الشروق،القاهرة،ط١،١٩٨٨م،ص١٥٢.

مفض إلى انقراض العلم بانقراضهم) (١) ، ويقول ابن جماعة : (يرغبه في العلم وطلبه في أكثر الأوقات) (٢)

إن احترام الدافعية وزيادة إثارتها احترام المتعلم ورغبته في التعلم ، والعالم الحق هو ذلك الذي لا يطفئ الاستجابة ولا يكف المتعلم عن بغيته ، فهو لا يمنع طالباً للعلم من أن يطلب ، ولا ينفره ، ولا ييئسه ؛ بل يحفظ له دافعيته وكرامته وحبه للعلم ورغبته في التعلم .

- عدم تقبيح العلوم الأخرى في نفس الطالب :

قد يغالي بعض العلماء المتخصصين في بعض فروع العلم فيما يتقنون من هذه العلوم ، وحرصاً منهم على اهتمام التلاميذ بهذا الفرع وإدراك مدى أهميته يقومون بالتوهين من العلوم الأخرى ومدى أهميتها ، مما قد يحمل التلاميذ على الاستهانة بهذه الفروع أو إهمالها بالكلية ، ولذلك فقد نالت هذه المسألة جزءاً من الاهتمام في الفكر الإسلامي ، حيث رصد تلك المواقف ، التي قد تكون بين معلمي اللغة العربية والفقهاء ، ومن ثم فقد تنبهوا إلى أهمية (أن المتكفل ببعض العلوم لا ينبغي له أن يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه ، كمعلم اللغة إذ عادته تقبيح علم الفقه ، ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير...فهذه أخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي أن تجتنب) (٣) .

- عدم أخذ الأجرة على التعليم :

ذهب كثير من المفكرين المسلمين إلى عدم جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن وعلى التعليم بصفة عامة ، إذا بينوا بصريح القول : (إن من أخلاق العلماء العاملين ، أنهم لا يأخذون على العلم ثمناً) (٤) ، وأنه ينبغي (أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه ، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً ولا يقصد به جزاءً وشكراً) (٥) ، واستدلوا

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٩٣.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٨.

(٣) الغزالي:إحياء علوم الدين،ج١،مصدر سابق،ص ٧١.

(٤) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص٧٠-٧١.

(٥) الغزالي:إحياء علوم الدين،ج١،مصدر سابق،ص٧٠.

بحديث النبي ﷺ (من قرأ القرآن يتأكّل به الناس جاء يوم القيامة ووجه عظم ليس عليه لحم) [١] ، ونظرتهم هذه قد تكون رد فعل للواقع الثقافي ، إذا وجدوا من يركز على الأجرة مقابل تعليم القرآن والنحو ، فمثلاً كان المبرد يأخذ أجراً من الزجاج بمقدار درهم يومياً [٢] .

ولقد تنازع العلماء في مسألة أخذ الأجرة على تعليم القرآن الكريم والحديث الشريف ، فذهب طائفة من الفقهاء كالحنفية وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وابن القيم ومالك وغيرهم إلى عدم جوازه [٣] ، وأيضاً الغزالي ، وذهب آخرون إلى جوازه استحساناً [٤] ، وابن سحنون الذي قال : (لا بأس أن يستأجر الرجل المعلم على أن يعلم أولاده القرآن بأجرة معلومة إلى أجل معلوم أو كل شهر نصف القرآن أو ربعه) [٥] ، وأضاف إلى ذلك تنظيم الدخل المادي للمعلم وتكريم المعلم الناجح ومكافأته مادياً ، وقد سمح للمعلم بأن يطلب أجراً يتوقف مع أوضاع العائلة ، وميز بين الغني والفقير في مقدار المال المدفوع للمعلم ، ويدعم ابن سحنون رأيه بأمثلة تاريخية منها : (عن ابن جريج قال : قلت العطاء : آخذ أجراً على تعليم الكتاب ؟ أعلمت أحداً كرهه ؟ قال : لا .

وعن ابن شهاب (أن سعد بن أبي وقاص قدم برجل من العراق يعلم أبناءهم الكتاب بالمدينة ويعطونه الأجر) [٦] ، ووافقه القابسي الذي ربط مبدأ أخذ الأجرة على التعليم بمشكلات عصره الاقتصادية [٧] .

والواقع أن هذه القضية مرتبطة بظروف العصر ؛ إذ إن الوضع القائم في عصرنا مختلف تماماً عن الزمن الماضي ، فقد أنشئت حالياً مؤسسات تعليمية ترعاها الحكومة بجميع

---

(١) الحديث موضوع،رواه ابن حبان في الضعفاء والمتروكين .

(٢) ابن كثير:البداية والنهاية،مرجع سابق،مج١١،ص١٤٨.

(٣) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري،مرجع سابق،ج١،ص٣٢٥.

(٤) محمد عبد العزيز المانع: الدليل والبرهان على تحريم أخذ الأجرة على تلاوة القرآن،الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية،الرياض،(د.ط)١٩٨٤م،ص١٤.

(٥)عبد الرحمن حجازي:المذهب التربوي عند ابن سحنون،دار المعرفة،بيروت،١٩٨٨م،ط١،ص١٢٦.

(٦) المرجع السابق:ص٩٧.

(٧) عبد الله بغدادي:الانطلاقة التعليمية في المملكة العربية السعودية،مرجع سابق،ج٢،ص١٥١.

احتياجاتها المادية ، ويتقاضى المعلم أجراً على تدريسه من الدولة وليس من الأفراد ، وهـذا جائز لأن التعليم ضروري لجميع أفراد المجتمع ، ولا يتسنى تعليم هؤلاء الأفـراد بصـورة منظمة وشاملة إلا تحت رعاية مؤسسات ومدارس متعـددة ؛ يقـوم عليـها معلمـون ومتخصصون متفرغون لهذا العمل ، لأجل هذا لا مانع من أخذ الأجرة على التعليم .

بالمقابل فإن كثرة التخصصات ، وإعداد الطلبة ، وإشراف الحكومة علـى التعليـم يفرض على العالم أخذ الأجرة على التعليم ، إذ هو يصرف وقتاً كبيراً فيه ، بل ويقـوم في كثير من الأحيان بأعمال إدارية إضافية .

الاعتناء بمصالح الطلبة ومساعدتهم :

إن من مسؤوليات العالم -في رأي المفكرين المسلمين- أن يقدم العون لكل تلميـذ وأن يعتني بمصالح الطالب ؛ لا بمساعدته على تحقيق أهدافه المعرفية فحسب ، وإنما واجبـه تجاه طلابه أنه (كما يعلمهم مصالح دينهم لمعاملة الله تعالى ، يعلمهم مصالح دنياهم لمعاملـة الناس ؛ لتكتمل لهم فضيلة الحالتين) [1] ؛ أو بمعنى آخر يكسبهم المعارف ليمكن كلا منهم من التوافق مع نفسه ومع الآخرين ، بتعليمه وتدريبه على التعامل معـهم ، وفـق آداب المجتمع وقيمه ومعاييره الاجتماعية ، وقواعد الضبط الاجتماعي المتعارف عليها .

وقد حث المفكرون المسلمون العالم على أن (يتعهد ما يعامل به بعضهم بعضًا مـن إفشاء السلام وحسن التخاطب في الكلام ، والتحابب والتعاون على البر والتقوى وعلـى ما هم بصدده) [2] ، وعليه أن يمنع كل أسباب التنافر والتباغض بين المتعلمين من (المنافسة والشحناء لأنها سبب العداوة والبغضاء) [3] .

-مساعدة المتعلمين على اختيار ما يناسبهم من علوم ومعارف :

هذا إلى جانب مسئوليته في مساعدة المتعلمين على تحقيق التوافق العلمي ، وذلـك بمساعدتهم على اختيار ما يناسبهم من الخبرات والمعارف والعلوم التي يسعون لتعلمـها ، وإرشادهم إلى ما يصلح لهم منها ، فإذا اختار المتعلم فنًا من الفنون ليدرسه ، واختار لـه

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٦١.

(٢) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق: ص٤٠.

مواد ومنهاج وكتبًا وأدوات ، وأخطأ في تقدير استعداداته ، فإن على العالم أن يوجهه إلى ما يناسبه ، وما يستطيع فيه استخدام إمكاناته استخدامًا فعالاً ، يقول ابن جماعة إن العالم : (إذا علم أو غلب على ظنه أنه (أي المتعلم) لا يفلح في فن أشار عليه بتركه ، والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه خلاصه) [1] ؛ وذلك يتم نتيجة لعملية واعية قائمة على معرفة كاملة بالمتعلم ؛ لكي يستغل قدراته استغلالاً صحيحًا في تحقيق أهداف مناسبة .

-إرشاد المتعلمين إلى أفضل طرق التحصيل والمذاكرة :

وكذلك فإن من مسئوليته توجيه تلاميذه إلى أفضل طرق المذاكرة والتحصيل ، فليس عمله مجرد حشو أذهان تلاميذه بالحقائق والمفاهيم ، بل من صميم مسئولياته إرشادهم إلى خير طرق التعلم ، وتوجيههم إلى كيفية اكتساب عادات صالحة للتحصيل ، مثل تركيز الانتباه ، وحصر الذهن أثناء المذاكرة ، وذلك يتم بتخصيص وقت معين للاستذكار ، واعتبر المفكرون المسلمون أن (أجود الأوقات للحفظ الأسحار ، وللبحث الأبكار ، وللكتابة وسط النهار ، والمطالعة والمذاكرة الليل) [2] ، ومن الأمور المعينة على التحصيل والاستذكار تخصيص مكان معين -أيضًا- واعتبروا أن (أجود أماكن الحفظ الغرف ، وكل موضع بعيد عن الملهيات) [3] .

كما أن من واجبات المعلم أن يرشد تلميذه إلى أهمية تقسيم أوقاته ، وحسن استغلالها ، حتى لا تضيع سُدًا ، وذلك بأن (يقسم أوقات ليله ونهاره ، ويغتنم ما بقي من عمره) [4] .

-الاهتمام بصحة المتعلمين الجسمية :

وتشمل مسؤولية العالم تقديم العون لتلاميذه ، فيما يتعلق بحل مشكلاتهم الصحية ، وإرشادهم إلى ما يصلح لهم من الغذاء ، من حيث نوعه وكميته ، ويرى المفكرون المسلمون أن (من أعظم الأسباب المعينة على الاشتغال والفهم وعدم الملال أكل القدر

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٧.

(٢) المصدر السابق:ص٧٢،٧٣.

(٣) المصدر السابق:ص٧٣.

(٤) المصدر السابق:ص٧٢.

اليسير من الحلال) [1] واعتبروا (أن كثرة الأكل جالبة كثيرة الشرب ، وكثرته جالبة للنوم والبلادة وقصور الذهن ، وفتور الحواس ، وكسل الجسم ، كل هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية والتعرض لخطر الأسقام البدنية) [2] .

كذلك من مسؤولياته أن يرشد تلميذه إلى أهمية الراحة إذا تملكه التعب أثناء تعلمه ، أو أصابه النصب بسبب التحصيل ، وإلى قيمة الرياضة البدنية لحفظ الصحة وتحقيق تعلم جيد ، فواجب على العالم أن يوجه تلميذه إلى (أن يريح نفسه وقلبه وذهنه وبصره ، إذا كَلَّ شيءٌ من ذلك أو ضعف بِتَنَـزُّهٍ وتفريجٍ في المستنـزهات ، بحيث يعود إلى حاله ، ولا يضيع عليه زمانه ، ولا بأس بمعاناة المشي ورياضة البدن ، فقد قيل إنه ينعش الحرارة ، ويذيب فضول الأخلاق وينشط البدن) [3] .

-مساعدة المتعلمين على حل مشاكلهم الاجتماعية :

وكما يقدم العالم لتلاميذه ما يعينهم على حل مشكلاتهم الصحية ، فعليه أن يقدم لهم العون والمساعدة لحل مشكلاتهم الاجتماعية ، فواجبه أن (يسعى في مصالح الطلبة ، وجمع قلوبهم ، ومساعدتهم بما تيسر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك ، وسلامة دينه وعدم ضرورته) [4] .

-مسؤولية العالم تجاه صحة المتعلم النفسية :

جعل المفكرون المسلمون العالم مسئولاً بدرجة كبيرة عن صحة المتعلم النفسية ، واتزان شخصيته ، ورأوا أن تهيئة الجو التعليمي الخالي من الانفعالات الهائجة الضارة ، والمواقف المؤلمة ، من أهم عوامل نمو الشخصية ، فدعوا المعلم إلى نبذ القسوة في معاملة

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٧٣،٧٤.
(٢) المصدر السابق:ص٧٣،٧٤.
(٣) المصدر السابق:ص٧٩،٨٠.
(٤) المصدر السابق:ص٦١.

تلاميذه ، وأكدوا على (الرفق بالطلبة) [1] ، وضرورة معاملتهم (بمكارم الأخلاق من طلاقة الوجه ، وإفشاء السلام.. وكظم الغيظ وكف الأذى) [2].

ونبهوه أنه سينجح في تحقيق الصحة النفسية لتلميذه -وهي تلك الحالة التي يشعر فيها التلميذ بالسعادة مع نفسه ومع الآخرين- إذا شعر التلميذ نحوه بما يشعر به نحو أبيه ، وذلك لن يتحقق إلا حين (يُعْنَى بمصالح الطالب ، ويعامله بما يعامل به أعز أولاده من الحنو والشفقة عليه والإحسان إليه) [3] .

وكذلك فإنه لن يستطيع تحقيق الصحة النفسية لتلميذه إلا إذا نظم المواقف التعليمية تنظيمًا يسمح للتلميذ باستغلال قدراته وإمكاناته ، إلى أقصى حد ممكن ، دون أن يشعر بالعجز والنقص ، ودون أن يفقد ثقته في نفسه ، ويكون ذلك حين لا يتطلب الموقف التعليمي من المتعلم أن يصل إلى مستوى من التعلم يفوق استعداداته ، ومن هنا كان تحذيرهم للمعلم من تكليف التلميذ ما لا يستطيع أداءه أو أن (يلقى إليه ما لم يتأهل له ، لأن ذلك يبدد في ذهنه ويفرق فهمه) [4] .

ومن مسئولياته كذلك أن يراقب دائمًا أداء تلاميذه فربما تطلع بعضهم إلى الوصول إلى أهداف تقف دونها قدراته ، فيصاب بالاختناق وينعكس ذلك على صحته النفسية ويولد إحساسه بالعجز ، فإذا (سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله أو تحمله طاقته.. أوصاه بالرفق بنفسه .. ولا يشير على الطالب بتعلم ما لا يحتمله) [5] .

ونبه المفكرون المسلمون إلى أن الجو المفعم بالمنافسة الضارة غير الموجهة توجيهًا صحيحًا من العالم يترك آثاره الضارة على صحة المتعلم النفسية ، إذ تُخْرِجُ المنافسةُ الضارة سلوكَهُ عن طبيعته العادية ، لما تثيره من أحقاد وأضغان ، وبما تفجره من انفعالات الغضب والرغبة في إلحاق الضرر بالآخرين ، وقد حذروه من استخدام المنافسة

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣.
(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٣) المصدر السابق:ص٤٩.
(٤) المصدر السابق:ص٥١.
(٥) المصدر السابق:ص٥٥.

الضارة وسيلة من وسائل إثارة الحوافز للمتعلم ، فـ (لا يليق بأهل العلم تعاطي المناقشة والشحناء ، لأنها سبب العداوة والبغضاء) [1].

ولآثار الانفعالات الضارة على المتعلم حث المفكرون المسلمون العالم على أن يضطلع بمسئوليته في التخفيف من تأثير هذه الانفعالات ؛ فالمتعلم (إن كان في غم خفض عليه) [2] ، (وإن كان فيما يحتاج إليه فيه أعانه) [3] .

-طرح الأسئلة على الطلبة :

يرى علماء النفس أن معرفة المتعلم لمدى تقدمه من أقوى دوافع التعلم ، وأن معرفة النتائج تساعد على تحقيق تعلم جيد ، بل قد تكون وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها ، فهي تعين المتعلم على تصحيح استجاباته الخاطئة ، وعلى تكرار الاستجابات الناجحة وحدها ، كما أنها تجعل العملية التعليمية أكثر تشويقًا ؛ لأن الميل إلى أداء عمل يأخذ في الفتور بمرور الزمن عادة ، ومعرفة مدى التقدم تنشط الميل إن كان قد أخذ يفتر ، هذا إلى جانب أن معرفة المتعلم بمدى تقدمه تحمله على منافسة نفسه وغيره ، بأن يعمل على أن ينبه نفسه أو غيره ، أما الجهل بنتائج التعلم فقد يلقي في روع المتعلم أنه قد وصل إلى الذروة فلا يبذل جهدًا في سبيل التقدم والتحسن ، أو يلقي في روعه أنه لا يتقدم فتفتر حماسته [4] .

ولقد سبق المفكرون المسلمون في التأكيد على ضرورة أن يقف المتعلم على نتائج تعلمه بصورة مستمرة ؛ لأن ذلك يحمله على زيادة تحصيله واستمرار حماسه ، وما سبق بيانه من آرائهم المتعلقة ببيان أثر المرح أو التأنيب أو الثواب أو العقاب يمكن أن تُفَسَّرَ على أنها اختبارات لمعرفة أثر إخطار المتعلم بنتيجة تعلمه .

وقد عرضوا للوسائل التي يمكن بها التعرف على ما تعلمه التلاميذ ، والمدى الذي وصلوا إليه في تقدمهم وتعلمهم ، ومن ثم يمكن للمعلم إرشادهم ، وتوجيه العملية التعليمية توجيهًا سليمًا .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٠.

(٢) المصدر السابق:ص٦٢.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) د.أحمد عزت:أصول علم النفس،المكتب المصري،القاهرة،١٩٧٠م،ط٢،ص٢٣٠،٢٣١.

ومن أهم هذه الوسائل : الاختبارات والامتحانات التي يقوم بها العالم بين الحين والآخر كأن (يطالب الطلبة في بعض الأوقات بإعادة المحفوظات ، ويمتحن ضبطهم لما قدم لهم من القواعد.. ويختبرهم بمسائل) [1] ، أو (يطرح مسائل على الطلبة يمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح) [2] ، أو أية وسيلة أخرى يراها مناسبة للوقوف على مدى تقدمهم وتحصيلهم ، ثم يخطر المتعلمين بنتائج التعلم، ويجعل ذلك نوعًا من المكافأة (فمن رآه مصيبًا في الجواب -ولم يخف عليه شدة الإعجاب- شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد في طلب ازدياد ، ومن رآه مقصرًا -ولم يخف نفوره- عنفه على قصوره ، وحرضه على علو الهمة ونيل المنزلة في طلب العلم ، ولا سيما إن كان ممن يزيده التعنيف نشاطًا والشكر انبساطًا) [3] ، وبذلك يكتشف في الوقت المناسب مدى تقدم تلاميذه في التعلم ، ومدى تحقيق التعلم لأهدافه أو أغراضه ، وفي نفس الوقت يدفع تلاميذه -بمعرفتهم لنتائجهم- إلى مزيد من العمل والاجتهاد ، وقد (دلت التجارب الكثيرة على أن لمعرفة الشخص لنتيجة عمله وللدرجات التي يحصل عليها ... تأثيرًا كبيرًا في سرعة التعلم واكتساب المهارة ، أما إذا تمرن الشخص على شيء دون أن يكون له علم نتيجة عمله ودون أن يعرف ما إذا كان مصيبًا أم مخطئًا فإنه لا يُظْهِرُ بعد مدة طويلة من التمرين أي تحسن ملموس ، ويصبح التمرين كأنه مجهود ضائع لا جدوى منه) [4] .

ومن اللافت للنظر في العبارة السالفة ، أن أثر معرفة النتائج تسهل عملية التعلم ، وتجعلها أفضل ، في حالة كونها إخطارًا نوعيًا للمتعلمين ، بأن يقف كل تلميذ على نتيجة عمله ، ويراعي العالم في إخطار التلاميذ بنتائجهم نوعياتهم وطبائعهم ، فليس لمعرفة النتائج في كل الحالات أثرها الإيجابي في تحسين عملية التعلم ، ولكن يكون الإخطار

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع، مصدر سابق، ص٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص٥٣.

(٣) المصدر السابق: ص٥٤، ٥٥.

(٤) د. محمد عثمان نجاتي: علم النفس في حياتنا، دار القلم، الكويت، ط٧، ١٩٧٧م، ص١٧٥، ١٧٦.

بنتيجة التعلم جيد الأثر ، طيب النتيجة عند (من يزيــــده التعنيــف نشــاطًا والشــكر انبساطًا) [١] .

ولقد أوضح المفكرون المسلمون أن الاختبارات والامتحانات التي يجريها المعلمــون ليست هدفًا في حد ذاتها ، بل هي في الواقع وسائل توجه عملية التعليم -بما تسفر عنه مــن نتائج- وجهتها الصحيحة ، فيما يختبر المعلم حالة تلميذه ، فإن كانت استجاباته خاطئــة فيهيبون بالمعلم أن يعيد تقويم العملية التعليمية بأبعادها المختلفة ، فإن كانت اســتجابات المتعلم خاطئة بسبب طريقة التعليم التي يستخدمها المعلم فعليه أن يعتمد علــى (ســهولة الإلقاء في تعليمه ، وحسن التلطف في تفهيمه ، لاسيما إذا كان أهلاً لذلك لحسن أدبــه وجودة طلبه) [٢] .

وإذا كانت استجابات المتعلم الخاطئة بسبب تقدير غير صحيح لإمكاناته وقدراتــه ، وتحميل نفسه فوق طاقتها لبلوغ أهداف تقصر دونها استعداداته ، فعلى المعلم أن يخــبره بنتائج تعلمه ، ثم يرشده إلى وسائل تصحيح أخطائه وتحديد مستوى للطموح يتناســب وقدراته ، يقول ابن جماعة : (إذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيــه حالــه أو تحمله طاقته.. أوصاه بالرفق بنفسه.. مما يحمله على الأناة ، والاقتصاد في الاجتــهاد.. ولا يشير على الطالب بتعلم ما لا يحتمله فهمه أو سنه ، ولا بكتــاب يقصــر ذهنــه عنــد فهمه) [٣] ، بل إن على المعلم إذا أوقفته نتائج الاختبارات والامتحانات علــى قصــور استعداد المتعلم عن تحقيق تقدم ملموس في علم من العلوم ، أو فن من الفنون الــتي أراد أن يتخصص فيها أن يبادر بإرشاد المتعلم إلى ما يصلح لتعلمه ، مما يتلاءم مع قدراتــه ، وإلى نوع الخبرات التعليمية التي يكون مستعدًا لها ، فذلك من أهم واجباته ، فإذا علم المعلــم أن التلميذ (لا يفلح في فن أشار عليه بتركه ، والانتقال إلى غيره مما يرجى فيه فلاح) [٤] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٥٤،٥٥.

(٢) المصدر السابق:ص٥١.

(٣) المصدر السابق:ص٥٥،٥٦.

(٤) المصدر السابق:ص٥٧.

وعلى الرغم من أن المفكرين المسلمين يوجبون على العالم أن يقف بوسائله المختلفة على مدى تقدم تلميذه في تعلمه ثم يخطره بالنتائج ، فإنهم دعوا المتعلم-في نفس الوقت- إلى أن يقف بنفسه -لا بطريق معلمه- أيضًا على نتائج تعلمه ، ومقدار ما وصل إليه من تقدم بعملية تقويم ذاتي ، فذلك في رأيهم يجعل المتعلم يُكَيِّفُ تعلمه بما يتفق وقدراته ، ومن ثم يحقق التعليم بالنسبة له أهدافه المنشودة ، ولكي يحقق المتعلم هذا فعليه (أن يصحح ما يقرؤه قبل حفظه تصحيحًا متقنًا إما على الشيخ أو على غيره ممن يعينه ، ثم يحفظه بعد ذلك حفظًا محكمًا ، ثم يكرر عليه بعد حفظه جيدًا ، ثم يتعاهده في أوقات يقررها لتكرار مواضيعه) [1] ، وهو بهذه المعاهدة يتأكد من ثبات محفوظاته وتفهمه لها ، فإن غاب عنه شيء أعاد حفظه ، وإن التبس عليه شيء منها (فله أن يسأل الشيخ إعادته وتفهيمه ، بعد بيان عذره بسؤال لطيف) [2] .

وإن ثبت لديه أنه لم يحقق بتعليمه ما كان يأمله من نتائج ، قَوَّمَ بنفسه عملية تعلمه ، ويبحث عن الأسباب التي حالت دون تحقيق أهدافه ، فإن رأى السبب في سوء تقديره لاستعداداته وقدراته ؛ عدل من مسار تعلمه بأن (يأخذ من الحفظ والشرح ما يمكنه ويطيقه حاله ، من غير إكثار يمل ولا تقصير يخل بجودة التحصيل) [3] ، وإن كان السبب هو عدم اهتمامه وانشغاله أثناء تعلمه وانصراف ذهنه عن معلمه ؛ كان عليه أن (يُصغي إلى الشيخ ، ناظرًا إليه ، ويقبل بكليته عليه منفعلا لقوله) [4] ، وإن كان السبب هو عدم حصر ذهنه وتركيز انتباهه أثناء مذاكرته ومراجعاته لدروسه ؛ فإن عليه أن (يعطي الكتاب الذي يقرؤه ، أو الفن الذي يأخذه كليته حتى يتقنه) [5] ، إلى غير ذلك من أسباب يتعرف عليها ثم يعالجها في حينها .

وهكذا يؤدي وقوف المتعلم على نتائج تعلمه ، وعلمه بمدى تقدمه إلى المبادرة بتصحيح أخطائه أو الإقلال منها ، والإفادة قدر المستطاع .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٢٢.

(٢) المصدر السابق:ص١٠٦.

(٣) المصدر السابق:ص١١٧،١١٨.

(٤) المصدر السابق:ص٩٧.

(٥) المصدر السابق:ص١١٧،١١٨.

تجنيب إيقاع الطالب في الكذب :

(إن الطالب ربما استحيا من قوله لم أفهم إما لرفع الإعادة على الشيخ أو لضيق الوقت أو حياء من الحاضرين أو كي لا تتأخر قراءتهم بسببه) [1]

ولذا فعلى العالم أن يسأل الطلاب عقب شرح كل فكرة حتى يتأكد بفراسته وخبرته من فهم التلاميذ لها ، فـ (يطرح عليه مسائل ... فإن سأله الشيخ عن فهمه فقال نعم فلا يطرح عليه المسائل بعد ذلك إلا أن يستدعي الطالب ذلك لاحتمال خجله بظهور خلاف ما أجاب به) [2] .

ويرى المفكرون المسلمون أن طرح العالم للأسئلة بين آن وآخر خلال عرضه يعد مؤشرًا جيدًا للتأكد من متابعة الطلاب ومدى فهمهم للدرس ، ذلك لأن (المعنى بطرح السؤال أن الطالب ربما استحيا من قوله لم أفهم إما لرفع كلفة الإعادة على الشيخ أو لضيق الوقت أو حياءً من الحاضرين أو كيلا تتأخر قراءتهم بسببه) [3] ، ومن هنا كان على المعلم أن يسأل تلاميذه أثناء عرضه للدرس .

ولا يكفي للتعرف على فهم التلاميذ سؤالهم : هل فهموا أم لا ؟ فربما أجابوا بأنهم قد فهموا حياءً أو خوفًا ، وهم في الحقيقة لم يفهموا ، ومع ذلك (لا ينبغي للشيخ أن يقول للطالب : هل فهمت إلا إذا أمن من قوله نعم قبل أن يفهم ، فإن لم يأمن من كذبه لحياء أو غيره فلا يسأله عن فهمه لأنه ربما وقع في الكذب بقوله نعم) [4].

موقف العالم من إجابات الطلاب :

إذا كان نجاح الدرس يتوقف إلى حد كبير على مشاركة التلاميذ الإيجابية في الدرس عن طريق الأسئلة والمناقشة والمباحثة والاستفسار ، فكذلك يتوقف نجاحه إلى حد كبير أيضًا على حسن استقبال المعلم لإجابات التلاميذ على أسئلته التي يوجهها إليهم .

ومن المستحسن من العالم عند تلقيه لأجوبة تلاميذه على أسئلته :

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٣.
(٢) المصدر السابق:ص٥٤.
(٣) المصدر السابق:ص٥٣.
(٤) المصدر السابق:ص٥٣،٥٤.

١-أن يبادر فيظهر استحسانه للطالب المصيب في إجابته ، وقد سبق أن ذكرنا في الحديث عن مبدأ المكافأة أن استحسان المعلم لإجابة تلميذه وثنائه عليه ، يدفعه إلى مزيد من النجاح ، ويقوي رغبته في التحصيل ، ويثبت ما تعلمه ، كما يبعث هذا الاستحسان بمجتمع الطلاب على الاجتهاد سعيًا للحصول على تقدير المعلم الذي هو مصدر أساسي للتدعيم ، (فمن رآه مصيبًا في الجواب ، ولم يخف عليه شدة الإعجاب شكره وأثنى عليه بين أصحابه ليبعثه وإياهم على الاجتهاد) [1].

٢-أن لا يسارع بتعنيف المخطئ في إجابته عن أسئلته أو لومه أو عقابه ، بل عليه أن يتساءل أولاً عن أسباب خطئه ، فربما كان السبب أن الطالب (لم يسمع كلام الشيخ لبعده أو لم يفهمه) [2] ، فإن كان الأمر كذلك (تلطف في إعادته (أي السؤال) له) [3] .

وإن كان السبب هو انشغال الطالب عن الدرس وعدم متابعة المعلم نبهه المعلم إلى خطئه (بنصح وتلطف لا بتعنيف وتعسف) [4] ؛ مبينًا له أهمية أن (يصغي إلى الشيخ ، ناظرًا إليه ، ويقبل بكليته عليه متعقلاً قوله) [5] ، وضرورة أن يكون (ذهنه حاضرًا في كل وقت ، بحيث إذا أمره بشيء أو سأله عن شيء أو أشار إليه لم يحوجه إلى إعادته ثانيًا ، بل يبادر إليه مسرعًا) [6] .

٣-أن يتيح العالم لتلميذه فرصة مناقشة آراء زملائه ، والإجابة عن ما يعرف من أسئلتهم ، فعلى الرغم من أن المفكرين المسلمين استحبوا من الطالب (أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة ، و جواب سؤال) [7] ، فإنهم استحسنوا من المعلم أن يطلب من التلميذ الإجابة عن أسئلة غيره ومناقشتها ، (فإن عرض الشيخ عليه ذلك

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٤.
(٢) المصدر السابق:ص١٠٦.
(٤) المصدر السابق:ص٥٣.
(٤) المصدر السابق:ص٥٠.
(٥) المصدر السابق:ص٩٧.
(٦) المصدر السابق:ص١٠٧.
(٧) المصدر السابق:ص١٠٦.

من التلميذ الإجابة عن أسئلة غيره ومناقشتها ، (فإن عرض الشيخ عليه ذلك ابتداءً والتمسه منه بلا بأس) [1] .

-موقف العالم من أسئلة الطلبة له :

تحمل أسئلة التلاميذ للمعلم أهمية خاصة عند المفكرين المسلمين ، فهي بقدر ما تدل على إيجابية التلاميذ ومشاركتهم في الدرس ، فهي ضرورية أيضًا لفهم التلاميذ عن طريق استفساراتهم عما لا يفهمون ، وللمعلم موقف من هذه الأسئلة يمكن توضيحه في الآتي :

١-لابد أن يتيح المعلم الفرصة في درسه ليوجه الطلاب أسئلتهم إليه ، ويشجعهم على ذلك ، ويرى المفكرون المسلمون أن خير وسيلة لتشجيع الطلاب على المناقشة وتوجيه الأسئلة هي تواضع المعلمين لهم ، وحسن معاملتهم ، وإظهار المودة لهم ، فإن الطالب إذا استشعر حب معلمه وشفقته عليه كان ذلك (أشرح لصدره ، وأطلق لوجهه، وأبسط لسؤاله) [2] ، ولذا دعوا المعلم إلى (أن يتواضع مع الطالب وكل مسترشد سائل) [3] .

وعلى العالم أن يعود تلميذه بكافة الوسائل والطرق (أن لا يستحي من سؤال ما أشكل عليه وتفهم ما لم يتعقله) [4] ، وتلك قاعدة هامة ، أكدوا عليها كثيراً ، يقول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- : (من رق وجهه رق علمه ، وقد قيل من رق وجهه عند السؤال ظهر نقصه عند اجتماع الرجال ، وقال مجاهد : لا يتعلم العلم مستحي) [5] .

٢-على العالم أن يسمع السؤال من أي أحد من تلاميذه ؛ دون أن يفرق بينهم في ذلك ، ولا يمنع أحدًا منهم من مناقشته ، فواجب المعلم أن (يسمع السؤال من مورده على وجهه وإن كان صغيرًا ، ولا يترفع عن سماعه فيحرم الفائدة) [6] ، وعليه أن يخص من يكلمه أو

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٠٦.
(٢) المصدر السابق:ص٦٥.
(٣) المصدر السابق:ص٦٢.
(٤) المصدر السابق:ص١٥٦.
(٥) المصدر السابق:ص١٥٧.
(٦) المصدر السابق:ص٤٢.

يسأله أو يبحث معه .. بمزيد من التفات إليه وإقبال عليه وإن كان صغيرًا ، فإن ترك ذلك من أفعال المتجبرين المتكبرين) [(١)] .

٣-وعلى العالم أن يؤكد على الأسئلة ذات الأهمية للدرس وللتلاميذ ، فكثيرًا ما يسأل التلميذ عن أشياء تخرج عن موضوع الدرس ؛ الأمر الذي يؤدي إلى تفريق أذهان الطلاب وتشتيت انتباههم ؛ لذا ينبغي عليه أن يعوِّد تلاميذه أن (لا يسأل عن شيء في غير موضعه إلا لحاجة) [(٢)] .

وكثيرًا أيضًا ما يسأل بعض التلاميذ عن أمور أو أشياء لم ينضجوا أن يتأهلوا لمعرفة حقائقها أو فهم مضامينها ، ولذا فعلى العالم (إن سأله طالب شيئًا من ذلك لم يجبه ، ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأن منعه إياه لشفقة عليه ، ولطف به ، لا بخلاً عليه ، ثم يرغبه عند ذلك في الاجتهاد والتحصيل ليتأهل لذلك) [(٣)] .

وقد يسأل بعض التلاميذ أسئلة يعرفون الإجابة عليها ، إضاعةً للوقت ، وينبغي أن يكون العالم قادرًا على معرفة ذلك ، وقد حذروا العالم من هذا النوع من الأسئلة ، فـ(لا ينبغي للطالب أن يكرر سؤال ما يعلمه ، ولا استفهام ما يفهمه ، فإنه يضيع الزمان ، وربما أضجر الشيخ) [(٤)] ، و إذا أدرك العالم أن قصد الطالب في ضياع الوقت بهذه الأسئلة فلا يجيبه ، بل ربما عاقبه على ذلك ، وقد (كان بعض المشايخ لا يعيد لمثل هذا إذا استعاده ويزيد عقوبة له) [(٥)] .

وقد يلجأ بعض التلاميذ إلى المماراة والجدل بعد بيان الحقيقة ، وهنا ينبغي أن يتعرف العالم على مثل هذه الأسئلة ، ويقف على مراد التلاميذ منها ومن ثم (يُذَكِّر

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٣٤.

(٢) المصدر السابق: ص١٥٧.

(٣) المصدر السابق: ص٥١، ٥٢.

(٤) المصدر السابق: ص١٠٦.

(٥) المصدر السابق: نفس الصفحة.

الحاضرين بما جاء في كراهية المماراة ولاسيما بعد ظهور الحق) (١) ، وعليه أن (يزجر من تعدى .. أو ظهر منه لدد) (٢) .

٤-ينبغي للعالم أن يعين الطالب على صياغة سؤاله بطريقة صحيحه إن عجز الطالب عن ذلك ، ويساعده على التعبير عما يريد بسؤاله وإيضاح مراده ، فبمجرد أن يقف المعلم على مقصود الطالب بالسؤال ، ويظهر له عجزه عن التعبير عنه بادر إلى مساعدته وإعانته ، (إذا عجز السائل عن تقرير ما أورده ، أو تحرير العبارة فيه لحياء أو قصور ، ووقع (أي المعلم) على المعنى ، عبر عن مراده ، وبين وجه إرادته.. ثم يجيب بما عنده أو يطلب ذلك من غيره) (٣) .

٥-ولابد للعالم من إتاحة الفرصة الكاملة لتلاميذه كي يناقشوه ويباحثوه ، وعليه أن يلتزم العدل في مناقشتهم ، والإنصاف في مباحثتهم ، وحري به أن (يلازم الإنصاف في بحثه وخطابه) (٤) ، ولا بأس أن يتراجع عن قوله ورأيه ، إذا وجد الصواب مع تلميذه ، وسيكون مخطئاً إذا أصر (على قول أو دليل لم يظهر له ، أو على خلاف الصواب.. فإن العصمة في البشر للأنبياء صلى الله عليهم وسلم) (٥) ، ولقد (كان جماعة من السلف يستفيدون من طلبتهم ما ليس عندهم) (٦) .

٦-وينبغي أن لا يترفع عن الاعتراف بعدم استطاعته الإجابة على بعض أسئلة تلاميذه فإن ذلك أولى وأحق من أن يجيب تلاميذه بغير علم ، فالعالم (إذا سئل عن ما لم يعلمه ، قال : لا أعلمه ، ولا أدري ، فمن العلم أن يقول لا أعلم وعن بعضهم : لا أدري نصف العلم وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- : إذا أخطأ العالم "لا أدري" أصيبت مقاتله) (٧) .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٠.
(٢) المصدر السابق:ص٤١.
(٣) المصدر السابق:ص٤٢.
(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٥) المصدر السابق:ص١٠١،١٠٢.
(٦) المصدر السابق:ص٢٩.
(٧) المصدر السابق:ص٤٢.

وهو إذا خدع طلابه بإجابات خاطئة خشية أن يتهم بقلة العلم ، أو يوصف عندهم بالجهل ، يوقع نفسه في أشد الحرج فقد (يشتهر خطؤه بين الناس فيقع فيما فر منه ، و يتصف عندهم بما احترز عنه) [1] ، إن اعتراف العالم بعدم استطاعته إجابة بعض أسئلة تلاميذه وقوله (لا أدري لا يضع من قدره كما يظنه بعض الجهلة ، بل يرفعه لأنه دليل على عظم محله ، وقوة دينه ، وتقوى ربه وطهارة قلبه ، وكمال معرفته وحسن تثبته) [2] .

٧-على العالم أن يعود تلاميذه أدب السؤال ، وقد رأى المفكرون المسلمون أن من ذلك (أن يحسن الطالب خطابه مع الشيخ بقدر الإمكان) [3] ، وأن (يتحفظ من مخاطبة الشيخ بما يعتاده بعض الناس في خطابه ، ولا يليق خطابه بمثل إيش بك ، وفهمت ، وسمعت ، وتدري يا إنسان ، ونحو ذلك ، وكذلك لا يحكي له ما خوطب به غيره مما لا يليق خطاب الشيخ به ، وإن كان حاكيًا ، مثل ما قال فلان لفلان : أنت قليل البر ، أو ما عندك خير وشبه ذلك) [4] ، وإذا لم يفهم الطالب شيئًا في الدرس (فله أن يسأل الشيخ إعادته ، وتفهيمه ، بعد بيان عذره بسؤال لطيف) [5] ، (وينبغي أن لا يخاطب شيخه بتاء الخطاب وكاف ، ولا يناديه من بعد ، بل يقول : يا سيدي ويا أستاذي) [6] .

٨-كما ينبغي للطالب أن (يكون مستفهمًا للجواب سائلاً بحسن أدب ولطيف عبارة) [7] ، فإذا أجاب المعلم سؤاله (ينبغي أن لا يقصر في الإصغاء والتفهم ، أو يشغل ذهنه بفكر أو حديث ثم يستعيد الشيخ ما قاله لأن ذلك إساءة أدب ، بل يكون مصغيًا لكلامه حاضر الذهن لما يسمعه من أول مرة) [8] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٣.
(٢) المصدر السابق:ص٤٢،٤٣.
(٣) المصدر السابق:ص١٠١.
(٤) المصدر السابق:ص١٠٢.
(٥) المصدر السابق:ص١٠٦.
(٦) المصدر السابق:ص٨٩.
(٧) المصدر السابق:ص١٩٤.
(٨) المصدر السابق:ص١٠٦.

كذلك فإن من الأدب إذا سئل أحد التلاميذ من زملائه سؤالاً أو طلب شرح أمر غمض عليه فيجب عليه (أن لا يسبق الشيخ إلى شرح مسألة أو جواب سؤال.. ولا يساوقه فيه ، ولا يظهر معرفته به أو إدراكه له قبل الشيخ ، فإن عرض الشيخ عليه ذلك ابتداءً والتمسه فلا بأس ، وينبغي أن لا يقطع على الشيخ كلامه.. بل يصبر حتى يفرغ الشيخ من كلامه ثم يتكلم ، ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث ، أو يتحدث معه ، أو مع جماعة المجلس) [١] ، وإذا سأل الطالب معلمه سؤالاً وأجاب المعلم إجابة لم تقنع الطالب ، أو رآها خاطئة (لا يقول لما رآه الشيخ وكان خطأ هذا خطأ ، ولا هذا ليس برأي ، بل يحسن خطابه في الرد إلى الصواب ، كقوله يظهر لي أن المصلحة في كذا ، ولا يقول الرأي عندي في كذا وشبه ذلك) [٢] .

إن مثل هذه الآداب المتعلقة بالمخاطبة في السؤال ضرورية لنجاح الدرس ، بل وفي كل مجال يلزم فيها استخدام السؤال .

الحرص على معرفة أسماء الطلبة وأنسابهم وبلدانهم :

يرى المفكرون المسلمون أن معرفة العالم بتلاميذه من أهم عومل نجاحه في عمله ، وتوفيقه في أداء رسالته ، فقد رأوا أنه من الضروري له أن يعرف تلاميذه ، يعرفهم بوجوههم ويسميهم بأسمائهم ، ويعرف أنسابهم وبلدانهم وأسرهم ، وبالجملة يعرف جميع أحوالهم ، وفي ذلك يقول ابن جماعة : (ينبغي أن يستعلم أسماءهم وأنسابهم ومواطنهم وأحوالهم) [٣] ؛ إذ بهذه المعرفة يمكنه أن يوجه عملية التعليم وجهتها الصحيحة .

لكنه إذا عرف تلاميذه على هذا النحو ، أي عرف أسماءهم وأنسابهم وبلدانهم قد لا يكون من السهل عليه أن يعاملهم فرداً فرداً بحسب ما يلائم كلاً منهم ، وتلك حجة غير كافية عند المفكرين المسلمين ، إنهم يرجون من العالم أن يقترب من تلاميذه وأن يخبرهم فرداً فرداً ، ويضعون أمامه حقيقة لم تعد الآن موضع شك وهي أن (كل متعلم فريد في نوعه) .

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٠٦،١٠٧.

(٢) المصدر السابق:ص١١٢.

(٣) المصدر السابق:ص١٩٨-٢٠١.

-السؤال عن الغائبين وعيادة المرضى :

ويضرب المفكرون المسلمون مثلاً رائعًا لاتصال العالم بالحياة الاجتماعية اتصالا مباشرًا ، مما يدل على إيمان بدور العالم الاجتماعي ، وذلك بعقد أمتن الروابط وأقوى الصلات الاجتماعية بينه وبين تلاميذه ، وذلك بزيارتهم في منازلهم ، والتعرف على أهليهم وأسرهم ، وعيادتهم في مرضهم ، وقضاء مصالحهم حين يحتاجون إليه ، يقول ابن جماعة : (وإذا غاب بعض الطلبة ، أو ملازمو الحلقة زائدًا عن العادة ، سأل عنه وعن أحواله ، وعن من يتعلق به ، فإن لم يخبر عنه بشيء ، أرسل إليه ، أو قصد منزله بنفسه ، وهو أفضل ، فإن كان مريضًا عاده ، وإن كان في غم خفض عليه) (١) .

-الاهتمام بأهل المسافرين والسؤال عن أحوالهم :

وإن كان الطالب مسافرًا فيستحب للعالم أن يتفقد أهله ، ومن يتعلق به ، ويسأل عنهم وعما يحتاجون إليه ، وقضائه لحوائجهم إن أمكن له ذلك ، يقول ابن جماعة : (وإن كان مسافراً تفقد أهله ومن يتعلق به ، وسأل عنهم وتعرض لحوائجهم ، ووصلهم بما أمكن ، وإن كان فيما يحتاج إليه فيه أعانه ، وإن لم يكن شيء من ذلك تودد إليه ودعا له) (٢) ، وبذلك وغيره يشارك العالم في الحياة الاجتماعية ، ويسهم بفعالية في إصلاح حياة الناس وأحوال مجتمعهم .

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٦٢-٦٣.

(٢) المصدر سابق:ص٦٢-٦٣.

الفصل الثالث

آداب العالم مع أقرانه

إن العالم المعلم عضو يعمل مع فريق من الزملاء ، في مؤسسة تعليمية وتربوية ، قد تكون جامعة ، أو معهداً ، أو مدرسة ، أو غيرها ، ويتحملون معاً مسؤولية تعليم وتربية الطلاب والتلاميذ ، ويتم خلال ذلك التعامل والاحتكاك بين زملاء العمل ، ولابد أن يخاط هذا الاحتكاك ، وذلك التعامل بسياج من الآداب والشروط والقيود ، التي تجعله لا يخرج عن السلوك المقبول والمستحب ، ولهذا فقد أولى المفكرون المسلمون علاقة العالم مع أقرانه وزملائه اهتماماً خاصاً ، لما لها من تأثير كبير على نجاح عملية التعليم ، وشيوع روح المحبة والتعاون بين الزملاء في العمل .

وقد تناول المفكرون المسلمون بالبحث العديد من هذه الآداب ، كان من أهمها :

- الاحترام المتبادل :

فمن المهم جداً أن يحترم العالم زملاءه وأقرانه ، ويحترم آراءهم ويقدرها ، ولا ينتقص من قدرهم ، ويعطي كل ذي قدر قدره ، وينزل الناس منازلهم ، وقد ضرب علماء السلف أروع الأمثلة لهذا الأدب الرفيع ، فهذا الشعبي يقول : (صلى زيد بن ثابت على جنازة ، ثم قُرِّبتْ له بغلة ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه ، توقيراً وتعظيماً لعلمه وفضله ، فقال له زيد : خَلِّ عنك يا ابن عم رسول الله ﷺ ، فقال ابن عباس : هكذا نفعل بالعلماء والكبراء) (١) ، فهذا نموذج لما ينبغي أن يكون عليه الزملاء من الاحترام والمودة والتقدير ، يقول الربيع بن سليمان : (والله ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر إلي هيبة له) (٢) .

ولا شك أن الاحترام المتبادل بين الزملاء يقوي الروابط بينهم ، ويشيع فيهم روح التعاون ، والعكس صحيح .

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٥٥.

(٢) النووي:مقدمة المجموع،مكتبة الصحابة،طنطا،١٩٨٧م،ط١،ج١،ص٦٦.

النصيحة أدب عظيم من آداب الدين ، جاءت الشريعة بالأمر به والاهتمام بشأنه ، وكان من أهم الصفات التي أضفاها القرآن الكريم على أنبياء الله ورسله أنهم لأقوامهم ناصحون مبلغون ما أرسلهم الله به ، وفي ذلك قوله تعالى : ﴿ يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم ﴾ (١) ، وقد وعى الصحابة رضي الله عنهم أن من أهم وظائف الرسالة وأعظمها النصح ، فلما استنطقهم ﷺ بذلك في خطبة الوداع فقال : (أيها الناس إنكم مسؤولون عني ، فما أنتم قائلون؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت) (٢) ، وقد كان هذا مقتضى أمره تعالى : ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ (٣) ، وقد حض الرسول ﷺ أمته على ذلك الخلق العالي الرفيع في مواطن عديدة ، وجعل قوام الدين وعموده مبنيا عليه فقال ﷺ : (الدين النصيحة : لله ، ولكتابه ، ولرسوله، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم) (٤) ، وجاء في بعض الروايات أن (النصيحة رأس الدين) (٥) ، ولهذا يرى الإمام النووي أن هذا الحديث العظيم شأنه من الأحاديث التي عليها مدار الإسلام (٦) .

ولقد كان مما يبايع عليه في الصدر الأول من الإسلام (النصح) لكل المسلمين ، وقد اقترنت البيعة على النصح بالصلاة والزكاة كما في حديث جرير بن عبد الله قال : (بايعت النبي ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) (٧) ، وهذا إن دل على شيء فعلى مدى الأهمية الكبرى التي يتمتع بها هذا الأدب ضمن الآداب الإسلامية الكثيرة ، وإذا كانت النصيحة واجبة في حق كل مسلم فإن من أعظم الحالات وجوبا ما يكون بين العلماء من تناصح في الله ، فمن شأن ذلك أن تستقيم الحياة العلمية علما وعلماء ، ولهذا فقد تواترت الآثار في شأن نصيحة العلماء بعضهم لبعض بما لا يدع مجالا للشك في أن هذا الخلق

---

(١) سورة الأعراف:آية ١٦٢.

(٢) الحديث صحيح ، رواه الإمام مسلم.

(٣) سورة المائدة:آية ٦٧.

(٤) الحديث صحيح،رواه مسلم وأبو داود والنسائي.

(٥) الحديث صحيح،رواه الطبراني في الأوسط.

(٦) النووي:شرح صحيح مسلم،مرجع سابق،ج٤،ص١١٢.

قد صار من لوازم الحياة العلمية ، وأساسيات التعامل فيما بينهم ، فشملت النصيحة كل جوانب الدين والدنيا ، فمما يرويه الحافظ ابن حبان البستي عن الإمام علي ﷺ أنه قال : (محض أخاك النصيحة ؛ حسنة كانت أو قبيحة) (١) ، ومن النصائح التي تدل على معرفة أبي حنيفة بواقع الناس أنه قال في وصيته : (وإذا دخلت بلدة فيها أهل علم فلا تتخذها لنفسك ، بل كن كواحد من أهلها ، ليعلموا أنك لا تقصد جاههم) (٢) .

ولما كانت النصيحة محاطة بالتهمة كما يقول ابن حبان (٣) ، فقد رأى العلماء أن إبداءها يكون سراً ، وقد عاب ابن المبارك على أهل زمانه أنهم أصبحوا يهتكون ستر بعض فقال : (كان الرجل إذا رأى من أخيه ما يكره أمره في ستره ، ونهاه في ستره ، ... فأما اليوم فإذا رأى أحد من أحد ما يكره استغضب أخاه ، وهتك ستره) (٤) .

ولقد تنبه العلماء المسلمون إلى أن النصيحة إذا وجهت في صورة حسنة وأدت حق الأخوة فإنها تقيم بين الأقران الألفة والمحبة (٥) .

- التواضع :

التواضع باب عظيم من أبواب الآداب الإسلامية الرائعة ، وقد عرض له هذا البحث من قبل في غير ما موضع ، وهو في حق العلماء فيما يكون بينهم من أوجب الواجبات ، فهم أعلم الخلق بأنه (**ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**) (٦) ، وفي ذلك دليل على رسوخ علم هذا العالم ، وأن علمه قد آتى ثمراته في حياته ، ولا شك أن التواضع بين العلماء له من الآثار العلمية والاجتماعية والتربوية الكثير .

---

(١) ابن حبان:روضة العقلاء،مكتبة السنة المحمدية،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص١٩٤.

(٢) أبو حنيفة:وصية أبي حنيفة،مصدر سابق،ص١٦.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق:ص١٩٧.

(٥) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٦) الحديث صحيح،رواه مسلم والترمذي ، وأحمد .

وكان النبي ﷺ من أعظم المتواضعين ، وهو القائل : (إنَّ اللَّـهَ تَعَالى أَوْحَى إليَّ أنْ تَوَاضَعُوا حتَّى لا يَبْغِيَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، وَلا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ) (١) ، وعنه أخذ الصحابة هذا الأدب الجم ، ومما يؤثر في تواضع الصحابة قول عمر بن الخطاب ﵁ إن أبا بكر سيدنا وأعتق سيدنا) (٢) ، يعني بلالاً ﵁ ، وقد نص العلماء على أن ذلك في حق عمر ﵁ تواضعاً.

وقد كان هذا الأدب أحد الآداب المهمة التي نصوا على ضرورة تخلق العالم بها مع أقرانه ، يقول عبد القاهر السهروردي : (ومن وظيفة الشيخ : حسن خلقه مع أهل الإرادة والطلب ، والنزول من حقه فيما يجب من التبجيل ، والتعظيم للمشايخ ، واستعماله التواضع) (٣) ، وقد كان هذا الخلق دأب كثير من المفكرين والعلماء المسلمين ، والشواهد على ذلك كثيرة ، ومن هذه الأمثلة ما رواه القاضي عياض : (أن ابن المبارك حضر عند حماد بن زيد مُسَلِّماً عليه ، فقال أصحاب الحديث لحماد بن زيد : يا أبا إسماعيل تسأل أبا عبد الرحمن يحدثنا ؟ فقال : يا أبا عبد الرحمن حدثهم ، فقال : سبحان الله يا أبا إسماعيل ، أحدث وأنت حاضر ؟! ، قال : أقسمت لتفعلن ، فقال ابن المبارك خذوا : أخبرنا أبو إسماعيل حماد بن زيد ، فما حدث إلا بحرف إلا عن حماد ، أدباً) (٤) .

ولذلك يرى الخطيب البغدادي أن من تواضع العالم أن يدل على من كان في بلده أو بغيره على من هو أعلى إسناداً منه ، وهذا وإن دل على مدى حبه لطلبته ونشره للعلم فإنه يدل دلالة قاطعة على مدى تواضعه واعترافه بما عند الأقران من الفوائد والعلوم ، ومما يرويه الخطيب في ذلك عن حمدان بن علي الوراق قال : (ذهبنا إلى أحمد بن حنبل سنة ثلاث عشرة ، فسألناه أن يحدثنا ، فقال : تسمعون مني ومثل أبي عاصم في الحياة ؟ اخرجوا إليه) (٥) .

---

(١) الحديث صحيح،رواه مسلم.

(٢) الحديث صحيح،رواه البخاري.

(٣) السهروردي:عوارف المعارف،مصدر سابق،ص٤١٧-٤١٨.

(٤) القاضي عياض:الإلماع،مصدر سابق،ص٢٣٠.

(٥) الخطيب البغدادي،الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص ٣١٧.

ومن صور هذا التواضع بين الأقران الذي يشيع الحب والتواد في الحياة العلمية ما يرويه الخطيب -أيضاً- أن المزني جاءه رجل فقبل رأسه ، فأخذ المزني يد الرجل فقبلها ، فقالوا سبحان الله يا إبراهيم ! فقال : هذا من التطفيف ، إياكم والتطفيف) (١) .

- مساعدة الأقران ، وقضاء حوائجهم :

إن من أعظم القربات عند الله قضاء حوائج الناس وتفريج همومهم ، فمما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً ، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**) (٢) .

ولما كان العلماء هم أعلم الناس بحقيقة الدين وحقيقة الحياة الدنيا وما ينتظر العبد من جزيل العطاء في الآخرة ، كانوا هم أحرص الناس على قضاء حوائج الناس وفك كرباتهم وبخاصة حوائج وكربات أقرانهم من العلماء ، وهذا أدب عظيم يحفظ على العلماء مصداقية إيمانهم بما يقولونه ، ويجعلهم قدوة لبقية المسلمين في فعل الخيرات ، كما أنه يصون كرامة العلم والعلماء ويحفظ من تعوزه الحاجة منهم ، وقد نص المفكرون المسلمون على هذا الأدب وتحروا في كثير من تراجم علماء المسلمين أن يوردوا ما يؤكد هذا الخلق ويدعمه من الأمثلة العظيمة التي تجعل العالم المسلم يحتل مكانة ممتازة في تاريخ الإسلام ، وعن هذا الأدب يحدثنا عبد القاهر السهروردي قائلاً : (ومن آداب الشيوخ التعطف على الأصحاب وقضاء حقوقهم في الصحة والمرض ، ولا يترك حقوقهم اعتماداً على إرادتهم وصدقهم ، قال بعضهم : لا تضيع حق أخيك بما بينك وبينه من المودة) (٣) ، وكان الحسن ﷺ يقول : (قضاء حاجة أخ مسلم أحب إلي من اعتكاف شهرين) (٤) .

---

(١) الخطيب البغدادي،الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص ٣٥١.

(٢) الحديث صحيح،رواه البخاري.

(٣) عبد القاهر السهروردي:عوارف المعارف،مصدر سابق،ص٤١٨.

(٤) ابن حبان:روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، مرجع سابق،ص٢٤٧.

ولعل ما يروى في سيرة الإمام ابن المبارك ﷺ ما يكفي للدلالة على ما كان يتمتع به العالم المسلم من رحابة في نفسه ، وسخاء في كرمه ، فيحدثنا الإمام ابن الجوزي أن الإمام ابن المبارك عوتب فيما يَقري من المال في البلدان ولا يفعل في أهل بلده كذلك ، فقال : (إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق ، طلبوا الحديث وأحسنوا الطلب ، فاحتاجوا ، فإن تركناهم ضاع علمهم ، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد ﷺ ، ولا أعلم بعد النبوة من بث العلم) [1] .

-حسن مخاطبة الأقران :

من الآداب الإسلامية الراقية التي تشي عن الحس الحضاري للأخلاق الإسلامية (إلانة الكلام والبعد عن الجفاء) [2] ، ومما ورد في الكتاب الكريم من الحض على هذا الخلق قوله تعالى : ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3] ، وقد جعل رسول الله ﷺ لين الكلام من صفات الصالحين الذين يحبهم الله ﷻ كما في الحديث (**إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها ، فقال أبو موسى الأشعري : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : لمن ألان الكلام وأطعم الطعام ، وبات لله قائماً والناس نيام**) [4] ، وقد وصف ضد ذلك بأنه من صفات أهل النار فجاء في الحديث الشريف (**الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاء ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ**) [5] ، والبذاء هو الفحش في القول وسوء الخلق [6] .

ومن ثم فقد حرص العلماء المسلمون على التنبيه على أن ذلك السلوك السوي الذي يدل على حسن أخلاق صاحبه من العلماء ، ومن ذلك ما يقوله السمعاني : (وليستعمل لطيف الخطاب مع أصحابه) [7] ، وقد تفرع على هذا الأدب عدة آداب ؛ منها أن يخاطبهم

---

(١) ابن الجوزي:صفة الصفوة،دار الصفا،القاهرة،ط١، ١٤١١هـ،ص٣٣٣-٣٣٤.

(٢) الحديث صحيح،رواه أحمد في المسند عن عبد الله بن عمرو.

(٣)سورة الحجر:آية٨٨.

(٤) المباركفوري:تحفة الأحوزي،مرجع سابق،ج٥،ص١١٦، كتاب البر والصلة.

(٥) الحديث صحيح،رواه الترمذي والحاكم والبخاري في الأدب المفرد.

(٦) المباركفوري:تحفة الأحوزي،مرجع سابق،ج٥،ص١٢٢، كتاب البر والصلة.

(٧) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص٩٩.

بكناهم ، يقول البغدادي : (والمستحب أن يخاطب من خاطب منهم بكنيته دون اسمه) [1] ، ويروي في ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت:(كان ﷺ يكني أصحابه إكراماً لهم)[2] .

- الحرص على إكرام أهل العلم من الأقران :

إكرام العلماء قائم على معرفة أقدارهم التي أنزلهم الله إياها بما يحملونه من العلم ، وإنزالهم من المكانة ما يستحقون ، وتقديراً لأهمية الدور الذي يلعبونه في حياة الأمة ، ولا شك أن مراعاة ذلك الأدب الكريم بين الأقران من العلماء له من الآثار الحميدة على العلماء والمجتمع ما لا يحصى ذكره ، ولقد انتبه العلماء المسلمون إلى أهمية هذا الخلق وتحريه بين الأقران ، ومن ذلك ما يرويه الخطيب البغدادي : (قال الشيخ الإمام الحافظ أبو بكر صان الله قدره : وخدمة الفقيه أصحابه بنفسه مما يصفي منهم للمودة ، ويلقي في قلوبهم المحبة) [3] .

وقد كان النبي ﷺ هو القدوة والمثل الأعلى لهم في ذلك ، يستشهد البغدادي على هذا الخلق الكريم بموقف النبي ﷺ من وفد النجاشي ، إذ قام يخدمهم بنفسه ، فلما أراد أصحابه أن يكفوه ذلك قال ﷺ لهم : (**إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين وإني أحب أكافئهم**) [4] .

ولا أدل على تخلق العلماء بهذا الخلق الكريم بعضهم مع بعض مما كان يصنعه الإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه فـ (كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو فيقولون : نصحبك يا أبا عبد الرحمن ، فيقول لهم : هاتوا نفقاتكم ، فيأخذ نفقاتهم فيجعلها في صندوق ويقفل عليها ... ولا يزال ينفق عليهم حتى يصيروا إلى مرو ، فإذا وصلوا إلى مرو جصص أبوابهم ودورهم ، فإذا كان بعد ثلاثة أيام صنع لهم وليمة وكساهم ، فإذا أكلوا وشربوا دعا بالصندوق ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته بعد أن كتب عليها اسمه) [5] .

---

(١) الخطيب البغدادي:الفقيه والمتفقه،مصدر سابق،ج٢،ص١١٩.
(٢) المصدر السابق:ج٢،ص١١٩.
(٣) المصدر السابق:ج٢،ص١١٨.
(٤) المصدر السابق:ج٢،ص١١٨.
(٥) ابن الجوزي:صفة الصفوة،مرجع سابق،ج٢،ص٣٣٤،باختصار وتصرف يسير.

ولا شك أنه ليس بمقدور كل عالم أن يقوم بمثل هذا الدور الذي لعبه ابن المبارك -رحمه الله- فقد كان الله قد وسع له في رزقه ، وكان ينفقه بحقه ، وبخاصة على طلبة العلم والأقران والإخوان المحتاجين من المسلمين ، وكثير من العلماء لم يكن حظهم من المال كحظه ، وكرم كلٍ على حسب قدرته وطاقته ، لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، فمما يروى عن كرم العلماء بعضهم مع بعض على قدر استطاعتهم ، ما يرويه الأعمش يقول : (كنا نأتي خيثمة فيقول تناول السلة من تحت السرير ، فأتناولها وفيها خبيص ، فيقول : إني لست آكله ولكن أصنعه لكم) [1] .

ويروي البغدادي عن مجاهد أنه كان يقول للأعمش حين يأتيه : (لو كنت أطيق المشي لجئتك) [2] .

---

(1) الخطيب البغدادي:الفقيه والمتفقه،مصدر سابق،ج٢،ص١١٨.

(2) المصدر السابق:ج٢،ص١١٩.

الفصل الرابع

آداب العالم نحو مجتمعه

اهتم المفكرون المسلمون بآداب العالم التي تتعلق بالسلوك الاجتماعي ، الذي له علاقة مباشرة بالمعاملات الاجتماعية ، فالعالم كما ينبغي أن يكون صالحا في علاقته مع ربه وخالقه ، ومع أقرانه وتلاميذه ، يتعامل معهم على أساس من الإيمان والصدق ، والتمسك بتعاليم دينه ، وامتثال أوامره و نواهيه ، والالتزام بتطبيقها في واقع حياته ، فإنه يجب عليه أيضا أن يكون صالحا في سلوكه ، وأخلاقه ، وعاداته مع الناس في مجتمعه ، وفي كل وسط يتفاعل ويتعامل معه .

ويتميز العالم الجيد بقدرته على الاتصال بالحياة الاجتماعية ، وعدم اعتزال الناس ، والمشاركة في الأعمال الاجتماعية بصفة دائمة ، ذلك أن دور العالم المنوط به لا يقتصر على التعليم فقط ، بل يتسع ليشمل كثيرا من الجوانب الإنسانية والاجتماعية ، ولذا استحب المفكرون المسلمون للعالم أن ينغمس في حياة الناس ، وأن يخالطهم ، بكل ما يتطلبه ذلك الاختلاط من (معاملة الناس بمكارم الأخلاق ، من طلاقة الوجه ، وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ....والسعي في قضاء الحاجات ، وبذل الجاه في الشفاعات ، والتلطف بالفقراء ، والتحبب إلى الجيران والأقرباء) [1] ، وبكل ما تتطلبه معاملة الناس ومشاركتهم أعمالهم من (الإيثار وترك الاستيثار ، والإنصاف وترك الاستنصاف ، وشكر التفضل) [2] .

لذا وضعوا القواعد الأخلاقية التي يجب على العلماء أن يتصفوا بها تجاه المجتمع ، على النحو التالي :

-الصدق في القول والمعاملة :

إن من أهم معالم الشخصية المسلمة الصدق ، فهو منبت المكارم ، وأس الفضائل ، وفي ظلاله تحيا الحقيقة ، وتشرق العدالة ، وتطمئن الحياة ، فالإنسان الصادق شخصية محبوبة ، وحديثه مرغوب ، وكلمته لها وزنها واحترامها عند الناس ، ولشهادته مكانتها وقبولها عند الحكم والقضاء .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣.

(٢) المصدر السابق:ص٢٣.

ولا يصف القرآن الكريم شخصية الإنسان بالصدق إلا إذا استكمل كل مراتبه ، من القول والفعل والنية ، وحقق الإيمان الصادق الذي لا ارتياب معه ، والجهاد الصادق الذي لا يضن فيه بالمال أو النفس ، يقول الله عز وجل : ﴿ **إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون** ﴾ (١) .

ومن أولى الصفات والآداب السلوكية التي يجب أن يتحلى بها العالم في معاملته مع الناس والمجتمع عامة ، هي صفة الصدق في القول ، تلك الصفة التي تجعله يتحرى الحقيقة في أقواله وأعماله ، ويفي بوعوده ، ويلتزم بمواعيده ، ويجهر بقول الحق عند من يخافه ، أو عند من يرجوه على السواء ، كما تجعله هذه الصفة يحدث الناس ويفتيهم فيما يستفتونه فيه بما يعتقد أنه الحق ، ويحرص على أن تكون أقواله وأعماله مطابقة لمعتقداته وأفكاره .

ويتجنب الكذب والنفاق ، وتلبيس الحق بالباطل ، وخلط الصدق بالكذب ، وشهادة الزور ، والمبالغة في المدح ، حتى ولو كان الممدوح جديرا بالثناء ؛ لأن المبالغة في الإطراء ضرب من الكذب ، ويتجنب الكذب في المزاح ، والقول بما لا يعلم ، إلى غير ذلك من الأمور التي تترتب على تمسك العالم بصفة الصدق .

وقد حث القرآن الكريم والسنة النبوية المطهر على التمسك بهذا الخلق الرفيع ، يقول الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ (٢) ، فهذه دعوة من الله عز وجل للاستمساك بالصدق ، والانحياز إلى الصادقين ، وهذا رسول الله ﷺ يدعو إلى الصدق ، ويحذر من الكذب فيقول : (**عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدي إلى البر ، والبر يهدي إلى الجنة ، وما زال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإياكم والكذب ، فإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وما زال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا**) (٣) .

---

(١) سورة الحجرات:آية١٥.

(٢) سورة التوبة:آية١١.

(٣) الحديث صحيح ، رواه البخاري ومسلم.

ومن أهم ثمار الصدق الطمأنينة ، فالإنسان الصادق يطمئن لنفسه وإلى الناس ، كما أن الناس يطمئنون إليه ، وإلى ما يلقيه من خبر ، أو ما يشهد به من شهادة ، أو يعد به غيره ، ولا شك أن تمسك العالم بهذا الأدب ، واتصافه بهذه الصفة ، من شأنه أن يكسبه احترام الناس والمجتمع ، وكل المتعاملين معه ، ويؤدي به إلى النجاح في علاقاته الاجتماعية والعلمية ، ويرفع من شأنه ، إضافة إلى ما له من أجر عند ربه (1) .

-الوفاء بالوعد والعهد :

قرر الإسلام مبدأ الوفاء ، وأكد عليه ، فعلى ضوئه يثق الأفراد والجماعات بعضهم في بعض ، وتجري العلاقات بينهم بروح من المحبة والأخوة ، وحث الله -عز وجل- المؤمنين جميعاً على الوفاء بالوعود والعهود : ﴿ **وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم** ﴾ (2) ، وامتدح الله -عز وجل- نبيه ورسوله إسماعيل -عليه السلام- بهذه الصفة العظيمة في القرآن الكريم : ﴿ **واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً** ﴾ (3) ، والرسول الكريم ﷺ يحث على الوفاء والالتزام به (**المسلمون عند شروطهم**) (4) .

فكان من أهم ما يجب أن يتحلى به العالم من صفات ، ويتأدب به من آداب ، الوفاء بما يعطيه وما يأخذه على نفسه من وعود وعهود وشروط ، سواء بالنسبة لتلاميذه وزملائه والعاملين معه ، أو بالنسبة لمن يتعامل معهم من أفراد المجتمع كافة .

وعليه التمسك بهذا الخلق ، غير مبال بالمشاق أو التضحيات التي قد تترتب عليه ، غير منقاد لما قد يعتريه من هوى أو طمع بعدم الوفاء ؛ لأنه يؤمن بأن مصلحته الحقيقية في الدنيا والآخرة في وفائه بوعوده وعهوده ، فبذلك يقوي دعائم كرامته وشهامته و رجولته ويحافظ على سمعته بين الناس ، ويؤكد قوة عزيمته ، وقدرته على كبح جماح شهواته ونزواته .

---

(1) د.عمر التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص١٢٩،بتصرف.

(2) سورة النحل:آية٩١.

(3) سورة مريم:آية٥٤.

(4) الحديث صحيح ، رواه البخاري.

-الأمانة :

ومما يلزم العالم من آداب ، الأمانة في معاملاته مع الناس ، وفيما ينصح به ، ويوكل إليه من أمور ومسؤوليات ، وفي كل ما يكلف بحفظه والقيام به ، والإشراف عليه .

ومفهوم الأمانة في الفكر الإسلامي واسع الدلالة ، ويرمز إلى معان كثيرة ، مناطها جميعا المحافظة على حقوق الله وحقوق العباد ، ووضع كل شيء في المكان الجدير به واللائق له ، وفق شعور المرء بتبعته في كل أمر يوكل إليه ، وإدراكه الجازم بأنه مسؤول عنه أمام ربه .

والقرآن الكريم يبرز هذا الأدب والخلق ، ويدعو إليه : **﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾** [١] ، ويقول : **﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾** [٢] ، والرسول الكريم ﷺ ينفي الإيمان عن الشخص غير الأمين فيقول ﷺ : (**لا إيمان لمن لا أمانة له**) [٣] .

فالأمانة بهذا المفهوم الواسع فضيلة ضخمة ، لا يقدر على حملها إلا أقوياء النفوس العامرة قلوبهم بالإيمان ، وقد ضرب الله المثل بالأمانة لضخامتها ، فأبان أنها تثقل كاهل الوجود كله ؛ فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها ، أو يفرط في حقها ، قال تعالى : **﴿ إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾** [٤] .

وهذا أبو حنيفة يوصي أبا يوسف بقوله : (وعليك بتقوى الله-تعالى- وأداء الأمانة) [٥]

ومن معاني الأمانة الداخلة في المعنى العام حفظ حقوق المجالس التي يشارك فيها العالم ، فلا ينبغي أن يفشي أسرارها ويسرد أخبارها ، يقول الآجري : (ولا يفشي سر

---

(١) سورة النساء:آية٥٨.

(٢) سورة المؤمنون:آية٨.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد .

(٤) سورة الأحزاب:آية٧٢.

(٥) أبو حنيفة:وصية أبي حنيفة،مصدر سابق،ص١٥.

من عاداه) [1] ، ويوصي أبو حنيفة أبا يوسف قائلا : (وما رأيت على جـــارك فاســـتره عليه ؛ فإنه أمانة ، ولا تظهر أسرار الناس) [2]

-إفشاء السلام:

إن إفشاء السلام يعد من أبرز آداب الإسلام الاجتماعية ، وقد عده رســـول الله ﷺ من حقوق المسلم على المسلم ، فقال ﷺ : (حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيه فسلم عليه ..) الحديث [3] ، فالمسلم مطالب بأن يسلم على من عـــرف ومـــن لم يعـــرف ، ومكلف بأن يرد التحية بمثلها أو بأحسن منها ، ولهذا نجد المفكرين المسلمين يلفتون النظر إلى هذا الأدب ، يقول السمعاني : (وليبتدئ بالسلام لمن لقيه من المسلمين) [4] ، ولا شك أن هذا السلوك يؤدي إلى توثيق الروابط الاجتماعية بين المسلمين جميعا ، وتمكن المودة في قلوبهم ، وهي من مظاهر التواد والرحمة و العطف ، كما يؤكد هذا السلوك على تواضع العالم ، وعدم مجافاته للناس .

ويلفت المفكرون المسلمون النظر إلى ضرورة ألا يخص العالم أحدا بالسلام دون أحد بل عليه أن (يعم بالسلام كافة المسلمين حتى الصبيان غير البالغين) [5] .

- التودد إلى الأطفال وملاطفتهم:

إن اقتراب العالم من أفراد مجتمعه ، والتودد إليهم وملاطفتهم مـــن الســـلوكيات المرغوبة والآداب التي تسهم في نجاح مهمة العالم الاجتماعية ، والتأثير الإيجابي على أفـــراد مجتمعه ، كما أنه مظهر من مظاهر التواضع ، وخفض الجناح للنـــاس علـــى اختـــلاف مستوياتهم وأعمارهم ، وقد حث المفكرون المسلمون العالم على أن يتودد لأفراد مجتمعه ، بما فيهم الأطفال الصغار ، يقول ابن جماعة : (ولا بأس أن تكلـــم الأطفـــال ، وتمســـح

---

(١) الآجري:أخلاق العلماء ،مصدر سابق،ص٨٢.

(٢) أبو حنيفة:وصية أبي حنيفة،مصدر سابق،ص٢٠.

(٣) الحديث صحيح ، رواه مسلم.

(٤) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص٩٦.

(٥) المصدر السابق:ص٩٧.

رؤوسهم) (١) ، فتقبيل الصغار والحنو عليهم يغذيهم نفسيا بما يحتاجون إليه من حنان وعطف ، ولقد كان هذا الحرص نابعا من التأسي والاقتداء برسول الله ﷺ ، الذي كان يقبل الصبيان ويعطف عليهم .

- العفو عن المسيئين :

إن الله تعالى وصف عباده المتقين الذين أعد لهم الجنة بأنهم كاظمون الغيظ وعافون عن الناس ، يقول الله تعالى : **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون في الشراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾** (٢) ، والعفو عن المسيئين وستر سيئاتهم ، ومقابلتهم بالمغفرة ، وكظم الغيظ من مظاهر خلق الرحمة ، من هنا حث المفكرون المسلمون العالم على ضرورة التخلق والتحلي بهذا الأدب الرفيع ، والخلق القويم ، لما في ذلك من تحبب للناس ، واستمالة لقلوبهم ؛ ومن ثم يكون العالم أكثر تأثيرا في نفوسهم ، فالناس مجبولون على محبة من يعاملهم بالرفق واللين ، والنفور ممن يعاملهم بقسوة أو غلظة ، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في خطابه للنبي ﷺ حين قال : **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم﴾** (٣) ، من هنا كان من الضروري للعالم أن يتصف بهذا الخلق ، فهو (يعفو ويصفح ، ... كاظم للغيظ عمن آذاه) (٤) .

- القصد في الحديث وطيب الكلام وحفظ اللسان :

إن من أهم سمات الشخصية المتزنة القصد في الحديث ، فلا ينطلق لسانه بالقول في أي مجال ، ولا يقحم نفسه في حديث الناس ، وقد أعلى الإسلام من قيمة هذا الأدب ،

---

(١) أبو حنيفة:وصية أبي حنيفة،مصدر سابق،ص١٢.

(٢) سورة آل عمران:آية١٣٣-١٣٤.

(٣) سورة آل عمران:آية١٥٩.

(٤) الآجري:أخلاق العلماء ،مصدر سابق،ص٨٣.

وجعله آية على الإيمان بالله واليوم الآخر ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)** [١] .

وقد جعل المفكرون المسلمون القصد الحديث ، وطيب الكلام ، وحفظ اللسان ، وعدم الخوض فيما لا يعنيه ، والخوف من هفوات اللسان ، من آداب العالم ، واستندوا إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، قال تعالى : **﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾** [٢] ، وقال ﷺ : **(يا معاذ ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على مناخرهم في جهنم إلا حصائد ألسنتهم ، فمن كان يؤمن بالله عز وجل واليوم الآخر ، فليقل خيرا أو ليسكت عن شر، قولوا خيرا تغنموا ، واسكتوا عن شر تسلموا)** [٣] .

وحفظ اللسان والقصد في الحديث من الأخلاق التي تفرق بين الإنسان والمهذب وغير المهذب ، فالذي يستطيع ضبط لسانه وعدم الخوض في أعراض الناس ، وأن يمسك عن هتك أسرارهم والتشهير بهم بالحق وبالباطل يكون ممن عناهم رسول الله ﷺ بقوله : **(ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا البذيء)** [٤] ، فالعلماء لا ينهشون أعراض الناس ، فضلا عن أنهم يبتعدون عن فضول الكلام الذي لا فائدة فيه ولا تعويل عليه ، وخوفا من الجدال والمراء والمناقشة غير الموضوعية التي تؤول إلى الصياح والمهاترة والشتيمة [٥] ؛ لذا أوجبوا على العلماء حسن الحديث ، ولا شك أن الإنسان إذا وطن نفسه على حسن الحديث والقصد فيه سيقل خطؤه ، ويحسن قوله ، وهذا يجله محبوبا بين الناس ، لا يتبرمون منه ، ولا يستثقلون رأيه أو حديثه .

- مداراة الناس :

ركز المفكرون المسلمون على الأخلاق الاجتماعية المتصلة بعلاقة العالم بالناس ، من هنا أوجبوا على العالم أن يداري الناس حتى يرقق قلوبهم لتلقي النصيحة ، على ألا يكون

---

(١) سورة البقرة : آية ٢٦٣.

(٢) الحديث صحيح،رواه البخاري.

(٣) الحديث صحيح،أخرجه الحاكم في المستدرك.

(٤) الحديث صحيح،رواه الترمذي في البر والصلة .

(٥) عز الدين فرج:فن الحديث،القاهرة،دار الفكر العربي،(د.ت)،(د.ط)،ص٤٨.

ذلك من باب النفاق والمداهنة ، والفرق بين المدارة والمداهنة كبير ، فالمدارة سياسة حكيمة وعمل نافع من أجل هداية العاصين إلى دين الله مع الحذر في الوقوع والانزلاق في ضلالتهم أو الرضى عن فعلهم المخالف لأمر الله تعالى ، أما المداهنة فهي من أجل المجاملة والحصول على الفوائد الدنيوية ، وهذا ما حصل لبني إسرائيل كما جاء في الحديث : (**فإنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك ، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده**) ، والمداهنة تخلو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يقول الآجري واصفا حال العالم : (يداري جهل عن عامله برفقه ، إذا تعجب من جهل غيره ذكر أن جهله أكثر فيما بينه وبين ربه عز وجل ، والناس منه في راحة ، ونفسه من في جهد) [1] ، وورد في الحديث : (**مدارة الناس صدقة**) [2] .

إلا أن هناك أمورا لا يمكن المدارة فيها وخاصة ممن ينتسبون إلى العلم والفضل ، كموضوع الحكم بغير ما أنزل الله [3] ؛ لقوله تعالى : **﴿ وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل لله إليك ، فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم ، وإن كثيرا من الناس لفاسقون ﴾** [4] .

فالعالم لا يداهن الناس على حساب دينه ، بزعم أن مراده جلبهم إلى طريق الهداية وإبعادهم عن طريق الغواية ، وهي خديعة شيطانية قال تعالى : **﴿ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله ، قل لا أتبع أهواءكم ، قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين ﴾** [5].

وقد يترتب على المداهنة مفاسد اجتماعية ، وأخرى ثقافية ، فقد يظلم الضعيف ، وقد يقدم الغني والقوى ويقصى الفقير والضعيف ، وقد تؤكل أموال اليتامى ، وقد تؤثر

---

(١) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص٨٣.

(٢) الحديث صحيح،رواه ابن حبان.

(٣) عبد الرحمن حبنكة:الأخلاق الإسلامية وأسسها،مرجع سابق،ج٢،ص١٣٧.

(٤) سورة المائدة:آية ٤٩.

(٥) سورة الأنعام:آية ٥٦.

على سير العملية التعليمية ، وذلك بتفضيل الضعفاء على المجدين من أجل الحصول على مآرب دنيوية .

- صلة الرحم وبر الوالدين :

إن من الآداب الاجتماعية التي يجب أن يتصف بها العالم -في رأي المفكرين المسلمين - صلة الأرحام ، وهي من أهم الأخلاق والآداب في حياة العلماء والمسلمين جميعا ، ولقد اهتموا بها وعدوها من الآداب الأخلاقية التي تميز العلماء العاملين عن غيرهم ، يقول الآجري مبينا أن العلماء العاملين يبرون آباءهم ولا يقطعون أرحامهم ، ومحذرا من الوقوع في هذه المشكلة الأخلاقية : (يصل الرحم ويكره القطيعة) (١) .

وكما اهتموا بصلة الأرحام والأقارب بصفة عامة ، فقد ركزوا على الوالدين بصفة خاصة ، لأنهما أقرب الأرحام ، لذا أوضحوا الصورة التي ينبغي أن تكون تجاه الوالدين ، من خفض الجناح لهما مستندين إلى قوله تعالى : ﴿ **واخفض لهما جناح الذل من الرحمة** ﴾ (٢) يقول الآجري : (يلزم نفسه بر والديه فيخفض لهما جناحه ، ويخفض لصوتهما صوته ، ويبذل لهما من ماله ، وينظر إليهما بعين الوقار والرحمة ، يدعو لهما بالبقاء ، ويشكر لهما عند الكبر ، لا يضجر بهما ، ولا يحقرهما ، إن استعانا به على طاعة أعانهما ، وإن استعانا به على معصية لم يعنهما ، ورفق بهما من معصيته إياهما بحسن الأدب ليرجعهما عن قبيح ما أرادا ما لا يحسن بهما فعله) (٣) .

وخفض الصوت ، وهذا من باب توقير الوالدين ، واحترامهما وقت شبابهما ، ووقت ضعفهما عند الكبر ، ولا يؤذيهما بأي قول كان حتى ولو بكلمة (أف) لأن الوالدين إذا كبرا ضاق صدرهما ، وقل علمهما ، لقوله تعالى : ﴿ **ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا** ﴾ (٤) ، لذا أوجبوا طاعة الوالدين في هذا السن ، وخاصة في الأمور التي فيها طاعة لله ، أما في الأمور التي فيها معصية الله ، فإنه يأمرهم بحسن

---

(١) الآجري:أخلاق أهل القرآن،مصدر سابق،ص٧٨، ٧٩.
(٢) سورة الإسراء:آية ٢٤.
(٣) الآجري:أخلاق أهل القرآن،مصدر سابق،ص٧٨، ٧٩.
(٤) سورة النحل:آية ٧٠.

الأدب ليرجعهما عن قبيح فعلهما ، عملا بقوله تعالى : ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما في الدنيا معروفا** ﴾ [1] ، إضافة إلى الاهتمام بهما في الجوانب المادية ، فضلا عن التوقير والاحترام ، لأن طاعة الوالدين مقرونة بطاعة الله تعالى ، لقوله تعالى : ﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا** ﴾ [2] وأوجب الله العقوبة على العاق لوالديه في الدنيا والآخرة لقوله ﷺ : (**رغم أنفه ، رغم أنفه ، رغم أنفه ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كلاهما ثم لم يدخل الجنة**) [3] ، ورغم أنفه برغام الأرض كناية عن الذلة والمهانة والخيبة .

وركز الرسول ﷺ على بر الوالدين لما له من الأهمية ، فقد يضيق الحال بالولدين حتى تصل إلى درجة الانتحار ، فقد بينت إحصائيات هيئة الأمم المتحدة أن ٧٠٪ من المنتحرين في دول أوربا هم من الرجال الذين تتراوح أعمارهم بين ٥٠ - ٥٩ سنة ، ومن النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين ٥٥ - ٦٠ سنة ، وأهم أسباب الانتحار الوحدة والأدمان [4] .

فهؤلاء الآباء والأمهات كانوا ضحية عقوق أبنائهم لأنهم لم يتربوا على بر الوالدين ، فانتهي بهم الأمر إلى هذه الفاجعة [5] .

على العكس من ذلك عند المسلمين ، فقد حدث أبو بكر بن أبي النضر عن الأشجعي قال : (استسقت أم مسعر منه ماء في الليل ، فقام فجاءها به ، وقد نامت وكره أن يذهب فتطلبه ولا تجده ، وكره أن يوقظها ، فلم يزل قائما والإناء معه حتى أصبح) [6] .

---

(١) سورة لقمان:آية ١٥.

(٢) سورة النساء:آية ٣٦ .

(٣) د.أحمد عبد الرحمن:الفضائل الخلقية في الإسلام،دار الوفاء،القاهرة،١٩٨٩م،ط١،ص١٤٧.

(٤) المرجع السابق:نفس الصفحة .

(٥) ابن أبي الدنيا:مكارم الأخلاق،تحقيق جيمزبلمي،المطبعة الكاثولية،بيروت،(د.ط)،١٩٧٣م،ص٥٦.

(٦) الحديث صحيح ، رواه مسلم في البر والصلة.

هذا بالنسبة للوالدين ، أما الأقارب فقد أوجبوا على العالم صلة أقاربه ، مستندين إلى الآيات والأحاديث الواردة في ذلك ، قال تعالى : ﴿ فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم * أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم ﴾ (١) ، وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : (الرحم معلقة بالعرش ، تقول : من وصلني وصله الله ، ومن قطعني قطعه الله) (٢) .

ويترتب على صلة الأرحام وبر الوالدين آثار اجتماعية عظيمة:

١-الزيادة في الرزق ، والبركة في العمر ، لقوله ﷺ : (من أحب أن يمد في عمره ويزاد في رزقه فليبر والديه ، وليصل رحمه) (٣) .

٢- توثيق عرى المحبة والمودة بين الأقارب والأنساب .

٣-الشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقه التي لا يستطيع الفرد أن يتخلى عنها .

٤-إدخال السرور على الأرحام .

٥-استجابة الدعاء ، وحصل ذلك مع أصحاب الغار الثلاث... في الحديث مشهور ، فقد قالت أحدهم : (اللهم كان لي والدان شيخان كبيران ، ولي صغار كنت أرعى عليهم ، فإذا رحت عليهم بحليب بدأت بوالدي أسقيهما مثل ولدي ، وإنه قد نأى بي الشجر ، فما أتيت حتى أمسيت ، فوجدهما قد ناما ، فحلبت كما كنت أحلب ، فجئت بالحلاب ، فقمت عند رؤوسهما ولم أوقظهما ، وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما ، والصبية يتضاغون عند قدمي ، فلم يزل ذلك دأبي ودأبهم حتى طلع الفجر ، فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ، فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم يرون السماء) (٤) .

---

(١) سورة محمد:الآيتان ٢٢ - ٢٣.

(٢) الحديث صحيح ، رواه مسلم في الآداب والصلة .

(٣) الحديث صحيح، رواه أبو داوود.

(٤) الحديث صحيح رواه البخاري ، ومسلم في كتاب الإجارة .

ومن آثار قطع الرحم السلبية أن القاطع يمنع الرحمة من الله، لقوله ﷺ: **(الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)** [1] .

وقطيعة الرحم يترتب عليها مفاسد اجتماعية لقوله تعالى : **﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، أولئك الذين لعنهم الله ، فأصمهم وأعمى أبصارهم﴾** [2] .

و يجب على العالم غرس ذلك في نفوس تلاميذه ؛ وذلك بلفت انتباههم إلى مشقة الحمل والولادة ، وإلى المجهودات التي يبذلها الوالدان في تربيته حتى يبلغ أشده ويصبح رجلا ، ومن ثم تذكيره بالعقوبة المترتبة على عقوق الوالدين وقطيعة الرحم [3].

– نشر العلم ، وتبسيطه للناس :

والعلم لابد له أن ينشر ، وهذا هو جو الإسلام الصحيح ، فالإسلام والمسلم والمجتمع الإسلامي كله يقوم على العلم ، ويفرض العلم وطلبه على الجميع ، وعناية الإسلام بهذا بالغة ، فهو يقرر في آيات القرآن الكريم رفعة الذين أوتوا العلم **﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾** [4] ، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يطلب المزيد من العلم فقال : **﴿ وقل رب زدني علما ﴾** [5] .

ونشر العلم على أيدي العلماء أمر مهم ، وقد وعى علماء المسلمين هذا فعملوا على نشر العلم كل على قدر استطاعته ، إدراكا منهم لخطورة دور العلم في حياة الأفراد والمجتمعات .

وإدراكا من المفكرين المسلمين لخطورة العلم ؛ يرون أن من آداب العلماء (أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون ، فإن البخل به لؤم وظلم ،

---

(١) الحديث صحيح رواه مسلم .

(٢) سورة محمد: الآيتان ٢٢ – ٢٣.

(٣) بشير حاج التوم:تدريس القيم الخلقية،مركز البحوث النفسية والتربوية،جامعة أم القرى، ط١،١٤٠٣هـ،ص٢٢.

(٤) سورة المجادلة:آية١١.

(٥) سورة طه:آية١١٤.

والمنع منه حسد وإثم ، وكيف يسوغ لهم البخل بما منحوه جودا من غير بخل ، وأتوه عفوا من غير بذل ؟! ، أم كيف يجوز لهم الشح بما إذا بذلوه زاد ، وإن كتموه تناقص ووهى ، ولو استن بذلك من تقدمهم ، لما وصل العلم إليهم ، ولا نقرض عنهم بانقراضهم ، ولصاروا على مرور الأيام جهالا ، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالا) [1] .

ويستدلون على ذلك بنصوص كثيرة ، من ذلك ، قوله تعالى: ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾ [2] ، وما روى عن النبي ﷺ أنه قال : (**من كتم علما يحسنه ، ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار**) [3] .

ولا جدال أن هناك العديد من الفوائد تنتج عن بذل العلم وتعليمه ، فالعلم لا يتقدم إلا بتراكمه ، وانتقاله من جيل إلى جيل ، مع الإضافة والابتكار ، فواجب على العلماء أن ينقلوه ولا يبخلوا به ، ويبذلوه ولا يستروه ، ويشيعوه ولا يسروه ، وهذا واجب يلقيه العلم على أهله وبذلك تتحقق لهم فائدتان :

- الأولى : نوال ما يرجوه العالم من ثواب الله تعالى ، فقد جعل النبي ﷺ التعليم صدقة ، فقال ﷺ : (**تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ، ورأى يسدده**) ، وروى ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: (**تعلموا وعلموا، فإن أجر العالم والمتعلم سواء قيل : وما أجرهما؟ قال : مائة مغفرة ، ومائة درجة في الجنة**) [4] .

- الثانية : زيادة العلم ، وإتقان الحفظ ، وجاء في الحكمة (اجعل تعليمك دراسة لعلمك ، واجعل مناظرة المتعلم تنبيها على ما ليس عندك) [5] ، والعلم لا ينقصه ما أخذ منه ولكن فقد الحاملين له سبب عدمه ، ومن ثم فالبخل به هو سبب فنائه ، ولذا وجب عدم البخل به .

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٧.

(٢) سورة البقرة:آية١٥٩.

(٣) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٧.

(٤) المصدر السابق:ص٨٨.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

وحين يجعل المفكرون المسلمون من نشر العلم التزاما أخلاقيا ، وأدبا للعالم ، فإنه يهدف إلى جعل العلم اتجاها عاما في الطلب والسلوك والبذل ، ولا غرو إذا علمنا أن المجتمع المعلم المتعلم هو هدف من أعظم الأهداف في الإسلام .

وتعد ظاهرة نشر المعرفة من الأعمال الجليلة ، وهي عمل الأنبياء والرسل ، قال تعالى : ﴿ **قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني** ﴾ (١) ، كما أن لها فائدة عظيمة على الإنسانية جمعاء ، إضافة إلى الفائدة المحتمة في الآخرة ، فقد جاء في الحديث : (**إذا مات ابن آدم ، انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعوا له**) (٢) ، ويقول في هذا المعنى ابن حجر الهيتمي : (إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره) (٣) .

وكان من علماء السلف من يتألف الناس على حديثه ، ابتغاء المثوبة في نشره ، ويرى أن ذلك من واجب حقه (٤) ، فعن الزهري قال : (كان عروة يتألف الناس على حديثه) (٥)

ويترتب على عدم الاهتمام بنشر العلم آثار سلبية كثيرة من أهمها :

١- انتشار الجهل بين الناس .

٢- انتشار الأخلاق الذميمة والجرائم الشنيعة نتيجة للجهل .

٣- ظهور الأنانية والبغضاء بين العلماء وعامة الخلق .

٤- ضعف النشاط العلمي في أقطار العالم .

٥- عدم تبادل الثقافات المختلفة بين الشعوب المتنوعة .

علاقة العلماء بالحكام وولاة الأمر :

احتلت مسألة علاقة العلماء بالحكام والسلطة على وجه العموم باهتمام كبير من المفكرين المسلمين ؛ ذلك لأن للعالم في المجتمع الإسلامي دور سياسي هام ، فهو يمثل عين

---

(١) سورة يوسف: آية ١٠٨.

(٢) الحديث صحيح ، رواه مسلم في كتاب الوصية .

(٣) ابن حجر الهيتمي:الزواجر عن اقتراف الكبائر،مرجع سابق،مج ١،ص٩٦.

(٤) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٣٤٠.

(٥) المصدر السابق:ج١،ص٣٤٠.

وصوت المجتمع في رقابة الحكم ، وإيصال شكواه إليه ، كما أن الحكام يعلمون مدى تأثير العلماء على المجتمع كقدوة ، وقوة في التوجيه والإرشاد .

إنها قضية مازالت مثارة ، على صعيد الفكر العام ، والفكر التربوي الحديث والمعاصر ، وطالما شغلت بال المفكرين ، واختلف الناس في شأنها ، إن اتصال العلم بالسياسة ضروري ، ولكن إلى أي حد ؟ ، ونلاحظ هذا في استخدام عبقريات العلماء في زيادة قدرة الإنسان على القتال والقضاء على الخصوم ، بقدر ما كانت تستخدم في فهم قوانين الطبيعة . ومنذ القدم نلاحظ أن العلم يستخدم في خدمة الأغراض السياسية .

وعلى سبيل المثال لمدى أثر العلاقة القائمة بين العلماء والحكام ، فقد كان الخلفاء الأمويون على وعي كبير لأثر الفقهاء في المجتمع الإسلامي ، ومدركين لمكانتهم ، خاصة في المدينة ، بسبب مكانتهم الدينية والاجتماعية ، وكثرة الفقهاء فيها ، وحسن تقدير الناس لهم ، ورحلة أهل الأمصار إليهم لطلب العلم ، مما يجعل أثرهم يتعدى المدينة إلى بقية أنحاء العالم الإسلامي ، فلا غرابة إذا ما سعت الدولة إلى تقريبهم إلى صفها بكل الوسائل المتاحة ، من وصلهم بالعطايا والهبات ، ومكاتبتهم طلبا للنصح ، أو استفسارا عن حكم شرعي ، أو طلبا صريحا للمساندة السياسية والبيعة ، والاهتمام بالظهور أمام الرأي العام وإلى جوارهم عدد من العلماء والفقهاء ، والمشاركة في تشييع موتاهم ، والثناء عليهم ، وإظهار حاجة الدولة إلى علمهم وفتاويهم (1) .

وثمة أسئلة مثارة ، فهل يقوم العالم بأداء ما تمليه عليه السلطة ، سواء بالحق أو بالباطل ؟ ، أم ماذا يفعل ؟ ؛ إنها بالرغم من خطورتها وأهميتها ، فإنها حساسة في جانب العالم ، هل يتبع أوامر السلطة ، أم يناقضها ؟ وما حد المتابعة ؟ .

من هنا كانت أهمية هذه القضية الشائكة ، وقد تباينت فيها الآراء تباينا شديدا ، فبينما ذهب البعض على عدم جواز الدخول على الحاكم والسلطان ، بحجة أن الداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تنعمهم فيزدري نعمة الله عليه ، أو يهمل الإنكار عليهم مع وجوبه ، فيفسق فتضيق صدورهم بإظهار ظلمهم وبقبيح فعلهم ، وإما أن يطمع في

---

(1) د.أكرم ضياء العمري:قيم المجتمع الإسلامي،مرجع سابق،ص٦٢،وما بعدها،بتصرف.

دنياهم [1] ، وفي سبيل ذلك يروون كثيرا من الآثار التي تحذر وتنفر من الاقتراب من الحكام ، وأبوابهم ، فعن أيوب السختياني قال : قال أبو قلابة (يا أيوب احفظ عني ثلاث خصال : إياك وأبواب السلطان ، وإياك ومجالسة أصحاب الأهواء ، والزم سوقك فإن الغنى من العافية) [2] ، وهذا سفيان الثوري يقول : (في جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزوارون للملوك) [3] .

ولاشك أن هذا الاتجاه كانت له أسبابه ودوافعه ، التي دفعته لتبني هذه الوجهة ، حيث رأوا استغلال الحكام والملوك للعلماء ، في تبرير ظلمهم وجورهم ، أو تسويغ أفعالهم لجمهور الناس ، وبالمقابل رأوا مسايرة من قبل بعض العلماء لهوى الحكام ، إما رغبة في العطايا والمنح والأموال ، وإما رهبة من البطش والطغيان ، كما حدث في فتنة خلق القرآن زمن المأمون ومن خلفه من الأمراء .

وذهب ابن عبد البر إلى أن هذه النصوص والروايات الواردة في التحذير من الاقتراب من الحكام وغشيان أبوابهم ، إنما هي في حق (السلطان الجائر الفاسق ، فأما العدل منهم ، الفاضل ، فمداخلته ورؤيته وعونه على الصلاح من أفضل أعمال البر) [4] .

فهذا عمر بن عبد العزيز كان يصحبه جلة من العلماء منهم ، عروة بن الزبير ، وابن شهاب ، وغيرهما ، كما كان الشعبي ، ومالك والأوزاعي والشافعي ممن يدخلون على الحكام والولاة [5] .

ويرى ابن عبد البر أن العالم لا يجب أن يستمرئ الذهاب والدخول على الحاكم ، بل يجب ألا يذهب إليه إلا (غبا فيما فيه الحاجة) ، وإذا تكلم عنده (قال خيرا ، ونطق

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،هامش ص٦٣٣.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص٦٣٥.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص٦٣٦.

(٤) المصدر السابق:ج١،ص٦٤٤.

(٥) المصدر السابق:ج١،ص٦٤٤.

بعلم) [1] ، وإن لم تكن هناك حاجة ولا غرض فالأولى والأفضل عدم الذهاب لأنها على حسب تعبيره (مجالس الفتنة فيها أغلب ، والسلامة منها ترك ما فيها) [2] .

في حين ذهب فريق ثان إلى أنه لا بأس بالدخول على الحكام وولاة الأمور ومخالطتهم ، وقبول أعمالهم ، فأبو حنيفة يوصي تلميذه أبا يوسف (ولا تواصل أولياء السلطان وحاشيته ؛ بل تقرب إليه فقط ، وتباعد عن حاشيته ؛ ليكون مجدك وجاهك باقيا) [3] ، كما ينصحه بعدم قبول أي عمل (إلا بعد أن تعلم أنه إنما يوليك ذلك لعلمك) [4] .

ولا شك أن تأثير العلماء يتعاظم بتولي الأعمال ، حيث يتصلون بالناس بصورة وثيقة لكن ذلك قد يشوش على صورة العلم لدى البعض ، ولقد تولى العديد من الفقهاء الكبار مناصب القضاء والحسبة ، في خلافة بني أمية مثل : عمر بن خلدة قاضي المدينة في عهد عبد الملك بن مروان ، (ولم يرتزق على القضاء شيئا ، بل باع أرضا له وأنفق ثمنها) [5] ، وكذلك مسلم بن جندب الهذلي قاضي المدينة في خلافة عمر بن العزيز ، ووصل بعض فقهاء المدينة إلى وظائف كبيرة في الدولة الأموية ، فكان قبيصة بن ذؤيب على خاتم عبد الملك ، وكان البريد إليه ، فكان يقرأ الكتب إذا وردت ثم يدخلها على عبد الملك فيخبره بما فيها [6] .

كما تولى عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ولاية مكة ليزيد بن معاوية ، كما تولى ابنه عبد الحميد بن عبد الرحمن ولاية الكوفة لعمر بن عبد العزيز [7] .

وهكذا فقد كان كثير من فقهاء المدينة يتولون أعمالا في الدولة ، بل شكل بعضهم هيئة استشارية لعمر بن عبد العزيز عندما تولى ولاية للمدينة ، فقد دعاهم وقال لهم : (إني

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٦٤٤.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص٦٤٤.

(٣) أبو حنيفة:وصية أبي حنيفة،مصدر سابق، ص١٢.

(٤) المصدر السابق:ص١٧.

(٥) ابن سعد:الطبقات،دار صادر،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ج٥،ص٢٧٩-٢٨٠.

(٦) المصدر السابق:ج٥،ص١٧٦.

(٧) المصدر السابق:ج٥،ص٥٠.

دعوتكم لأمر تؤجرون عليه ، وتكونون فيه أعوانا على الحق ، ما أريد أن أقطع أمـــرا إلا برأيكم أو برأي من حضر منكم ، فإن رأيتم أحدا يتعدى أو بلغكم عن عـــامل ظلامـــة فأحرج على أحد بلغه ذلك إلا أبلغني ، فجزوه خيرا وافترقوا) [١] .

فليس هناك من بأس أن يقبل العالم منصبا أو وظيفة من الحاكم ؛ شريطة ألا يتـــابع الحاكم فيما يجانب الدين ويضاد الحق ، ويتبع فيه هواه وشهوته ، من أجل رأي الحـاكم ، أو رغبة ، أو رهبة ؛ لأن العالم في هذه الحالة يمكن أن يضل ويضلل الناس للمتبعين لـــه ، والواثقين فيه ، وهذا يؤدي إلى سوء العاقبة ، ووقوع الخلل في المجتمع .

صحيح أن الواجب الأدب مع الحاكم وغيره ، إلا أنه لا ينبغي أن تزل قدم العـــالم مع السلطان فيما يخالف الدين ، أو يخالف الحق ، ويتبعه موافقة لرأيه لأنه رأي السلطان .

إن الأمر في النهاية يتعلق بقيادة العلم والعلماء للمجتمع ، فمن الواجب عليـهم أن لا يجابهوا السلطة ولا يواجهها ، بل لابد أن يتعاملوا معها بأسلوب العلم ، فإذا مـــا مـــس الحاكم أمرا من أمور الدين أو الصالح العام ، فإن واجب العلماء يلقـــي علـــى عاتقـــهم مسئولية عدم الاتباع ، بل يلزمهم بالنصح والإرشاد .

وعلى الجانب الآخر أوصى المفكرون المسلمون الحاكم أن يعـــرف فضـــل العلـــم وأرشدوه أن (يستبطن أهله ، لأنه للدين أركان وللشرع أعـــوان ، والديـــن أس الملـــك ونظامه ، وقد قاموا فيه بحقه ، ونابوا عن الملك في حفظه ، ولولاهم لما عرف حق أمر مـــن باطله ، ولا صحة حكم من فاسده ، فليحفظ للملك نظام ملكه بمراعـــاتهم ، وليســـتظهر لدينه وملكه باستبطانهم ، ليكون بالعلم موسوما ، وإليه منسوبا) [٢] .

ولا يقتصر الأمر على الشريعة وعلمائها فقط ، أو الدين فقط ، بل تمتد إلى الدنيـــا أيضا ، يقول الماوردي : (وليصر بمكاثرتهم مستظهرا ، وبمذاكرتهم مستبصرا ، وهم أنفـــع له في دينه ودنياه ، لأنهم في الدين دعاة ، وفي الدنيا هداة ، مع ما ينشر من الفساد بإهمـــال

---

(١) ابن سعد:الطبقات،مرجع سابق،ج٥،ص٣٣٤.

(٢) الماوردي: تسهيل النظر،مرجع سابق،ص٢٧٤.

العلماء ، وترك مراعاتهم ، وذلك أنهم ربما بعث بعضهم قلة المادة وضعف الحـــال علـــى مسامحة النفس و التبذل وارتكاب الشبهة) [1] .

(١) الماوردي: تسهيل النظر،مرجع سابق،ص٢٧٥.

الفصل الخامس

آداب العالم العلمية والمهنية

إن العالم لا يمكن أن يؤدي دوره في عملية التعليم بنجاح واقتدار إلا إذا توافرت لديه مجموعة من السمات والخصائص والآداب ، التي تمكنه من أداء هذا الدور ، وخاصة ما يتعلق منها بالجانب العلمي والثقافي ، ولذا فقد حرص المفكرون المسلمون على إبراز هذه السمات والخصائص والآداب ، وإعطائها ما تستحقه من اهتمام ، لدورها الهام والفعال في حياة العالم والمتعلم على السواء ، بل وعلى نجاح عملية التعليم بالكلية .

ومن أهم ما يجب أن يتصف به العالم في هذا الشأن ما يلي :

- غزارة المعلومات والتمكن العلمي :

رأى المفكرون المسلمون أنه يجب على العالم قبل كل شيء أن يكون غزير المادة العلمية ، وأن يعرف ما يعلمه أتم معرفة وأعمقها ، ويتحقق فيه تمام الاطلاع ، وله مع من يوثق به من علماء عصره كثيرة بحث وطول اجتماع [١] ، وليس له أن يقوم بتعليم علوم أو فنون ، أيا كانت هذه العلوم وتلك الفنون إلا إذا كان (عارفا بتلك الفنون ، وإلا فلا يتعرض لها ، بل يقتصر على ما يتقنه) [٢] ، إن المعلم لا يوصف بالكفاءة ، ولا يوصف تعليمه بالجودة حتى تكتمل له معرفة مادته التي يقوم بتدريسها ، وحتى (يلم بطبيعتها من حيث محتواها ، وما تشتمل عليه من تفاصيل وفروع ، وحتى يكون مستوعبا لها ، متفهما لأصولها) [٣] .

وهذا الجانب مهم جدا ، لأنه لا يكفي فقط الإلمام بأساسيات المادة ، بل لابد من الاطلاع على الآفاق العليا ليلم بها ، لا ليكون أستاذا فيها فقط .

والعالم إذا أراد أن يكون ناجحا فلا مفر له من أن يمتلئ بالموضوع الذي يعلمه ، حتى يتسنى له أن يتحدث فيه ، وأن يجعل الروح تسري في كيانه كلما تحدث فيه إلى تلاميذه ، وأن يعرض عليهم الجوانب المشرقة التي لم يردها من قبل ؛ حتى يجعله عندهم

---

(١) ابن جماعة :تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٨٦.

(٢) عرفات عبد العزيز سليمان: المعلم والتربية دراسة تحليلية مقارنة لطبيعة المهنة،مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة،ط١،١٩٧٧م،ص١١٩.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٦،٢٧.

طريفاً شائقاً ، فلا ينصرفون عنه ملالاً وسأماً [1] .

والمفكرون المسلمون يرون أنه يجب على العالم ألا يكتفي بما تعلمه ، بل لابد له أن يستكثر من طلب العلم ؛ إذ العلم أكثر من أن يحيط به بشر ، قال الله تعالى : ﴿ نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴾ [2] يعني في العلم ، قال أهل التأويل: (يعني فوق كل ذي علم من هو أعلم منه ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى) [3] .

ولأن المفكرين المسلمين يدركون أن الإحاطة بالعلم مستحيلة ، فهم ينبهون إلى أمر مهم وهو عدم الخوض فيما لا يعلم ، يقول الماوردي : (فإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم سبيل ، فلا عار أن يجهل بعضه ، وإذا لم يكن في جهل بعضه عار ، لم يقبح به أن يقول لا أعلم فيما ليس يعلم) [4] ، وتُرْوَى حكمة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (وما أبردها على القلب إذا سئل أحدكم فيما لا يعلم ، أن يقول الله أعلم ، وإن العالم من عرف أن ما يعلم فيما لا يعلم قليل) [5] .

ومن هذا المنطلق ينبغي على العالم أن لا يتكلف ما لا يحسنه (فليس لمن تكلف ما لا يحسن غاية ينتهي إليها ولا حد يقف عنده ، ومن كان تكلفة غير محدود ، فأخلق به أن يَضِل ويُضِل) و (من العلم أن لا تتكلم فيما لا تعلم ، بكلام من يعلم ، فحسبك جهلاً من عقلك ، أن تنطق بما لا تفهم) [6] .

وعلى هذا فإن العالم لا يستنكف من تَعَلُّم ما لا يعلم ، لأن هذا إذا لم يحدث فإنه سيورث العالم جهلاً ، أما إذا تعلم واستمر في تعلمه ، فإن هذا كفيل بزيادة العلم والتمكن من المادة التي يدرسها ويعلمها للناس .

---

(١) جلبرت هايت:فن التعليم،ترجمة محمد فريد أبو حديد،الأنجلو،القاهرة،(د.ط)،١٩٥٦م،ص٣١.
و أيضاً،د.حسن إبراهيم عبد العال:المعلم في الفكر التربوي عند الإمام النووي،مرجع سابق،ص٢٠٨.

(٢) سورةالأنعام:آية٨٣.

(٣) الماوردي:أدب الدنيا و الدين،مصدر سابق،ص٨١.

(٤) المصدر السابق:ص٨٢.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة.

إن معنى كل هذا وفحواه أن من أهم صفات العالم في هذا المجال التي تؤهله دوماً للقيام بمهمة التعليم :

- القابلية الفكرية اللازمة لهضم وتمثل الأشياء في غير عسر ، لكي يسيطر على جملة المعلومات اللازمة لممارسة وظيفته ، المعلومات العامة ، والمعلومات الخاصة ، إذا كان تعليمه يقتصر على مادة بعينها .

- النظام والوضوح في الفهم ، فالمرء لا ينقل للآخرين بسهولة ؛ إلا ما أحسن هضمه وتمثله ، وهضم معرفة من المعارف يعني وضعها في موضعها ، وإدراك جميع علائقها بالمعارف الأخرى من نوعها ، وتقدير شأنها ، وإمكان التمييز بين ما هو أساسي وما هو ثانوي فيها .

- وهذه الصفات في حد ذاتها صفات خلقية بمعنى من المعاني ، إذ الهدف هو استقامة الفكر ، فأفكارنا لا يمكن أن تكون متسقة ومنطقية إلا إذا تحررت من العواطف والنزاعات الأهواء [1] .

-الثقافة العامة الواسعة للعالم :

يراد بالثقافة العامة ؛ الثقافة الإنسانية الواسعة التي تهيئ للعالم أسباب مؤالفة الطبيعة و مؤالفة الحياة الاجتماعية ، ومؤالفة القيم ..، فإذا حرم العالم من هذه الثقافة العامة ، عاش في كهف مظلم لا تطل نوافذه على العالم [2] .

ويحتاج العالم إلى قدر من الثقافة العامة ، إلى جانب إلمامه التام بفروع المعرفة التي يقوم بتدريسها ، ذلك لأن التعليم لا يعني مجرد نقل المعلومات إلى الطلاب والمتعلمين ، فهو أشمل من ذلك ، حيث يتضمن تثقيف عقولهم ، وتزويدهم بالعادات العقلية الصحيحة ، والمعلومات والمفاهيم والمهارات المختلفة ، وتهذيب نفوسهم ، ومساعدتهم على تكوين قيم ومثل عليا ، وتكوين عادات اجتماعية ، واتجاهات وأذواق ، إلى جانب

---

(١) رونيه أوبير:التربية العامة،مرجع سابق،ص٧٩٧ – ٧٩٣.

(٢)جميل صليبا : فلسفة تربوية متجددة وإعداد المعلمين،دائرة التربية في الجامعة الأميركية بيروت،(د.ط)،١٩٥٦م،ص١٣٥،بتصرف.

تنمية استعداداهم ، وقد حث المفكرون المسلمون العالم على ألا يدع فنًا من الفنـــون أو علمًا من العلوم (إلا نظر فيه ، فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه فـذاك ، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم ، ويعتني من كل علــم بـــالأهم فالأهم) [1] .

وإن من أهم وظائف العالم المعلم (تقديم التلميذ لمجتمعه ، وتقـــديم ثقافــة المجتمــع للتلميذ ، وهذا التقديم يتطلب من المعلم أن يعرف الثقافة ، بقدر ما يعرف التلميـــذ) [2] ، والحد الأدنى للمعرفة بهذه الثقافة هو إدراك العالم من كل علم ما ينفي عنه سمة الجـــهل ، ويجعله عارفا بأصوله أو بالمبادئ الأكثر أهمية فيه ، فإن تمكن العالم من الإلمام بدقائق هـــذه العلوم ، واتسع لذلك وقته ، وساعدته إمكاناته فذلك أمر مستحب ، لما لهذه المعرفة مـــن أثر في اتساع آفاق معرفته ، وتقديمه لتعليم جيد .

ولقد أصبح المعنيون بشئون العلم والتعليم الآن على يقين بأن العالم المعلم في حاجــة إلى معرفة عامة ؛ تتمثل في أساليب ومبادئ العلوم المختلفة ، وهذه المعرفة تضفـــي علـــى أسلوب المعلم مرونة في التعليم ، وتنوعا في المعلومات التي يمكن أن يقدمـــها لتلاميـــذه ؛ حسب ما تمليه عليه المناسبة التعليمية [3] ، وهذه المعرفة العامة هي ما قصدها ابن جماعـــة بقوله : (الأولى أن لا يدع فنا من العلوم.. إلا نظر فيه .. ويعتني من كل علـــم بـــالأهم

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١١٩،١٢٠.
(٢) أبو الفتوح رضوان وآخرون:المدرس في المدرسة والمجتمع،مكتبـــة الأنجلـــو،القـــاهرة،(د.ط)، ١٩٧٣م، ص١٥.
(٣)محمـــود زيـــاد حمـــدان:التدريـــس الحديـــث،مؤسســـة دار الكتـــــب،الكويــــت،ط١، ١٩٨٢م،ص١٥٠.

فالأهم) [1]

-منهج للتثقيف العام :

ولم يكتف المفكرون المسلمون بالتنويه بقيمة الثقافة العامة ؛ تلك التي تتمثل في الإلمام بمبادئ العلوم المختلفة ، بل بادروا بعرض منهج للتثقيف العام ، يشتمل على عدد من الخطوات الإجرائية ، مستفيدًا من تجاربه وتجارب السلف من العلماء .

وتبدأ عملية التثقيف العام للعالم بأن (يحفظ من كل فن مختصرًا) [2] ، وليس الحفظ هدفًا في حد ذاته ، إنما الهدف هو التعرف على طبيعة هذا الفن وإدراك خصائصه ، ومن هنا كان عليه مباحثة المختصين فيه ، ومناقشة علمائه فذلك أجدى للعالم في المراحل الأولى ، وذلك لإيضاح ما قد يشكل عليه من مفاهيمه ومصطلحاته ، وما قد يتعذر عليه فهمه ، ولذا فيجب عليه أن : (يحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب ابتداءً ، بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليمًا له وأكثر تحقيقًا فيه) [3] .

ومن المعلوم أن لكل فن أو علم أصوله الخاصة ، كما أن له بناءه وتنظيماته ومصطلحاته التي لا تتشابه مع غيره من العلوم أو الفنون ، فإذا اشتغل الإنسان بتعلم ذلك الفن من الكتب وحدها ؛ فربما شق عليه الأمر وعجز عن إدراك أصوله ، وفهم خصائصه ، ولذا كانت النصيحة في ابتداء تعلم ذلك الفن أو العلم بالاعتماد على علماء ذلك الفن والمختصين به ، فهم (أحسن تعليمًا له وأكثر تحقيقًا فيه) .

ولعل هذه العبارة تنبه الأذهان إلى أن مقصود الثقافة العامة ليس هو حشو الذهن بمجموعة من نصوص الكتب ، بل فهم ما فيها واستيعاب حقائقها ، ومن هنا كانت الدعوة إلى ضرورة مباحثة العلماء في كل علم وفن .

-حاجة التخصص العلمي إلى الثقافة العامة:

لقد أصبحت الثقافة العامة الآن بُعْدًا هامًا من الأبعاد الأساسية لإعداد العالم المعلم ،

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١١٩،١٢٠.

(٢) المصدر السابق:ص١١٣.

(٣) المصدر السابق:ص١١٣-١١٤.

وأصبحت مفهوما لا يعني مجموعة من المواد تحشد في الأذهان (وإنما تعني -قبل كل شيء- سعة وتعمقا في الفهم ، وميولا عقلية تدفع صاحبها إلى البحث والاستزادة من العلم ، وقدرة على متابعة الجديد ، وتفسير الاتجاهات وتفهمها) [1] .

وقد يعترض البعض على الاهتمام ببعد الثقافة العامة ، وأهميته للعالم إلى الحد الذي جعل المفكرين المسلمين أن يقترحوا برنامجا خاصا للتثقيف العام ، ووجه اعتراضهم أن العالم بحاجة إلى إتقان مواد تخصصه أكثر من حاجته إلى الثقافة العامة ، فهو يستطيع بتعمقه في مواد تخصصه أن يؤدي عمله بصورة مرضية ؛ تجعلنا نصفه بالنجاح في تعليمه ؛ غير أن ذلك مردود بأن (التخصص العلمي الدقيق يشتمل في أوائله ونهاياته على ثقافة عامة تفوح منه وتزينه ؛ بل إن التخصص المصحوب بثقافة عامة يرتقي بالعالم من معرفة الظواهر الخاصة التي يدرسها إلى آفاق عالية يطل منها على الميادين الأخرى) [2] ، فإذا أضفنا إلى ذلك أنه ليس للعالم من سبيل للإحاطة بجميع العلوم ؛ فإن حاجة العلماء إلى الثقافة العامة (لا تقل عن حاجتهم إلى التبحر في موضوعات علومهم ، لأنهم جميعا مكلفون بتعليم فريق واحد من الطلاب ، فإذا لم تجمع بينهم ثقافة عامة واحدة لم يكن إلى تعاونهم في تربية هؤلاء الطلاب سبيل) [3] .

-اتساع مفهوم التعليم وعلاقته بالثقافة العامة :

لقد أدرك المفكرون المسلمون أن العالم لا يستطيع أداء رسالته على نحو جيد بغير هذه الثقافة العامة ، فالتعليم أكثر من كونه عملية تزويد عقول الطلاب بعدد من حقائق العلم ، فهو يتسع ليشمل حاجات المتعلم ومراعاة مصالحه ، ومن ثم أوجبوا على العالم (أن يعتني بمصالح الطالب) [4] ، كما يتسع ليشمل تنمية عقول المتعلمين ، فمسؤولية العالم نحو تلميذه تشمل (تعليمه و تفهيمه ببذل جهده ، وتقريب المعنى له من غير إكثار لا

(١) محمد الهادي عفيفي وسعد مرسي: قراءات في التربية المعاصرة،عالم الكتب،القاهرة،١٩٧٣م،(د.ط)،ص٩٩.
(٢) جميل صليبا:مستقبل التربية في العالم العربي،مكتبة الفكر الجامعي،بيروت،١٩٦٧م،ط٢،ص٣٧٠.
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٩.

يحتمله ذهنه ، أو بسط لا يضبطه حفظه ، ويوضح لمتوقف الذهن العبارة ، ويحتسب إعادة الشرح له) [1] ، كما يتسع مفهوم التعليم -أيضًا- ليشمل تهذيب المتعلم ورعاية الجانب الخلقي من أجل (حسن تربيته وتحسين خلقه وإصلاح شأنه) [2] ، وإذا كان هذا المعنى الفسيح الواسع هو معنى التعليم عند المفكرين المسلمين ، فكيف يتسنى للعالم أن يؤديه على وجه مُرْضٍ ، قائمًا بكل التزاماته ، إذا لم يمتلك إلى جانب تخصصه قدرًا من الثقافة العامة ، يعينه على أداء رسالة التعليم بأبعادها المختلفة .

- أثر الثقافة العامة في الدور الاجتماعي للعالم :

وربما كان مبعث عناية المفكرين المسلمين بجانب الثقافة العامة للعالم ، هو النظر إلى دور العالم الاجتماعي ، والوظائف المنوطة به في المجتمع غير التعليمي ، وذلك مما يقتضيه الأخذ بحظ وافر من الثقافة العامة ، فهو الذي يفصل بين الناس في خصوماتهم ، و يحل مشكلاتهم ، ويفتيهم في أمور دينهم ودنياهم ، ويحمل عنهم عبء التفكير في كثير من شئونهم ، وقد عبر ابن جماعة عن هذا الدور الاجتماعي للعالم بقوله : (السعي في قضاء الحاجات) [3] ، فذلك كله يدفعه إلى الاستزادة من مختلف العلوم والمعارف ، أو بمعنى آخر التزود بقدر لا بأس من الثقافة العامة .

فإذا أضفنا إلى ذلك أن وظيفة التدريس جليلة القدر بالغة الأهمية ، وأن الناس كانوا يرغبون دائمًا (أن يكون المدرس ذا رياسة وفضل ، وديانة ومهابة ، وجلالة وناموس وعدالة ، ومحبة في الفضلاء ، وعطف على الضعفاء ، يقرب المحصلين ، ويرغب المشتغلين ويبعد اللغائين ، وينصف البحاثين ، حريصًا على النفع ، مواظبًا على الإفادة) [4] ، إذا علمنا ذلك أدركنا إلى أي حد تصبح الثقافة العامة شيئًا ضروريًا للعالم وأن المفكرين المسلمين كانوا محقين في اهتمامهم البالغ بها ، إذ لو حرم العالم منها لتعطلت كثير من وظائف التعليم عنده .

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٣.

(٢) المصدر السابق:ص٦٠.

(٣) المصدر السابق:ص٢٣.

(٤) المصدر السابق:ص١٩٨-٢٠١.

-مسؤولية العالم تجاه المنهج الذي يقوم بتدريسه :

ذهب المفكرون المسلمون إلى ضرورة توفر الحرية الكاملة للعالم في تحديد المنهج ، وأوجه النشاط التعليمي المختلفة ، والخبرات التعليمية التي يقوم بتدريسها ، وما يحتاج إليه المتعلم واستعداده العام وقدراته الخاصة ، واعتبروا أن مسئولية العالم في هذا الشأن كبيرة ، وحريته في وضع المنهج الذي يتبعه وتعيين محتواه وكتبه يجب ألا تنتقص ، وأن من الخطأ أن يفرض عليه تدريس منهج بعينه ، يقدمه لكل التلاميذ ، رغم ما بينهم من فروق وأوجه خلاف .

فالعالم -عندهم- يضع لكل متعلم منهجا مناسبا له ، لكنه لا يضع هذا المنهج (حتى يجرب ذهنه ويعلم حاله) [1] ، فإن جرب ذهنه وعلم حاله ووقف على قدراته (أشار عليه بكتاب في الفن المطلوب ، فإن رأى ذهنه قابلا وفهمه جيدا نقله إلى كتاب يليق بذهنه) [2] ، فإن سأل الطالب معلمه معرفة لم يتأهل لها ، وخبرة لا تلائم استعداده وتقف دونها قدراته (لم يجبه ، ويعرفه أن ذلك يضره ولا ينفعه ، وأن منعه إياه لشفقة عليه ، ولطف به لا بخلا عليه ، ثم يرغبه بعد ذلك في الاجتهاد والتحصيل ليتأهل لذلك) [3] .

-اشتراك المتعلم في وضع المنهج :

غير أن المفكرين المسلمين لم يجعلوا المتعلم وحده هو المسئول بدرجة كبيرة عن تعيين المنهج والخبرات والكتب والأدوات التي يراها ضرورية لدراسته ، ولكن لقلة خبرته ونقص علمه لا ينبغي أن يستقل بذلك وحده ، بل يتم له ذلك بمشاركة معلمه ، وعلى المعلم إذا استشاره الطالب أن لا يشير على الطالب بتعلم ما لا يتحمله فهمه أو سنه ، ولا بكتاب يقصر ذهنه عن فهمه [4] ، وحذروا الطالب من استقلاله دون معلمه المتخصص في تحديد المنهج المناسب له ، وتعيين الخبرات والمهارات التي يريد اكتسابها والمعارف التي يبغي

---

(١) ابن جماعة تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٦.

(٢) المصدر السابق:ص٥٦.

(٣) المصدر السابق:ص٥١،٥٢.

(٤) المصدر السابق:ص٥٥.

دراستها ؛ حتى لا يضل طريقه ، ويضيع وقته فيما لا يصلح له (بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليمًا وأكثر تحقيقًا فيه) (١) .

-حرية العالم في اختيار طريقة التعليم المناسبة لكل متعلم :

والعالم -في رأي المفكرين المسلمين- إلى جانب حريته في تحديد المنهج واختياره دون أن يفرض عليه ، يتمتع بحرية كاملة في اختيار طريقة التعليم التي تناسب كل متعلم ، وليست هناك طريقة واحدة تفرض عليه فيلتزمها دون أن يحيد عنها ، وإنما يتعلم كل طالب بواسطة (طريقة يرتضيها له شيخه) (٢) ، وقد يرضى المعلم بطريقة خاصة لمتعلم ويرضى لغيره طريقة أخرى ، كلٌّ حسب استعداده ، وهكذا تتعدد الطرائق وتتنوع بتنوع المتعلمين واختلافهم ، والمعلم حرٌ في اختيار الأنسب من كل الطرق .

وعلى الرغم من أن الكِتَاب كان يقوم بدور هام في عملية التعليم أكثر مما تقوم به أية وسيلة أخرى من وسائل التعليم في الزمن الماضي ، وقد وضح ذلك من حثهم الدائم لطالب العلم على اقتناء الكتب (ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراءً ، وإلا فإجارة أو عارية لأنها آلة التحصيل) (٣) ، على الرغم من ذلك فإن المعلم كان حرًا في تحديد الكيفية التي يدرس بها المتعلم الكتاب ، وليس ثمة طريقة واحدة لدراسته ، وإنما تختلف كيفية الدراسة من متعلم إلى آخر تبعًا لفهم المعلم لطبيعة المتعلم ، كما تختلف من كتاب إلى كتاب حسب طبيعة المادة العملية التي يحتويها كل كتاب ، ولذا أعطى المفكرون المسلمون المعلم الحرية في اختيار كيفية دراسة الكتب ، فقد يشير على أحد تلاميذه بأن (يتقن أولاً كتابًا واحدًا في فن واحد) (٤) ، ويشير على تلميذ آخر بأن يتقن (كتبًا في فنون ، إن كان يحتمل ذلك) (٥) .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر السابق:ص١١٤.
(٢) المصدر السابق:ص١١٦.
(٣) المصدر السابق:ص١٦٤.
(٤) المصدر السابق:ص١١٦.
(٥) المصدر السابق:ص١١٦.

وهكذا فحرية المعلم مكفولة تجاه المادة أو المواد التي يقوم بتدريسها ، وتجاه الطرق . والوسائل التي يتم بها التدريس ، وتجاه الكتب والمراجع اللازمة للتعليم ، غير أن هذه الحرية تقابلها مسؤوليات جسام يفرضها عليه ، ويحمله إياها دينه وضميره ، ذلك لأن (تعليم العلم من أهم أمور الدين ، وأعلى درجات المؤمنين) (١) .

- الموهبة أو (الفِرَاسَة) :

إنه لا يكفي فقط غزارة العلم والمعرفة والثقافة الواسعة ؛ بل على العالم أن يكون موهوباً ، بمعنى أن يمتلك الموهبة ، التي تعني أنه أهل للقيام بمهمة التعليم والتربية ، وهذه لن تتأتى عفواً ، ولكن بالتدريب الجيد الطويل المتواصل ، لتعطي العالم قوة على أداء مهمته ، وهي لا تختلف كثيراً عن الفراسة ، فالفراسة تَثَبُّت ونظر . والموهبة تثبت ونظر تنتجها أسباب اقتصادية واجتماعية وغير ذلك (٢) .

و يركز المفكرون المسلمين على أهمية الفراسة للعالم ، وتبدو في توسم المتعلم بها ، يقول الماوردي : (ليعرف مبلغ طاقته (المتعلم) ، وقدر استحقاقه ، ليعطيه ما يتحمله بذكائه ، أو يضعف عنه ببلادته ، فإنه أروح للعالم ، وأنجح للمتعلم) (٣) .

إن هذه العبارة توضح أن عناصر الموهبة تتجمع كلها في الفراسة ، هذا مع إشارة إلى ضرورة توجيه وإرشاد المتعلم لطريق العلم الصحيح ، وفي هذا توفير للجهد التعليمي ، سواء للعالم أو المتعلم ، وبالتالي تصل العملية التعليمية إلى أقصى كفاءة لها .

وهذه الفراسة مع توفيرها لجهد العالم والمتعلم تفيد في التوجيه الأخلاقي والتعليمي ، يدل على ذلك ما يقوله الماوردي : (وإذا كان العالم في توسم المتعلمين بهذه الصفة ، وكان بقدر استحقاقهم خبيراً ، لم يَضِع له عناء ولم يخب على يديه صاحب) (٤) ، والعكس صحيح أيضاً : (وإن لم يتوسمهم وخفيت عليه أحوالهم ، ومبلغ استحقاقهم ، كانوا وإياه في عناء مُكِدٍّ ، وتعب غير مجد ، لأنه لا يعدم أن يكون فيهم ذكي محتاج إلى

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر السابق:ص٤٧.

(٢) رونيه أوبير:التربية العامة،مرجع سابق،ص٧٧٩-٧٨١.

(٣) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٩٠.

(٤) المصدر السابق:ص٩٠.

الزيادة ، وبليد يكتفي بالقليل ، فيضجر الذكي منه ، ويعجز البليد عنه ، ومن تردد أصحابه بين عجز وضجر مَلّوه ومَلّهم) (١) ، ولذا كانت الحكمة : (كل علم كثر على المستمع ، و لم يطاوعه الفهم ، ازداد القلب به عمى ، وإنما ينفع سمع الآذان إذا قوي فهم القلوب في الأبدان) (٢) .

إذن فالقضية هي قضية مراعاة استعدادات وقدرات المتعلم ، وتقدير قدر العلم الواجب على العالم أن يعطيه للمتعلم ، وذلك راجع إلى فراسته وموهبته التي يتوسم بها المتعلمين و يتفهمهم ، فيعطي كلا قدره وحقه ووسعه وطاقته ، ولا يخفى أن إعطاء الذكي الفطن أقل مما يستحقه من العلم يضجره ويمله ، وإعطاء البليد قليل الفطنة أكثر مما يستحقه يعجزه ، وفي كلا الحالتين فإن هذا ينقص كفاءة العملية التعليمية ، بل ويؤدي إلى فشلها في كثير من الأحيان ، ومن أجل هذا فإن المفكرين المسلمين يركزون على أهمية الفراسة والموهبة بالنسبة للعالم .

ويستشهد السهروردي لهذه المسألة بما كان عليه الرسول ﷺ من مخاطبة الناس على قدر عقولهم ، وأنه كان (يأمر كل شخص بما يصلح له ، فمنهم من كان يأمره بالإنفاق ، ومنهم من أمره بالإمساك ، ومنهم من أمره بالكسب ، ومنهم من قرره على ترك الكسب كأصحاب الصفة ، فكان رسول الله ﷺ يعرف أوضاع الناس وما يصلح لكل واحد...) (٣) .

وهذا الجانب لا ينفصل عن النقطة السابقة ، ففهم المتعلم يتصل بفراسة المعلم بطريق أو بآخر ، وهذا يدعم أهمية الفراسة في مجال التعليم .

- الأمانة العلمية :

تحتل الأمانة مكانة عالية في النصوص الإسلامية ، وفي الفكر الإسلامي ، وفي القرآن الكريم يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٩٠.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) عبد القاهر السهروردي:عوارف المعارف،مصدر سابق،ص٤١٦.

يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (١) .

وأياً كان الاختلاف الواقع في تفسيرات العلماء حول المراد بهذه الأمانة ، فإن الأمانة مصدر سُمِّيَ به الشيء الذي في الذمة ، وضدها الخيانة (٢) ، يقول القتبي: (أصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي الأمانة فيه) (٣) .

وقد أمر الله تعالى عباده أن يؤدوا الأمانات فقال تعالى : ﴿ **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات** ﴾ (٤) ، فقد كانت هذه الآية من أمهات آيات الأحكام التي تضمنت جميع الدين والشرع .

وقد جعل رسول الله ﷺ حق تأدية الأمانة واجباً في حق البر والفاجر ، وألا نكافئ الخائن بخيانة مثلها فقال ﷺ : (**ما شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت قدمي إلا الأمانة فإنها مؤداة إلى البر والفاجر**) (٥) ، وقال ﷺ : (**أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**) (٦) .

وإذا كانت الأمانة عامة في كل الناس ، فهي كذلك عامة في كل أمور الدين والدنيا ، ومن أعظم الأمانات أمانة تبليغ العلم إلى الناس ، والصدق وعدم كتمان شيء منه ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ (٧) .

وقد كان الرسول ﷺ هو المثل الأعظم في تأدية أمانة التبليغ على أكمل وجه ، وكان من دلائل صدقه ﷺ الذي استشهدت به السيدة عائشة رضي الله عنها أنه (لو كان

---

(١) سورة الأحزاب:آية٧٢.

(٢) الراغب الأصفهاني:المفردات في غريب القرآن،مرجع سابق،ص٣٥.

(٣) القرطبي:تفسير القرطبي،مرجع سابق،مج٢،ص٢٩٤.

(٤) سورة النساء:آية٥٨.

(٥) الحديث صحيح،رواه أبو داوود ، والترمذي ، والدارمي.

(٦) الحديث صحيح،رواه مسلم.

(٧) سورة المائدة:آية٦٧.

محمد ﷺ كاتماً شيئاً من القرآن لكتم هذه الآية : ﴿ وتخفي في نفسك مـا اللّـه مبديـه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾)[1].

وقد وعى الصحابة رضوان الله عليهم ذلك من الرسول ﷺ وشهدوا بـه ، فحـين استنطقهم في حجة الوداع بذلك قالوا : (تشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت) ، فجعل ﷺ يرفع إصبعه إلى السماء وينكسها إليهم ، ويقول : (اللهم هل بلغت)[2].

هذا الحرص الشديد في النصوص الإسلامية على الأمانة قد ألقى بظلاله على الفكـر الإسلامي كله في كل العصور ، وقد أخذ مظاهر شتى نحاول أن نرصد بعض أبعـاده في هذه السطور .

لقد كانت البذور الصادقة التي بذرها رسـول الله ﷺ في قلـوب الصحابـة ، وفي وعيهم من أهم العوامل التي أنبتت شجرة الأمانة في نقل العلم وتحري الصدق ، ومن تلـك البذرات الطيبة دعاء النبي ﷺ بالنضرة لمن سمع الحديث فأداه كما سمعه ، وهـو حديـث متواتر ، قال رسول الله ﷺ : (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فـرب مبلغ أوعى من سامع)[3].

فتأدية المقالة المسموعة "كما هي" وصية حملت الصحابة ، ومن بعدهم على تحـري أن يكون ما يروون من أحاديث مطابقاً في ألفاظه ما سُمِعَ من النبي ﷺ دون أي نقـص ، أو زيادة ، أو تحريف .

كما حملهم قول النبي ﷺ : (من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحـد الكاذبين)[4] ، على أن لا يرووا ما يَشُكُّون في صحته عن النبي ﷺ .

---

(١) سورة الأحزاب:آية٣٧.

(٢) الحديث رواه البخاري ومسلم.

(٣) الحديث رواه أهل السنن بطرق كثيرة وألفاظ متعددة عن ابن مسعود.

(٤) الحديث رواه مسلم.

ولعل الدستور الأعظم في النقل كان متمثلاً في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (١) .

ولذلك لم يكن غريباً أن يقال : (للمحدثين فضل السبق في الضبط والأمانة العلمية) (٢) ، فهذه حقيقة تؤكدها الروايات الصحيحة عن علماء هذا الشأن ، كما نرى هذا في الآثار التي سوف نستعرض من خلالها مظاهر هذه الأمانة :

أ-الإمساك عن المشكوك فيه والاقتصار على ما يتقنه : فمن آداب المحدث كما يقول الخطيب البغدادي أن (يحدث بما لا يداخله فيه الشك ، وما شك في حفظه لزمه أن يمسك عنه) (٣) .

ومن ذلك أيضاً ألا يتعرض العالم لعلم لا يتقنه أو يعرفه (بل يقتصر على ما يتقنه منها) (٤) .

ب-الرواية باللحن : فقد ذهب بعض الرواة الأعلام إلى ضرورة الأمانة في النقل ؛ حتى وإن كان ذلك مخالفاً لما هو معروف في قواعد العربية ، فإن الأمانة حينئذ تقتضي أن تبلغ الرواية كما هي ، وإن كانت ملحونة ، وقد أفرد الخطيب البغدادي فصلاً في كتابه "الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع" لهذه المسألة ، التي أورد فيها كثيراً من أقوال أهل العلم ، فعن سفيان الثوري عن إسماعيل بن أمية قال : (كنا نَرُدُّ نافعاً عن اللحن ، فيأبى ، ويقول : إلا الذي سمعته) (٥) .

ولعل تلك المأثرة تبين مدى ما توصل إليه الفكر الإسلامي من تشدد في التمسك بأمانة النقل ، وذلك سبق ربما لم يُعْهَدْ إلا في هذه الأمة .

---

(١) سورة الحجرات:آية٦.

(٢) المكي أقلانية:النظم التعليمية عند المحدثين،مرجع سابق،ص٧٣.

(٣) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج٢،ص١٤.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٨.

(٥) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص٨١.

ج-عدم تفسير ما لا يعرفه : فإن السمعاني -رحمه الله- كان يرى أنه على المعلم ألا (يفسر إلا ما عرف معناه ، وأما ما لم يعرف فيلزمه السكوت عنه) [1] .

د-ضرورة معارضة الكتب : وذلك من الآداب المهمة والضرورية التي يؤكد عليها علماء الحديث في حق المحدثين ، أنهم لا بد لهم من معارضة كتبهم ، فالأوزاعي يشبه الذي يكتب ولا يعارض بالذي (يدخل الخلاء ولا يستنجي) [2] .

ولا شك أن في هذا الأدب ما يدفع الأوهام والأغاليط عن كتب العلماء ، ويجعلها أمينة فيما تنقله من أخبار .

هـ-الرواية من الكتب : وحرصاً على تجنب الأخطاء ، والبعد عن الزلل تحدثوا عن أهمية أن يكون التحديث من كتاب ، يقول الخطيب البغدادي : (الاحتياط للمحدث والأولى به أن يروي من كتاب ؛ ليسلم من الوهم والغلط ، ويكون جديراً بالبعد عن الزلل) [3] ، وقد روى في ذلك آثاراً كثيرة ؛ توضح أنهم كانوا يعتبرون من يحدث من كتاب هو أقل العلماء سقطاً ، وأكثرهم حظوة عندهم وقبولاً [4] .

و-البعد عن رواية الضعفاء وأهل البدع : وذلك من أعظم الأمانات ألا يروي إلا عن ثقة مأمون ، وينأى عن التحديث عن الضعفاء والكذابين ، وأهل البدع الداعين إليها ، تلك الدقة المتناهية التي ألفيناها عند المحدثين الذين عنوا بمسألة التوثيق عناية فائقة ، واختطوا لأنفسهم منهجاً دقيقاً ، برز عنهم في ذلك العلم الجليل الذي أسموه : علم الجرح والتعديل ، وذلك كي يصلوا إلى التأكد من صحة ما ينقلون ، يقول الخطيب البغدادي : (أما من ثبت فسقه ، وظهر كذبه فلا تصلح الرواية عنه) [5] .

ومن أمانة العلم أنهم حذروا من رواية الروايات الضعيفة والموضوعة ؛ إلا ببيان

---

(١) شفيق زيعور:المذهب التربوي عند السمعاني،مرجع سابق،ص٢٩.
(٢) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٢٢١.
(٣) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج٢،ص١٠.
(٤) المصدر السابق:ج٢،ص١٠-١١،والسمعاني:مصدر سابق،ص١١٣.
(٥) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج٢،ص٩٠.

درجتها ، من غير تدليس ؛ لتبرأ الذمة ، أو أنهم يروونها على سبيل التحذير [1] .

ومن ثم كان من باب الدقة عندهم حين يروون الآثار أن يبينوا درجتها بألفاظ يعرفها أهل الشأن ، مثل "قيل" ، و"رُوِيَ" ، وغير ذلك من الصيغ التي يطلقون عليها صيغ التمريض .

ز-عدم الفتوى بغير علم : ذلك أدب إسلامي رفيع يتمتع به الفكر الإسلامي ، لقنه الرسول ﷺ للأمة ؛ فتعلموه منه ، ذلك أنه لا يجوز لمن لا يعلم أن يفتي ، وإنما وجب عليه السؤال ، أو قول لا أعلم ، يقول الآجري : (فلا يستنكف أن يقول لا أعلم إذا كان لا يعلم ، وهذا طريق أئمة المسلمين من الصحابة ، ومن بعدهم من أئمة المسلمين اتبعوا في ذلك نبيهم ﷺ ؛ لأنه كان إذا سئل عن الشيء بما لم يتقدم له فيه علم الوحي من الله عز وجل فيقول : لا أدري ، وهكذا يجب على كل من سئل عن شيء لم يتقدم فيه العلم أن يقول الله أعلم به ، ولا علم لي به ، ولا يتكلف ما لا يعلمه ، فهو أعذر له عند الله ، وعند ذوي الألباب) [2] ، وقد رووا في ذلك حديث الرجل الذي سأل رسول الله ﷺ أي البقاع خير ؟ ، فأجابه رسول الله ﷺ : بلا أدري ، أو سكت [3] ، هذا وقد حكم الرسول ﷺ على من أفتى بغير علم ؛ فكان موت المستفتي في فتواه أنه مشارك في قتله ، فقال ﷺ : (**قَتَلُوهُ قَتَلَهُمُ اللهُ ألاَ سَأَلُوا إِذْ لَمْ يَعْلَمُوا فَإِنَّمَا شِفَاءُ الْعِيِّ السُّؤَالُ**) [4] ؛ فقد ألحق بهم الوعيد بأن دعا عليهم ، وجعلهم في الإثم قتلةً له .

ولذلك فقد توارث العلماء فيما بينهم قول لا أعلم ، وكان من آداب العالم في الفكر الإسلامي تجنب اللجاجة والادعاء بعلم ما ليس يعلمه ، فإذا سئل عن علم لا يعلمه ، قال : لا أعلم .

يروي الآجري عن علي بن أبي طالب ﷺ ، أنه خرج يوماً على أصحابه ، وهو يمسح بطنه ، وهو يقول : (يا بردها على الكبد ، سئلت عما لا أعلم ، فقلت : لا أعلم ،

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج٢،ص٩١-٩٨.

(٢) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص١٢٨.

(٣) الحديث صحيح رواه الطبراني ، وابن حبان ، والحاكم ، وصححاه عن ابن عمر.

(٤) الحديث صحيح رواه أبو داود ، وغيره.

والله لا أعلم) [1] ، وهكذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم أجمعين- فيما تروى عنهم من آثار ، وقد كانوا يحسون بمدى جسامة المسؤولية التي على أعناقهم ؛ إن هم أجابوا بغير علم ، ولذلك فعندما تعجب البعض من ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه أجاب بلا أعلم ، فقال له : (إني لأعظم أن يكون مثلك ابن إمام هدى يُسْأَلُ عن شيء لا يكون عندك منه علم ؟! ، فقال ابن عمر له : أعظم والله من ذلك عند الله ، وعند من عقل عن الله عز وجل أن أقول بغير علم ، أو أحدث عن غير ثقة) [2] .

بل أكثر من ذلك أنهم كانوا يعتبرون أن من مقاتل العالم ؛ أنه لا يقول في بعض فتاواه لا أعلم ، يروى ذلك عن ابن عباس ، وغيره -رضي الله عنهم أجمعين- يقول : (إذا أخطأ العالم أن يقول لا أدري ، فقد أصيبت مقاتله) [3] .

يقول النووي في شرحه لحديث جبريل -عليه السلام- حين سأل الرسول ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ، ثم عن أشراط الساعة ؛ فأجاب الرسول بأنه ما المسئول عنها بأعلم من السائل : (فيه أنه ينبغي للعالم والمفتي وغيرهما إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم ، وأن ذلك لا ينقصه ، بل يستدل به على ورعه وتقواه ووفور علمه) [4] .

ومن ثم لا نتعجب عندما نجدهم لا يفتون حتى لا يجدوا بداً من الفتوى ، وإلا فإن بعضهم يكتفي ببعض ، ويحيل عليه تورعاً من الوقوع في الفتيا بغير علم ، واكتفاء بمن هم أهل للفتوى من العلماء ، يروي الآجري عن ابن أبي ليلى أنه قال : (أدركت عشرين ومئة من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار إذا سئل أحدهم عن الشيء أحب أن يكفيه صاحبه) [5] .

وقد كانت هذه الصفة ملازمة للعلماء ، والفقهاء ، حتى إن سفيان الثوري فيما يرويه الآجري أيضاً يقول : (أدركت الناس ممن أدركت من العلماء والفقهاء ، وهم

---

(١) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص١٢٨.

(٢) المرجع السابق:ص١٣٢.

(٣) المرجع السابق:ص١٣٣.

(٤) النووي:شرح صحيح مسلم،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ج٣،ص٢١٣.

(٥) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص١١٧.

يَتَرَادُّون المسائل ، يكرهون أن يجيبوا فيها ، فإذا أعفوا منها ، كان ذلك أحب إليهم) [1] .

فلقد كانوا يعتبرون أن أجرأ الناس على الفتيا هم أقلهم علماً [2] ، ويعتبر الإمام ابن الجوزي أن مقدرة العالم على قول لا أعلم راجع إلى صحة قصده ، وإخلاصه ، فإنه (إذا صح قصد العالم استراح من كلف التكليف ، فإن كثيراً من العلماء يأنفون من قول لا أدري ، فيحفظون بالفتوى جاههم عند الناس ... وإن كانوا على غير يقين مما قالوا ، وهذا نهاية الخذلان) [3] .

وابن جماعة يروي عن بعض السلف قولهم : "لا أدري" نصف العلم ، (وقيل ينبغي للعالم أن يورث أصحابه لا أدري ؛ لكثرة ما يقولها) [4] ، ويعتبر ابن جماعة أن من يأنف عن قولها فهو ضعيف الديانة ، قليل المعرفة [5] .

ولذلك كان الحامل للعالم أن يقول لا أدري هو الخوف أن يتقول على الله ، وعلى العلم بغير علم فيهلك ، يروي ابن عبد البر عن ابن عمر أنه أجاب قوما بلا أدري ، ثم التفت إلى عقبة بن مسلم قائلاً : (يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً لهم إلى جهنم) [6] .

ولقد بدا هذا واضحاً في سلوكياتهم حين كانوا يتورعون عن الرواية خوفاً من وقوع الخطأ ، يروي الخطيب البغدادي عن ابن معين أنه قال : (إني لأحدث بالحديث فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه) [7] .

ح-الرجوع إلى الحق عند ظهوره : على العالم ألا يأنف من أن يقول قولاً ثم يرجع عنه إلى غيره ؛ متى بدا له وجه الصواب فيه ، فالحق -دون سواء- هو مطلبه وبغيته ، وقد

---

(١) الآجري:أخلاق العلماء،مصدر سابق،ص١١٧-١١٨.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) ابن الجوزي:صيد الخاطر،مصدر سابق،ص١٧٨،١٧٩.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٣.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٦) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج٢،ص٨٤١،وص٨٢٦ وما بعدها،وابن قتيبة:عيون الأخبار،مرجع سابق،ج٢،ص١٣٥،والماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٥-٨٦،والنووي،آداب العالم والمتعلم،مقدمة المجموع،مصدر سابق،ص٤٢.

(٧) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،مصدر سابق،ج٢،ص١٠.

أوجب المفكرون المسلمون على ضرورة تنبيه العالم إلى الحق إذا جانبه الصواب ، والتلطف في رده إلى الحق بأن (يحسن خطابه في الرد إلى الصواب) (١) ، و(إذا تحقق خطأ الشيخ في جواب مسألة .. تعين تنبيه الشيخ على ذلك في الحال بإشارة أو تصريح ، فإن ترك ذلك خيانة للشيخ ، فيجب نصحه بإيقاظه لذلك بما أمكن من تلطف أو غيره) (٢) .

ويجب على العالم ألا يجد حرجًا في العودة في قوله ورأيه إذا وجد الصواب في خلافه ، بل يجب عليه (أن يلازم الإنصاف في بحثه وخطابه) (٣) ، وأن يقبل الصواب (من مورده على وجهه وإن كان صغيرًا ، ولا يترفع عن سماعه فيحرم الفائدة) (٤) .

ط- **التوقف عن الإجابة على كل سؤال** : يجب على العالم ألا يكون مستعدًا للإجابة دائمًا ، سواء بالنفي أو الإيجاب على أسئلة تلاميذه ، فهناك حالات يجب أن يتوقف فيها العالم عن الإجابة وإصدار الأحكام ؛ حتى يتأكد من صحة أحكامه وسلامة إجاباته ، وينبغي أن يجيب عما لا يعرف بقوله : لا أعرف أو لا أدري ، أو لا أتحقق منه ، ولا يتحرج من ذلك ، فالحرج في أن يسرع بالجواب من غير تثبت ، ويبادر بإصدار أحكام على غير علم ، ثم يتقاعس بعد ذلك عن البحث والدراسة وصولاً إلى اليقين الجازم ، والحكم الصحيح ، فالعالم إذا سئل عما لم يعلمه قال : لا أعلمه ، أو لا أدري ، فمن العلم أن يقول لا أعلم ، (وعن بعضهم (لا أدري) نصف العلم ، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- : إذا أخطأ العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله) (٥) ، يروى عن محمود بن عبد

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١١٢.
(٢) المصدر السابق:ص١٢٥.
(٣) المصدر السابق:ص٤٢.
(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٥) المصدر السابق:ص٤٢.

الحكم [1] قال : (سألت الشافعي رضي الله عنه عن المتعة : أكان فيها طلاق أو ميراث أو نفقة تجب أو شهادة ؟ فقال : والله ما ندري) [2] .

ولعله قد يكون من الصعب على بعض العلماء قول لا أدري ، أو لا أعلم لطلابهم ، لما يخشونه من الاتهام بالجهل والعجز ، وقصور للمعرفة ، وقلة العلم ؛ لكن المفكرين المسلمين أكدوا على أن قول العالم : لا أعلم أو لا أدري في بعض الحالات ليس دليل جهل ، أو علامة قصور ؛ بل هو كمال المعرفة بعينه (واعلم أن قول المسئول لا أدري لا يضع من قدره ، كما يظنه بعض الجهلة ، بل يرفعه ، لأنه دليل عظيم على عظم محله ، وقوة دينه ، وتقوى ربه ، وطهارة قلبه ، وكمال معرفته ، وحسن نيته.. وإنما يأنف من قول لا أردي من ضعفت ديانته ، وقلت معرفته ، لأنه يخاف من سقوطه من أعين الحاضرين ، وهذه جهالة ورقة دين ، وربما يشتهر خطؤه بين الناس ، فيقع فيما فر منه ، ويتصف عندهم بما احترز عنه) [3] .

وهذا الأصل من أصول البحث مبدأ من أعز ما يقدمه الإسلام إلى المنهج العلمي ، وهو مبدأ (لا أدري) ، ففرضٌ على العالم -أي عالم- أن يقولها إذا سئل عما لا يدري ، ويقوم هذا المبدأ أساسًا على أصل من صريح النص في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، حيث يتقرر مبدأ يعد أصلا من أصول العقيدة في استحالة أن يحيط الإنسان بكل شيء علمًا ، وأن ذلك لله وحده -سبحانه- الذي ﴿أحاط بكل شيء علمًا﴾ ، وقال ﷺ : **(من علم منكم شيئًا فليقل لما لا يعلم : الله أعلم ، فإن من علم المرء أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم)** [4] .

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم بن أيمن المصري، الفقيه الشافعي،كانت ولادته سنة اثنين وثمانين ومائة، وتوفي يوم الأربعاء لليلة خلت من ذي القعدة،وقيل منتصفه سنة ثمان وستين ومائتين،انظر ابن خلكان:وفيات الأعيان،مرجع سابق،جـ٤،ص١٩٣.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٢.

(٣) المصدر السابق:ص٤٣.

(٤)د.عائشة عبد الرحمن:القرآن وقضايا الإنسان،دار العلم للملايين،بيروت،١٩٧٥م،ص٤٣٣-٤٣٨

ولقد أدرك المفكرون المسلمون قيمة أن يظل العالم مترقبًا للإجابة ، غير قادر على التصريح بها فترة من الزمن حتى يبحث ويدرس ، ويزيد نصيبه من المعرفة ، ومن ثم يحصل على إجابة يطمئن لها قلبه ، ولا شك أن (هذا الاتجاه يحتاج تكوينه إلى مجهود شاق ، ذلك أن تجنب الوصول إلى نتائج سريعة فجة ، والحذر من إقامة أحكام على غير أساس كاف من الشواهد والواقعية ، وتجنب عمل التفسيرات التي هي في الواقع ابتداع من خيال ، كل ذلك يحتاج إلى تدريب طويل وإعداد خاص) [1] .

والعلم لا حد له ، فيجب على العالم أن يستزيد منه في كل ساعة ، وقد أوجز ابن جماعة هذه الحقيقة الرائعة في حثه للعالم على الاستزادة من العلم الذي لا ينضب بقوله : (وليطالب نفسه كل يوم باستفادة علم جديد، ويحاسبها على ما حصله) [2] وقوله : (والعاقل يعلم أن أبرك الأيام عليه يوم يزداد فيه فضيلة وعلمًا) [3].

ومن المعروف أن العلم لا يثبت على حال ، بل يضاف إليه في كل يوم جديد ، ولذا حث المفكرون المسلمون العالم على أن (لا يؤخر فائدة تمكن منها ، أو يشغله الأمل والتسويف عنها ، فإن في التأخير آفات ، ولأنه إذا حصلها في الزمن الحاضر ، حصل في الزمن الثاني غيرها ، فالعلم لا يتناهى) [4] .

-الاستمرار في طلب العلم:

ومما يجب على العالم أن يتأدب به ، الحرص على العلم واستمرار طلبه ، وزيادته ، (فلا يزال الرجل عالماً ما تعلم ، فإذا ترك العلم ، وظن أنه استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون) [5] .

---

(١) محمد عماد الدين إسماعيل: المنهج العلمي وتفسير السلوك،مكتبة النهضة المصرية،القاهرة،ط١، ١٩٧٠م، ص٨١.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٢٠.

(٣) المصدر السابق:ص٢٢٠،٢٢١.

(٤) المصدر السابق:ص١٣٤.

(٥) د.عمر التومي:من أسس التربية الإسلامية،مرجع سابق،ص٢٣٤.

فالاستمرار في طلب العلم ضروري لتجديد المعرفة وإنمائها ، (فينبغي أن لايزال مجتهداً في الاشتغال بالعلم قراءة وإقراء ومطالعة وتعليقاً ، ومباحثة ومذاكرة وتصنيفاً) [١] .

والعالم لا ينبغي له أن يسكت عن طلب العلم ، وإن صار في طبقة العلماء الأفاضل ، فليس له أن يستنكف من تعلم ما ليس عنده ، ليسلم من التكلف ، وعليه أيضاً ، أن لا يقنع من العلم بما أدرك ، لأن القناعة في العلم زهد ، والزهد فيه ترك ، ثم يكون الجهل ، وهذا لا يصح من العالم .

و يلفت المفكرون المسلمون النظر إلى أهمية استمرارية التعلم بالنسبة للعالم ، بشرط أن يفهم نفسه حق فهمها ، ولا يتجاوز بها قدر حقها ، ولا يذعن للانقياد لها حتى لا يكف عن طلب العلم .

وقد رأى المفكرون المسلمون ضرورة ألا يشغل العالم نفسه بشيء آخر سوى العلم ، (فإن اضطر إلى غيره في وقت ، فعل ذلك الغير بعد تحصيل وظيفته من العلم) [٢] .

والاستمرار في طلب العلم كان دأب العلماء من السلف ، فمما يذكر عن ابن رشد الفقيه الفيلسوف ، أنه لم يترك القراءة طيلة حياته ، إلا ليلة بنى بامرأته ، وليلة ماتت والدته ، ويروي محي الدين بن عربي عن المأمون ، أنه قال له منصور بن المهدي : (أيحسن بنا طلب العلم والأدب ، قال : والله لأن أموت طالباً للعلم ، خير من أن أعيش قانعاً بالجهل ، قال : وإلى متى يحسن بي ذلك ؟ ، قال : ما حسنت بك الحياة) [٣] .

و بذلك فالمفكرون المسلمون لا يفصلون التعليم عن التعلم ، فكل معلم -في رأيهم- ينبغي أن يزداد علمًا بما يُعَلِّمُهُ في كل وقت ، وعليه أن (يطالب نفسه في كل يوم باستفادة علم جديد ، ويحاسبها على ما حصله) [٤] ، والعالم إذا أراد أن ينجح في مهمته ، فلا مفر

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر السابق،ص٢٩.

(٢) المصدر السابق:ص١٣٣-١٣٤.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق:ص٧٠.

له من أن يُقْبل على الاستزادة من العلم بمادته ، وعلم تخصصه (ولتكن همته في طلب العلم عالية ، فلا يكتفي بالقليل مع إمكان الكثير)[1] ، (وعليه أن يبادر أوقات عمره إلى التحصيل ، ولا يغتر بخدع التسويف والتأميل ، فإن كل ساعة تمضي من عمره لا بدل لها ولا عوض عنها) [2] ، وعليه أن يتمثل الحكمة القائلة (العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك) [3] ، (ولا يستقل بفائدة يسمعها ، أو يتهاون بقاعدة يضبطها ، بل يبادر إلى تعليقها وحفظها) [4] ، (ولا يؤخر تحصيل فائدة تمكن منها ، أو يشغله الأمل والتسويف عنها ، فإن في التأخير آفات ، ولأنه إذا حصلها في الزمن الحاضر،حصل في الزمن الثاني غيرها) [5] .

إن المفكرين المسلمين يلفتون الانتباه بهذه النصوص –وغيرها مما يحث العالم على مداومة التعلم واستمرارية طلب العلم– إلى حقيقة لم تعد الآن موضع شك ، وهي تداخل عمليتي التعلم والتعليم ، لا من حيث الشبه الموجود بين اللفظين (التعلم والتعليم) ، بل لاعتماد كل منهما على الأخرى ، حيث لا يحدث التعلم إذا لم يكن التعليم مؤثرًا ، والمتعلم عادة لا يعطي انتباهه إلى المعلم القاصر في تعليمه ، العاجز عن الإحاطة بأبعاد مادته ، فالتعلم الجيد في النهاية لابد أن يؤدي إلى تعليم .

وقد نتساءل هل من الضروري للعالم المعلم ما ذهب إليه المفكرون المسلمون من

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر السابق،ص٧١.
(٢) المصدر السابق : نفس الصفحة .
(٣) المصدر السابق:ص١٣٣.
(٤) المصدر السابق : نفس الصفحة .
(٥) المصدر السابق : ص١٣٤.

ضرورة مداومة التعلم ، واستمرارية طلب العلم ، والجد والاجتهاد في الإلمام بفروع المعرفة التي يقوم بتدريسها ، وبذلك الجهد والوقت في سبيل ذلك إلى حد أنه (لا يضيع شيئًا من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم إلا بقدر الضرورة من أكل وشرب أو نوم أو استراحة لملل أو أداء لحق زوجة أو زائر أو تحصيل قوت ، وغيرها مما يحتاج إليه ، أو لألم يتعذر معه الاشتغال) [1] ؟! ألا يكفي العالم الإحاطة بأولويات المادة التي يُعَلِّمُها وأساسياتها ، لأن ما يحتاج إليه في تعليمه هو أن يُلِمَّ بتلك الأوليات ويتقنها ، وهي معارف محددة لا يعتريها التغير ، ولا يتطرق إليه الشك ؟! .

والجواب على ذلك هو : إنه لا يكفيه معرفة بأوليات المادة التي يعلمها لتلاميذه لكي ينجح في عمله ، ذلك لأن الإنسان لا يمكن أن يدرك حقيقة علم من العلوم ؛ حتى المبادئ الأولية منه إلا إذا اطلع على آفاقه العليا ، ليلم به إلماماً على الأقل ، لا ليكون أستاذاً فيه ، هذا إلى جانب أن المعارف الضئيلة قلما تثير أذهان التلاميذ ، أو تحرك أخيلتهم ، فإذا اقتصر العالم على تلقين ما عنده من المعارف القليلة ، لم يفد التلميذ منها إلا أن يحفظها عن ظهر قلب ، وقلما يفهمها فهمًا جيداً باعثًا على التفكير [2] ، ولا شك أن العالم إذا دأب على البحث في مادته ، وحرص على تحصيل مهاراتها ، أمكنه أن يجعل درسه ممتعًا ، واستطاع أن يقدم موضوعات علمه لطلابه بطريقة شائقة ، تنفي عنهم السأم ، وتدفع عنهم الملل ، (وكلما كانت إحاطة المعلم بمادته أوسع ، كان ميل تلاميذه إليه أعظم ، فيحبونه ويعجبون به ، ويقبلون عليه لما يجدون عنده من غزارة المادة وحسن التصرف في أطراف البحث) [3] .

و إقبال العالم بهمة عالية على البحث في آفاق مادة تخصصه ، والاطلاع على دقائقها لن يتحقق إلا إذا آمن بقيمة هذه المادة ، وأحبها وشغف بها ، فالعالم إذا أحب علمه أقبل عليه بكليته وصانه ونزهه (عن جعله سلمًا يتوصل به إلى الأغراض الدنيوية من

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر السابق،ص١٣٤.

(٢) المصدر السابق:ص٢٧.

(٣) جيلبرت هايت:فن التعليم،مرجع سابق،ص٤٣،٤٤.

جاه أو مال أو سمعة أو شهرة أو خدمة أو تقدم على أقرانه) [1] ، ووجد عظيم لذته ، وغاية بغيته في تعلم ذلك العلم وتعليمه ، ووجد في متعة التعلم والتعليم ما يغنيه (عن الطمع في رفق من طلبته بمال أو خدمة أو غيرهما بسبب اشتغالهم عليه وترددهم إليه) [2] .

بل إن العالم إذا أحب العلم الذي يعلمه لتلاميذه ، وعشق مادة تخصصه ، لم يصرفه عن ذلك العلم صارف ؛ حتى وإن عرض له مرض أو اعتراه ألم ، بل لعله يجد في الاشتغال بالعلم الذي أحبه شفاء دائه ، ودواء ألمه ، فلقد (كان بعضهم لا يترك الاشتغال (أي بالعلم) لعروض مرض خفيف أو ألم لطيف ، بل كان يستشفى بالعلم) [3] ، ولقد صح بالتجربة (أن حب المعلم لمادته العلمية ، يؤثر في طريقة تدريسه ، فإذا كان كارهًا للمادة التي يدرسها فترت همته ، ونفر الطلاب من دراستها) [4] .

-المواظبة على الاشتغال بالمطالعة والتأليف :

إن المطالعة في الكتب ، والاشتغال بالتأليف والتصنيف من أهم عوامل تحصيل العلم ، والاستمرار في التعلم ، فإذا تأهل العالم للبحث والتأليف ، وامتلك المهارات اللازمة لذلك ، وبعد أن يطلع على أكثر الكتب المؤلفة في تخصصه ، أو أكثرها شهرة و (إذا كملت أهليته ، وظهرت فضيلته ، ومر على أكثر كتب الفن أو المشهور منه بحثًا ومراجعة ومطالعة ، اشتغل بالتصنيف) [5] .

وكان هذا هو سلوك العلماء البارزين المجدين ، قال الربيع : (لم أر الشافعي رضي الله عنه آكلاً بنهار ولا نائماً بليل لاشتغاله بالتصنيف) [6] .

ويعقد المفكرون المسلمون أهمية كبيرة على اشتغال العالم بالتأليف والتصنيف في

(١) جميل صليبا:مستقبل التربية في العالم العربي،مرجع سابق،ص٣٧٨.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم:مصدر السابق،ص٩٩.

(٣) المصدر السابق:ص٢٧.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) عبد الرحمن صالح:دور التربية العملية في إعداد المعلمين،مرجع سابق،ص١٣.

(٦) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم:مصدر السابق،ص١٣٥-١٣٦.

زيادة حصيلته من المعارف والعلوم ، والخبرات والمهارات المتصلة بمادته العلمية ، فهم يرون أن العالم إذا اشتغل بالتأليف اضطر إلى أن (يطلع على حقائق الفنون ، ودقائق العلوم للاحتياج إلى كثرة التفتيش والمطالعة والتنقيب والمراجعة) (١) ، هذا إلى جانب أن التأليف (يثبت الحفظ ، ويذكي القلب ، ويشحذ الطبع ، ويجود البيان) (٢) .

-ضوابط التأليف :

ويضع المفكرون المسلمون ضوابط للتأليف ؛ تتعمق بها خبرة العالم ، وتتحقق بها الفائدة ، من ذلك أن يتوجه البحث إلى الميادين الجديدة التي لم تسبق دراستها والتأليف فيها ، وإلى الخبرات والمهارات والمعارف التي تشتد الحاجة إليها ، وأن يبذل العالم في البحث كل جهده ، ويفرغ في تجويده طاقته ، فلا يخرج من بين يديه إلا على أكمل صورة وأوفاها ، بعد أن يهذبه ويرتبه ويعيد النظر فيه مرات ، كل ذلك مع الالتزام بحسن البيان ، وإيضاح العبارة ، والبعد عن التطويل بغير حاجة ، أو الإيجاز المخل بالمعنى ، يقول ابن جماعة : (والأولى أن يعتني بما يعم نفعه ، وتكثر الحاجة إليه ، وليكن اعتناؤه بما لم يسبق إلى تصنيفه ، متحريًا إيضاح العبارة في تأليفه ، معرضًا عن التطويل الممل والإيجاز المخل ، مع إعطاء كل مصنف ما يليق به ، ولا يخرج تصنيفه من بين يديه قبل تهذيبه وتكرير النظر فيه وترتيبه) (٣) .

وتعد هذه الضوابط من أهم ما ينبغي أن يتوخاه الباحثون الآن في دراساتهم وبحوثهم ، فالبحث الجيد هو الذي يتعقب الجديد في كل علم ، ويخوض غمار الميادين التي لم يتناولها البحث من قبل ، وهو الذي يهدف إلى خدمة الناس وتحقيق مصالحهم ، وتعضيد ما تشتد حاجتهم إليه ، ويلتزم الباحث فيه أصول البحث العلمي .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم:مصدر السابق،ص٢٨.

(٢) المصدر السابق:ص٢٩.

(٣) المصدر السابق:ص٣٠.

-التحذير من التقاعس عن التأليف بعد امتلاك مقوماته :

وأدرك المفكرون المسلمون أن البعض قد يتهيب الإقدام على التأليف ، رغم امتلاك مهارات البحث ، والقدرة على التنقيب ، والدأب في تعقب الحقائق ، والصبر على إدراك الدقائق ، خشية انتقاد الآخرين لما يكتب ، وتجريحهم لما يتوصل إليه من نتائج ، وعدم التزام الموضوعية والإنصاف في النقد ، فنبهوه إلى أنه يخطئ في أن يتقاعس ويتخاذل ، ويقعد عن البحث والتأليف ، لأنه بذلك يضر نفسه ، ويمنع الآخرين من الإفادة بعلمه ، علاوة على أن ذلك حق مشروع له ؛ ما دام قادراً عليه ، وقد يكون إنكار الآخرين عليه هذا الحق بسبب التنافس ، وتزكية العداوة ، وتحاسد من بعض أهل العلم الواحد ، مع أن ذلك لا يليق بأهل العلم ، يقول ابن جماعة : (ومن الناس من ينكر التصنيف والتأليف في هذا الزمان على من ظهرت أهليته ، وعرفت معرفته ، ولا وجه لهذا الإنكار ، إلا التنافس بين أهل الأعصار) [1] ، مع أنه (لا يليق بأهل العلم تعاطي المنافسة والشحناء ، لأنها سبب العداوة والبغضاء) [2] ، والأصل في أهل العلم أن يكون هدفهم جميعًا (ظهور الحق وطلب الفائدة) [3] .

ثم بينوا تناقض هذا الفريق من الناس ، كاشفين عن سوء طويتهم في تثبيط الباحثين المجدين ، وعدم التزام الموضوعية والعدل في نقد أعمالهم ، لأنه إذا اتجه الباحث إلى الكتابة فيما لا فائدة منه على علمه ، سكتت عنه ألسنة أولئك ، وغاب عن انتقادهم وتجريحهم ، أما إذا اتجه بإمكاناته وقدراته وإفراغ طاقته في بحث قضايا علمه ومسائله مما يحتاجه طلابه ومجتمعه سلقوه بألسنة حداد مستهجنين مستنكرين ، يقول ابن جماعة : (وإلا فمن إذا تصرف في مداده وورقه بكتابة ما شاء من أشعار وحكايات مباحة أو غير ذلك لا ينكر

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم:مصدر السابق،ص٣٠.
(٢) المصدر السابق:ص٤٠.
(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

عليه ، فلم إذا تصرف فيه بتسويد ما ينتفع به من علوم .. ينكر ويستهجن)[1] .

ثم يعودون إلى التأكيد على أن خوض مجال البحث والتأليف مرهون بامتلاك الباحث لمهاراته وأدواته ، فإذا ألف وصنف بغير أهلية ، وتعرض لنقد الآخرين وهجومهم عليه ، فلا يلومن إلا نفسه ، ويكون التهجم عليه وانتقاده بعنف نتيجة طبيعية لعدم قدرته على البحث وافتقاد مهاراته ، وعدم إتقانه لما يعمل ، هذا فضلاً عن أنه يضيع وقته ، وينفق جهده فيما لا فائدة منه (أما من لم يتأهل لذلك ، فالإنكار عليه نتيجة لما يتضمنه من الجهل .. ولكونه يضيع زمانه فيما لم يتقنه ، فليدع الإتقان للذي هو أحرى به منه)[2] .

- العمل بالعلم :

فلا بركة ولا نفع في علم لا يُعمل به ، إن مواكبة العمل للعلم ضروري وهام ، خاصة من العلماء (وليكن من شيمته العمل بعلمه ، وحث النفس على أن تأتمر بما يأمر به ، ولا يكن ممن قال الله تعالى فيهم : ﴿ **مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا** ﴾[3] ، وقال قتادة في قوله تعالى : ﴿ **وإنه لذو علم لما علمناه** ﴾[4] إنه العامل بما علم ، وتأتي أهمية وضرورة العمل بالعلم لما يلي :

١- أن علم العالم حجة على من أخذ عنه واقتبسه منه .

٢- إذا لم يواكب العلم العمل فلا فائدة منه .

٣- تجنب قول ما لا يفعل .

(ولا يأمر بما لا يأتمر به ، وأن لا يُسرَّ غير ما يُظْهِر ، ولا يجعل حجته نفع القول ، وإن قصر في العمل ، فإن إصرار النفس يغريها ، ويحسن لها مساويها ، فإن من قال ما لا

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣٠.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) سورة الجمعة:آية٥.

(٤) سورة يوسف:آية٦٨.

يفعل فقد مكر ، ومن أمر بما لا يأتمر فقد خدع ، ومن أسر غير ما يظهر فقد نافق ، على أن أمره بما لا يأتمر مطرح ، وإنكاره ما لا ينكر من نفسه مستقبح ، بل ربما كان ذلك سبباً لإغراء المأمور بترك ما أمر به عناداً ، وارتكاب ما نهى عنه كياداً) (١) .

فالعمل بالعلم التزام مهم للعالم ، باعتباره قدوة ، والناس دائماً ينظرون للعالم باعتباره متحققاً بقوله وفاعلاً له ، فإذا لم يكن قد تحقق بالفعل ، فإنه لا يصبح قادراً على التأثير ، (يُحْكَي أن أعرابياً ذهب إلى ابن أبي ذئب الفقيه المحدث ، وسأله عن مسألة طلاق فأفتاه بطلاق امرأته ، فقال : انظر حسناً !! ، قال : نظرت !! ، وقد بانت منك ، فولى الأعرابي وهو يقول :

أتيت ابن ذئب أبتغي الفقه عنده ... فطلق حتى البت تبت أنامله

أطلق في فتوى ابن ذئب حليلتي ... وعند ابن ذئب أهله وحلائله

فظن بجهله، أنه لا يلزمه الطلاق بقول من لم يلتزم الطلاق ، فما ظنك بقول يجب فيه اشتراك الآمر والمأمور ، كيف يكون مقبولاً منه ، وهو غير عامل به ، ولا قابل له ؟ كلام (٢) .

فالمفكرون المسلمون علقوا أهمية كبرى على تجنب القول الذي لا يُعْمَلُ ، بل يجب أن يكون قول العالم مطابقاً لعمله .

- توقير العلم وصيانته :

كان علماء السلف يوقرون العلم ، توقيراً بالغاً ؛ فكان أحدهم لا يجلس في مجلس العلم حتى يغتسل ، ويتطيب ، ويلبس أحس ثيابه (٣) ، وكان يستحب أن لا يقرأ أحاديث النبي ﷺ إلا على وضوء ، ومالك والليث بن سعد كانا لا يكتبان الحديث إلا وهما طاهران (٤) ، وبلغ بهم توقير العلم حداً لم يُعرف من قبل ولا من بعد ، يروي مالك انه

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٨٦.

(٢) المصدر السابق،نفس الصفحة.

(٣) المكي أقلاينة:النظم التعليمية عند المحدثين،مرجع سابق،ص٥٣-٥٤.

(٤) المرجع السابق،نفس الصفحة.

(جاء رجل إلى سعيد بن المسيب ، وهو مريض ، فسأله عن حديث ، وهو مضطجع ، فجلس وحدثه ، فقال له الرجل : وددت أنك لم تتعن ، فقال : إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله ﷺ وأنا مضطجع) [1] .

ومن توقيرهم للعلم أنهم كانوا لا يحدثون في حالتي المشي والقيام ، يقول عبد الرحمن بن مهدي : (سألت مالك بن أنس عن حديث ، وأنا أصحبه في الطريق ، فقال : هذا حديث رسول الله ﷺ ، وأكره أن أحدثك ونحن نستطرق الطريق) [2] .

ويعلق الخطيب البغدادي على هذه المواقف قائلاً : (كراهة من كره التحديث في الأحوال التي ذكرناها ، من المشي ، والقيام والاضطجاع ، على غير طهارة ؛ إنما هي على سبيل التوقير للحديث ، والتعظيم والتنزيه له ، ولو حدث في هذه الأحوال لم يكن مأثوماً ، ولا فعل أمراً محظوراً ، وأجل الكتب كتاب الله ، وقراءته في هذه الأحوال جائزة ، فقراءة الحديث فيها أولى) [3] .

ومن توقير العلم صيانته ، وعدم بذله إلى غير مستحقيه ، من الطلبة المجدين المحبين له ، الساعين لطلبه ، فيجب على العالم (أن يصون العلم كما صانه علماء السلف ، ويقوم له بما جعله الله تعالى له من العزة والشرف ، فلا يذله بذهابه ومشيه إلى غير أهله من أبناء الدنيا من غير ضرورة أو حاجة ، أو من يتعلمه منه وإن عظم شأنه وكبر قدره) [4] ، فمن صيانة العلم ، وعزة أهله ألا يذهب العالم إلى بيت المتعلم ، حاملاً إليه العلم ، ففي هذا تهوين من شأن العلم وأهله ، قال الزهري : (هوان بالعلم أن يحمله العالم إلى بيت

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٤٠٨.

(٢) المصدر السابق:ج١،نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص٤١٠.

(٤) المصدر السابق:ج١،نفس الصفحة.

المتعلم) [1] .

ولم يرخصوا للعالم أن يذهب إلى بيت المتعلم إلا إذا دعت الضرورة ، أو المصلحة يقول ابن جماعة : (فإن دعت حاجة إلى ذلك أو ضرورة أو اقتضت مصلحة دينية راجحة على مفسدة بذلت له وحسنت فيه نية صالحة فلا بأس به .... وكذلك إذا كان المأتي إليه من العلم والزهد في المترلة العلية والمحل الرفيع فلا بأس بالتردد إليه) [2] .

- التواضع :

من مكارم الأخلاق ، ومحامد السجايا والصفات ، خلق التواضع ، فهو سمة المؤمنين المخلصين ، وعلامة واضحة للصفوة من عباد الرحمن الذين أضافهم رب العزة إليه ، وذكر أول أخلاقهم ، وعلاماتهم ، في قوله سبحانه : ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ [3] .

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يخفض جناحه لمن اتبعه ، وأن يلين لهم جانبه ، ويتواضع لهم ، فكان ﷺ المثل الأعلى في التواضع ولين الجانب ، وخفض الجناح ، مصداقاً لقوله تعالى له : ﴿ **واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين** ﴾ [4] .

فكان من أهم آداب العالم صفة التواضع ، تلك الصفة التي تجعله ، يقر بالحق والحقيقة ، ولا يتكبر عليها ، والتي تجعله رجّاعاً للحق ، فلا يتكبر إذا أخطأ ، ويقبل النصيحة من غيره .

ومن التواضع الواجب على العالم ألا يأنف من الاستفادة ممن هو أقل منه في المكانة أو الدرجة العلمية ، أو السن ، أو غير ذلك ، فالعلم والحكمة ضالة المؤمن يأخذها أنى يجدها ، يقول ابن جماعة : (أن لا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصباً أو

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٦.

(٢) المصدر السابق:ص١٧-١٨

(٣) سورة الفرقان:آية٦٣.

(٤) سورة الشعراء:آية٢١٥.

نسباً أو سناً ، بل يكون حريصاً على الفائدة حيث كانت والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها) [1] .

ولا يجب على العالم أن يعتقد أنه يمكنه الاستغناء عن الآخرين والاستفادة منهم مهما كان شأنهم فـ(لايزال الرجل عالماً ما تعلم فإذا ترك العلم ظن أنه استغنى واكتفى بما عنده فهو أجهل ما يكون) [2] .

ومما يؤثر عن السلف أنهم كانوا يستفيدون من طلبتهم ، فهذا الحميدي وهو من تلاميذ الشافعي يقول : (صحبت الشافعي من مكة إلى مصر فكنت أستفيد منه المسائل وكان يستفيد مني الحديث ، وقال أحمد بن حنبل : قال لنا الشافعي : أنتم أعلم بالحديث مني ، فإذا صح الحديث فقولوا لنا حتى آخذ به) [3] .

ويتوقف بلوغ المعلم غايته في التمكن من مادته على ما يبذله في سبيل ذلك من وقت وجهد ، لذا ينبغي عليه (أن لا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصبًا أو نسبًا أو سنًا ، بل يكون حريصًا على الفائدة حيث كانت) [4] ، وكيف يأنف المعلم من الإفادة عما لا يعلم من أي أحد ، وقد قيل : (أربعة لا يأنف الشريف منهن ، وإن كان أميرًا .. منها السؤال عما لا يعلم) [5] .

فعلى العالم أن يكون أحسن متعلم ، وليس مطلوبًا أن يكون عالمًا بكل شيء حتى يستغني عن التعلم ، فإنه يحتاج أبدًا إلى العلم وطلب الفائدة .

-الإنصاف والحياد:

والإنصاف والحياد صفتان لازمتان للعالم في بحثه ودرسه ، ومن الحياد أن يُثبتَ العالم الحق لأصحابه ، المخالف منهم قبل الموالي ، فلا يغمط حقاً على حساب حق ، ولا ينتقص من قدر رأي لا يتفق مع رأيه ، فـ(ليس من عالم ولا شريف ولا ذي فضل إلا

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٨.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٩.

(٤) النووي:مقدمة المجموع،مصدر سابق،ص٣٢

(٥) المصدر السابق:ص٣١-٣٢.

وفيه عيب ؛ ولكن من كان فضله أكثر من نقصه ؛ ذهب نقصه لفضله ، كما أن من غلب نقصانه ذهب فضله) [1] .

-عدم كتمان العلم :

فكاتم العلم في حكم القرآن الكريم آثم إثماً كبيراً ؛ يستحق عليه اللعن من الله ومن اللاعنين ، يقول الله تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَـئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ [2].

يقول القرطبي رحمه الله : (قيل: المراد كل من كتم الحق ، فهي عامة في كل من كتم علماً من دين الله يحتاج إلى بثه) [3] .

وقد جاءت السنة النبوية المشرفة بوعيد شديد لمن كتم علماً عن محتاج إليه ، فقال رسول الله ﷺ : **(مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ عَلِمَهُ ثم كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ)** [4] .

والسنة النبوية لا تكتفي ببيان جرم الكتمان ؛ لكنها أيضاً تبين مدى ما في كتمان العلم من دلالة على سفه في العقل ، وقلة في المروءة ، وتجاوز لحد المعقول ، حيث يجيء الحديث النبوي الشريف الذي يرويه ابن عبد البر بتصوير كاتم العلم بالبخيل الذي يمتلك المال ؛ لكنه لا ينتفع به ، ولا ينفع به غيره ، يقول : **(مثل الذي يتعلم العلم ولا يتحدث به كمثل الذي يكنز الذهب ولا ينفق منه)** [5] .

وقد روى العلماء عن السلف آثاراً كثيرة تبين إثم من يكتم العلم ، وتحض على نشره ، ومن هؤلاء ابن عبد البر ، الذي يروي عن كثير بن مرة الحضرمي قوله : (ولا تمنع

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج٢،ص٨٢١.

(٢) سورة البقرة:آية١٥٩.

(٣) القرطبي:الجامع لأحكام القرآن،مرجع سابق،مج٢،ص١٦٩.

(٤) الحديث رواه الترمذي في سننه ، وقال:حديث حسن.

(٥) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٤٨٩.والحديث حسن،رواه الطبراني في الأوسط، والإمام أحمد في المسند.

العلم أهله فتأثم) [1] .

بل إن هذا قد أخذ صورة الوصايا ، فهذا ابن القاسم يروي عن مالك رضي الله عنه أنه كان يودعهم بقوله : (اتقوا الله وانشروا هذا العلم ، وعلموه ولا تكتموه) [2] .

وحديث المفكرين المسلمين عن آفة كتم العلم ، ووصف صاحبها بدنيء الصفات ، حديث طويل وجاد ، يبن لنا مدى وعيهم بالدوافع النفسية التي قد تحمل البعض على كتمه ، كما تدلنا على مدى الوعي الحضاري الذي يعتد بفضيلة نشر العلم كأحد دعائم الحضارة الإسلامية ؛ التي ترى أن الجهل مؤذن باندحار الحضارات والأمم ، وهذا الحسن البصري -رحمه الله- يقول : (ومن آداب العلماء أن لا يبخلوا بتعليم ما يحسنون ، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون ، فإن البخل به لؤم وظلم ، والمنع منه حسد وإثم ... وكيف يجوز لهم الشح بما إن بذلوه زاد ونما ، وإن كتموه تناقص ووهن ، ولو استن بذلك من تقدمهم لما وصل العلم إليهم ولانقرض عنهم بانقراضهم ، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً ، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالاً) [3] .

والإمام ابن المبارك -رحمه الله- ينتبه إلى أمر في غاية الأهمية ألا وهو أن هذا الإثم وإن كانت له عقوبة في الآخرة ؛ فإن العقوبة لازمة لمانع العلم في الدنيا أيضاً ، و يعدد عقوبات فورية يعاقب الله بها كاتم العلم ، و يستعين في ذلك بما ورد من أخبار وآثار ، ولكن عامل التجربة ، وآثار الكتمان على بعض العلماء كان عاملاً مساعداً في إدراك هذه العقوبات ، يقول ابن المبارك فيما يرويه عنه القاضي عياض : (ومن بخل بالعلم ابتلي بثلاث : إما أن يموت فيذهب علمه ، أو ينساه ، أو يتبع سلطاناً) [4] ، فمما لا أشك فيه أن عقوبة النسيان ، واتباع السلطان هي مما يستفاد من سير العلماء والتجربة .

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٤٥٢-٤٥٣.

(٢) المصدر السابق:ج١،ص٤٩٢.

(٣) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٩٠-٩١.

(٤) القاضي عياض:الإلماع،مصدر سابق،ص٢٥٠.

– منع العلم عن غير أهله :

ليس في الإسلام أي نوع من الكهنوتية التي تحتفل باحتكار العلم ، وتناقله في إطار الخواص ، فليس في الإسلام أسرار ، كما أنه لا يعتد بالطبقية العلمية ، فليس فيه ما يمكن أن يطلق عليهم أنهم رجال دين ، وإن كان فيه علماء أعطوا العلم كلهم فأعطاهم العلم شيئاً كثيراً ، ومن فقه الإمام عمر بن عبد العزيز‌ﷺ أنه رأى في عدم إفشاء العلم هلاكاً له ، يقول فيما رواه البخاري عنه : (ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سرا) (١) .

والحق أنه لم يرد في كتاب الله أو في سنة النبي ﷺ ما يفيد منع العلم أحداً من الناس ، سواء طَلَبَه هو ، أو نشره العلماء ابتداءً ، ولكن جاء من فقه الصحابة عن علي بن أبي طالب ﷺ ، وعن ابن مسعود ﷺ ما يفيد مراعاة تفاوت الناس في عقولهم وأفهامهم ، مما يفرض على العلماء أن يراعوا ذلك ، فقد روي عن علي موقوفا : (**حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذّب الله ورسوله**) (٢) ، ونحوه عن ابن مسعود قال : (**ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة**) (٣) .

فإن ذلك يُفْهَمُ منه مراعاة الأفهام بما يناسبها ، لا كتم العلم ، وخصه قوماً دون قوم .

لكن يبدو أن بعض علماء السلف قد توسعوا في هذا المفهوم ، فرأوا أن العلم ينبغي أن يصان عمن هو ليس من أهله ، كما يبدو أنهم لم يكتفوا بما ورد من ذلك عن الصحابة رضوان الله عليهم كالذي ذكرناه آنفاً عن علي وابن مسعود –رضي الله عنهما– ، ولكن توسعوا في هذا الأمر ليرووا مأثورات أهل الكتاب عن عيسى عليه السلام ، أو حِكَماً هي من المأثورات عن الحكماء القدامى ، ولا يخفى ما في ذلك من التجوز الذي قد يجر إلى التكلف والشطط أحياناً ، فالراغب الأصفهاني لا يكتفي بأن يكون لمانع العلم عقوبات

---

(١) د.عبد اللطيف العبد:الأخلاق في الإسلام،مكتبة دار العلوم،القاهرة،١٩٨٥م،ط٢،ص٢٣٠. وقد رواه أستاذنا على أنه من كلام النبي ﷺ ولكنه في الواقع من كلام الإمام عمر بن عبد العزيز ﷺ والله أعلم.

(٢) الحديث صحيح،رواه البخاري.

(٣) الحديث صحيح،رواه مسلم.

يستحقها ، حتى يجعل (باذل العلم لمن لا يستحقه يستوجب عقوبة!!) (١) .

ويروي الخطيب البغدادي عن سفيان بن حسين قال : (قدم الأعمش بعض السواد ، فاجتمعوا إليه فأبى أن يحدثهم ، فقيل له : يا أبا محمد لو حدثتهم ، فقال : من يعلق الدر على الخنازير؟) (٢) .

وهذا شعبة يحدثنا أن الأعمش قد رآه وهو يحدث قوما ، فقال : (ويحك أو ويلك يا شعبة ، تعلق اللؤلؤة في أعناق الخنازير) (٣) .

وهذا الذي قاله شعبة يروى عن مالك بن أنس ، الذي يقول : (طارح العلم عند غير أهله كطارح الزبرجد للخنازير) (٤) .

والحق أن تشبيه وضع العلم عند غير أهله بوضع الدر أو اللؤلؤة في عنق الخنزير ليس من نتاج النصوص الإسلامية في شيء ، وإنما هو اقتفاء تام لما ينقل عن المسيح عليه السلام أنه قال : (لا تلقوا الجوهرة للخنزير ، فالعلم أفضل من اللؤلؤة ، ومن لا يستحقه شر من الخنزير) (٥) .

فألفاظ شعبة ومالك بن أنس إن صحت الرواية عنهما هي عينها ألفاظ ما ورد عن المسيح عليه السلام إن صحت الرواية عنه أيضا ! ، وعلى فرض صحة ذلك كله فليس ذلك بحجة على الفكر الإسلامي في شيء ، ذلك الفكر الذي يستمد مسلماته وآدابه من القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وليس ذلك مما يدور فيما ورثناه منهما .

وللأسف الشديد لا نملك نصوصا واضحة تبين لنا سمات هؤلاء الخنازير الذين امتنع عن تحديثهم شعبة رحمه الله .

---

(١) الراغب الأصفهاني:الذريعة إلى مكارم الشريعة،مصدر سابق،ص٢٤٩.

(٢) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٢٠٥.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق:ج١،ص٣٢٩.

(٥) راجع هذه الرواية مع اختلاف ألفاظها في كل من:أدب الدنيا والدين ص٩٣،وجامع بيان العلم وفضله،ج١،ص٤٤٧،وعيون الأخبار،ج٢،ص١٣٩-١٤٠.

ولكن الذي أراه قد يدور في فلك النصوص الإسلامية ، وقد يعبر عن طرائق التفكير الإسلامي في آداب العالم في هذا الشأن ، أن العالم يتفرس فيمن يطلب العلم أن يكون أهلاً لحفظه وصيانته والعمل به ، حيث يضع عنده أمانة النقل الصحيح للعلم ، ومما يوضح ذلك ما يرويه ابن عبد البر عن عكرمة أنه قال : (إن لهذا العلم ثمناً...، أن تضعه عند من يحفظه ولا يضيعه) [١] .

أو أنه يصون العلم عن أولئك الذين يستخفون بقدره ، ولا يبذلون فيه الجد والعرق ، بل قد يزهدون في تعاطيه ، فليس للعالم حينئذ أن يحملهم عليه حملاً ، فإن ذلك قد يكون مضراً للعلم وأهله ، فمنعه عنهم حينئذ صوناً لكرامة العلم والعلماء ، لا منعاً للعلم عن الناس ، ولعل مما يؤيد هذا الرأي ما يروى عن مسروق -رحمه الله- أنه قال : (لا تنشر بزك إلا عند من يبغيه ، قال عبد الله : قال أبي : يعني الحديث) [٢] ، وهذا متعلق بأمور الرواية وضوابطها التي تعين على التوثق من صحة ما يروى .

ويؤيد ذلك الفهم ما يروى عن الإمام أبي حنيفة أنه قال : (لا تحدث بفقهك من لا يشتهيه ؛ فيؤذيه ويؤذي جليسك) [٣] .

وهناك مسألة أخرى قد لا تكون داخلة فيما نحن فيه بصورة مباشرة ، ولكنها تضع الأمور في نصابها الحقيقي ، وهي أن بعض السلف قد فطن إلى أهمية اجتناب تحديث من فَتَرَتْ هِمَّتُهُ ، وأصابه الكسل بغباره ، فمما ينقله الخطيب البغدادي عن عبد الله قال: (حدث القوم ما رمقوك بأبصارهم ، فإذا رأيت منهم فترة فانزع) [٤] ، وفي رواية أخرى وضع لذلك علامات يجدها العالم في مستمعيه تدله على الفتور والتراخي ؛ مثل التثاؤب واتكاء بعضهم على بعض ، فإن ذلك عنده دلالة على انصراف قلوبهم عنه [٥] ، وحينئذ ينبغي عليه أن يسكت عن التحديث ؛ إذ لا فائدة ترجى من ورائه .

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق، ج١، ص٣٢٧.

(٢) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، مصدر سابق، ج١، ص٣٢٧.

(٣) أعلام التربية العربية الإسلامية: مرجع سابق، ج١، ص١٥٠.

(٤) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي، ج١، ص٣٣٠.

(٥) المصدر السابق: ج١، ص٣٣٠.

والحق أن هذا يدل على فقه عظيم ؛ لكنه لا يدل على أن امتناع التحديث سوف يظل مستمرا ، لأن هؤلاء التلاميذ لا يستحقون أن ينشر العالم عليهم علمه ، وإنما هو مرهون بتلك الحالة في ذلك المجلس ، ثم يعود المعلم في آن آخر لتعليم طلبته ، وفي ذلك مراعاة لحال المتعلم ، والعملية التعليمية ؛ كي يكون الأداء صحيحا ، والرسالة في أتم ما تكون من التأثير ، وأصح ما تكون من التلقي .

وثمة قضية أخرى في هذا الباب ، وهي امتناع بعض السلف عن تعليم أهل البدع والأهواء ؛ لما يرون في ذلك من فتنة لهم ولغيرهم ، فيروي الخطيب البغدادي في ذلك جملة من الروايات عن بعض العلماء ، منهم سليمان التيمي : أنه كان (إذا جاءه من لا يعرفه من أهل البصرة ، قال : أتشهد أن الشقي من شقي في بطن أمه ، وأن السعيد من وعظ بغيره ؟ فإن أقر ، وإلا لم يحدثه) (١) .

ويروي عن ابن عون أنه كان يصرف بوجهه عن القدري والمرجئ (٢) .

بل تعدى الأمر عند بعضهم أنهم يوصون تلاميذهم بعدم تحديث أصحاب الاتجاهات البدعية ، و يأخذون عليهم المواثيق المغلظة ، كما يروي الخطيب البغدادي ذلك عن زائدة (٣) .

ولعلهم كانوا يعتبرون ذلك نوعا من العقاب الذي ينزلوه بأهل البدع العقدية ، وردعا لمن قد تسول له نفسه اقتفاء أثرهم ، وإلا فإن العلم والرواية إن لم يكونا متاحين شفاهة ؛ فبإمكان أي إنسان أن يأخذهما من كتاب ، أو عن طريق آخر غير طريق هذا العالم أو ذاك .

ومع ذلك فامتناع التعليم ربما كان مقتصرا على إجازة الأسانيد والرواية ؛ التي قد يمتلك مفاتيح روايتها أئمة هذا الشأن ، وهم إنما يؤدونها إلى الجم الغفير من طلاب الحديث والرواية ، فليس المنع في حق هؤلاء المبتدعة منهجا يخص طائفة من الناس دون

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج١،ص٣٣١.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق:ج١،ص٣٣٣.

غيرهم ، وإنما هو في حكم الاستثناء الضيق ، ولربما كان هذا الاتجـاه يختص ببعض العلماء والشيوخ ، وليس عاماً لدى علمائنا ، كما أنه يختص ببعض طلبة الحديث الذين كانوا متشيعين لبعض البدع الداعين لها ، بخلاف ما إذا كان هؤلاء يعتنقونها ولا يدعون إليها .

وهناك وجهة نظر أخرى جديرة بأن يلتفت إليها ، وأن يُوقف عندها ، ذلك أن بعض العلماء يرى ضرورة نشر العلم على الناس ، وإن أعرضوا عنه ، فليس في ذلك ثمة انتقاص للعلم وأهله ، بل على النقيض تماماً ، فإن نشره حينئذ رفع لمكانة العلماء ، وتمكين للحق في المجتمع المسلم ، وهو المراد من وجوب نشر العلم في الإسلام ، يقول ابن الحاج : (ينبغي للعالم أو يتعين عليه إذا رأى الناس قد أعرضوا عن العلم أن يعرض نفسه عليهم ؛ لتعليمهم وإرشادهم ، وإن كانوا معرضين) (١) .

بل أكثر من ذلك عند الإمام النووي -رحمه الله- حيث يرى أنه (ينبغي أن لا يمتنع من تعليم أحد لكونه غير صحيح النية ، فإنه يرجى له حسن النية ، وربما عسر في كثير من المبتدئين الاشتغال بتصحيح النية لضعف نفوسهم ... فالامتناع من تعليمهم يؤدي إلى تفويت كثير من العلم ، مع أنه يرجى ببركة العلم تصحيحها إذا أنس بالعلم) (٢) .

وتلك نظرة رفيقة واعية بضرورة العملية التعليمية ، ونشر العلم ، دون النظر إلى اعتبارات أخرى خارجة عنها ، قد يكون الأخذ بها أكثر ضرراً من كل هذه الاعتبارات .

ولذلك فإننا ننحاز إلى ضرورة أن لا يكون ما يُرْوَى عن بعض السلف في آداب العالم من الامتناع عن تعليم البعض للاعتبارات السابق ذكرها عائقاً ، قد يتخذه البعض تكأة في غير موضعها ، هذا مع ضرورة الأخذ في الاعتبار الظروف التاريخية والحضارية ، التي كانت هذه النصوص تعيش في إطارها ، أو دعتهم لقولها .

---

(١) ابن الحاج: المدخل، دار التراث، القاهرة، (د.ت)، (د.ط)، ج٢، ص٨٨.

(٢) النووي: آداب العالم والمتعلم، مقدمة المجموع، مصدر سابق، ص٣٥.

-المحافظة على الوقت :

الوقت رأس مال الإنسان في الحياة ، وهو أثمن من كل شيء ، وأعظم من أن يفرط فيه العاقل ، ويتركه يمر دون أن يغتنمه ويستفيد منه ، والعالم أحق الناس بالتأدب بهذا الأدب ، لأنه يعلم حقيقة ذلك كله ، ومن هنا حرص المفكرون المسلمون التنبيه على العالم بأن (لا يضيع شيئاً من أوقات عمره في غير ما هو بصدده من العلم والعمل ، إلا بقدر الضرورة من أكل أو شرب ، أو نوم أو استراحة لملل ، أو أداء حق زوجة ، أو زائر أو تحصيل قوت ، أو غيره مما يحتاج إليه ، أو لألم أو غير ذلك ، مما يتعذر معه الاشتغال ، فإن بقية عمر المؤمن لا قيمة له ، ومن استوى يوماه فهو مغبون) (١) ، وما دامت الحقيقة بنت البحث فإن على العالم أن (يغتنم فرصة فراغه ونشاطه ، وزمن عافيته وشرخ شبابه ، ونباهة خاطره ، وقلة شواغله ؛ قبل عوارض البطالة) (٢) ، التي تمنعه من مواصلة البحث عن الحقيقة.

- آداب مجلس العلم وطريقة التدريس :

لمجلس العلم آداب وضوابط كثيرة ، وضعها المفكرون المسلمون ، وجعلوها من أوجب ما يجب على العالم أن يلتزم به ، لما للعلم من مكانة عظيمة يجب توقيرها ، كما أن للعالم هيبة ومنزلة يجب ألا يتهاون أو يفرط فيها ، كما أنه من الضروري لكل من يقوم بالتعليم من أن يلم بطرائق التدريس وأساليبه ، إذ إن إلمامه بهذه الطرق ، وإدراكه لهذه الأساليب يجعل تعليمه مؤثرًا وفعالاً .

وقد اهتم المفكرون المسلمون بطرق التدريس ، وهم وإن لم يكتبوا فيها كتابة قاصدة ، فإن الباحث فيما كتب عن آداب العالم ، يستطيع الوقوف على آرائهم في أساليب التدريس ، التي من شأنها أن تيسر عملية التعليم ، وتحقق أهدافه ، وتساعد المتعلمين على اكتساب الخبرات والمهارات المختلفة ، وتنمي قدراتهم واستعداداتهم ، وتوجهها بحيث تصبح منتجة وذات فعالية .

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٢٧.

(٢) المصدر السابق: ص١٣٤.

وينبغي الإشارة إلى حقيقة لم تعد الآن موضع جدل بين المهتمين بشئون التعليم ، وهي أن أساليب التدريس وطرائقه ليست واحدة في كل عصر ، وفي كل مجتمع ؛ بل هي وليدة ظروف وحاجات ومطالب اجتماعية معينة ، ومن ثم فهي تتغير كلما تغيرت الأهداف التعليمية ، والاهتمامات التربوية ، لمواجهة متطلبات المجتمع وحاجاته ، كما يشملها التعديل والتبديل كلما تعددت وتنوعت مصادر المعرفة ، وكلما لفحت رياح التغيير ثقافة المجتمع ، أو شملت توقعات أفرادهم وآمالهم .

ومن هنا ينبغي أن نحكم على صلاحية طرق التدريس وأساليبه عند المفكرين المسلمين في ضوء متطلبات العصر الذي عاشوا فيه ، وفي إطار المؤثرات الثقافية التي أحاطت بهم في حدود الفترة الزمنية محل البحث ، والمفكر كما نعلم ابن بيئته ونتاج عصره ، نعم قد تسمح له قدراته ومواهبه بأن يسبق بفكره عصره ، وأن يتجاوز ببصره آماده وحدوده ، ولكنه مع ذلك يظل مشدودا إلى ذلك العصر ، مرتبطا بثقافته على نحو ما ، رغم ومضات التجديد والإبداع التي تنبض بها أفكاره وآراؤه .

ولذا فمن غير المنطقي أن نتساءل عن رأي المفكرين المسلمين حول ما جد من طرق وأساليب للتدريس فرضتها ظروف عصرنا وخصائصه ، وقد كان للمفكرين المسلمين آراء ذات قيمة كبيرة فيما يتعلق بطرق التدريس ؛ بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة إن قلنا إنهم قد سبقوا بآرائهم الكثير مما كتب عن التعليم في الشرق والغرب المعاصر ، ومن العجيب أن يكشف لنا العلم كثيرا مما نادى به المفكرون المسلمون .

أ–تحديد موعد الدرس ، والالتزام في الحضور مبكرا ، ومراعاة مصلحة المتعلمين :

وعلى العالم أن يحسن تقدير الوقت اللازم لإلقاء درسه ، وعرض ما فيه من معلومات فلا يتجاوز الوقت المحدد للمحاضرة ولا يقصر عنه ، وينبغي عليه أن ينبه إلى أن تحديد موعد المحاضرة والإلقاء ، بحيث لا يتعارض مع مصلحة التلاميذ من حيث تقديمه أو تأخيره ، ذلك لأنهم المعنيون بالعملية التعليمية بالدرجة الأولى فـ(ينبغي مراعاة مصلحة الجماعة في تقديم وقت الحضور وتأخيره إذا لم يكن عليه فيه ضرورة ولا مزيد كلفة) [1].

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٤.

ذلك لأنه قد يكون بعضهم لديه عملاً مهماً أو شغلاً ما ، فلا يضطر إلى الانقطاع عنه (وينبغي ...أن يعين لأصحابه يوم المجلس لئلا ينقطعوا عن أشغالهم) [١]

وإذا تم تحديد موعد المحاضرة أو الدرس ، فلا ينبغي الإخلال به ، إلا لعذر قاهر (وإذا عين لهم اليوم ووعدهم بالإملاء فيه فلا ينبغي له إخلاف موعده إلا أن يقتطعه عن ذلك أمر يقوم عذره به) [٢] .

ب-التهيؤ للدرس :

على العالم أن يتهيأ لإلقاء درسه ، وتبدأ هذه التهيئة بعملية إعداد نفسي للمحاضرة من جانبه ، وذلك بأن (ينوي نشر العلم وتعليمه وبث الفوائد.. وإظهار الصواب والرجوع إلى الحق) [٣] ، وينبغي أن يكون ذلك أهم أغراضه من إلقاء درسه وعرضه على طلابه ، وعليه أن يترجم ذلك إلى سلوك في تعليمه للتلاميذ .

ويؤكد العالم هذه النية بأن (يقول بسم الله ، حسبي الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، اللهم ثبت جناني ، وأدر الحق على لساني) [٤] ، (ثم يدعو الله تعالى بالتوفيق والإعانة والعصمة) [٥] ، إن مثل هذا الإعداد النفسي بما اشتمل عليه من حسن النية وصدق الدافع في التعليم ، والاستناد إلى حول الله والاعتماد على قوته ، وطلب التثبيت والتوفيق والإعانة والعصمة منه ، من شأنه أن يجعل العالم يستشعر قيمة عمله ويحس بالمتعة في ممارسته ، ويزداد ثقته في نفسه واطمئنانًا إلى قدراته ، فلا يمثل التدريس حينئذ عملا يتكسب منه ، وإنما هو عبادة لله يثاب عليها طالما كانت تلك نيته وهذه دوافعه .

فالمفكرون المسلمون كانوا دائماً حريصين على تذكير المعلم بأن (تعليم العلم من أهم

---

(١) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٠١.

(٢) المصدر السابق:ص١٠٢.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣١.

(٤) المصدر السابق:ص٣٢.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

أمور الدين وأعلى درجات المؤمنين) (١) .

ج-التطهر والتطيب ولبس الثياب اللائقة :

ومن تمام التهيؤ للدرس الحرص على طهارة البدن ، بالاغتسال ، أو الوضوء ، ثم مس الطيب ، وارتداء ثياب حسنة لائقة بمجلس العلم ، وبشخص العالم ، ففي ذلك حفاظ على هيبته ومكانته في نفوس التلاميذ ، وتوقير للعلم ومكانته ، فعلى العالم (إذا عزم على مجلس التدريس تطهر من الحدث والخبث وتنظف وتطيب ولبس أحسن ثيابه اللائقة به بين أهل زمانه قاصدا بذلك تعظيم العلم) (٢) .

وقد أثر عن الإمام مالك وغيره من العلماء أنه كان لا يجلس للتدريس إلا وقد (اغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ووضع رداءه على رأسه ثم يجلس على منصة ....وقال أحب ان أعظم حديث رسول الله ﷺ) (٣)

د-السلام على الحاضرين :

ومن الآداب اللازمة للعالم عند دخوله مجلس الدرس أن يلقي السلام على الحاضرين جميعا (فإذا وصل.. سلم على من حضر) (٤) .

هـ-الجلوس في مكان بارز بوقار وسكينة وتواضع :

ثم يجلس العالم بعد ذلك في قاعة الدرس بحيث يراه كل التلاميذ ، ومن ثم يستطيعون متابعته ولا يغيبون عن بصره ، وعليه أن يشيع جوا من الألفة وروح الود بين التلاميذ قبل أن يشرع في إلقاء درسه ، فمثل هذا الجو الودود يساعد التلميذ على الخروج من سلبيته ، ويفسح له طريق التجاوب مع معلمه الذي يألفه ويحبه ، لذا كان على المعلم (أن يجلس بارزا لجميع الحاضرين ، ويوقر أفاضلهم بالعلم والسن

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٧.

(٢) المصدر السابق:ص٣٠-٣١.

(٣) المصدر السابق:ص٣١.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة .

والصلاح... ويتلطف بالباقين ويكرمهم بحسن السلام وطلاقة الوجه) [1]، إن العالم بما يشيع في مجلس الدرس من روح المودة يهيئ أفضل بيئة لتعليم التلاميذ .

ومن المستحب له أن (يجلس مستقبل القبلة إن أمكن بوقار وسكينة وتواضع وخشوع متربعاً أو غير ذلك مما لم يكره من الجلسات) [2]

وعليه أن يحذر من الجلوس بطريقة غير لائقة بأهل العلم ، فلا (يجلس مقعياً ولا مستوفزاً ولا رافعاً إحدى رجليه على الأخرى ولا ماداً رجليه أو إحداهما من غير عذر ولا متكئاً على يده إلى جنبه ولا وراء ظهره) [3] .

و-عدم القيام بأعمال أوحركات مكروهة أو غير لائقة تسقط الهيبة:

ولابد للعالم أن يحترز من الإتيان بأعمال أو حركات مكروهة أو غير لائقة ، حتى لا تسقط هيبته من أعين تلاميذه ، ولذا عليه أن (يصون بدنه عن الزحف والتنقل عن مكانه ، ويديه من العبث والتشبيك بها ، وعينيه من تفريق النظر من غير حاجة ، ويتقي المزاح وكثرة الضحك ، فإنه يقلل الهيبة ويسقط الحشمة ، كما قيل من مزح استخف به ومن أكثر من شيء عرف به) [4] ، فكل هذه الأعمال مما لا يليق بالعالم الإتيان به .

ز-الحذر من التدريس في حال الجوع أو القلق :

ويصاحب الإعداد النفسي للعالم تهيئة بدنية جسمية ، إذ إن حالته الجسمية تؤثر في قدرته على إلقاء درسه وإفادة تلاميذه ، فالجوع والتعب وغلبة النعاس والإحساس بالبرد الشديد أو الحر المؤلم كلها عوامل تحول دون إجادة العالم لعرض درسه وشرح محتوى مادته .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣٢.
(٢) المصدر السابق:ص٣٣.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣٣.
(٤) المصدر السابق:ص٣٢.

والمفكرون المسلمون تناولوا تأثير الغذاء وتأثير العوامل الفسيولوجية على العـــالم ، على أنه أحد عناصر هذا الموقف التعليمي ، وصاحب تأثير لا ينكر في تحقيـــق التعليـــم لأهدافه ، فحذروا العالم من التدريس في حالة شدة جوعه أو عطشه أو غلبة النعــاس ، أو إحساسه بقسوة البرد ووطأة الحر ولفحته ، فذلك كله يعوقه عن أداء رســـالته وقيامـــه بالتعليم على وجه طيب .

وفي رأيهم أن هذه العوامل تشوه الإدراك لدى العالم ، كما تعطل الفهم والتفكـــير القائم على الأناة والتبصر وعلى هذا فلا ينبغي له أن (يدرس في وقت جوعه أو عطشــه أو نعاسه أو قلقه ، ولا في حالة برده المؤلم وحره المزعج ، فربما أجاب وأفتى بغير الصــواب ، ولأنه لا يتمكن مع ذلك من استيفاء النظر) [1] .

ح-تحضير الدرس والإلمام بمادته جيدا :

وينبغي للعالم قبل إلقاء درسه وعرض محاضرته أن يتأكد من تمام معرفته بمـــادة الدرس ، وكمال إدراكه لما فيها من معارف وحقائق وإتقانه لما فيها من مـــهارات ، ويراجع نفسه في ذلك ليطمئن إلى علمه ، فالعالم إذا شاء أن ينجح في تدرسيه فعليـــه أن (لا يذكر الدرس من علم لا يعرفه) [2] ، وإذا كانت المحاضرة تتناول موضوعات لا يلم بها جيدا ، أو يعرف بعضها ويجهل بعضا (فلا يتعرض لها بل يقتصر على مـــا يتقنه منها) [3] ، ويجب عليه أن يفكر مليا قبل أن يتصدى لتدريس موضوع مـــا ، فلا ينتصب لتدريسه قبل التأكد من إتقان الحديث فيه وعرض حقـــائق وعنـــاصره عرضا جيدا ، وقبل التأكد من مقدرته على الإجابـــة عـــن استفســـارات طلابـــه وأسئلتهم ، وإلا عرض درسه للإخفاق ، وأوقع نفسه في الحرج (واللبيب من صـــان نفسه عن تعريضها لما يعد فيه ناقصا) [4] .

والمفكرون المسلمون في دعوتهم العالم إلى التفكير الجيد في هذا الأمر قبـــل أن

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣٣.
(٢) المصدر السابق:ص٤٥.
(٣) المصدر السابق:ص٥٨.
(٤) المصدر السابق:ص٤٥.

يخطو خطوات التنفيذ بالتدريس ، يلفتون انتباهه إلى أن تصديه لتدريس ما لا يتقنه يترتب عليه مفاسد كثيرة و (أقل مفاسد ذلك أن الحاضرين يفقدون الإنصاف لعدم من يرجعون إليه عند الاختلاف ، لأن رب الصدر لا يعرف المصيب فينصره ، أو المخطئ فيزجره) [1]

ط-الترتيب المتجانس للمتعلمين حسب القدرات :

وردت نصوص عديدة في ترتيب جلوس المتعلمين في حلقة التعليم ، فقد أدرك المفكرون المسلمون أن هناك نظاما يجب أن يتبع في تجميع المتعلمين داخل الحلقة ، وجلوسهم في فئات متجانسة وفقا لقدراتهم واستعداداتهم ، فالأذكياء النابهون يجلسون معا في جهة واحدة من الحلقة معروفة لدى الجميع ، وهي الجهة التي تقع أمام الشيخ المعلم ، وفي ذلك يقول ابن جماعة : (وقد جرت العادة في مجالس التدريس بجلوس المتميزين قبالة وجه المدرس) [2] ، والمبجلون (المتميزون من الطلبة عند الشيخ علما وفضلا... مع الحائط أو مع طرفها قبالته) [3] .

وإذا كان على المتعلم أن يجلس حيث انتهى به المجلس فلا يتخطى رقاب زملائه ، وإن كانوا قد أباحوا للتلميذ المبرز أن يتقدم الصفوف إن حضر متأخرا ، فيجلس في مكانه المعروف من الحلقة مع أترابه من النابهين ، فالمتعلم (إذا سلم فلا يتخطى رقاب الحاضرين إلى قرب الشيخ ، إن لم تكن منزلته كذلك) [4] ، ويجلس المتعلمون ذوو القدرات المتساوية ممن يترافقون في الدرس معا في جهة ، بحيث تقع عليهم عين العالم ، فلا تخطئ أحدا منهم (وينبغي للرفقاء في درس واحد أو دروس أن يجتمعوا في جهة واحدة ؛ ليكون نظر الشيخ إليهم جميعا عند الشرح ولا يخص بعضهم في ذلك دون بعض) [5] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٦.

(٢) المصدر السابق:ص٦٠.

(٣) المصدر السابق:ص١٤٩.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق:ص١٤٦.

أما المعيدون والزائرون من غير الطلاب إذا حضروا درس الشيخ فهؤلاء يجلسون على يمين الشيخ أو يساره ، فإن مجلس (المبجلين من معيد أو زائر عن يمينه أو يساره) (١) .

ويبدو أن في تقسيم الطلاب على هذا النحو ، حيث للمتميزين من الأذكياء والنابهين مكان ، ولغيرهم مكان آخر ، وللمعيدين أو الزائرين مكان ثالث في الحلقة ، ومراعاة هذا التقسيم سيجعل كل متعلم يستفيد من الدرس والشرح ، ويتيح للعالم أن يراعي قدراتهم أثناء التعليم .

وبالرغم من أن التجمع المتجانس للتلاميذ -بتقسيمهم في تعليمهم إلى جماعات من قدرات متساوية تقريبًا – يثير اعتراضات كثيرة بين التربويين الآن ، من أهمها أن هذا التقسيم يتعارض بشدة مع ديمقراطية التعليم ، والمساواة ، بالرغم من ذلك فإن المفكرين المسلمين كانوا قد أدركوا ما قد يثيره هذا التقسيم في نفوس المتعلمين أنفسهم ، فطالبوا المعلم أن يعالج ذلك بأن (لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض في مودة أو اعتناء.. فإن ذلك ربما يوحش منه الصدر ، وينفر القلب.. وكذلك لا يقدم أحدًا في نوبة غيره ، أو يؤخره عن نوبته ، إلا إذا رأى في ذلك مصلحة تزيد على مصلحة مراعاة النوبة) (٢) .

غير أن المفكرين المسلمين لم يعتمدوا الذكاء وحده معياراً لترتيب جلوس التلاميذ في الحلقة وتقسيمهم على النحو السابق ، فلقد اعتمدوا أُسُسًا أخرى لذلك الترتيب والتقسيم ، ومن هذا الأسس ، عامل السن ، والنضج الاجتماعي ، والفضيلة والصلاح (٣) ، فليس الذكاء أو القدرة التحصيلية وحدهما أساس الترتيب والتقسيم في الحلقة ، بل قد يكون أساس ذلك مميزات شخصية المتعلم كلها بما في ذلك عمره ومركزه الاجتماعي ، أو نضجه الاجتماعي ، وحسن أدبه وصلاحه ، ثم علمه واجتهاده ، وقدرته على مباحثة المعلم في كثير من أمور الدرس ، وقد حرص المفكرون المسلمون على أن يكون جلوس من يتمتع بتلك الصفات قريبًا من الشيخ المعلم ؛ تحقيقًا للفائدة له وللطلاب

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص١٥٠،١٥١.
(٢) المصدر السابق:ص٥٩،٦٠.
(٣) المصدر السابق:ص١٤٦.

من زملائه فإن (في ذلك مصلحة يعرفها القوم وينتفعون بها من بحثه مع الشيخ لقربه منه ، أو لكونه كبير السن ، أو كثير الفضيلة والصلاح) [1] .

ولا شك أن مراعاة المميزات الشخصية في تقسيم التلاميذ ، وترتيب جلوسهم في حلقة التعليم سيجعل المتعلم أسلم وأكثر توافقًا ، وسوف يساعده على تكوين العديد من الاتجاهات الطيبة .

ي- الالتفات للحاضرين والاعتدال في ذلك :

ومن الآداب التي يجب على العالم مراعاتها أن يوزع نظره والتفاته على الحاضرين جميعاً ، ولا يشعر أحداً منهم بالحرج بدوام النظر إليه ، إلا أن يخصه بحديث أو سؤال فهنا يستحب النظر إليه ، والإقبال عليه ؛ ليشعر باهتمام أستاذه بالحديث معه (ويلتفت للحاضرين التفاتاً قصداً بحسب الحاجة ، ويخص من يكلمه أو يسأله أو يبحث معه على الوجه عند ذلك بمزيد التفات إليه وإقبال عليه وإن كان صغيراً أو وضيعاً) [2]

ويعلل ابن جماعة هذه السلوكيات الواجبة بأن(ترك ذلك من أفعال المتجبرين المتكبرين) [3]

ك-الحفاظ على المجلس من اللغط أو رفع الصوت ، وزجر المشاغبين :

وعلى العالم الحرص على أن يسود المحاضرة هدوء يسمح له بالإلقاء والشرح والتفسير ، فمع أن المفكرين المسلمين دعوا إلى إيجابية الطلاب أثناء إلقاء الدرس ، وأن (لا يقتصر في الحلقة على سماع درسه فقط إذا أمكنه ذلك ؛ فإن ذلك علامة قصور الهمة وعدم الفلاح وبطء التنبه) [4] ، على الرغم من ذلك فإنهم طالبوا العالم بأن (يصون مجلسه عن اللغط ، فإن الغلط تحت اللغط ، وعن رفع الأصوات واختلاف جهات البحث .. ويتلطف في دفع ذلك من مباديه قبل انتشاره) [5] ، كما طالبوه (أن يزجر من تعدى في بحثه أو ظهر منه لدد في بحثه أو سوء أدبه.. أو كثرة الصياح بغير فائدة أو أساء أدبه على غيره من

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٤٧.
(٢) المصدر السابق:ص٣٤.
(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٤) المصدر السابق:ص١٤٢.
(٥) المصدر السابق:ص٤٠.

الحاضرين أو الغائبين أو ترفع في المجلس على من هو أولى منه أو نام أو تحدث مع غيره أو ضحك أو استهزأ بأحد من الحاضرين أو فعل ما يخل بأدب الطالب في الحلقة) (١) .

ل- الطريقة المثلى لإلقاء الدرس :

يرى المفكرون المسلمون أن الإلقاء الجيد للدرس يحقق نتائج طيبة في إكساب التلاميذ معلومات ومعارف وخبرات كثيرة ، وهو أكثر فعالية من القراءة في الكتب وحدها ، ولذا فهم يكثرون من تحذير المتعلم من الاستقلال بأخذ المعلومات والحقائق من صحائف الكتب وحدها ، بغير التلقي من معلم جيد ، يجيد إلقاء الدروس ، ويحسن عرضها وشرحها فـ(من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام) (٢) ، ولابد من الاستعانة بمعلم يعرض عليه هذه الأحكام بشرط أن يكون هذا المعلم (ممن كملت أهليته .. وكان أحسن تعليمًا وأجود تفهيمًا) (٣) ، فبغير المعلم يكون المتعلم عرضة للوقوع في الخطأ ، وبغير التلقي عن المعلم جيد الإلقاء حسن التعليم والتفهيم تضيع على المتعلم غالبًا فرصة الاستفهام عما لا يفهم ، وربما افتقد كثيرًا من الحقائق التي لا يمكن التعرف عليها إلا بواسطة الإخبار من معلمه ، هذا إلى جانب أن المعلم جيد الإلقاء يمكنه أن يضيف إلى معارف الكتاب ما ينقصها إن كان فيها ثمة نقص ، و (كان بعضهم يقول من أعظم البلية تشيخ الصحيفة ، أي الذين تعلموا من الصحف) (٤) وحدها .

بل لقد ذهب المفكرون المسلمون في تقديرهم لقيمة الإلقاء الجيد وقدرته على تحقيق نتائج طيبة للتعلم إلى دعوة المتعلم إلى تلقي العلم على معلم يكون هو نفسه قد أخذ معارفه بطريق العرض والتلقي عن معلم جيد ، ولم يكن قد استقل بأخذ معارفه ومعلوماته من الكتب وحدها (وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٤١.

(٢) المصدر السابق: ص٨٧.

(٣) المصدر السابق: ص٨٥.

(٤) المصدر السابق: ص٨٧.

الاطلاع ، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع ، لا ممن أخذ من بطونه الأوراق ، ولم يعرف بصحبة المشايخ الحذاق) (١) .

إن الإلقاء الجيد يتيح للمتعلم فرصة استيضاح ما عرض عليه من معارف الكتاب وحقائقه ، ويمكنه من تنظيم الموضوعات والحقائق التي يصعب عليه استيعابها بالتنظيم الذي طرحه الكتاب ، والعالم بحسن عرضه لمحتوى مادة الكتاب ، وجودة شرحه له ، وكمال ترتيبه لحقائقه ، وتنظيمه لعناصره وفق إمكانات المتعلم وقدراته يجعل الدرس في متناول فهم تلاميذه ، وفي ضوء ذلك نستطيع أن ندرك سبب إلحاح المفكرين المسلمين على المتعلم بضرورة أن يأخذ علمه على معلم جيد الإلقاء حسن العرض والمحاضرة (وليحذر من الاعتماد في ذلك على الكتب أبدًا ، بل يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليمًا ، وأكثر تحقيقًا فيه ، وتحصيلاً منه ، وأخبرهم بالكتاب الذي قرأه) (٢) .

م-استخدام الأمثلة التوضيحية في الشرح :

ويؤكد المفكرون المسلمون على أن الإلقاء الجيد يكون أكثر فائدة وأعم نفعًا ، إذا صاحبه الشرح والتوضيح ، وحسن التلطف في تفهيم التلاميذ ، فالعالم ينجح في درسه إذا حرص على أن (يبدأ بتصوير المسائل ثم يوضحها بالأمثلة) (٣) ، وتكون الطريقة جيدة إذا أتاحت للمعلم فرص استخدام وسائل التمثيل والتشبيه ، وبالجملة استخدام ما يعينه على إيضاح مقصوده ، و تبسيط الخبرات للدارسين ؛ بحيث يسهل عليه تحصيلها والإفادة منها ، ومن الضروري أن تمكن الطريقة العالم من (تصوير المسائل ثم يوضحها بالأمثلة وذكر الدلائل) (٤) ، ولا تمنعه خطوات الطريقة وإجراءاتها من (تصوير المسائل وتمثيلها لمن لم يتأهل لفهم مأخذها ودليلها) (٥) .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٨٧.

(٢) المصدر السابق:ص١١٣،١١٤.

(٣) المصدر السابق:ص٥٢.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق: نفس الصفحة.

وإذا حرص في كل خطوة من خطوات تدريسه لتلميذه (على تعليمه وتفهيمه ببذل جهده وتقريب المعنى له) [1] ، وإذا اهتم دائمًا (بمادة الشرح.. فيثبت (تعليمه) في أذهانهم ويرسخ في أفهامهم) [2] ، مع محافظته على (سهولة الإلقاء في تعليمه وحسن التلطف في تفهيمه) [3] .

ولقد ثبت أن الإلقاء الجيد أكثر فعالية من التوجيهات المكتوبة (وخاصة إذا كان الإلقاء يصاحب بالتوضيح العملي ، هذا إلى أن الإلقاء وسيلة فعالة في تنمية الاتجاهات والمثل فهو أكثر فعالية من الصفحة المطبوعة ، إذ كثيرًا ما يكون الحديث قوي التأثير ، على حين نجده ضعيف الأثر إذا ما قرئ من صفحة مطبوعة) [4] .

ولقد لجأ المفكرون المسلمون إلى أسلوب الإلقاء والعرض لتوجيه الطلاب وإثارة مشاعرهم ، وتنمية عديد من المثل والاتجاهات الطيبة لديهم ، وتعديل ميولهم ، و دعوا المعلم إلى ترغيب تلميذه (بتدريج على ما يعين على تحصيله ، من الاقتصار على الميسور وقدر الكفاية من الدنيا والقناعة بذلك عن شغل القلب بالتعلق بها ، وغلبة الفكر وتفريق الهم بسببها ، فإن انصراف القلب عن تعلق الأطماع بالدنيا والإكثار منها والتأسف على فائتها أجمع لقلبه ، وأروح لبدنه ، وأشرف لنفسه ، وأعلى لمكانته ، وأقل لحساده ، وأجدر بحفظ العلم وازدياده) [5] والإلقاء والعرض هنا لتكوين مثل هذه الاتجاهات الفاضلة ، وتعديل ميول المتعلمين وتوجيهها نحو ما يعود عليهم بالفائدة العاجلة والآجلة أكثر فائدة من النصائح المكتوبة ، إذا الإلقاء الجيد والعرض الحسن أقدر على إثارة عواطف المتعلمين وحفزهم على التمسك بجميل الأخلاق ، وذلك بالتأثير على مشاعرهم بنبرات الصوت وتعبيرات الوجه ، وما يصحب ذلك من إيماءات وإشارات .

---

(١)ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٢.

(٢) المصدر السابق: ص٥٤.

(٣) المصدر السابق:ص٥١.

(٤) فكري حسن ريان:التدريس،عالم الكتب،القاهرة،١٩٧١م،ط٢، ص١٧٣.

(٥) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٩.

ن-استخدام الإمكانيات الصوتية لإيصال العلم :

على العالم أن يحسن استخدام الصوت وعادات الكلام الصحيحة أثناء الإلقاء ، وأن يتأنى في إلقائه ، ليتمكن الطالب المستمع من متابعته وإعمال فكره فيما يقول ، وفيما يلقى إليه من معارف ، وليتمكن الطالب من تسجيل ما يراه مهمًا أو التعليق عليه ، وذلك لن يتوفر له إلا إذا تمهل المعلم وتأنى في إلقائه ، فكان لابد من (أن لا يرفع صوته زائدًا على قدر الحاجة ، ولا يخفضه خفضًا لا يحصل معه كمال الفائدة ، والأولى أن لا يجاوز صوته مجلسه ، ولا يقصر عن سماع الحاضرين.. ولا يسرد الكلام سردًا بل يرتله ويرتبه ، ويتمهل فيه ليفكر فيه هو وسامعه) [1] ، وفي هذه العبارة الموجزة إيضاح لخصائص الصوت الجيد ، من حيث الدرجة والسرعة والرتابة وغيرها .

كما يجب عليه أن يكيف سرعة عرضه وإلقائه وفق ما يتطلبه الموضوع ، فعليه أن (يصل في درسه ما ينبغي وصله ، ويقف في مواضع الوقف ومنقطع الكلام) [2] .

كما يجب أن يكون طبيعيًا غير متكلف في الحديث برفع الصوت فوق الحاجة ، (قال أبو عثمان محمد بن الشافعي : ما سمعت أبي يناظر أحدًا قط فرفع صوته ، قال البيهقي أراد والله أعلم فوق عادته) [3] .

وأكد المفكرون المسلمون على الطلاقة في العرض وعبروا عنها (بسهولة الإلقاء) [4] ، وهي شيء ذو أهمية في التدريس عمومًا ، وفي استخدام المعلم لطريقة الإلقاء على وجه الخصوص (وقد أكدت الدراسة التي قام بها (سولومون) وزملاؤه عام ١٩٦٤ ، أن تعلم التلاميذ للحقائق والمعلومات يرتبط ارتباطًا دالاً بهذه القدرة (الطلاقة) ، ويتفق مع هذه النتيجة ما أكده (نول) عام ١٩٥٣ من وجود معامل ارتباط موجب دال بين طلاقة الأفكار وتقديرات كفاية التدريس) [5] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣٩..

(٢) المصدر السابق:ص٣٨.

(٣) المصدر السابق:ص٣٩.

(٤) المصدر السابق:ص٥١.

(٥) فؤاد أبو حطب وآمال صادق:علم النفس التربوي،الأنجلو،القاهرة،ط٢،١٩٨٠م، ص١٢٦.

س–مراعاة ذوي الاحتياجات الخاصة (ضعاف السمع) :

أدرك المفكرون المسلمون أن هناك علاقة وثيقة بين النمو الجسمي ومظاهر النمو الأخرى ، وأشاروا –في هذه العلاقة– إلى حالة المتعلم ثقيل السمع ، وتوقعوا أن يؤدي ثقل سمعه إلى تأخره في دراسته عن بقية الطلاب من أقرانه ، بعجزه عن سماع كل ما يقوله المعلم في درسه ، وبينوا أن هذا الطالب يعاني صعوبات بسبب ذلك العجز أو النقص ، وأنه لن يستطيع تخطيها دون مساعدة من معلمه ، ومن هنا أوجبوا على العالم أن يبادر إلى تلافي ما قد يسببه هذا النقص الحسي للمتعلم من أضرار ، فيرفع صوته إلى الحد الذي يستطيع معه ثقيل السمع أن يسمعه ، ولابد للعالم من أن يتأكد من أن ثقيل السمع يسمعه ويتابع شرحه (ولا يقصر عن سمع الحاضر ، فإن حضر فيهم ثقيل السمع فلا بأس بعلو صوته بقدر ما يسمعه) [1] .

ع–التوقف عن الشرح بعد كل فكرة أو عنصر :

من المستحب للعالم أن ينتظر بعد عرض كل عنصر أو شرح كل فكرة ، فترة من الزمن ، ويقف وقفة تسمح لتلاميذه بالسؤال أو النقاش والاستفسار ، ويرى المفكرون المسلمون أنه إن لم يقف هذه الوقفة ، فإن طلابه يفقدون كثيرًا من فوائد حديثه . فـ(إذا فرغ من مسألة أو فصل سكت قليلاً حتى يتكلم من في نفسه.. فإذا لم يسكت هذه السكتة ربما فاتت الفائدة) [2] .

ف–استخدام التعبيرات والأساليب المناسبة لإيضاح الأفكار :

وعليه أن يفكر قبل إلقاء درسه في مواضع الدرس التي تحتاج إلى استخدام تعبيرات وأساليب كلامية معينة لإيضاح فكرة ما ، أو شرح عبارة لا يتضح معناها إلا باستعمال هذه التعبيرات ، وتحديد العالم لهذه المواضع يمنع عنه التردد خصوصًا إذا كان الإيضاح لا يتم إلا بتعبيرات كلامية لا تستخدم كثيرًا ، أو يمنع الحياء أحيانًا من استخدامها ، وهو إذا حدد هذه المواضع ، وفكر في الأساليب والتعبيرات

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣٩.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

والألفاظ التي توضحها مضي في الطريق الصحيح لتفهيم التلاميذ ، وعليـــه أن (لا يمتنع من ذكر لفظة يستحيي من ذكرها عادة ، إذا احتيج إليها و لم يتم التوضيـح إلا بذكرها ، بل يكتفي بالكناية عنها) [1] ، لأن فهم التلاميذ للدرس هدف ينبغـي ألا يحول دونه شيء .

ص-الحذر من تأجيل الردود على الشبهات أو المسائل المشكلة :

إن المفكرين المسلمين يلفتون انتباه العالم إلى أنه إذا ذكر لتلاميـــذه شـبهة في درسه ، فإنه من المستحسن أن لا يؤخر الجواب عليها ، حـــتى لا يبلبـل أفكـار التلاميذ ، ويتركهم فريسة للحيرة ، وهو إما أن يذكر جواب الشـبهة معـها ، أو يؤخر الشبهة والجواب إلى درس آخر ، فذلك آمن لتلاميذه ، خصوصا إذا تعلقـت الشبهة بالدين فيجب أن (لا يذكر شبهة .. في درس ويؤخر الجواب عنها إلى درس آخر بل يذكرهما جميعا أو يدعهما جميعا ، ولا يتقيد في ذلك بمصنف يلزم منه تأخير جواب الشبهة عنها لما فيه من المفسدة ...لا سيما إذا كان الدرس يجمـع الخـواص والعوام) [2]

ق-الالتزام بموضوع الدرس أو المحاضرة :

يجب على العالم أن يحرص على عدم الخروج عن موضوع المحاضرة ، أو الاسـتطراد كثيرا في مواضيع جانبية ؛ فذلك يشتت انتباه التلاميذ ، ويدعوهم إلى الانصـراف عـن درسه ، فينبغي عليه أن (لا يبحث في مقام أو يتكلم على فائدة إلا في موضع ذلك ، فـلا يقدمه عليه ولا يؤخره عنه إلا لمصلحة تقتضي ذلك وترجحه) [3] .

ر-عدم إطالة وقت الدرس أو تقصيره :

طريقة التدريس الجيدة هي التي تمتاز بقابليتها للتكيف وفق الزمن المحـدد للتدريـس وطبيعة الدارسين ، فتأخذ في حسبانها استيفاء الدرس من جهة ، ومصلحة الدارسين مـن

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٥٢.
(٢) المصدر السابق:ص٣٨.
(٣) المصدر السابق:ص٣٨-٣٩.

جهة أخرى ، وتحدث التوازن المطلوب بينهما ، فلا ينبغي أن يمتد زمن الدرس ويطول تطويلاً يدفع الدارسين إلى الملل والسأم ، ويفقدهم الاهتمام بمتابعة العالم ، ويصرف أذهانهم عن شرحه ، أو يقصر زمن الدرس بحيث لا يتمكن العالم من استيفاء المحتوى التعليمي للمادة الدراسية فتضيع بذلك الفائدة ، ويعتمد إحداث ذلك التوازن -بالدرجة الأولى- على خبرة العالم وتجربته (وينبغي أن لا يطيل الدرس تطويلاً يمل ، ولا يقصره تقصيرًا يخل ، ويراعي في ذلك مصلحة الحاضرين في الفائدة في التطويل ، ولا يبحث في مقام أو يتكلم على فائدة إلى في موضع ذلك ، فلا يقدمه عليه ، ولا يؤخره عنه إلا لمصلحة تقتضي ذلك وترجحه) (١) .

ش-التأكد من فهم المتعلمين واستيعابهم للدرس :

وفي نهاية الدرس أو المحاضرة من المستحسن أن يتأكد العالم من أن طلابه قد فهموا درسه ، وحصلوا ما ألقاه عليهم وذلك عن طريق اختبارهم بالأسئلة ، (إذا فرغ الشيخ من شرح درس فلا بأس بطرح مسائل تتعلق به ليمتحن بها فهمهم وضبطهم لما شرح لهم) (٢) .

ت-ختام الدرس :

وإشعاراً للمتعلم بانتهاء الدرس أو المحاضرة فقد (جرت العادة أن يقول المدرس عند ختم كل درس والله أعلم) (٣) .

(لكن الأولى أن يقال قبل ذلك كلام يشعر بختم المجلس ، كقوله وهذا آخره أو ما بعده يأتي إن شاء الله تعالى) (٤) .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٣٨،٣٩.

(٢) المصدر السابق:ص٥٣.

(٣) المصدر السابق:ص٤٤.

(٤) المصدر السابق:ص٤٤.

ث–البقاء بعد انتهاء الدرس لفترة وجيزة :

رأى المفكرون المسلمون أنه لا يكفي انتظار العالم في درسه فترة من الوقت بين الحين والآخر ليتكلم طلابه مناقشين أو مستفسرين ، بل عليه أن يمكث قليلاً بعد انتهاء درسه ، فربما كان من بين تلاميذه من لم يتمكن من سؤاله أثناء الدرس ، أو لعل عند بعضهم بقايا أسئلة لم يتلق عنها جوابًا (والأولى للمدرس أن يمكث قليلاً بعد قيام الجماعة ، فإن فيه فوائد وآدابًا له ولهم ؛ منها عدم مزاحمتهم ومنها إن كان في نفس أحد سؤال سأله) [1] .

خ–الدعاء عند الانتهاء والفراغ :

(ويستحب إذا قام أن يدعو بما ورد به الحديث سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك) [2] .

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٤٥.

(٢) المصدر السابق: نفس الصفحة.

الباب الثالث

آداب المتعلم في الفكر الإسلامي

الفصل الأول

آداب المتعلم نحو ربه ونفسه

لقد أدرك المفكرون المسلمون أن المتعلم في أثناء طلبه للعلم ، قد ينحرف في حبه للعلم بحيث يقصر في حق نفسه ، بالمبالغة في طلبه العلم دون الاهتمام بالنواحي الصحية والنفسية ، مما يؤثر تأثيراً سيئاً على عملية العلم والتعلم .

كذلك أدركوا بوضوح أن طالب العلم إن لم يتحل بالأخلاق الفاضلة نحو ربه ونفسه ؛ فإن قدرته على طلب العلم ستكون أقل ، فضلاً على خطورة استخدام العلم عندما يوضع في يد الأشرار من البشر .

والمتعلم شأنه في ذلك شأن أي مسلم مسؤول عن كافة حواسه من سمع وبصر وفؤاد قال تعالى :

﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً ﴾ (1) .

كما أنه مسؤول عن نفسه ، وصحتها ، فإما أن يقودها إلى الخير والفلاح فتزكوا ، وينعكس ذلك على علاقته مع ربه ونفسه ، ومع أساتذته وزملائه ، ومع مجتمعه ، فيكون متزن السلوك ، وإما أن يقودها إلى الشر فيضطرب سلوكه وتظهر عليه الأمراض النفسية فيفقد الاعتدال في تصرفاته ، قال تعالى : **﴿ ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح من زكاها * وقد خاب من دساها ﴾** (2) .

لذا عني المفكرون المسلمون كل العناية ببث الأخلاق الكريمة ، وغرس الفضائل في نفوس المتعلمين ، وتعويدهم على التمسك بالفضيلة ، وتجنب الرذيلة ، والتفكير في الجوانب الروحية والإنسانية ، والتفرغ للدراسة من غير نظر إلى أي شئ آخر ، فإن خير زاد يتزود به المتعلم في طريق العلم هو الالتزام بالآداب الواجبة نحو ربه ونفسه ونحو أساتذته وأقرانه ، ونحو مجتمعه ومعهده ، فلا استخفاف ولا استكثار للجهد في سبيل العلم .

---

(1) سورة الإسراء:آية36.

(2) سورة الشمس:آية 7-10.

- مثالية آداب المتعلم :

والآداب التي أوردوها في هذا المضمار تمثل الصورة المثالية ؛ التي يجب أن يكـون عليه المتعلم المسلم ، وهي قل أن تتوافر جميعا في شخص واحد ، وأيا كان الموجـود منها فإنه لا يصل إلى درجة الكمال فيها ، اللهم إلا الكمال النسبي . وستظل مجـالا واسعا للفروق الفردية بين الناس فيما يغلب على كل منهم من صفات وخواص ، وفي درجات حظوظهم من كل منها .

ومتى ما رغب المتعلم الفلاح والسداد والتوفيق في طلبه العلم وفي حياته وجـب عليه أن يلزم نفسه الآداب التي تعينه على تحقيق ذلك بما يلي :

أولا - إخلاص النية في طلب العلم :

لقد نالت النية الكثير من العناية والأهمية عند المفكرين المسلمين ، فقد جعلوهـا شرطا جوهريا لوجود قيمة خلقية لأي فعل ، كما أنها عنصر أصيل يمـيز الأخـلاق الإسلامية ... يقول ابن قدامة المقدسي : (العمل بغير نية عناء ، والنية بغير إخـلاص رياء ، والإخلاص من غير تحقيق هباء) (1) .

فالنية ، والإخلاص ، والعمل ، تترابط وتتكامل وتشـكل شـروطا للفضيلـة الخلقية ، ومبدأ استناد القيمة أو الفعل إلى النية ليس محدودا بالعبادة أو العمل الخلقي ، ولكنه يحكم كل نشاط المسلم ، يقول ابن القيم : (المقاصد والاعتقادات معتـبرة في التصرفات والعبرات ، كما هي معتبرة في التقربات والعبـادات ، فـالقصد والنيـة والاعتقاد يجعل الشيء حلالا أو حراما ، وصحيحا أو فاسدا ، وطاعة أو معصية) (2) .

---

(1) ابن قدامة المقدسي: مختصر منهاج القاصدين، دار التراث العربي، القـاهرة، (د.ط)، ١٩٨١م، ص١٠٦.

(2) ابن القيم الجوزية: إعلام الموقعين، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ج٣/١٠٨ .

- المقصود بالنية :

ولكن ما المقصود بالنية التي لها كل هذا الاعتبار في الإسلام ؟ إنها مرضاة الله والامتثال لأمره ، فالنية موقف باطن انعقد على إتيان سلوك أمر به الله عز وجل ، إنها ليست نية مجردة ، أو النية إطلاقاً ، وإنما هي مقيدة بقيد مهم هو إخلاص النية لله عز وجل (1) .

فالنية تَوَجُّه ، والعمل يصح أو يكون دون ذلك بالنية ، والتوجه شرط يضمن توجه العقل والانفعال لمواجهة موقف ما أو مشكلة أو موضوع يحتاج إلى جهد الإنسان ، و يضمن تأهباً ، ذلك التأهب الذي يهتم به علم النفس الحديث (في الإدراك والتفكير والتعلم) (2) .

واعتبر المفكرون المسلمون النية أصلاً من أصول التعلم ، وشرطاً يحفز المتعلم ، ويوفر جهده لصرفه في التعلم ، وهم يقررون أنه ينبغي على طالب العلم أن يعقد النية على طلب العلم ، (واثقاً بتيسير الله ، قاصداً وجه الله تعالى ، بينة خالصة ، وعزيمة صادقة) (3) ، فالنية هي روح الفعل ، فإذا تجرد منها كان ميتاً ، يقول ابن جماعة : (حسن النية في طلب العلم ، بأن يقصد به وجه الله تعالى والعمل به وإحياء الشريعة ، وتنوير قلبه وتحلية باطنه ، والقرب من الله تعالى يوم لقائه) (4) .

ويجب على طالب العلم أن يتجنب أشياء في نيته حتى تكون خالصة :

أ- أن لا يطلب العلم للمراء أو الجدال الذي ليس من ورائه طائل .

ب- أن لا يطلب العلم لمجرد كسب مال أو الشهرة .

ج- أن لا يطلب العلم لكسب منزلة أو كرامة عند الحاكم .

---

(1) د. أحمد عبد الرحمن:الفضائل الخلقية في الإسلام ،مرجع سابق،ص٤٤-٤٥-٤٦ .

(2) د. سيد أحمد عثمان: التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي،مرجع سابق،ص١٠١.

(3) الماوردي: أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٥٤.

(4) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم ،مصدر سابق،ص٦٨.

و هم في ذلك متجاوبون تماما مع النظرة الإسلامية الصحيحة ، التي تطلب من الإنسان أن يقصد من كل أعماله رضا الله تعالى وحبه ، يقول الله تعالى : ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ (١) .

وإذا كان التعليم والتعلم غاية في الأهمية للفرد والجماعة ، فإن قصد وجه الله تعالى به ، وقصد رضاه والعمل به ، يؤدي إلى إجادته وإخلاصه ، ووجه ذلك ، أن هذا يفرغ قلب طالب العلم من الشواغل الرديئة ، ومن ثم يكون التوجه كاملا ، فالشواغل والعلائق صارفة .

فالمفكرون المسلمون –إذن– ينصحون المتعلم بالإقبال على العلم والتعلم بصدق وإخلاص ، وبهمة وعزيمة ونية خالصة ، ولا يطلبه للمراء أو الرياء أو الشهرة وإنما يتحرك لطلبه من أجل الحق ، وشهود الحقيقة ، ولكي لا يقع الإنسان المتعلم في سوء فهم ، أو يخلط بين المراء والمناظرة ، ونظرا لأهمية المناظرة في التعلم ، فإنهم يفرقون بين المناظرة والمراء ، يقول الماوردي : (وليس المماري به هو المناظر فيه ، طالبا للصواب منه ، ولكن القاصد لدفع ما يرد عليه من فاسد أو صحيح ، وفيهم جاءت السنة عن رسول الله ﷺ أنه قال : (**لا يجادل إلا منافق أو مرتاب**) ، وقال الأوزاعي : إذا أراد الله بقوم شرا أعطاهم الجدل ومنعهم العمل) (٢) .

وحتى لا يقع طالب العلم في رهبة هذا التحذير فلا ينبغي أن يكون الحذر من الرياء باعثا على ترك المناظرة ، فالمناظرة من طرق التعليم ، يقول الماوردي : (لا يمنعك حذر المراء من حسن المناظرة ، فإن المماري هو الذي لا يريد أن يتعلم منه أحد ولا يرجوا أن يتعلم من أحد) (٣) .

إن النية تحدد الغاية ، والهمة توجه عملي نحو الغاية وهما أساسان في طلب

---

(١) سورة الأنعام:آية١٦٢، ١٦٣.

(٢) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق، ص٥٤.

(٣) المصدر السابق:ص٥٤.

العلم ، خاصة وأنها تحرر الإنسان من العلائق والشواغل ، وهذا كفيل بدفع المتعلم نحو غايته وهو رضا الله سبحانه وتعالى وإرضائه بما يطلب ، وهذا بدوره كفيل بأن يحول بين المتعلم والخداع والمراء والغش ، لأنه على يقين دائم أن الله سيحاسبه على كل ما يأتي به ، وفي هذا موضوعية ونزاهة مطلوبتين للتقدم العلمي والبحث العلمي الصحيح ، وهذا يضمن التقدم العلمي في المجتمع الإسلامي ، لأن أعظم ما يؤخر التقدم الحضاري والعملي للمجتمع ، عدم إتقان العلم ، وترك التعلم ، والانحياز والتخلي عن الموضوعية ، وما يصحب هذا من غش وخداع ، وإهمال وترك الإخلاص في النية ، وبالجملة خيانة أمانة العلم والتعلم .

فعلى المتعلم إذن أن يسعى لطلب العلم ، ويبذل من نفسه ووقته وجهده من أجله ، فالعلم (عوض من كل لذة ، ومغن عن كل شهوة ، ومن كان صادق النية فيه ، لم يكن له همة فيما يجد بداً منه . قال بعض البلغاء : من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ، ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة ، ومن آنس قراءة القرآن ، لم توحشه مفارقة الإخوان) [1] .

-التحذير من المراءاة في طلب العلم :

وارتبط الحديث بإخلاص النية بالحديث عن التحذير من المراءاة في طلب العلم ، فتعلم العلم لغير وجه الله تعالى ، ابتغاءً لشهرة فارغة ، وطلباً لشهوة عاجلة ، وسعياً وراء تقدير يصير إلى عدم ، وعَدْواً خلف فرح يؤول إلى ندم ، كل ذلك مما يدخل في دائرة الوعيد والتحريم الشديد ، يقول القاضي أبو بكر ابن العربي : (قد يكون العلم هلاكاً على صاحبه إذا طلبه لغير وجه الله) [2] .

وقد ذم الله تعالى من راءى بعمله غير وجهه الكريم ، وبين أنه لا ثواب له

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين،مصدر سابق،ص٩٢.
(٢) أبو بكر بن العربي:عارضة الأحوذي،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ط)،ج١٠/ص١٢١.

عنده ، وأن يكله إلى الذي أشرك به ، فالله طيب لا يقبل إلا طيبا ﴿يا أيـــها الذيـــن ءامنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس﴾ (١) .

وحذر النبي ﷺ من الرياء تحذيرا شديدا ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قـال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، مـــن عمل عملا أشرك معه غيري ، تركته وشركه) (٢) ، وقال ﷺ : (من سمع سمع الله به ومن يرائي ، يرائي ، يرائي الله به) (٣) .

وفي حديث صريح ينهى رسول الله ﷺ عن تعلم العلم لغير الله فيقول : (من تعلـم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به غرضا من الدنيا لم يجد عـــرف الجنة) (٤) ، وعن الحسن البصري قال : (من طلب العلم ابتغاء الآخرة أدركها ، ومـن طلب العلم ابتغاء الدنيا فهو حظه منها) (٥) .

ثانيا – الرغبة في طلب العلم :

تعد الرغبة الصادقة في طلب العلم لدى المتعلم من أهم عوامل نجاحه ، ولا يجب أن تعوقه عن الاستمرار في الطلب أية مغريات ، ويرى المفكرون المسلمون أن لكـــل مطلوب باعثا ؛ والباعث على المطلوب دائما إما أن يكون رغبة أو رهبة ، لكن طالب العلم عليه أن يكون راغبا (٦) .

ولاشك أننا هنا أمام حقيقة تربوية تعليمية أقرها التربية الحديثة ، وأخذت بهـــا نظريات التعلم فيما يعرف بـــ(الميول) ؛ فالوصايا والإرشادات والنصائح من طـــرف

---

(١) سورة البقرة:آية٢٦٤.

(٢) الحديث صحيح ، رواه مسلم .

(٣) الحديث صحيح ، رواه البخاري ومسلم .

(٤) الحديث رواه أحمد في المسند ٣٣٨/٢ ، وأبو داود في سننه ٤٣٩/٣ ،وغيرهما .

(٥) الخطيب البغدادي: اقتضاء العلم العمل ،مصدر سابق، ص٦٦.

(٦) د.ماجد فخري:الفكر الأخلاقي العربي،مرجع سابق،ص١٢٣.

المعلم وحده لا تجدي إذا لم يقابلها من الطرف الآخر (المتعلم) الرغبة (الميل) والجهد والحرص والاهتمام والعناية [1] ، وهذه الحقيقة كانت مما التفت إليه المفكرون المسلمون فهذا ابن المقفع يوصي ولده قائلاً : (أي بني ، إن أول شيء من آدابي و قبول قولي ، وحفظ وصيتي ، ينبغي أن يكون لك في اكتسابه -أي العلم- وادخاره عناية بغير ريبة ، ورغبة صادقة) [2] .

فعلى الراغب في العلم وتحصيله أن يبدي من نفسه الميل و الرغبة الخالصة ؛ إلى جانب الاهتمام والحرص والعناية ؛ حتى يستحق أن يطلق عليه اسم طالب علم ، أو متعلم (فمن رام أن يجعل نفسه لذلك الاسم والوصف أصلاً ، فليأخذ له عتاده ، وليعد له طول أيامه ، وليؤثره على أهوائه ، فإنه قد رام أمراً جسيماً لايصلح على الغفلة ، ولا يدرك بالمعجزة) [3] .

ثالثاً – التفرغ وترك الشواغل الصارفة :

إن الانقطاع إلى طلب العلم ، والانصراف عن مشاغل الدنيا ، في مرحلة الطلب أمر ضروري ، ومطلب أساسي للنجاح وتحصيل العلم ، فلابد للمتعلم من الانصراف كلية إلى هدف واحد هو طلب العلم والنجاح والتفوق فيه ، ولن يتحقق هذا الهدف إلا بالتفرغ التام ، والبعد عن كل ما يصرفه أو يشغله .

– الآثار السلبية لعدم التفرغ لطلب العلم :

ألح المفكرون المسلمون على ضرورة التفرغ لطلب العلم ؛ لعلمهم بالآثار السيئة لعدم التفرغ والانشغال بأمور الدنيا ، ومن هذه الآثار :

١– تشتت الفكر والذهن ، وعدم التركيز: فـ (الفكرة متى توزعت تكون

---

(١) د.عبد الأمير شمس الدين:الفكر التربوي عند ابن المقفع،دار اقرأ،بيروت،ط١،ص١٤٨.
(٢) ابن المقفع :الأدب الوجيز،تحقيق د. عبد الأمير شمس الدين،دار اقرأ،بيروت،ط١،ص٢٠.
(٣) المصدر السابق:ص٩.

كجدول تفرق ماؤه ، فيتنشفه الجو وتشربه الأرض ، فلا يقع به نفع ، وإن جمع بلغ المزدرع فانتفع به) [١] ، وسوف يأتي كيف أن التركيز في التعلم أساس من أسس الحفاظ على الصحة العقلية .

٢- **ضعف الهمة ، وقلة المجهود المبذول في التحصيل:** وذلك نتيجة منطقية لتوزع الطاقة بين أكثر من هدف .

يقول ابن جماعة : (ويقطع ما يقدر عليه من العلائق الشاغلة ، والعوائق المانعة عن تمام الطلب وبذل الاجتهاد ، وقوة الجد في التحصيل ، فإنها كقواطع الطريق) [٢] .

- الأسباب المساعدة على التفرغ :

ولتحقيق هذا الهدف قدم المفكرون المسلمون مجموعة نصائح وتوجيهات تعين المتعلم في تحقيق التفرغ والبعد عن الشواغل ، منها :

أ- **التخفف من مطالب الحياة** ، والرضا باليسير الضروري منها ، والصبر على ضيق العيش و (أن يقنع من القوت بما تيسر وإن كان يسيراً ، ومن اللباس بما يستر مثله وإن كان خلقاً ، فبالصبر على ضيق العيش ينال سعة العلم ، ويجمع شمل القلب عن متفرقات الآمال فيتفجر منه ينابيع الحكم) [٣] .

وقد شاع في الفكر الإسلامي مقولة أن النجاح في العلم مرتبط بالفقر كما أن الذكاء قرين ضيق الحال ، فنجد مقولات مثل : (لا يصلح العلم إلا لمفلس) و (لا يبلغ من هذا العلم ما يريد حتى يضر به الفقر ويؤثره على كل شئ) [٤] . وهذه فكرة ليست صحيحة على إطلاقها ، وقد رد ابن الجوزي عليها فقال : (ولو أنه نظر في سير الرجال ونبلائهم ، وتأمل صحاح الأحاديث عن رؤسائهم لعلم أن الخليل عليه الصلاة

---

(١) الأصبهاني:الذريعة إلى مكارم الشريعة،مصدر سابق،ص٢٤٠.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٧٠.

(٣) المصدر السابق:ص٧١.

(٤) النووي: مقدمة المجموع،مصدر سابق،ص٤٤.

والسلام كان كثير المال ؛ حتى ضاقت بلدته بمواشيه ، وكذلك لوط عليه الصلاة والسلام ، وكثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والجم الغفير من الصحابة ، وإنما صبروا عند العدم ، ولم يمتنعوا من كسب ما يصلحهم ولا من تناول المباح عند الوجود) (١).

ولاشك أن شيوع هذه الفكرة مما يسيء كثيراً إلى قيمة العلم كمعوق عن الحياة الرغدة الكريمة ، فيؤدى ذلك إلى انصراف الناس عنه ، ونفورهم منه .

بل يرى ابن الجوزي أن الركون إلى الفقر والحاجة قد يؤدي بالمتعلم إلى تلف الدين وذهابه ، وذل النفس : (وإني تأملت أكثر أهل الدين والعلم على هذه الحال ، فوجدت العلم شغلهم عن المكاسب في بداياتهم فلما احتاجوا إلى نفوسهم ذلوا ؛ وهم أحق بالعز ، وقد كانوا قديماً يكفيهم من بيت المال فضلات الإخوان فلما عدمت في هذا الأوان لم يقدر متدين على شئ إلا ببذل شئ من دينه ، وليته قدر فربما تلف الدين ولم يحصل له شئ) (٢).

ولذلك فيجب على المتعلم متى ما وجد من يغنيه ، وتحصَّل على ما يكفيه من ضروريات الحياة ألا يشغل نفسه بشيء سوى العلم وتحصيله ، أما إذا لم يجد ذلك ، أو كان صاحب عيال فلا بأس –بل يجب– أن يتكسب ما يسد حاجاته ؛ ويقتصر على الضروري منها ، ويُفرِّغ ما بقي من وقته لطلب العلم ، (فعن عبد الرحيم بن سليمان الرازي قال : كنا عند سفيان الثوري ، فكان إذا أتاه الرجل يطلب العلم سأله : هل لك وجه معيشة ؟ فإن أخبره أنه في كفاية ، أمره بطلب العلم ، وإن لم يكن في كفاية أمره بطلب المعاش) (٣) . وقد أفرد الخطيب البغدادي في بعض كتبه باباً بعنوان (ذكر ما يجب على طالب الحديث من الاحتراف للعيال واكتساب الحلال) (٤) .

---

(١) ابن الجوزي:صيد الخاطر،مصدر سابق،ص٢٢.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ،مصدر سابق،ص٩٨.

(٤) المصدر السابق:ص٩٧.

وهذا هو الموقف الوسط المقبول في كل زمان وعلى كل حال ، فلا إفراط ولا تفريط .

ب-**البعد عن الأهل والأوطان** ، أو ما أسماه بعضهم (الرحلة في طلب العلم) (١)، يقول ابن جماعة : (استحب السلف التغرب عن الأهل والبعد عن الوطن) (٢) ، وذلك لما في السفر والارتحال من فوائد مثل الالتقاء بالعلماء المشهورين في أنحاء الدنيا ، وكذلك قطع العلائق الشاغلة والبعد عن المعاشرة الملهية ، وجمع شتات الذهن والتفرغ بالكلية للعلم (فإن العلائق صارفة وشاغلة للقلوب ... ، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ... ولأن الفكرة إذا توزعت قصرت عن درك الحقائق (٣) .

وكانت الرحلة في طلب العلم إلى الأساتذة والعلماء المشهورين أمراً شائعاً ومعروفاً بين طلبة العلم في محيط العالم الإسلامي ، الذي لم يكن يعرف حدوداً وحواجز بين أقاليمه ودوله ، (فكان الطالب ينتقل من بلد إلى بلد آخر بحثاً عن أستاذ ينهل على يديه العلم ، مما أدى إلى سرعة انتقال العلم والمؤلفات العلمية في أرجاء الأمة الإسلامية) (٤) .

وكان الحرص على لقاء الشيوخ والأساتذة المشهورين هو الغرض الأول من الرحلة في طلب العلم (٥) .

وروت لنا كتب التراجم والسير أن المئات من طلاب العلم في القرون الأولى ارتحلوا وطوفوا في أرجاء العالم الإسلامي من أجل التتلمذ على يد العلماء .

ج-**إيثار العزوبة وترك الزواج** ، وذلك لما له من أعباء وتبعات ، وحقوق للزوجة

---

(١) للخطيب البغدادي كتاباً يحمل هذا العنوان .

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم ،مصدر سابق، ص٧٠-٧١.

(٣) المصدر السابق:ص٧١.

(٤) د.نادية جمال الدين:فلسفة التربية عند إخوان الصفا،مرجع سابق،ص٣٤٩.

(٥) محمد عادل عبد العزيز:التربية الإسلامية في المغرب أصولها المشرقية وتأثيراتها الأندلسية،الهيئة المصرية العامة للكتاب،(د.ط)،(د.ت)،ص٢٠٧.

والولد تصرف المتعلم عن العلم فقد قالوا قديماً : (من تزوج فقد ركب البحر ، ومن وُلِدَ له ولد فقد كُسِرَ به) (1) .

وهذا لا يستحب إلا لمن قدر عليه وصبر ،يقول الخطيب البغدادي : (ويستحب لطالب الحديث أن يكون عزباً ما أمكنه ، لئلا يقطعه الاشتغال بحقوق الزوجة ، والاهتمام بالمعيشة عن الطلب) (2) .

أما من لا يستطيع فيجب عليه التزوج ، و إعفاف نفسه ، فذلك واجب ، لئلا يقع المتعلم فريسة للضغوط النفسية الناشئة عن الكبت ، أو السقوط في الخطيئة يقول ابن جماعة : (وبالجملة فترك التزويج لغير المحتاج إليه أو غير القادر عليه أولى ، ولاسيما للطالب الذي رأس ماله جمع الخاطر وإجمام القلب واشتغال الفكر) (3) .

رابعاً- التوكل :

التوكل في حقيقته هو (الثقة بما عند الله تعالى ، واليأس عما في أيدي الناس) (4) والتوكل محله القلب ، ولا تنافي بينه وبين العمل ، بعد أن يتحقق العبد أن التقدير من قبل الله تعالى ، والتوكل يفضي إلى كفاية الله تعالى لعبده ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (5) ، وتركه له خطورته على الإيمان الصحيح ، والعمل واجب

---

(1) ابن جماعة:تذكرة السامع، مصدر سابق،72،هذا القول لسفيان الثوري –رحمه الله–لعله قصد به المزاح والمداعبة ، فنقله بعض أصحابه ، وصار فيما بعد قولاً يستشهد به على التنفير من الزواج وولادة الأولاد ، وسنة نبينا ﷺ واضحة في ذلك لا لبس فيها ، فالزواج سنة من سنن المرسلين ، وكان الرسول ﷺ يأمر بالزواج وينهى عن التبتل نهياً شديداً ، فأين هذا من ركوب البحر ، وكسر المركب به؟!.

(2) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ج1،ص101.

(3) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص72.

(4) الجرجاني: التعريفات، مرجع سابق ،ص97.

(5) سورة الطلاق ، آية3 .

=

قبل التوكل ؛ فقد روي أن رجلاً جاء على ناقة له ، فقال : يا رسول الله ، أدعها وأتوكل ، فقال ﷺ : (**اعقلها وتوكل**) [1] .

من هنا حث المفكرون المسلمون المتعلم على أهمية أن يتصف بهذه الصفة الحميدة ، ويخلص فيها ؛ لأن في صدق التوكل في طلب العلم تحرراً من العلائق الدنيوية و الشواغل المعيشية ؛ مما يساعد المتعلم على أن تكون نيته خالصة للتعلم ، وأن يكون العلم همه واهتمامه ، يقول الزرنوجي : (لابد لطالب العلم من التوكل في طلب العلم ولا يهتم لأمر الرزق ولا يشغل قلبه بذلك ، فإن من اشتغل قلبه بأمر الرزق من القوت والكسوة قلما يتفرغ لتحصيل مكارم الأخلاق ومعالي الأمور) [2] ، وكما يؤدي صدق التوكل إلى خلوص النية ؛ فإنه يؤدي إلى توفير الجهد الانفعالي والعقلي والبدني المبذول في الاهتمامات والتعلقات المتفرقة ، ثم توجيه هذا الجهد في التعلم الذي يحتاج السير في طريقه ومتابعته والاستمرار فيه مثل هذا التركيز في الجهد والطاقة والقوة ، كما أن هذا الصدق والخلوص يعلي الهمة ويزيد استعداد المتعلم لبذل الجهد .

خامساً – التحلي بمكارم الأخلاق :

الأخلاق : جمع خلق ، ومعناها في اللغة (الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أنه الصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة) [3] .

=

(١) د.عبد اللطيف العبد ، الأخلاق في الإسلام ،مرجع سابق،ص١٦١وما بعدها (بتصرف).

(٢) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم ،مصدر سابق،ص ٩٩.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى ١٩٨٨م، ج، ص١٩٤.

والأخلاق هي (تلك المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان تنظيماً خيراً على نحو تُحَقِّقُ الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه) [1] ، كما عرفها ابن مسكويه بأنها : (حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ، وهذه الحال تقسم إلى قسمين : منها ما يكون طبيعياً من أصل المزاج كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب.. ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدرب وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ثم يستمر عليه أولاً فأول حتى يصير ملكة وخلقاً) [2] .

و الأخلاق المكتسبة ليست ممارسة للسلوك الأمثل في مناسبة معينة ؛ بل هو (تعود هذا السلوك الفاضل ، والإتيان به في كل مناسبة من المناسبات ... مثال ذلك أننا لا نستطيع أن نطلق على إنسان صفة الصدق إلا إذا كانت عادته أن يصدق في أقواله ، وهكذا سائر الأخلاق الفاضلة ، ونحن أيضاً لا نطلق صفة الكذب على إنسان إلا إذا كانت عادته أن يكذب في أقواله ، وهكذا سائر الأخلاق المرذولة) [3] .

وينبغي للمتعلم أن يكون في سلوكه وتصرفاته وصفاته الظاهر منها والباطن مطابقاً لأوامر الإسلام ؛ الذي يأمر بالفضائل وينهى عن الرذائل والقبائح ، ولكي يحقق ذلك عليه تتبع (آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه وتوظيف السنن على نفسه) [4] ؛ ذلك لأن الرسول ﷺ (هو الميزان الأكبر وعليه تعرض الأشياء على خلقه وسيرته وهديه فما وافقها فهو الحق وما خالفها فهو الباطل) [5] ، وقد سئلت عائشة رضي الله

---

(١) مقداد يالجن:جوانب التربية الإسلامية،موسوعة التربية الإسلامية،دار الريحاني للطباعة،بيروت،ط١،١٩٨٦م،ج٢،ص٢٨٧.

(٢) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق، ص ٢٥،٢٦.

(٣) د.عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب: فلسفة التربية عند ابن سينا،مرجع سابق، ص٩٢.

(٤) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، مصدر سابق، ص١٠٨.

(٥) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص٢.

و ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله ،مصدر سابق، ج٢، ص١٨٠.

عنها عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : (كان خلقه القرآن) [1] ، والطريق لتحقيق ما سبق يتم من عدة أوجه :

١- صيانة النفس أو (طهارة النفس) :

وتأتي هذه الصيانة كشرط أول ، لما لها من أهمية في توجه المتعلم لطلب العلم توجهاً صحيحاً وسليماً ، ومعنى صيانة النفس ، تجنب الرذائل والقبائح والمساوئ ، لكي يُيَسَّرَ إلى طلب العلم من ناحية ، ولكي يحفظ دوره المسئول عنه كقدوة في الناس من ناحية أخرى .

وإذا كانت صيانة النفس أصل الفضائل لكل الناس ، فإنها للعالم والمتعلم أكثر إلزاماً ، يقول الماوردي : (ولعمري ، إن صيانة النفس أصل الفضائل ، لأن من أهمل نفسه ، ثقة بما منحه العلم من فضيلته ، وتوكلاً على ما يلزم الناس من صيانته ، سلبوه فضيلة علمه ، ووسموه بقبيح تبذله ، فلم يف ما أعطاه العلم بما سلبه التبذل ، لأن القبيح أنم من الجميل ، والرذيلة أشهر من الفضيلة) [2] .

والناس لما في طبائعهم من البغض والحسد ونزاع المنافسة ، تنصرف عيونهم عن المحاسن إلى المساوئ ، فلا ينصفون محسناً ، (ولا يحابون مسيئاً ، لا سيما من كان بالعلم موسوماً ، وإليه منسوباً ، ولهذا فإن من لم يصن نفسه من أهل العلم لا تقال زلته ، وهفوته لا تعذر ، إما لقبح أثرها ، واغترار كثير من الناس بها ، وقد قيل في منثور الحكم زلة العالم كالسفينة تغرق ، ويغرق معها خلق كثير ، وإما لأن الجهالة بذمه أغرى ، عناداً لما جهلوه ، ومقتاً لما باينوه ، لأن الجاهل يرى العلم تكلفاً ولوماً ، كما أن العالم يرى الجهل تخلفاً وذماً) [3] . وإذا صان ذو العلم نفسه حق الصيانة ، ولازم فعل ما يلزمها ، صار بالمنزلة التي يستحقها ، وتمثل قول الرسول ﷺ (العلماء ورثة الأنبياء) .

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم،مرجع سابق، ص٤٠٢.

(٢) الماوردي:أدب الدنيا والدين ، مصدر سابق ،ص٤٦.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

وفي العموم فإن من استدل بفطنته على استحسان الفضائل (واستقباح الرذائل ، أن ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم ، وغفلة الإهمال باستيقاظ المعاناة ، ويرغب في العلم رغبة متحقق لفضائله ، واثق بمنافعه) (١) .

ومن صيانة النفس أيضاً في هذا المجال أن لا يُلْهِي الإنسان عن طلب العلم مال وجِدَّة، ولا نفوذ أمر وعلو منزلة ، فإن من نفذ أمره فهو إلى العلم أحوج ، ومن علت منزلته فهو بالعلم أحق .

ويؤكد المفكرون المسلمون على صفة صيانة النفس ونزاهتها ؛ واشترطوا تحققها في طالب العلم والعلماء على السواء ، فكلاهما لابد أن يترك انفعالاته وتفضيلاته الشخصية جانباً ، وكذلك ميوله وأهواءه ، ويدرك كيف ينظر إلى الأمور نظرة منزهة عن كل غرض ، ومن هنا يصطبغ العلم بالصبغة الأخلاقية ، ويكون له تأثيره الأخلاقي الذي لا يمكن إنكاره .

-التنـزه عن استغلال العلم للحصول على المال :

وفي الحديث عن صيانة النفس وطهارتها ونزاهتها ، بحث المفكرون المسلمون الموقف من المال وصلته بطلب العلم ، فصيانة النفس والنـزاهة تقتضي حتماً تجرداً للحقيقة ، ولذا فإنه يجب أن لا يشغل الإنسان عن طلب العلم المال ، أو النفوذ أو علو المنـزلة ، وبمعنى آخر عدم استغلال العلم أو البحث استغلالاً مادياً ، (وليحذر أن يجعله سبيلاً إلى نيل الأعراض وطريقاً إلى أخذ الأعواض ، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه ، فعن سعيد بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ **(من تعلم علماً مما يبتغى به وجه الله ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عرض الدنيا ؛لم يجد عَرْف الجنة يوم القيامة)** (٢) .

---

(١) الماوردي:أدب الدنيا والدين ، مصدر سابق ،ص٤٦.

(٢) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي، مصدر سابق،ص٨٣،٨٤.

٢- الالتزام بفضيلة الحكمة :

ينبغي للمتعلم أن يحرص على أن ينال الحكمة ؛ لأن من أوتي الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، قال تعالى : ﴿ **الشيطان يعدكم الفقر ويأمر بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم * يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب** ﴾ (١) .

يقول السعدي في تفسيره للحكمة في الآية السابقة بأنها : (العلوم النافعة والمعارف الصائبة والعقول المسددة والألباب الرزينة وإصابة الصواب في الأقوال والأفعال) (٢) .

أما ابن مسكويه فيذهب إلى أن الحكمة (فضيلة النفس الناطقة المميزة ، وهي أن تعلم الموجودات كلها من حيث هي موجودة ، وإن شئت فقل أن تعلم الأمور الإلهية والأمور الإنسانية ، ويثمر علمها بذلك أن تعرف المعقولات ، أيها يجب أن يفعل وأيها يجب أن يغفل) (٣) .

٣- التزام المتعلم بفضيلة العفة :

وهي أن يصرف شهواته بحسب الرأي ، وهو موافقة التمييز الصحيح حتى لا يصير مستبعدا لشهواته ، وذلك من خلال إعطاء البدن ما يحتاج إليه من اللذات التي رخصها الشرع ، والعقل ، قدر الضرورة دونما إفراط أو تفريط (٤) .

والعفة كما يراها ابن سينا أن (يكون المرء معتدلا في شهوات البدن من مأكل ومشرب ومنكح ، ولا ينقاد إلى تلك الشهوات ، بل يقهرها ، ويتصرف فيها بحسب

---

(١) سورة البقرة:آية٢٦٨، ٢٦٩.

(٢) عبد الرحمن السعدي: تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان،مطبوعات الجامعة الإسلامية،المدينة المنورة،(د.ط)،١٣٩٨هـ،ج١،ص١٦٠.

(٣) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق،ص١٥،١٦.

(٤) المصدر السابق:ص ١٦-١٧.

الرأي الصحيح) [1] .

وحتى يحقق المتعلم ذلك التوازن فلابد أن يؤدب نفسه بما يلي :

أ- الورع :

وهو مجاهدة النفس عما حرمه الله أو ما فيه شُبْهَةٌ ، سمواً بالنفس وصيانةً للعمل . قال الفضيل بن عياض : (الورع اجتناب المحارم) [2] ، عرف ابن مسكويه الورع بأنه (لزوم الأعمال الجميلة التي فيها كمال النفس) [3] ، والورع سبب لقبول العلم وصلاح القلب ، فوجب على المتعلم (أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه ، ويتحرى الحلال في طعامه ، وشرابه ولباسه ، ومسكنه ، وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله ، ليستنير قلبه ، ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به) [4] .

وحتى يفلح المتعلم فعليه تدريب نفسه على معالي الأمور التي فيها كمال النفس ، وهذا الكمال يكون باختيار الأعلى والأرفع من الأمور ، (ولا يقنع لنفسه بظاهر الحل شرعاً مهما أمكنه التورع ، ولم تلجئه حاجة أو يجعل حظه الجواز بل يطلب الرتبة العالية) [5] ، وهذا لا يكون إلا بسمو النفس فمتى ما سمت جعلت صاحبها (يتحرز عن الشبع وكثرة النوم ، وكثرة الكلام فيما لا ينفع ، وأن يتحرز من أن يأكل حراماً أو ما فيه شبهة حرام ، أو يسرف في طعامه الذي قد يراه الآخرون ولا يقدرون على شراء مثله فيتأذون بذلك وتذهب بركته) [6] .

وخير من يُقْتَدى به في الورع رسول الله ﷺ حيث روي أنه ﷺ (لم يأكل

---

(١) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب: فلسفة التربية عند ابن سينا، مرجع سابق، ص٩٢.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص١٠٣.

(٣) ابن مسكويه:تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق، ص١٨.

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم،مصدر سابق،ص ٧٥.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٦) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٧٦.

التمرة التي وجدها في الطريق خشية أن تكون من الصدقة مع بعد كونها منها) [1] .

ومن ثمار الورع الانتفاع بالعلم إذا (كلما كان طالب العلم أورع كان علمه أنفع، والتعلم له أيسر وفوائده أكثر) [2] .

ب- الصمت وقلة الكلام :

و التحرز من كثرة الكلام من الورع ، فعلى المتعلم ألا يكثر الكلام إلا فيما فيه غنيمة لقوله ﷺ: **(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت)** [3] وفي ذلك حمد للصمت لما فيه من السلامة وحفظ الوقت ، وإراحة الفكر قال ﷺ: **(من صمت نجا)** [4] ، وفي وصية لطالب علم يقول : (عليك أن تتحرز عن الغيبة ، وعن مجالسة المكثار ، وقال : إن من يكثر الكلام يسرق عمرك ويضيع أوقاتك) [5] .

ومن مزايا الصمت إتاحة الفرصة للمتعلم للاستماع والإفادة ، قال أبو الذيل : (تعلم الصمت كما تتعلم الكلام ، فإن يكن الكلام يهديك فإن الصمت يقيك ، ولك في الصمت خصلتان : خصلة تأخذ بها من علم من هو أعلم منك ، وتدفع بها جهل من هو أجهل منك) [6] . وقال الحسن بن علي لابنه : (يا بني إذا جالست العلماء فكن على أن تسمع أحرص منك أن تقول ، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الصمت ، ولا تقطع على أحد حديثا وإن طال حتى يمسك) [7] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص٧٦.

(٢) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٩٢.

(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١،ص٥٤٧.والحديث صحيح،صحيح الجامع الصغير،مرجع سابق،ج٢،ص١١٠٨.

(٤) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق، ج١، ص ٥٤٨.والحديث صحيح،صحيح الجامع الصغير،مرجع سابق،ج٢،ص١٠٨٩.

(٥) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٩٣.

(٦) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١، ص٥٥٠.

(٧) المصدر السابق:ص١٣٠.

و الصمت لا يحمد على الإطلاق خاصة إذا ترتب عليه جهل المتعلم بما لا يسعه جهله حيث عد (الكلام بالخير غنيمة ، وهو أفضل من السكوت ، لأن أرفع ما في السكوت السلامة ، والكلام بالخير غنيمة ، وقد قالوا : من تكلم بخير غنم ، ومن سكت سلم ، و الكلام في العلم من أفضل الأعمال وهو يجري عندهم مجرى الذكر والتلاوة إذا أريد به نفي الجهل ووجه الله عز وجل والوقوف على حقيقة المعاني) [1] .

ج- الحياء :

إذا كان الصمت غير محمود إذا تولد عنه الجهل ، فكذلك الحياء إذا ترتب عليه انحسار النفس عن طلب العلم فهو مذموم ، لأنه يورث صاحبه الجهل ، قال الحسن : (من ترك العلم حياء ألبسه الجهل سرباله ، و من رق وجهه رق علمه) [2] ، وقال الخليل بن أحمد : (منزلة الجهل بين الحياء والأنفة) [3] ، وقال علي رضي الله عنه : (ألا يسأل فينتفع وينفع جلساءه) [4] ، وروي عن مجاهد قوله : (لا يتعلم العلم مستح ولا مستكبر) [5] .

والحياء إذا لم يقف عائقاً دون معرفة الحق ، فهو محمود حيث (لا يمنع المرء من معرفة ما يجب عليه وما يهمه من الأمور الشرعية) [6] . قالت عائشة رضي الله عنها : (رحم الله نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يسألن عن أمر دينهن) [7] .

وقد حمد الحياء لأنه رفع صاحبه عن إتيان القبائح ، و يعرف ابن مسكويه الحياء المحمود بأنه (انحصار النفس خوف إتيان القبائح والحذر من الذم والسب

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج١، ص١٣٨.

(٢) أبو هلال العسكري:الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، مصدر سابق،ص٨٣،٨٤.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص١١٤.

(٥) الأمين الحاج:العلم وفضل طلبه،دار المطبوعات الحديثة،جدة،ط١، ١٩٨٧م، ص١٧٢.

(٦) الأمين الحاج:العلم وفضل طلبه،مرجع سابق،ص١٧٢.

(٧) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص ٨٧.

الصادق) [1] ، كما يعرفه ابن سينا بأن (يرتدع المتعلم عن الأمور التي يقبح تعاطيها والإقدام عليها لما ينتج عنها من قبح الأحدوثة) [2] ، ويذهب أحد المعاصرين إلى تعريف الحياء شرعا بأنه (خلق سني يبعث على ترك الأمور القبيحة ، فيحول بين الإنسان وارتكاب المعاصي ، ويمنعه من التقصير في حق ذي الحق) [3] .

د- اجتناب المعاصي :

ينبغي للمتعلم أن يجتنب المعاصي ، لأنها مؤثرة في طلب العلم ، إذ تورث الظلمة وتطفئ نور العلم ،وتمحق بركته ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : (إني لأحسب أن الرجل ينسى العلم قد علمه بالذنب يعمله) [4] ، وقال الشافعي في هذا المعنى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدى لعاصي[5]

ولما جلس الشافعي بين يدي مالك وقرأ عليه ، أعجبه ما رأى من وفور فطنته ، وتوقد ذكائه ، وكمال فهمه ، فقال : (إني أرى الله قد ألقى على قلبك نورا ؛ فلا تطفئه بظلمة المعصية) [6] .

وكتب رجل إلى أخ له : (إنك قد أوتيت علما فلا تطفئ نور علمك بظلمات الذنوب ، فتبقى في ظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم إلى الجنة) [7] .

---

(١) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق، ص ١٧.

(٢) عبد الرحمن عبد الرحمن النقيب: فلسفة التربية عن ابن سينا، مرجع سابق، ص٩٣.

(٣) سليم الهلالي: الحياء في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص٩.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص ١٩٦.

(٥) الشافعي،محمد بن إدريس:ديوان الإمام الشافعي،دار الفكر،بيروت،ط١،١٩٨٦م،ص٧٦.

(٦) ابن القيم:الجواب الكافي ، مطبعة المدني ،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)، ص٥٤.

(٧) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص ٦١.

فوجب لذلك على المتعلم أن يحذر من المعاصي ، وما يؤدي إليها ، وسبيله إلى ذلك معرفة أسبابها ، ومن أسبابها انقياد الإنسان لقوى النفس الأمارة بالسوء ، ويقسم ابن مسكويه قوى النفس إلى ثلاثة قوى : القوة العاملة ، ثم القوتان البهيمية والغضبية ، وهاتان تقودان الإنسان للمعاصي حيث يقول : (أما الكريمة الأدبية بالطبع فالنفس الناطقة ، وأما العادمة للأدب ؛ وهي مع ذلك غير قابلة له فهي النفس البهيمية ، وأما التي عدمت الأدب ولكنها تقبله وتنقاد له فهي النفس الغضبية ، وإنما وهب الله تعالى لنا هذه النفس خاصة لنستعين بها على تقويم البهيمية التي لا تقبل الأدب) [1] .

هـ -تطهير القلب :

ومن أسباب المعاصي فساد القلب ؛ لذا يوصي ابن جماعة المتعلم بأن (يطهر قلبه من كل غش ودنس وغل ، وحسد ، وسوء عقيدة ، وخلق ، ليصلح بذلك لقبول العلم وحفظه والاطلاع على دقائق معانيه ، وحقائق غوامضه ، فإن العلم كما قال بعضهم : صلاة السر وعبادة القلب وقربة الباطن وكما لا تصح الصلاة التي هي عبادة الجوارح الظاهرة إلا بطهارة الظاهر من الحدث والخبث فكذلك لا يصح العلم الذي هو عبادة القلب إلا بطهارته عن خبث الصفات وحدث ومساوئ الأخلاق ورديئها ، وإذا طُيِّب القلب للعلم ظهرت بركته ، ونما كالأرض إذا طيبت للزرع نما زرعها وزكا . وفي الحديث : (**إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب**) [2] .

---

(١) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق، ص ٤٤.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق،ص٦٧ . والحديث صحيح، أبو عبد الله الحداد:تخريج أحاديث إحياء علوم الدين،مصدر سابق،ج٦، ص٢٣٩٣.

والراغب الأصبهاني يرى أنه (حق المترشح لتعلم الحقائق أن يراعي ثلاثة من الأمور : الأول: أن يطهر نفسه من رديء الأخلاق تطهير الأرض للبذر من خبائث النبات ، وقد تقدم أن الطاهر لا يسكن إلا طاهراً) (1) .

ومن بين الأسباب التي تؤدي إلى المعاصي ، الصحبة والمجاورة ، فكم من صحيح صادق عليلاً فتعرض لعلته ، ولذلك قيل : (ومن الورع أن يجتنب من أهل الفساد والمعاصي والتعطيل ، فإن المجاورة مؤثرة لا محالة) (2) .

٤- التحلي بالأدب والعلم :

على المتعلم أن يتعلم الأدب ، وأن يمارسه في حياته اليومية والعملية ، فالعلم بغير أدب وبال على صاحبه ، ولذلك (كانوا يتعلمون الهَدْى كما يتعلمون العلم) (3) . والأدب يجعل سلوك المتعلم متزناً مع نفسه ومع غيره ، قال علي رضي الله عنه : (تعلموا العلم فإذا تعلمتموه فاكظموا عليه ، ولا تخلطوه بضحك ولا بلعب ، فتمجه القلوب ، فإن العالم إذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة) (4) .

ولكون الأدب سبباً في الحصول والاستزادة من العلم أوصي بعضهم ابنه قائلاً : (يا بني لأن تتعلم باباً من الأدب أحب إليّ من أن تتعلم سبعين باباً من أبواب العلم) (5) ، وقال مخلد بن الحسين لابن المبارك : (نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث) (6) .

=

(١) الراغب الأصبهاني:الذريعة إلى مكارم الشريعة،مصدر سابق،ص٢٤٠.

(٢) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص١٤١.

(٣) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص٢.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص ١٤١.

(٥) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص٢، ٣.

(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة.

ولا يتم الأدب إلا بالحلم لأن في الحلم خصلة وهي ضبط النفس ، ومن كظم غيظه أمكنه معالجة الأمور المثيرة ، قال عطاء بن يسار : (ما أوى شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم) [1] ، وقال إبراهيم بن أدهم : (ما من شيء أشد على الشيطان من عالم حليم ، إذا تكلم تكلم بعلم ، وإن سكت سكت بحلم ، يقول الشيطان : انظروا إليه ، كلامه أشد علي من سكوته) [2] ؛ ولهذا أوصى علي رضي الله عنه بقوله : (تعلموا العلم وتزينوا معه بالوقار والحلم ، وتواضعوا لمن تتعلموا منه ولمن تعلمونه ، ولا تكونوا جبابرة العلماء فيذهب باطلكم حقكم) [3] .

ومدار الاستفادة والعمل بالأدب والعلم على ما كان عليه رسول الله ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ [4] .

وقد أخذ السلف بذلك التوجيه وطبقوه في حياتهم وحرصوا عليه كل الحرص ، فهذا الشافعي يجيب عندما سئل : (كيف شهوتك للأدب ؟ فقال : أسمع بالحرف مما لم أسمعه ، فتود أعضائي أن لها أسماعا فتتنعم به ، قيل وكيف طلبك له ؟ قال : طلب المرأة المضلة ولدها وليس لها غيره) [5] .

٥ - التواضع و ترك العجب بالنفس :

العجب آفة النفس ، ومعول هدم لصاحبه ، كما أنه عائق من التحصيل والاستفادة في الطلب ، وعلاجه التواضع ، فبالتواضع ينال المتعلم حظه من العلم ويأمن كثيرا من الشرور والأذى ؛ لذا قالوا : (المتواضع من طلاب العلم أكثر علما

---

(١) الغزالي: أيها الولد،مصدر سابق، ص١٤١.
(٢) المصدر السابق،نفس الصفحة.
(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص ١٤١.
(٤) سورة الأحزاب:آية٢١.
(٥) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم،مصدر سابق، ص٣.

كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء) [1] ، وقيل : لبزرجمهر : (ما النعمة الـتي لا يحسد عليها صاحبها ؟ قال : التواضع ، قيل له : فما البلاء الـذي لا يرحـم عليـه صاحبه ؟ قال : العجب) [2] ، وكفى بلاء بالعجب أن يحمد التواضع مع السـخافة والبخل ، قيل : (التواضع مع السخافة والبخل أحمد من الكبر مع السـخاء والأدب . فأعظم بحسنة عفت عن سيئتين ، وأفظع بعيب أفسد من صاحبه حسنـتين) [3] .

قال ابن عبدوس : (كلما توقر العالم وارتفع كان العجب إليه أسـرع إلا مـن عصمه الله بتوفيقه وطرح حب الرياسة عن نفسه) [4] . وسعة العلم مع العجب هلاك ووبال على صاحبه ، عن كعب أنه قال : لرجل رآه تتبع الأحاديث : (اتق الله وارض بالدون من المجلس ، ولا تؤذ أحداً فإنه لو ملأ علمك ما بين السـماء والأرض مـع العجب ما زادك الله به إلا سفالاً ونقصاناً) [5] .

والعجب دلالة على الجهل ، لأن العلم لا حد له والمتعلم مهما أوتي من علم فقد خفي عليه الكثير ، عن مسروق قال : (كفي بالمرء علماً أن يخشى الله وكفى بـالمرء جهلاً أن يعجب بعلمه) [6] .

سادساً - المحافظة على الصحة الجسمية والعقلية :

أصبح من المتعارف عليه اليوم أنه ثمة عوامل فسيولوجية تؤثر في نوع التعلم وكميته كالتعب أو الجوع أو المرض أو ضعف الحواس (فالتعب يؤثر في دقة التمييز واطـراد الجهد ، واضطراب مفرزات الغدد الصماء يؤثر في القدرة على التحصيل ، وفي درجـة

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص ١٤٢.
(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٣) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص ١٤٢.
(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(٦) المصدر السابق:ص١٤٣.

تركيز الانتباه ، وقد يؤدي إلى البلادة والخمول ، ولأمـــراض الجـــهازين الهضمـــي والتنفسي بوجه خاص أثر ملحوظ في إضعاف المقاومة العامة ودرجة التركيز) [1] .

كما أصبح معروفًا اليوم تأثير الحالة الجسمية في التطور العقلي للفرد ، إذا العلاقة قوية بينهما فيؤثر الجسم في الحياة العقلية عن طريق الفعل المباشر للـــدم ، فالتغـــيرات الطارئة على حالة ما يصل إلى المخ من الدم ، أو ما يحمل الدم من مركبات ، كلـــها تؤثر في الحياة العقلية للأفراد تأثيرًا واضحًا ، بل لقد ثبت أن الحالة الجسمية للفـــرد لا تؤثر في حياته العقلية فحسب ، بل يمتد تأثيرها ليشمل الشخصية كلها ، ذلـــك لأن كل أجهزة الجسم وعاؤها الجسد ، وهي ليست بمعزل عن هذا الوعاء ، ولا تســتطيع أن تقوم بمعزل عنه ، والكيان الجسدي أو البيولوجي هو الأساس الذي تقـــوم عليـــه الشخصية ، وهو أساس نموها في كافة النواحي طوال الحياة ، ولم يعد مثار شك (اليوم أن التعلم لا يمكن أن يوجه توجيهًا فعالاً دون العناية بالحاجات العضوية والظـــروف الجسمية) [2] .

فهناك ارتباط وثيق بين القوى الجسمية والعقلية ، نتيجة للتأثير المتبادل بينـــهما حيث نجد (أن التغيرات التي تحدث في الجسم ، تصحبها تغيرات مناظرة أو موازيـــة في العقل ، وعلى العكس من ذلك فإن التغيرات العقلية تصحبـــها تغـــيرات جســـمية مصاحبة) [3] .

ويؤكد د. فليب فينكس على (أن الظروف الجسمية – إفرازات الغدد ووظائف الهضم ، والدورة الدموية ، وكثير غيرها من العوامل الفسيولوجية– تؤثر تأثيراً عميقـــاً

---

(١) أميمة علي خان:علم النفس،مطبعة العاني،بغداد،(د.ط)،١٩٧٠م،ص١٦٨.

(٢) فيليب فينكس:فلسفة التربية،ترجمة الدكتور محمد لبيب النجيحي،دار النهضة العربية،القاهرة،(د.ط)،١٩٦٥م،ص٧٠٩.

(٣) د.فيليب فينكس: فلسفة التربية،مرجع سابق،ص٧٠٥.

في النظرة العقلية) [1] .

ولقد حظيت حالة المتعلم الجسمية وتأثير العوامل الفسيولوجية في التعلم باهتمام المفكرين المسلمين ، فنبهوا إلى أن لبعض هذه العوامل تأثيرًا في عرقلة التعلم ، وإضعاف انتباه المتعلم وإعاقة فهمه ، والوقوف دون اكتسابه لعديد من المهارات .

- الصحة الجسمية ، وآداب المحافظة عليها :

ولما كانت العلاقة قوية بين صحة الجسم وسلامة العقل ، فقد اهتم المفكرون المسلمون بالعوامل المؤثرة على صحة الجسم ، ومنها : الرياضة ، ونوع الغذاء ، وعدم إجهاد الجسم ، فبالنسبة للغذاء ، فقد دعوا المتعلم إلى :

أ – الاعتدال في تناول الطعام :

يقول تعالى : ﴿ **... وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين** ﴾ [2] .

ويقول ﷺ: (**ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه**) [3] ، وتجاوز الاعتدال إسراف خارج عن السنة يقول ابن جماعة : (فإن زاد على ذلك فالزيادة إسراف خارج عن السنة) [4] ، والمسرف هو الأكولة –بغيض عند الله– وهو من يتصف بكثرة الأكل ، يقول ﷺ : (**ثلاثة يستوجبون المقت من الله : الأكل من غير جوع ، والنوم من غير سهر ، والضحك من غير عجب**) [5] ، والإفراط في تناول الأكل صفة الحيوانات المُعَدَّة للعمل الشاق ولذا قيل : (وإنما يحمد كثرة الأكل

---

(١) د.فيليب فينكس: فلسفة التربية،مرجع سابق،ص ٧٠٩.

(٢) سورة الأعراف:آية٣١.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٧٤. والحديث صحيح،وراه ابن ماجة.

(٤) المصدر السابق: ص٧٥. والحديث صحيح، رواه ابن ماجة.

(٥) السيوطي: جمع الجوامع،مرجع سابق،ج١، ص٤٩١.

من الدواب التي لا تعقل ، بل هي مرصدة للعمل) [1] .

وإذا كان للجوع الشديد أضراره في إصابة الإنسان بالضعف والهزال ، وما ينتج عنهما من اتصاف الفرد بالكسل والخمول أو البلادة والتراخي ، فإنهم كما حذروا منه حذروا أيضًا من كثرة الأكل والتخمة (ذلك أن كثرة الأكل جالبة لكثرة الشرب ، وكثرته جالبة للنوم والبلادة ، وقصور الذهن ، وفتور الحواس ، وكسل الجسم ، هذا مع ما فيه من الكراهية الشرعية ، والتعرض لخطر الأسقام البدنية) [2] .

ولذا فقد حثوا المتعلم على أكل القدر المعتدل من الطعام ، ونفروا من كثرة الأكل وإتخام المعدة بالطعام (ولم ير أحد الأولياء ، والأئمة العلماء يوصف بكثرة الطعام ، ولا حمد به ، وإنما يحمد كثرة الأكل من الدواب التي لا تعقل .. ومن رام الفلاح في العلم وتحصيل البغية منه مع كثرة الأكل والشرب والنوم فقد رام مستحيلاً في العادة) [3] وذلك ملحوظ لنا فنحن نحسن بحالة من الكسل والاسترخاء تصيبنا إذا امتلأت أمعاؤنا بالطعام ، ونشعر برغبة شديد في النوم بعد تناول الوجبات الثقيلة .

وما دام الجوع الشديد غير محمود العواقب ، وكثرة الأكل تلحق بالمتعلم ما أشاروا إليه من الأضرار التي تفوت بها الفائدة من التعلم ، فإن من الخير أن يتناول المتعلم قدراً من الطعام يمنع عنه الضعف والهزال ، ولا يلحق به خمول التخمة وتراخيها (والأولى أن يكون أكثر ما يأخذ من الطعام ما ورد في الحديث عن النبي ﷺ **(ما ملأ ابن آدم وعاء شر من بطنه ، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإذا كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشراب وثلث لنفسه)** [4] ، فإن زاد على ذلك فالزيادة

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق، ص٧٤.

(٢) المصدر السابق:ص٧٤.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) الحديث صحيح،رواه الترمذي.

إسراف خارج عن السنة ، وقد قال تعالى ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ﴾ ، قال بعض العلماء جمع الله بهذه الكلمات الطب كله) [1] .

ولا يقف تأثير الغذاء في التعلم على كميته فحسب ، وإنما على نوعية الغذاء وجودته أيضًا ، ولقد اجتهد المفكرون المسلمون في ضوء ما وفرته لهم ثقافة عصرهم في تحديد أنواع الغذاء الجيد المعين على الفهم والتعلم ، ودعوا المتعلم إلى (أن يقلل من استعمال الطعام التي هي من أسباب البلادة وضعف الحواس ، وينبغي أن يستعمل ما جعل الله لجودة الذهن) [2] .

وإن كان هناك اعتراض على تحديد المفكرين المسلمين أنواع الأطعمة التي رأوا أنها جالبة للبلادة (كالتفاح الحامض والباقلا وشرب الخل...) وأنواع الأطعمة المسببة لجودة الذهن (كمضغ اللبان والمصطكي .. وأكل الزبيب بكثرة والجلاب ونحو ذلك) [3] ، فلا يسعنا إلا أن نقول إن ذلك اجتهاد يحمد لهم في ضوء معطيات ثقافة العصر الذي عاشوا فيه .

فهذا التحديد لأنواع الأغذية الجالبة للبلادة أو المسببة لجودة للفهم ، يدخل ضمن مفاهيم العرف وثقافة العصر التي أسهمت في تشكيل فكرهم ، ولنا أن نرفض اجتهادهم -في هذا الشأن- في ضوء ما وفرته لنا ثقافة عصرنا الذي نعيش فيه ، وما وضعه العلم تحت أيدينا من حقائق ، غاية القول أنهم أدركوا بغير شك أن لنوعية الغذاء آثارًا هامة على سير النمو العقلي للمتعلم ، وعلى تعلمه بوجه عام ، وهو ما لا

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع، مصدر سابق، ص٧٤، ٧٥.

(٢) المصدر السابق: ص٧٦، ٧٧.

(٣) المصدر السابق: ص٧٧.

نستطيع إنكاره أو رفضه ، وإن كنا نعترض على تحديدهم لأنواع الأطعمة المؤثـرة في ذلك .

وبعض تلك التوجيهات والاجتهادات لا تستند إلى تجارب عملية ، وبعضـها مستقي من تعاليم الدين الإسلامي ، كالنهي عن تناول (النبيذ وأصنـاف الأشـربة المسكرة ، فإياه وإياها ، فإنها تضر في بدنه ونفسه ، وتحمله علـى سـرعة لغضـب والتهور والإقدام على القبائح والقحة وسائر الخلال المذمومة) [1] .

ومن الجدير بالذكر أن المفكرين المسلمين رأوا أن الإنسان في حالة الجوع غـير الشديد يكون أكثر نشاطًا وتحصيلاً منه في حال امتلاء معدته بالطعام ، وقدمـوا إلى المتعلمين تجربة الإمام الشافعي في هذا الصدد دليلاً على صحة ما ذهبوا إليـه (قـال الشافعي -رضي الله عنه- ما شبعت منذ ست عشرة سنة) [2] ، (ولو لم يكـن مـن آفات كثرة الطعام إلا الحاجة إلى كثرة دخول الخلاء لكان ينبغي للعاقل اللبيـب أن يصون نفسه عنه ، ومن رام الفلاح في العلم وتحصيل البغية منه مـع كـثرة الأكـل والشرب.. فقد رام مستحيلاً في العادة) [3] ، ولقد (دلت التجارب على أن الإنسـان يكون أكثر نشاطًا وحيوية في حالة الجوع عنه في حالة الشبع ، ولكن بطبيعة الحـال عندما لا يكون الحرمان من الطعام طويلاً جدًا ؛ حيث ينقلب الوضع إلى حالة مـن الضعف والهزال) [4] ، كما دلت التجارب أن (الجوع لا يضعف النشاط البـدني أو العقلي كما يظن أغلب الناس ، ويمكننا أن نستنتج من هذه النتـائج أن الصيـام لا

---

(١) ابن مسكويه:تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق،ص٥١.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٧٤.

(٣) المصدر السابق:ص٧٤.

(٤) عبد الرحمن عيسوي:علم النفس الفسيولوجي،دراسة في تفسير السلوك الإنساني،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت،(د.ط)،١٩٧٤م،ص٤٠٩.

بسبب الخمول البدني أو العقلي كما يتوهم البعض ، بل إنه على العكس يبعث على النشاط البدني والعقلي ، ولكن لا شك أيضًا في أن هذا النشاط لا يستمر إلا لفترة معينة ، فإذا استمر الجوع مدة طويلة ، فإن القوة البدنية والعقلية تأخذان في التدهور تدريجيًا) [1] .

وربط المفكرون المسلمون في تأثير الغذاء على التعلم بين كميته ونوعه من جهة ، وبين مصدر كسبه من جهة أخرى ، ولذا فقد نبهوا على المتعلم أن يتحرى الحلال في طعامه ، بل في كل شأنه ، فذلك أولى إلى إفادته من العلم وتحقيق ثمرة الخير منه ، فعلى المتعلم (أن يأخذ نفسه بالورع في جميع شأنه ، ويتحرى الحلال في طعامه وشرابه ولباسه ومسكنه ، وفي جميع ما يحتاج إليه هو وعياله ، ليستنير قلبه ، ويصلح لقبول العلم ونوره والنفع به) [2] .

ب – أخذ القدر الكافي من النوم والراحة :

أدرك المفكرون المسلمون أن التعلم ينقص في حالة التعب ، وأن إرهاق الجسم والعقل والإقلال من الراحة عوائق تحول دون استفادة للتعلم مما يتعلمه ، وبالرغم من حثهم المتعلم على الجد والاجتهاد وبذل الجهد في التحصيل فإنه يجب عليه أن (لا يحمل نفسه من ذلك فوق طاقتها ؛ كيلا تسأم وتمل فربما نفر نفرة لا يمكن تداركها ، بل يكون أمره في ذلك قصدًا ، وكل إنسان أبصر بنفسه) [3] .

إن التعلم لا يحقق أفضل نتائجه –فيما رأوه– إذا كان الفرد متعبًا ، بل قد يؤدي الإرهاق والإجهاد إلى نفور المتعلم من التعلم البتة ، وتركه سأمًا و ملالاً ، وربما لا

---

(١) د.محمد عثمان نجاتي:علم النفس في حياتنا اليومية،مرجع سابق،ص٦٢.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع،مصدر سابق،ص٧٥.

(٣) المصدر السابق:ص٢٨.

تفلح الوسائل المختلفة بعد ذلك في إصلاح ما أفسده التعب ، فلا يعود المتعلم إلى التعلم ، ولا نستطيع إلزامه بالتحصيل ، أو إذكاء رغبته في التعلم ، ولذا أوجبوا على المعلم (إذا سلك الطالب في التحصيل فوق ما يقتضيه حاله أو تحمله طاقته ، وخاف الشيخ ضجره ، أوصاه بالرفق بنفسه..، وكذلك إذا ظهر له منه نوع سآمة أو ضجر أو مبادئ ذلك ، أَمَرَهُ بالراحة) [١] .

وفترة الراحة هذه تمنع ما يطلق عليه علماء النفس الآن ظاهرة (التعطيل الرجعي) ويُقْصَدُ بهذه الظاهرة تداخل التعلم اللاحق في التعلم السابق ، بما يؤدي إلى نسيان بعض ما تعلمه ، لذا يتعين على الطالب ألا يبادر بتحصيل موضوع بعد آخر إلا بعد أن يأخذ فترة من الاستجمام الكافي [٢] ، وللراحة بعد التعب على المتعلم أن يأخذ قسطًا كافيًا من النوم ، ليزيل عنه آثار التعب والإرهاق ، ويمسح عنه آثار عناء التعلم والتحصيل ، غير أنه عليه أن يحذر من كثرة النوم بغير ضرورة ، لما في ذلك من ضياع الوقت ، وما قد ينتج عنه من تراخ وكسل ، والقدر المستحق من النوم -كما دلت عليه التجارب- هو ما يدفع عن الإنسان النصب والتعب ، فينام المتعلم بقدر ما يزيل عنه إجهاد (بدنه وذهنه ، ولا يزيد في نومه في اليوم والليلة على ثماني ساعات وهو ثلث الزمان) [٣] ، وتلك المدة يستحسنها الطب الآن حدًا معقولاً للراحة من الأشغال ، وإن كان ذلك غير مطرد لدى كل الناس وفي كل الأعمار (فإن احتمل حاله أقل منها فعل) [٤] ، المهم أن يتمتع بقسط كاف من النوم حسب ما تقتضيه حالته ، وكل إنسان أبصر بنفسه .

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع، مصدر سابق، ص٥٥.
(٢) أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، مرجع سابق، ص٢٥١.
(٣) ابن جماعة: تذكرة السامع، مصدر سابق، ص٧٧، ٧٨.
(٤) المصدر السابق: ص٧٨.

ولقد أثبتت التجارب العلمية أن من آثار حرمان الإنسان من النوم (شعور الفرد بالتعب العام والإرهاق وثقل جفون العين وجمودها ، أما إذا استمر في حالة من اليقظة لمدة اثنتين وسبعين ساعة فإن مناشطه واستجاباته تصبح ضعيفة ، فيزداد النسيان ويقل التركيز ، وتبدوا الأشياء كما لو كانت مزدوجة) [١] .

كما أثبتت الدراسات الطبية الحديثة صحة ما ذهب إليه المفكرون المسلمون من أن الإنسان العادي يحتاج إلى أن ينام في اليوم مدة تتراوح من ٦-٨ ساعات يوميا ، وإلا تعرض جسمه للتوترات العصبية ، واختلال في عمل الكثير من أعضاء الجسم [٢] .

وقد لا يكون التعب المعطل للتعلم بسبب قلة النوم ، وعدم أخذ المتعلم قسطا كافيا منه ، بل قد يكون بسبب ما بذله المتعلم من جهد عقلي في التحصيل ، ونتيجة لشدة تركيزه وقوة انتباهه ، وحصر ذهنه فيما يتعلم لمدة طويلة ، فينتج عن ذلك إصابة العقل والحواس بالكلال والتعب ، ولذا حذروا المتعلم من الاستمرار في تعلمه ، وأوصوه بأن يتوقف عن التعلم إذا شعر بشيء من ذلك ، ثم يريح نفسه ، واقترحوا لراحته أن يستجم بالتنزه في الحدائق والمتنزهات ، ومشتبك الرياض ، مستنشقا هواءها العليل ، متمتعا بمناظرها الخلابة التي تلحق بنفسه الراحة والدعة ، ثم يعود بعدها إلى تعلمه وقد زال عنه التعب ، وفارقه السأم ، فذلك أدعى إلى زيادة تحصيله ، وإلى تحقيق تعلم جيد يفيد منه . لذا كان على المتعلم (أن يريح نفسه وقلبه وذهنه

---

(١) عبد الرحمن عيسوي:علم النفس الفسيولوجي،مرجع سابق،ص٤٢١.

(٢) لمزيد من التفصيل يراجع ،الكسندر بوربلي:أسرار النوم،ترجمة د.أحمد عبد العزيز،سلسلة عالم المعرفة(١٦٣)،الكويت،ط١،١٩٩٢م.

وبصره إذا كلّ شيء من ذلك أو ضعف بتنزه أو تفرج في المستنــزهات ، بحيث يعود إلى حاله ولا يضيع زمانه) [1] .

و((وبالجملة فلا بأس أن يريح نفسه إذا خاف مللاً ، وكان بعض أكابر العلمــاء يجمع أصحابه في بعض أماكن التنــزه في بعض أيام السنة ، ويتمازحون بما لا ضـــرر عليهم في دين ولا عرض) [2] ، ولا شك أن في هذا تجديداً لنشاط المتعلـــم البـــدني والذهني ، ومحافظة على صحته الجسمية والعقلية ، حتى يستطيع الاستمرار في طلـــب العلم ، والاجتهاد في تحصيله .

ج – الاعتدال في المباشرة (إذا كان متزوجا) :

لأن كثرته توهن الذهن وتضعف القوى ، فعليه (بالوطء الحـــلال إذا احتـــاج إليه ، فقد قال الأطباء بأنه يخفف الفضول وينشط ويصفي الذهن ؛ إذا كـــان عنـــد الحاجة باعتدال ، ويحذر من كثرته حذر العدو ، فإنه كما قيل : ماء الحياة يصـــب في الأرحام ؛ يضعف السمع والبصر والعصب والحرارة والهضم وغير ذلك من الأمـــراض الرديئة) [3] .

د – ممارسة الرياضة :

سبق الفكر الإسلامي و مفكروه الدعوات الحديثة لممارسة الرياضـــة ، فقـــد حرصوا على دعوة طلاب العلم إلى ممارسة الرياضة ، والمداومة عليها ؛ لما لها من آثـــار إيجابية في تنشيط الدورة الدموية ، وتقوية البدن ، والترويح عن النفس ، ومن ثمة تعود هذه الآثار على القدرة الذهنية والنفسية لهم ، وبالتالي تؤدي إلى استمرارهم في طلـــب العلم بجد و اجتهاد ، بلا كسل ولا توان .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٧٩،٨٠.

(٢) المصدر السابق:ص٨٢.

(٣) المصدر السابق:ص٨١.

و ذهب المفكرون المسلمون إلى أن أفضل أنواع الرياضات المشي ، فقد قيل : (ولا بأس بمعاناة المشي ، ورياضة البدن ، فقد قيل : إنه ينعش الحرارة ، ويذيب فضول الأخلاط ، وينشط البدن) [1] ، وهذا بالفعل ما ينادي به الطب الحديث ، من أن المشي يفيد في تنشيط الدورة الدموية ، والتخلص من الدهون الزائدة في الجسم ، كما أنه يقلل من نسبة احتمال الإصابة بأمراض القلب ، والجهاز التنفسي .

وبذلك يصبح المتعلم أقدر على التحصيل والتعلم ، ومن ثم يصبح تعلمه أكثر تحقيقًا للفائدة .

- الصحة العقلية :

قد تقدم أن الجسم والعقل يؤثران في بعضهما ، وأن على المتعلم أن يحافظ على صحته الجسمية والعقلية ، وللمحافظة على صحة الجسم لابد من حسن اختيار الغذاء ، وكما أن للجسم غذاء فإن للعقل غذاء أيضاً ، وغذاؤه العلم ، فبالعلم يحسن اختيار الغذاء اللازم لصحة الجسم والعقل ، ويجتنب ما يضر ، كما أن العلم يعين صاحبه على التمييز بين الخطأ والصواب ، والحق والباطل ، بل ويعينه على تحقيق أهدافه ، وأن يصل إلى ما ترنو إليه نفسه ، وهذا لا يتم إلا بالمحافظة على الصحة العقلية ، ولكي يحقق المتعلم ذلك رأى المفكرون المسلمون أنه لابد من الالتزام بما يلي:

أ- الأخذ بأسباب الصحة العقلية ، وهي :

- الجد والاجتهاد في طلب العلم وحفظه :

حث المفكرون المسلمون طلب العلم على الجد والاجتهاد والمواظبة في التعلم : (وينبغي أن يكون حريصاً على التعلم والمواظبة عليه في جميع أوقاته ليلاً ونهاراً ، حضراً

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٨٠.

وسفرا ، ولا يذهب من أوقاته شيئا في غير العلم إلا بقدر الضـــرورة ......، وليـــس بعاقل من أمكنه درجة ورثة الأنبياء ثم فوتها) (١) .

و قالوا قديما : (نعم المعلم الدرس ، ونعم المعين السهر ، ونعم الدليل السـراج ، ونعم القائد الليل ، ونعم المذكر الكتاب) (٢) ، ولقد أدركوا فضل تلــك الأسـباب وأثرها في غذاء العقل ، فهذا الخليل بن أحمد (كان يخرج من منزله ، فلا يشـــعر إلا وهو في الصحراء ، و لم يردها من شغله بالفكر) (٣) .

وهناك غيره من صرفه العلم حتى لم يعد يشعر بمن حوله ، ومنهم أبـو تمـام إذ (يدخل الداخل إلى أبي تمام الشاعر ، وهو يعمل الشعر فلا يشعر به) (٤) .

والحصول على العلم لا يمكن أن ينال بالراحة بل لابد من المشقة والتعب ، فقـد قيل : (لا ينال العلم براحة البدن) (٥) ، كما (لا يستطاع العلم براحة الجسم) (٦) .

هذا وكل مشقة في سبيل العلم تهون بسبب ما يجده المتعلم من سعادة نفسـية لا يدركها الكثيرون .

وقد بذل طلاب العلم الأوائل الكثير من الجـهد في سـبيل بلـوغ غايـاتهم العلمية ، فهذا أبو هلال يقول : (وذكر لي عن أبي حاتم أنه قال : ضاقت بنا الحـال أيام طلب العلم فعجزت عن شراء البزر(*) فكنت أخرج الليـل إلى الـدرب الـذي أنزله ، وأرتق بسراج الحارس ، وكان ربما ينام الحارس ، فكنت أنوب عنه ، هـذا — وأبيك— الحرص والاجتهاد ، ولا جرم أنه صار أحد أعيان الدنيا المشار إليه في العلم ،

---

(١) النووي:مقدمة المجموع،مصدر سابق،ص٤٩.

(٢) أبو هلال العسكري:الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٨٦.

(٣) المصدر السابق:ص٨٧.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص ٩١.

(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(*) البزر: زيت حب الكتان. الفيروزآبادي:لقاموس المحيط،مرجع سابق،ص٤٤٥، ٤٤٦.

والفضل والبراعة ، والجاه العريض الباقي على أعقاب الليالي والأيام ، ومن طلب وجد إلا ما قل وشذ) [1] .

وقد سلك السلف كثرة الإعادة لإحكام المحفوظ يقول ابن الجوزي : (الطريق في إحكامه –المحفوظ– كثرة الإعادة ، والناس يتفاوتون في ذلك : فمنهم من يثبت معه المحفوظ مع قلة التكرار ، ومنهم من لا يحفظ إلا بعد التكرار الكثير فينبغي للإنسان أن يعيد بعد الحفظ ليثبت معه المحفوظ) [2] .

كما أورد ابن الجوزي نماذج لمن بذل جهده في سبيل إحكام المحفوظ حيث يقول : (وكان أبو إسحاق الشيرازي يعيد الدرس مائة مرة وكان الكيا يعيد سبعين مرة ، وقال لنا الحسن بن أبي بكر النيسابوري الفقيه : لا يحصل الحفظ إلا حتى يعاد خمسين مرة) [3] .

– علو الهمة :

الهمة العالية في طلب العلم أمر ضروري ، ولن يستطيع المتعلم ضبط العلم وتحصيله ما لم تتوفر له همة عالية ؛ إذ (الهمة باعث على الحركة ؛ بل هي في ذاتها حركة داخلية تؤدي إلى حركة خارجية أو سلوك يتميز بالإقبال والحماسة) [4] .

وقد ربط المفكرون المسلمون بين الهمة والعمل ، ولم يقفوا عند كونها حالة استعداد ، أو باعث داخلي للعمل ، وأكدوا على ضرورة (أن تقترن الهمة العالية بالجد والمواظبة ، كما ترتبط بالاهتمام وعدم التهاون في الأمور) [5] .

هذا وعلو الهمة من صفات الإنسان الكامل ، إذ يقول أبو هلال : (وعند

---

(١) أبو هلال: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق، ص٨٠.

(٢) ابن الجوزي: الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ،مصدر سابق، ص٢١.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) د.سيد أحمد عثمان: التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي،مرجع سابق، ص١٠٥.

(٥) المرجع السابق:نفس الصفحة.

الحكماء أن من تبرم بالعلم والعلماء ، ومن يقدر على حفظ العلم والأدب ، وهو مقصر فيه فليس بإنسان كامل ، والكامل من الناس من عرف فضل العلم ثم إن قدر عليه طلبه) [1] .

وقد بالغ البعض في طلبهم العلم حتى إن أحدهم يعرض جسده للبرد لطرد النوم ، روى أن الشيخ أبو علي ؟ كان (يكشف عن ظهره في الليل الباردة يطرد به النوم) [2] ، وقد حكى الربيع عن فاطمة بنت الشافعي –رحمه الله– ، أنها قالت : (أسرجت لأبي في ليلة سبعين مرة) [3] ، وقيل لدغفل النسابة : (بما أدركت ما أدركت من العلم ؟ قال : بلسان سؤول ، وقلب عقول ، وكنت إذا لقيت عالما أخذت منه وأعطيته) [4] ، وعن سعيد بن المسيب قال : (إني كنت لأسير ثلاثا في الحديث الواحد ، وعن عبد الله بن يحيى بن أبي كثير عن أبيه قال : لايستطاع العلم براحة الجسم) [5] .

أما من قصرت هممهم ، وآثروا راحة البدن ، وإهمال غذاء العقل فهيهات لهم أن ينالوا العلم ، فقد (روى أن رجلا قال لخالد بن صفوان : ما لي إذا رأيتكم تذاكرون الأخبار ، وتدارسون الآثار ، وتناشدون الأشعار ، وقع علي النوم ؟ فقال: لأنك حمار في مسلاخ إنسان) [6] .

– مداومة القراءة والبحث :

ومن أسباب الصحة العقلية أيضا شغل الوقت بالمطالعة والقراءة ، رغبة في

---

(١) أبو هلال:الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٨٢.

(٢) المصدر السابق:ص٧٣.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) ابن قتيبة:عيون الأخبار،المؤسسة المصرية العامة للتأليف،القاهرة، ١٩٦٣م،مج١،ج٢، ص١١٨.

(٥) القاضي عياض: الإلماع،مصدر سابق،ص٢٣٤.

(٦) أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٨٢.

الاستزادة من العلم ، حيث كان السلف يصرفون أوقاتهم في النظر في الكتب ، ومطالعتها ، من ذلك ما حدث به أحمد بن عمران ، قال : (كنت عند أبي أيوب أحمد بن محمد بن شجاع ، وقد تخلف في منزله، فبعث غلاما من غلمانه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي صاحب الغريب يسأله المجيء إليه ، فعاد الغلام ، فقال : قد سألته ذلك ، فقال : عندي قوم من الأعراب ، فإذا قضيت إربي معهم أتيت . قال الغلام : وما رأيت عنده أحدا إلا أن بين يديه كتبا ينظر فيها ، فينظر في هذا مرة ، وفي هذا مرة ، ثم ما شعرنا حتى جاء ، فقال له أبو أيوب : يا أبا عبد الله سبحان الله العظيم تخلفت عنا وحرمتنا الأنس بك ولقد قال لي الغلام : إنه ما رأى عندك أحدا ، وقلت أنت : معي قوم من الأعراب ، فإذا قضيت إربي معهم أتيت ، فقال ابن الأعرابي :

لنا جلساء ما نمل حديثهم ... ألباء (*) مأمونون غيبا ومشهدا

يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلا وتأديبا ورأيا مسددا

بلا فتنة تخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لسانا ولا يدا

فإن قلت أموات فما أنت كاذبا ... وإن قلت أحياء فلست مفندا) [1].

(*) ألب فلان مع فلان أي صفوه معه ، ابن منظور: لسان العرب،مرجع سابق،ج١، ص١٧٨.

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق، ج٢،ص٢٠٤.

وقد بلغ من عناية المسلمين بالكتب والنظر فيها مطالعة وقراءة أن عدوها آنس جليس وأوفى صديق ، ومسلية عن الهموم ؛ بسبب ما يجنونه منها من فوائد ، فمن ذلك ما روى أن عبد الله بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : (لا يجالس الناس ، ونزل المقبرة ، فكان لا يكاد يرى إلا في يده دفتر ، فسئل عن ذلك ، فقال: لم أر قط أوعظ من قبر ، ولا أمتع من دفتر ، ولا أسلم من وحدة) (١) ، وسئل عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخاري (عن دواء للحفظ ، فقال: إدمان النظر في الكتب) (٢) .

- كيفية اختيار الكتب :

وإذا كان الفكر الإسلامي قد أعطى القراءة الذاتية أهمية بالغة في حياة المتعلم ، فقد احتوى الكثير من التوجيهات التي تتعلق بحسن اختيار المقروء ، وخاصة عند اقتناء الطالب ما يحتاج إليه من كتب ، إذ وضعوا لذلك ضوابط يأخذ بها المتعلم منها :

١- ضرورة تفقد الكتاب للتأكد من عدم وجود سقط أو نقص فيه وذلك بملاحظة ترتيب أبوابه ، يقول ابن جماعة : (وإذا اشترى -المتعلم- كتابا تعهد أوله وآخره ووسطه وترتيب أبوابه وكراريسه ويصفح أوراقه) (٣) .

٢- ضرورة التأكد من اشتمال الكتاب على المعلومات الصحيحة ، وذلك من خلال ملاحظة الاستدراكات على معلومات الكتاب ، يقول ابن جماعة : (واعتبر صحته ، ومما يغلب على الظن صحته إذا ضاق الزمان عن تفتيشه ، ما قاله الشافعي

=

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق، ج٢،ص٢٠٤.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٧٢.

(٣) المصدر السابق:ص١٧٢، ١٧٣.

رضي الله عنه ، قال : إذا رأيت الكتاب فيه إلحاق وإصلاح فاشهد له بالصحة ، وقال بعضهم : لا يضيء الكتاب حتى يظلم ، يريد إصلاحه [1] .

وتبرز عملية التأكد من صحة المعلومات في عصرنا الحاضر بما يلاحظه المتعلم على الكتاب من إعادة الطبعة ، ذلك أن الطبعة الأولى في الأعم تحتوي على بعض الأخطاء ، أما الطبعات التالية فكثيرا ما تستدرك تلك الأخطاء مع إضافة بعض المعلومات الجديدة .

كما يشير ذلك أيضا إلى مدى اهتمام المفكرين المسلمين بحسن اختيار الكتب والمراجع التي يعود إليها الطالب في دراسته ، إذا أراد أن يكون نفسه علميا تكوينا سليما عميقا غير سطحي .

- التركيز والبعد عن الخلافات :

اهتم المفكرون المسلمون بكل ما يكون الطلاب تكوينا سليما ، فدعوا المتعلم في أول أمره أن يحذر (من الاشتغال في الاختلافات بين العلماء أو بين الناس) [2] ؛ لأن الاشتغال بالأمور الخلافية يلحق به الضرر ؛ إذ يشوش فكره ، أو يصيبه بالملل ، ويفوت عليه تحصيل أساليب ومبادئ العلوم ، يقول ابن جماعة : (يحذر في ابتداء أمره من الاشتغال في الاختلاف بين العلماء ...فإنه يحير الذهن ويدهش العقل) [3] .

وبمثل ما حذروه من الاشتغال بخلافات العلماء ، حذروه كذلك من التنقل في المطالعة والقراءة من كتاب إلى آخر في نفس العلم ، قبل أن يتقن دراسة الكتاب الأول والاستفادة منه ، لأن ذلك مضيعة للوقت بغير منفعة ، يقول ابن جماعة : (يحذر في ابتداء طلبه من المطالعات في تفاريق المصنفات فإنه يضيع زمانه ويفرق ذهنه) [4] ،

---

(1) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم ، مصدر سابق ، ص ١٧٣ .
(2) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم ،مصدر سابق،ص١١٦.
(3) المصدر السابق:ص١١٧.
(4) المصدر السابق:نفس الصفحة.

ودعوا المتعلم أن يقتصر في أول أمره على كتاب واحد في فن واحد ، حتى إذا ما تحققت أهليته وجه المتعلم للتبحر في العلوم ، يقول ابن جماعة : (أما إذا تحققت أهليته وتأكدت معرفته فالأولى أن لا يدع فنا من العلوم الشرعية إلا نظر فيه ؛ فإن ساعده القدر وطول العمر على التبحر فيه ، فذلك ، وإلا فقد استفاد منه ما يخرج به من عداوة الجهل بذلك العلم) (١) .

هذا وقد ارتبطت دعوة المتعلم للتبحر في العلوم بتحديد أهم الكتب في كل تخصص ، كما وضعت ضوابط لتحديد العلوم وأولويات طلبها ، من ذلك ما يورده الزرنوجي بأنه (ينبغي لطالب العلم أن يختار من كل علم أحسنه ، وما يحتاج إليه في أمر دينه في الحال ، ثم ما يحتاج إليه في المآل) (٢) .

وعلى ذلك فأصل العلوم القرآن الكريم كتاب الله لقول النبي ﷺ : (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**) (٣) ، ولفضل القرآن الكريم (ما زال المسلمون وهم يرغبون في تعليم أولادهم القرآن ، وعلى ذلك يربونهم ، وبه يتبدئونهم وهم أطفال لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) (٤) .

كما يرتبط بكتاب الله سنة نبيه محمد ﷺ متمثلة في الأحاديث النبوية الشريفة ، حيث يوصي ابن جماعة المتعلم بأن (يبكر بسماع الحديث.. ويعتني أولا بصحيحي البخاري ومسلم ، ...) (٥) ، كما يرتبط بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ علم الفقه ، حكي عن الشافعي رحمه الله أنه قال : (العلم علمان علم الفقه للأديان ، وعلم الطب للأبدان ، وما وراء ذلك بلغة مجالس) (٦) ، وقال ابن الجوزي : (والفقه عمدة

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١١٩.

(٢) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٤٠.

(٣) ابن سحنون آداب المعلمين،مصدر سابق،ص٣٥١. والحديث صحيح ، رواه البخاري .

(٤) القابسي: الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين،مصدر سابق، ص٢٨٣.

(٥) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٢٧.

(٦) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٣٤.

العلوم) [1] .

ويطول بنا الحديث لو مضينا في سرد تصنيف العلوم عند المسلمين إلى ما هـــو فرض عين وفرض كفاية ، وبيان لمراتب تلك العلوم ، ولأهم ما كتب في كل تخصص ولذلك مراجعه ومصادره المطولة .

وما يهمنا هنا هو أن نلفت النظر إلى اهتمام المفكريـــن المسـلمين بالتوجيــه الأكاديمي للطلاب ، بحيث يكونوا على دراية بأهمية علوم عصرهم ، وأهم المؤلفات في كل تخصص ، بحيث يسير طالب العلم على هدى وبينة خلال رحلته العلميـــة ، وفي ذلك حفظ له من التشتت العلمي ، وضياع الوقت والعمر في قراءة ما لا يجـــدي أو تقديم معرفة المهم على الأهم .

– التدرج في طلب العلم :

ويرتبط بما سبق في سبيل حفاظ المتعلم على تركيزه وعدم تشتته في طلب العلم ؛ التدرج في طلب العلم ، وعدم التسرع في تحصيله جملة واحدة ، ولا يتجاوز علما مـن العلوم حتى يتقنه ، فإنه إن تسرع في تحصيله جملة ؛ ذهب منه جملة ، ولم يبق في ذهنـه منه شيء ؛ وذلك نتيجة لعدم الدقة والإتقان في فهمه واستيعابه وحفظـــه ، يقـول الغزالي : (لايخوض في فنون العلم دفعة ، بل يراعي الترتيب ، فيبدأ بالأهم فـــالأهم ، ولا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله ، فإن العلوم مرتبـــة ترتيبـــا ضروريـــا وبعضها طريق إلى بعض . والموفق مراع ذلك الترتيب والتدريج) [2] .

والزهري–رحمه الله– يشير في بعض نصائحه لطالب العلم إلى علة التـــدرج في طلبه فيقول : (من طلب العلم جملة فاته جملة ، وإنما يدرك العلم حديثا وحديثين) [3].

---

(١) ابن الجوزي: الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ،مصدر سابق، ص٢٣.

(٢) الغزالي:ميزان العمل،مصدر سابق،ص٢٠٩.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم،مصدر سابق،ج٢،ص١١٤.

ب- الاعتدال وعدم إجهاد النفس :

إذا كان طلب العلم محمودا ، وتركه مذموما ، والسبيل إلى نيل العلم هو علو الهمة ، والاجتهاد وبذل النفس والروح ، فإن المبالغة مضرة بصاحبها متلفة لحياته ، فلابد لطالب العلم من الاعتدال في الطلب حتى لا يخسر نفسه فقد روى أنه (رأى معلم محمد بن داود بن الجراح على دفتر له دما فسأله عنه ، فقال : إني كنت على السراج أدرس في الليالي الحارة فأرعف ، فقال : إنما تطلب العلم لنفسك ، فإذا أتلفت نفسك فما ينفعك علمك ، وقد قال عمر بن عبد العزيز : إن نفسي مطيتي فإذا حملت عليها خسرتها) (١) .

والأولى بالمتعلم أن يرفق بنفسه ، ولا يحملها فوق طاقتها لقوله ﷺ : (**ألا إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق**) (٢) .

ويوضح الغزالي معنى الحديث بقوله : (أراد بهذا الحديث أن لا يكلف – الإنسان- نفسه في أعماله الدينية ما يخالف العادة ، بل يكون بتلطف وتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى من التبدل فإن الطبع نفور . ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئا فشيئا حتى تنفصم تلك الصفات المذمومة الراسخة فيه ، ومن لم يراع التدرج وتوغل دفعة واحدة ترقى إلى حالة تشق عليه ، فتنعكس أموره فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا ، وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا ينفر عنه وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق وله نظير في العادات فإن الصبي يحمل على التعليم ابتداء قهرا فيشق عليه الصبر عن اللعب مع العلم حتى إذا انفتحت بصيرته وأنس بالعلم انقلب الأمر فصار يشق عليه الصبر عن العلم) (٣) .

والاعتدال هو السبيل الأمثل لتحقيق الأهداف مع شرط المواصلة ، وعدم

---

(١) أبو هلال العسكري: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق، ص٨٧.

(٢) الحديث صحيح ، المناوي:فيض القدير،مرجع سابق،ج٢، ص٥٤٤.

(٣) الغزالي:ميزان العمل،مصدر سابق،ص٢١٦.

الانقطاع ، (عن يونس بن يزيد ، قال : قال لي ابن شهاب : يا يونس لا تكابر العلم فإن العلم أودية فأيها أخذت فيه قطع بك قبل أن تبلغه ، ولكن خذه مع الأيام والليالي ، ولا تأخذ العلم جملة ، فإن من رام أخذه جملة ، ذهب عنه جملة ، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي) (١) ، وتقول العرب : (شر السير الحقحقة وهي شدة السير) (٢) .

هذا ويوصي ابن الجوزي المتعلم بأن (يريح نفسه من الحفظ يوما أو يومين ليكون ذلك كالبناء الذي يراح ليستقر) (٣) ، ولهذا يحسن بالمتعلم أن يروح عن نفسه بالنزهة والاجتماع البريء مع زملائه لأن النفس تكل وتمل كما تمل الأبدان ، يقول ابن جماعة : (ولا بأس أن يريح نفسه وقلبه وذهنه وبصره ، إذا كل شيء من ذلك أو ضعف ، بتنزه وتفرج في المستنزهات بحيث يعود إلى حاله ولا يضيع عليه زمانه) (٤)، وفي ذلك تحقيق للصحة الجسمية والعقلية .

سابعا - المظهر الخارجي للمتعلم :

ذهب كثير من المفكرين المسلمين إلى أنه ينبغي للمتعلم أن يقلد رسول الله ﷺ في ملبسه ، ومأكله ، ومشربه ، وحياته كلها ، وذلك بأن (يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام ، باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه توظيف السنن على نفسه) (٥).

فقد روى أن الإمام مالك بن أنس قال : (قلت لأمي: أذهب فأكتب العلم ؟ فقالت لي أمي: تعال فالبس ثياب العلماء ثم اذهب فاكتب) (٦) .

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص ١٠٤.

(٢) أبو هلال العسكري:الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٨٨.

(٣) ابن الجوزي:الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ،مصدر سابق،ص٢٢.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٧٩ — ٨٠.

(٥) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٠٨.

(٦) القاضي عياض:الإلماع،مصدر سابق،ص ٤٦.

- الحفاظ على نظافة الثياب :

ومن ذلك أن يختار من اللباس ما يستر مثله ، وأن يكون نظيفا ، فقد كانوا يختارون البياض [1] .

وعلى المتعلم أن يصون ملابسه من الأوساخ والحبر ، فقد قيل : (إن حفظ ثوبه عن المداد وصانه عن السواد كان أولى) [2] ، فقد روي أن أبا العالية قال : (تعلمت الكتاب والقرآن ، وما سعى لي أهلي وما رؤي في ثوبي مداد قط) [3] ، وعليه أن يتعاهد ملابسه بالنظافة باستمرار بغسلها ، فقد تسابق السلف في وصف المواد المستخدمة لإزالة الأوساخ عن الملابس ، سأل أحد التلاميذ معلمه بأي شيء غسل قميصيه اللذين أصابهما الحبر في مجلس سابق ، فقال : (أمرت أن يغسلا بحماضة الأترج) [4] .

- البدء باليمين عند لبس النعل :

فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال : **(إذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين ، وإذا نزع فليبدأ بالشمال ، ولتكن اليمنى أولهما تنتعل ، وأخراهما تنزع)** [5].

---

(١) السمعاني:ادب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٥٠.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) السمعاني:ادب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٥١.

(٥) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي،مصدر سابق،ص١٧٣.والحديث صحيح،رواه البخاري في كتاب اللباس.

الخلاصة :

من كل ما سبق نرى كيف اهتم المفكرون المسلمون بشخصية المتعلم من حيث الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها ، إذا تعتبر الأخلاق عاملا مساعدا على تحصيل العلم ، كما تعتبر أيضا سياجا يحمي المتعلم من أن يقع في يد الأشرار ليسيئوا استخدامه ، كما اهتموا بالصحة الجسمية والعقلية للمتعلم ، بحيث يصبح قادرا على تحصيل العلم والاستمرار فيه دون مشكلات تؤثر على تحصيله العلمي .

و لم يكتف المفكرون المسلمون بتلك الأبعاد من شخصية المتعلم ، بل لفتوا النظر إلى أهمية الاهتمام بمظهره الخارجي بما يتناسب مع كرامة العلم والعلماء .

الفصل الثاني

آداب المتعلم مع أساتذته

إن هناك ارتباطا وثيقا بين نوع العلاقة القائمة بين المتعلم ، وأستاذه ، ودرجة استفادة المتعلم من تحصيله الدراسي ، واستمراريته في طلب العلم ، ولقد أدرك المفكرون المسلمون أن الأستاذ عامل أساس في نجاح عملية التعليم ، وأنه من أهم عناصرها ، فالتعليم لا يتم بغير معلم ، و عناصر التعليم تفتقد أهميتها إذا لم يتوفر الأستاذ الصالح الذي ينفث فيها من روحه ، فتصبح ذات أثر وقيمة ، يقول ابن جماعة مستشهدا على أهمية الأستاذ في حدوث تعلم جيد : (قيل لأبي حنيفة -رحمه الله- : في المسجد حلقة ينظرون في الفقه ، فقال : ألهم رأس؟ ، قالوا : لا ، قال : لا يفقه هؤلاء أبدا) [1] .

وصلة المتعلم بالأستاذ أساسية وضرورية في إحداث عملية تعلم سليمة ؛ لأن الأستاذ هو حجر الزاوية في عملية التعليم ، وهو المتولي للقيادة التعليمية والتربوية ، ولذا فإن صلة المتعلم به يجب أن تكون على مثال طيب ؛ الأمر الذي يفرض على المتعلم أن يتعرف على الآداب السلوكية ، التي ينبغي أن يمارسها تجاه أستاذه لتقوية تلك العلاقة ، التي يمكن إيجازها فيما يلي :

- أولا : آداب اختيار المتعلم لأستاذه :

اهتم المفكرون المسلمون بعملية اختيار الأستاذ ، وتحديد عناصر كفايته ، وتعيين مسؤولياته ، وأهم الصفات الواجب توافرها فيه ، وبيان أهم وظائفه ، المتمثلة في تنمية عقول المتعلمين ، وخلقهم ومهاراتهم ، وإكسابهم المعارف والآداب المختلفة ، فـ (ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب منه ، وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته ، وتحققت شفقته ، وظهرت مروءته ، وعرفت عفته ، واشتهرت صيانته ، وكان أحسن تعليما وأجود

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص ٤٦.

تفيهمًا) [1] .

كما كانوا على وعي كامل بأن تحقيق أهداف التعليم منوطة بحسن اختيار الأستاذ ، فـ(إذا سبرت أحوال السلف والخلف ، لم تجد النفع يحصل غالباً ، والفلاح يدرك طالباً ، إلا إذا كان للشيخ من التقوى نصيب وافر ، وعلى شفقته ونصحه للطلبة دليل ظاهر) [2] .

فالمتعلم إذا أراد أن يبلغ مراده من طلب العلم ، ويحقق هدفه ؛ فإن عليه أن (يعتمد في كل فن من هو أحسن تعليمًا له ، وأكثر تحقيقًا فيه وتحصيلاً .. وذلك بعد مراعاة الصفات المقدمة من الدين والصلاح والشفقة وغيرها) [3] .

واعتبر المفكرون المسلمون الأستاذ من أكثر الناس تأثيرًا في تلميذه ، وصفاته أسرع انتقالاً إليه من صفات غيره، فإذا أحب التلميذ أستاذه ، أصبحت أهداف الأستاذ أهدافه ، وأصبح الخضوع لرغبته ، وإذعانه لتوجيهاته لا تمس كرامته ، ولا تجرده من صفاته الشخصية وصار (يسلك في السمت والهدى مسلكه ، ويرعى في العلم والدين عادته ويتقيد بحركاته و سكناته ، في عاداته وعباداته ، ويتأدب بآدابه ، ولا يدع الاقتداء به) [4] .

وتلعب عملية اختيار الأستاذ دوراً هاماً في تحديد نوع العلاقة القائمة بين المتعلم والأستاذ ، لهذا فقد تناول المفكرون المسلمون حاجة المتعلم إلى أستاذ يأخذ بيده في طريق العلم ، كما ناقشوا الأسس التي يتم بموجبها اختيار الأستاذ من قبل المتعلم ، والشروط الواجب توفرها في الأستاذ ، على النحو التالي :

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٨٥.
(٢) المصدر السابق:ص٨٦-٨٧.
(٣) المصدر السابق:ص١١٤-١١٥.
(٤) المصدر السابق:ص ٩٠.

أ- الحاجة إلى وجود أستاذ :

يحتاج المتعلم إلى الأستاذ ليكتسب منه عملا وخلقا وأساليب تعلم ، فقد أوضح ابن خلدون في الفصل الثالث والثلاثين من مقدمته الحاجة للأستاذ حيث قال : (إن البشر يأخذون معارفهم ، وأخلاقهم ، وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعلما وإلقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاما وأقوى رسوخا ، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، والاصطلاحات أيضا في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لا يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين ، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات) (١).

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل إن الأستاذ (يفيد طلاب العلم بما يلقيه عليهم من دروس علمية ، وتوجيهات تربوية ، كما أنه ينفع الناس ويحل مشاكلهم ، ويجيب على مسائلهم ، ويعلم الجاهل منهم) (٢) .

والمتعلم في أول أمره قد لا يهتدي إلى الطريق السليم في حياته العلمية والتعليمية ، فيأتي دور الأساتذة كموجهين ومرشدين لطلابهم حيث (يرسخون القيم والعادات والنظم والتقاليد ، ويبنون الأمة ببنائهم لأبنائهم ، وبأيديهم يشكلون رجالات المستقبل) (٣) ، كما يبرز دورهم أيضا عن طريق (بث أحسن العادات والمبادئ الخلقية والدينية والاجتماعية والوطنية والصحية في نفوس تلامذتهم) (٤) .

---

(١) ابن خلدون:المقدمة،مرجع سابق،ص٣٣٦.

(٢)حسن علي حسن:الفكر التربوي عند ابن القيم،دارحافظ للنشر،جدة،ط١،١٩٨٨م،ص٤٤٩.

(٣) إبراهيم ناصر: مقدمة في التربية،مرجع سابق،ص١٠٣.

(٤) محمد عطية الأبراشي:روح التربية والتعليم،دارإحياء الكتب العربية،القاهرة،(د.ط)،١٩٥٠م، ص١٦٣.

ويوضح القابسي الحاجة الماسة للمعلمين وذلك من خلال إكسابهم المهارات والقيم والمعارف... إلخ حيث يقول : (وقد أُمِر المسلمون أن يعلموا أولادهم الصلاة والوضوء لها ، ويدربوهم عليها ، ويؤدبوهم بها ليسكنوا إليها ، ويألفوها فتخفف عليهم إذا انتهوا إلى وجوبها عليهم، وهم لابد لهم إذا علموهم الصلاة أن يعلموهم القرآن ما يقرؤونه فيها ، وقد مضى أمر المسلمين أنهم يعلمون أولادهم القرآن ، ويأتون بالمعلمين) [1] .

ولا يقتصر عطاء الأساتذة على تزويد المتعلمين بالعلم والمعرفة والمهارة وبالخبرة المربية داخل الفصول ، بل يمتد خارجها أيضاً [2] ، الأمر الذي يحتم على المتعلم (ملازمة شيخ والاستفادة منه ، لأن العلم سنة متبعة يؤخذ من أفواه الرجال ، ومن أخذه من بطون الكتب أخذ ما لا ينجيه غداً يوم القيامة ، ويقال : من كان دليله كتابه فخطؤه أكثر من صوابه) [3] .

– **التحذير من الاقتصار على أخذ العلم من بطون الكتب :**

وبسبب المفاسد والأضرار المترتبة عن أخذ العلم من بطون الكتب ؛ حذروا من أخذ العلم من الكتب فقط ، دون التلقي من الأستاذ ، أو العرض عليه ، قال الشافعي : (من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام) [4] ، وكان بعضهم يقول : (من أعظم البلية تشييخ الصحيفة ، أي الذين تعلموا من الصحف) [5].

فموثوقية مصدر العلم من الأمور المهمة للمتعلم ، فمن لم يأخذ علمه إلا من الكتب يقع في التصحيف ويكثر منه الغلط والتحريف .

كما تتأكد الحاجة للأستاذ في كونه (يجلوا أفكار الناشئين والشباب ويوقظ

---

(١) القابسي:الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين،مصدر سابق،ص٢٨٧.

(٢) منير المرسي سرحان:في اجتماعيات التربية،مكتبة الانجلو، القاهرة،ط٢،١٩٧٨م، ص٢١٢.

(٣) حسن علي حسن:الفكر التربوي عند ابن القيم،مرجع سابق،ص٤٦٤.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٨٧.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

مشاعرهم ، ويحيي عقولهم ، ويرقى إدراكهم ، إنه يسلحهم بالحق أمام الباطل ، وبالفضيلة لقتل الرذيلة ، و بالعلم ليفتكوا بالجهل ، إنه يملأ النفوس الخامدة حياة ، والعقول النائمة يقظة ، والمشاعر الضعيفة قوة ، إنه يشعل المصباح المنطفئ ويضيء الطريق المظلم، وينبت الأرض الموات، ويثمر الشجر العقيم) (١) .

ولما كان الفرد بطبيعته غير متعلم ، كانت الحاجة للأستاذ للتعليم وإزالة الأمية ، يقول الصحابي الجليل ابن مسعود رضى الله عنه في ذلك : (ثلاثة لابد للناس منهم ، لابد للناس من أمير يحكم بينهم ، ولولا ذلك لأكل بعضهم بعضا ، ولابد للناس من معلم يعلم أولادهم ويأخذ على ذلك أجراً ، ولولا ذلك لكان الناس أميين) (٢) .

والمعلم متى ما قضى على الأمية عند المتعلم فقد أحيا قلبه ، هذا ما أدركه لقمان الحكيم حين وجه ابنه إلى ضرورة مجالسة العلماء قائلاً: (يا بني ما بلغت من حكمتك ؟ قال : لا أتكلف ما لا يعنيني ، قال : يا بني إنه بقى شيء آخر ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتك ، فإن الله يحيي القلوب الميتة بالحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء) (٣) .

وطبيعي أن يكون للأستاذ دور هام في تلك العصور الإسلامية التي لم تعرف الكتاب المطبوع ، فمن المعلوم أن الكتاب المخطوط أكثر عرضة للخطأ والتصحيف والتحريف ، فكانت الحاجة أشد في أخذ العلم عن أستاذ يضبط النصوص ، ويصحح أخطاءها (٤) .

و إذا أضفنا إلى ذلك ما يناله الطالب من أستاذه من قدوة في طلب العلم

---

(١) محمد عطية الأبراشي:روح التربية والتعليم،مرجع سابق،ص١٦٥.

(٢) ابن سحنون:آداب المعلمين،مصدر سابق،ص٣٥٢.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،١٠٦.

(٤) يراجع ، ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٢١.
وابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٧٧-٨١.
والسمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص٧٧-٧٩.

والحرص عليه ، ومن أخلاق وتجارب في الحياة العلمية ؛ لفهمنا لماذا حرص المفكرون المسلمون على حث المتعلم على أن يأخذ العلم من العلماء وليس من مجرد الكتب .

ولعل حاجة المتعلم إلى أستاذ إنما تكون في بداية طلبه للعلم ، حتى إذا تمكن واستقام له طريق البحث والدراسة ، انطلق إلى القراءة الخاصة ، والتزود من المعرفة بقدر ما يسعه أن يقرأ ويطلع معتمدا على ذاته ، بعد أن أتقن مهارات البحث والمعرفة على يد أساتذته ومشايخه .

ب - أسس اختيار الأستاذ :

حدد المفكرون المسلمون مجموعة من الأسس يتم في ضوئها ، وعلى هديها اختيار المتعلم لأستاذه ، وفي مقدمة هذه الأسس ما يلي :

١- التفكير ، والتأمل ، والاستخارة :

فأول ما يجب على المتعلم عند اختيار الأستاذ أن يمعن التفكير والتأمل في شخصية الأستاذ الذي سيتلقى العلم على يديه ، يقول ابن جماعة : (إنه ينبغي للطالب أن يقدم النظر ويستخير الله فيمن يأخذ العلم عنه ، ويكتسب حسن الأخلاق والآداب) (١) ، كما يورد الزرنوجي حادثة تؤكد ممارسة هذا النهج ، فيقول: (واختار أبو حنيفة رحمه الله حماد بن سليمان رضى الله عنه ، بعد التأمل والتفكر) (٢) .

وقد أخذت الجامعات الأوروبية والأمريكية بهذا النظام ؛ حيث تتيح الفرصة أمام الطلاب لاختيار المواد الدراسية التي يرغبونها ، والأساتذة الذين يتلقونها منهم ، وبهذا تكون الحضارة الإسلامية قد سبقت النظم التعليمية الحديثة في هذا المجال .

٢- المشاورة :

كما وجه المفكرون المسلمون ، المتعلم إلى أن يمارس المشورة في عملية

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٨٥.

(٢) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٤١.

اختيار الأستاذ ، لأنها مبدأ إسلامي أصيل ، حيث أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ بممارسة المشورة ، قال تعالى: ﴿ وشاورهم في الأمر ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿..وأمرهم شورى بينهم..﴾ (٢) .

واعتماد المتعلم مبدأ المشورة في اختيار أساتذته يجنبه الكثير من المآزق ، ويبعده عن التخبط ، يقول الزرنوجي : (وطلب العلم من أعلى الأمور وأصعبها ، فكانت المشاورة فيه أهم وأوجب) (٣) وقيل : (من شاور أهل النصيحة سلم من الفضيحة)(٤).

والمشورة لا تدل على نقص في القدرة العقلية لممارسها ، أو تشكك في مقدرته ، بقدر ما فيها من توطين للنفس ، وراحة للبال ، وكشف للغموض ، يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (ما هلك أمرؤ من مشورة) (٥) ، وليعلم المتعلم أنه لا يصلح جميع الناس للمشورة ، بل لابد من اختيار من يخشى الله تعالى في كل الأمور ، غير متبع هواه ، ولا صاحب غرض ، قال جعفر الصادق لسفيان الثوري : (شاور في أمرك الذين يخشون الله تعالى) (٦) .

وقد مارس السلف المشورة عند طلبهم العلم ، وعند اختيارهم الأستاذ ، يقول الحكيم السمرقندي : (إن واحدا من طلبة العلم شاور معي في طلب العلم ، وكان قد عزم على الذهاب إلى بخارى ، لطلب العلم) (٧) ، ثم يقول الحكيم مشيرا ومرشدا : (إذا ذهبت إلى بخارى فلا تعجل في الاختلاف إلى الأئمة ، وامكث شهرين حتى تتأمل

---

(١) سورة آل عمران:آية١٥٩.

(٢) سورة الشورى:آية٣٨.

(٣) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٤٣.

(٤) الراغب الأصبهاني، أبو القاسم حسين محمد: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء، مكتبة الحياة، بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ج١،ص٢٨.

(٥) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٤٧.

(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٧) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٤٦.

وتختار أستاذا فإنك إن ذهبت إلى عالم وبدأت بالسبق عنده ربما لا يعجبك درسه ؛ فتتركه وتذهب إلى الآخر ، فلا يبارك لك في التعلم ، فتأمل في شهرين في اختيار الأستاذ ، وشاور حتى لا تحتاج إلى تركه ، والإعراض عنه ، فتثبت عنده حتى يكون تعلمك مباركا ، وتنتفع بعلمك كثيرا) (١) .

ج- الصفات التي يجب توافرها في الأستاذ :

يرى المفكرون المسلمون أنه لا يصلح للتعليم كل أحد ، إنما يصلح من تأهل له وأعد لذلك إعدادا طيبا ، فمن الخطأ أن ينتصب إنسان للتدريس ، أو يتصدى له قبل أن تكتمل أهليته لذلك ، وقبل أن يحيط بفروع المعرفة التي يعلمها لتلاميذه إحاطة خبير ؛ لأنه إن فعل ذلك عرض نفسه إلى ما لا تحمد عقباه من الفشل والهوان ، فالشخص (لا ينتصب للتدريس إذا لم يكن أهلا له ، ولا يذكر الدرس من علم لا يعرفه.. فإن ذلك لعب في الدين وازدراء بين الناس ، قال النبي ﷺ : **المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**) (٢) .

---

(١) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، مصدر سابق، ص٤٨.

(٢) الحديث صحيح ، أخرجه أبو داود.

وعن الشبلي [1] : من تصدر قبل أوانه فقد تصدى لهوانه) [2] .

ولهذا فقد قدم المفكرون المسلمون مجموعة من الصفات التي ينبغي أن تتوفـــر في العالم الذي يختاره المتعلم ليتلقى العلم على يديه ، وهي صفات يضعها المتعلـــم أمـــام عينيه عند اختيار أساتذته ومعلميه ، ومن أهم تلك الصفات :

- الدين وحسن العقيدة :

فمن كان صالح الدين ، صحيح العقيدة ، كان الأخذ عنه أضمن ، فعن بعـــض السلف : (هذا العلم دين، فانظروا عمن تـــأخذون دينكـــم) [3]، وروى الخطيـــب

---

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر ، وقيل جعفر بن يونس المعروف بالشبلي ، الصالح المشـــهور ، الخراساني الأصل ، البغدادي المولد والمنشأ ، كان جليل القدر، مالكي المذهب ، وصحـــب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء ، وكانت وفاته يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة ببغداد وعمره سبع وثمانون سنة ، يقال إن مولـــده بسر من رأى ، انظر ترجمته: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمـــد بـــن أبي بكـــر بـــن خلكان:وفيات الأعيان وأبناء الزمان ،تحقيق د. إحسان عبـــاس،دار صـــادر - بـــيروت - ١٩٦٩م، جـــ٢ ص٢٧٣-٢٧٦.

(٢) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٤٥ .

(٣) المصدر السابق:ص٨٥.

البغدادي قال : (عن إبراهيم قال : كانوا إذا أتوا الرجل ليأخذوا عنه نظروا إلى سمته ، وإلى صلاته ، وإلى حاله ، ثم يأخذون عنه) [١] .

وفي هذا الإطار حذروا من تلقي العلم ممن ثبت فسقه وسفهه ، أو كان صاحب هوى أو بدعة ، (كان مالك بن أنس يقول : لا يؤخذ العلم من أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك ، لا تأخذ من سفيه معلن بالسفه ، وإن كان أروى الناس ، ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس ، إذا جرب ذلك عليه ، وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله ، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه) [٢] ، فمن كانت فيه خصلة من هذه الخصال فهو غير أمين ولا مأمون على العلم وتعليمه ، ولا يكون جديرا بأن يجلس مجلس العلماء ، ليأخذ منه الناس العلم والخلق .

- حسن الخلق :

واشترطوا حسن الخلق في الأستاذ ، كما قال أبو حنيفة في أستاذه الذي اختاره (وجدته شيخا وقورا حليما صبورا) [٣] .

- وفرة العلم والكفاءة (الأهلية) :

واشترطوا بجانب العقيدة وفرة العلم والكفاءة ، وأن يكون الأستاذ على دراية تامة بما يعلم ، وأن يمتلك أيضا القدرة على إيصال المادة العلمية للمتعلم ، يقول

=

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،مصدر سابق،ص١٢٨.

(٢) المصدر السابق:ص١٣٨.

(٣) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٤١.

الزرنوجي : (فينبغي أن يختار الأعلم والأروع والأسن) [1] ، ولعل اختيار الأسن إنما يعود إلى طول ممارسته للعلم والتعلم وطول خبرته العلمية والتدريسية ، مما يؤثر بدون شك على كفايته العلمية والمهنية ، يقول ابن جماعة : (وليكن إن أمكن ممن كملت أهليته ، وتحققت شفقته ، وظهرت مروءته ، وعرفت عفته ، واشتهرت صيانته ، وكان أحسن تعليما وأجود تفهيما) [2] .

وهناك إجماع من المفكرين المسلمين على عدم جواز أخذ العلم من ناقص الأهلية ، وفي هذا صيانة للعلم ، (قالوا : ولا يؤخذ العلم إلا ممن كملت أهليته ، وظهرت ديانته ، وتحققت معرفته ، واشتهرت صيانته وسيادته) [3] .

د- الشهرة العلمية ، وموثوقية المصدر :

كما اشترطوا الشهرة العلمية ، والاتصال بأهل العلم ، يقول ابن جماعة : (وليجتهد على أن يكون الشيخ ممن له على العلوم الشرعية تمام الإطلاع ، وله مع من يوثق به من مشايخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع ، لا ممن أخذ عن بطون الأوراق ولم يعرف بصحبة المشائخ الحذاق) [4] .

ويمتاز الفكر الإسلامي بتقديره للعلاقات العلمية والتواصل العلمي بين العلماء ، فلا يكفي أن يأخذ العالم علمه من بطون الكتب ، وأن يعيش في دائرة مغلقة من قراءاته دون الاحتكاك بالآخرين العالمين بالمجال ، فاحتكاك العلماء وتبادل الآراء والحوار والنقاش هي وسائل النضج العلمي الحقيقي ، وبها تظهر من بين العلماء من له مع مشائخ عصره كثرة بحث وطول اجتماع .

ويصل الفكر الإسلامي درجة كبيرة من النزاهة والخبرة العلمية عندما يركز

(١) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، مصدر سابق، ص٤١

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٨٥.

(٣) النووي: مقدمة المجموع، مصدر سابق، ص٤٥

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص ٨٦ .

على "نوعية الأستاذ" وليس بمجرد شهرته فقط ، إذ إن عدم الشهرة لا يقدح في اختيار الأستاذ والأخذ عنه ، فيلفت المفكرون المسلمون النظر –في دعوقم لاختيار أصلح المعلمين للتعليم– إلى أن معيار الصلاح ليس ذيوع الشهرة وبعد الصيت ، فقد يتوفر الصلاح فيمن لم ينل حظه من الشهرة ، ولم تتطاير سمعته عبر الآفاق ، وفي هذا الصدد يحذرون من اختيار المعلمين اعتمادا على ذيوع شهرقم ، دونما تفكير في قدرقم على التدريس ، وإفادة طلاهم فعلى الطالب أن (ليحذر من التقيد بالمشهورين ، وترك الأخذ عن الخاملين ، فقد عد الغزالى وغيره ذلك من الكبر على العلم ، وجعله عين الحماقة ، لأن الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ، ويغتنمها حيث ظفر بها ، ويتقلد المنة لمن ساقها إليه ، فإنه يهرب من مخافة الجهل كما يهرب من الأسد ، والهارب من الأسد لا يأنف من دلالة من يدله على الخلاص كائنا من كان . فإذا كان الخامل ممن ترجى بركته كان النفع به أعم ، والتحصيل من جهته أتم) [1] .

كذلك لا يقف الاختلاف في الدين أو المذهب حائلا دون أخذ العلم عن أصحابه إذا اقتضت الضرورة ، فعن علي رضى الله قال : (العلم ضالة المؤمن ، فخذوه ولو من أيدي المشركين ، ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه) [2] ، وعنه أيضا قال : (الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أيدي الشرط) [3] .

لقد كان المفكرون المسلمون على حق في اهتمامهم بنوعية الأستاذ ، وضرورة تحري الدقة في اختياره للقيام بعملية التعليم ، فلم يعد هناك أدنى شك في أهمية الدور الذي يقوم به الأستاذ ، حتى أولئك الذين شككوا يوما في أهميته ، وهم دعاة التعليم

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،٨٦.

(٢) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٠١.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

الذاتي ؛ الذين يعتقدون أن التعلم لا يتم إلا عن طريق المرء نفسه دونما حاجة إلى أستاذ ، أو أولئك الذين تحمسوا للآلات التعليمية ، وظنوا أن الآلة المعلمة تستطيع أن تحل محل المدرس ، فلقد ثبت تطرف هؤلاء وأولئك فيما يتعلق بدور الأستاذ ، نعم إن جزءا من عملية التعلم ذاتية ، لكنها لا تحدث إلا إذا رتبت البيئة الخارجية بصورة معينة ، والأستاذ هو الذي يقوم بذلك ، والآلة المعلمة وإن كانت تتميز بسرعتها في إثابة المتعلم ، وإصرارها على عدم انتقاله للخطوة التالية إلا إذا فهم الخطوة الحالية ، إلا أنها لا تغني عن الأستاذ ، وهي كالوسائل التعليمية المختلفة تساعد الأستاذ على أداء عمله ، ولا تستطيع أن تكون بديلا عنه [1] .

ولقد أثبتت التجارب أننا (مهما استحدثنا في التعليم من طرق ووسائل ، ومهما أضفنا إليه من موضوعات جديدة ، وطورنا في مناهجه ، ورصدنا له من مال ، وأقمنا له أفخم المباني ، وزودناها بأحدث الأجهزة والوسائل التعليمية ، والأثاث المناسب ، ومهما وضعنا من فلسفات وتصورات عن المواطن ، فإن كل ذلك لا يمكن أن يحقق نفسه ، ولا نستطيع أن نترجمه إلى مواقف موضوعية ، وعلاقات وتفاعلات

وخصائص سلوكية ، إلا عن طريق المعلم) [2] ، وفي ضوء ذلك تبدو أهمية اختيار المعلم ، والتأكيد على نوعيته وخصائصه .

---

(١) عبد الرحمن صالح عبد الله :دور التربية العلمية في إعداد المعلمين ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط٢،١٩٧٩م،ص٢٥،٢٦.

(٢) محمد الهادي عفيفي وسعد مرسي : قراءات في التربية المعاصرة،مرجع سابق، ص٧٠.

ثانيا: آداب المتعلم مع أستاذه داخل مجلس الدرس :

١- التبكير في الحضور إلى مجلس الدرس :

عادة ما يتضجر الأستاذ من وصول المتعلمين إلى الدرس متأخرين ، وهذا السلوك من قبل المتعلم يتنافى مع آداب السلوك تجاه الأستاذ ، التي تفرض على المتعلم التبكير ، وأن يكون في قاعة الدرس قبل أستاذه .

وقد أكد السلف على ضرورة التبكير في كل الأمور ، وبالنسبة للتعليم فهو أخص ، مستوحين ذلك من توجيهات الإسلام ، فعن النبي ﷺ : (**اللهم بارك لأمتي في بكورها**) [1] ، و عن نافع قال : (سألت ابن عمر رضى الله عنهما عن قول النبي ﷺ (**اللهم بارك لأمتي في بكورها**) فقال : في طلب العلم ، والصف الأول) [2] .

ولهذا ينبغي على المتعلم (أن يتقدم على المدرس في حضور موضع الدرس ولا يتأخر إلى بعد جلوسه وجلوس الجماعة فيكلفهم المعتاد من القيام ورد السلام وربما فيهم معذور.... ، وقد قال السلف : من الأدب مع المدرس أن ينتظره الفقهاء ، ولا ينتظرهم) [3] .

- مساوئ التأخر في الحضور :

وقد ذم من اعتاد الحضور متأخرا لما يسببه ذلك من مضايقات للأستاذ ، قال الفرغاني : (كنا نسمع الحديث من عبد الصمد بن الفضل ببلخ ، وكان الباب مغلقا دوننا فجاء إنسان فقرع الباب وأعنف القرع والدق ، فقال عبد الصمد لواحد منا : قم فانظر إن كان هذا من أصحاب الرأي فافتح له الباب ، وإن كان من أصحاب الحديث ، فلا تفتح له ، فقال : لا ، أصحاب الرأي أولى ؛ لأن هذا عمل أصحاب

---

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١١١.
والحديث صحيح، الألباني:صحيح الجامع الصغير وزيادته،مرجع سابق،ج١، ص٢٧٨.

(٢) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١١١.

(٣) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣٤-٢٣٥.

الحديث ، فلم لم يبكر ؟ وليس هو من عمل أصحاب الرأي فيعذرون) [1].

ومن مساوئ اعتياد التأخر في الحضور إلى قاعة الدرس أيضا تكليف الأستاذ الإعادة ، والتشويش على الآخرين ، بل وربما خسر المتعلم الاستفادة بسبب تعذر الإعادة على الأستاذ ، يقول السمعاني : (وينبغي لمن أراد سماع الإملاء ، البكور خوفا من فوات المجلس بتأخير الحضور ، وأن يتعذر عليه مع ذلك إعادته من قبل شيخ ، لعل التمنع عادته ، مستعملا في فعله ما يأثره الراوون عن سفيان بن عيينة ، ويزيد بن هارون ، وجماعة ممن كان قبلهما وبعدهما رحمة الله عليهم وعليهما) [2] .

وعلى المتعلم أن يحذر نهج المقصرين في الحضور ، بسبب ما قد يفوته من الفائدة والعلم الكثير ، وعليه أن يلزم طريق النابغين والحريصين ؛ لينال العلم ، ويرزق الفهم ، قال بزرجمهر : (إنما أدركت ما أدركت من العلم ببكور كبكور الغراب ، وصبر كصبر الحمار ، وحرص كحرص الخنزير) [3] ، وقال جعفر بن درستويه : (كنا نأخذ المجلس في مجلس علي بن المديني وقت العصر اليوم لمجلس غد ، فنقعد طول الليل مخافة أن لا نلحق من الغد موضعا نسمع فيه) [4] .

وعلى المتعلم أن يلاحظ أن عادة التبكير تخضع لظروف الجو وحالة المناخ ، إذ التبكير في فصل الصيف قد يكون أكثر مناسبة للطالب والأستاذ معا ، بينما الانتظار حتى تشرق الشمس قد يكون أكثر ملائمة في فصل الشتاء ، يقول السمعاني : (التبكير إنما يستعمله في الصيف ، فأما الأولى في الشتاء أن يصبر حتى يرتفع النهار) [5] .

---

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١١٢.

(٢) المصدر السابق:ص٨١.

(٣) المصدر السابق:ص١١٢.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) المصدر السابق:ص١١٣.

٣- احترام المتعلم لأستاذ وتقديره :

ينبغي للمتعلم أن يبادر إلى السلوك الذي يظهر من خلاله احترامه للأستاذ وتقديره إياه ، ومن ذلك :

أ – القيام للأستاذ عند دخوله مجلس الدرس :

لقد نهى الإسلام عن القيام لغير الله تعالى : قال ﷺ : (**من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار**) [(١)] ، باعتبار أن من صرف عملا أو فعلا من أفعاله لغير الله فقد أشرك بالله تعالى ، والشرك من أعظم الذنوب .

والقيام باعتباره عملا من الأعمال التي يعظم فيها المعبود عز وجل يدخل تحت إطار النهي ، إلا ما استثنى منه ، كقيام المتعلم لأستاذه على وجهي الاحترام والبر ، وتعظيم اللقاء فلا بأس ، ولهذا يذهب السمعاني إلى جواز القيام للأستاذ [(٢)] ، والدليل على ذلك ما روي عن أبي أمامة عن أبي سعيد الخدري -رضى الله عنهما- قال : (لما نزلت بنو قريظة على حكم سعد ، بعث رسول الله ﷺ إليه وكان قريبا ، فجاء على حمار فلما دنا قال النبي ﷺ : (**قوموا إلى سيدكم**) [(٣)] ، وقد اعتبر هذا القيام على وجه البر ، لا على وجه التعظيم ، قال الإمام مسلم بن الحجاج : لا أعلم في قيام الرجل للرجل حديثا أصح من هذا ، وهذا القيام على وجه البر ، لا على وجه التعظيم ، أمر النبي ﷺ أن يقوموا إلى سيدهم) [(٤)] ، وقال أبو نصر بشر بن الحارث : (إنما كره القيام

---

(١) الحديث صحيح ، رواه أبو داوود .

(٢) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٣٧.

(٣) المصدر السابق:ص١٣٧.والحديث صحيح، رواه أبو داود.

(٤) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ،مصدر سابق،ص١٣٨.

على طريق الكبر ، فأما على طريق المودة فلا) [1].

أما الوجه الثاني : فهو قيام المتعلم لأستاذه لتعظيم اللقاء ، ولأبي النضر العتبي :

عجبت من الكريم أتاه حر   فلم ينهض لتعظيم ، اللقاء
تقاعد عن سفه وكبر   وقام بعقب ذاك إلى الخلاء [2] .

ب – تقبيل المتعلم يد أستاذه :

الأمر في تقبيل يد الأستاذ مختلف فيه ، فهناك من كره تقبيل اليد مطلقا لورود بعض الأحاديث التي اعتبرت تقبيل يد المسلم هي مصافحته ، ولفعل بعض الصالحين ، وهناك من كره تقبيل اليد لسبب عارض ، كأن يكون للدنيا ، أو لظالم أو مبتدع وكافر ، أو لشهوة الرجل في نفسه تقبيل يده ، أو أن يكون عادة ممارسة ، أو أن يكون على سبيل التبرك... الخ ، وهناك من رخص في تقبيل اليد بشروط ، وهي انتفاء تلك الأسباب العارضة كما يلي [3] :

١- أن لا يكون الفعل للدنيا .

٢- أن لا يكون لظالم أو مبتدع وكافر .

٣- أن لا يكون لشهوة لدى الرجل ، ودلالة الشهوة ما يلي :

أ- مد اليد ليقبلها الناس .

ب- استحسان من قبل يده بالابتسام والإكرام .

ج- تقبيح فعل من لم يقبل .

د- أن لا يكون عادة .

---

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ،مصدر سابق،ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) ابن المقري:بلوغ الأماني من الأجزاء والأمالي،تحقيق محمود بن محمد الحداد،دار العاصمة،الرياض،ط١، ١٤٠٨هـ،مقدمة المحقق،ص٢٠-٢٨.

هـ- أن لا يكون الفعل على سبيل التبرك .

و- أن لا يكون مظنة شهوة كصبية أو امرأة :

ز- أن لا يكون تشبيها بغير الصالحين .

ويدخل في ذلك الإطار تقبيل المتعلم يد الأستاذ ، كما ذهب إليه السمعاني من جواز تقبيل المتعلم يد الأستاذ [1] ، والدليل على ذلك ما روي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه -رضى الله عنه- ، قال : (لما نزلت توبتي أتيت النبي ﷺ فقبلت يديه وركبته) [2] ، وعن جميلة مولاة أنس بن مالك -رضى الله عنه- ، قالت : (كان ثابت إذا جاء أنس ، قال : يا جميلة ناوليني طيبا أمس به يدي ، فإن ابن أبي ثابت لا يرضى حتى يقبل يدي ، يقول : يد مست يد رسول الله) [3] .

وقد مارس السلف هذين السلوكين في حياتهم العلمية واليومية ، وهذه بعض الأمثلة : يقول السمعاني : (وكنت إذا دخلت على شيخنا أبي بكر محمد عبد الباقي الأنصاري ببغداد أقبل يده كل نوبة ، وألاطفه في الكلام ؛ ليمكننا من القراءة ، فحصل لي منه ما لم يحصل لغيري) [4] ، ويروي أبو زرعة محمد بن إبراهيم الاستراباذي (أخبرت أن إسماعيل بن أحمد والي خرسان لما وافى استراباذ استقبله مشائخ استراباذ ، فلما بصروا به نزلوا عن دوابهم ، فتقدمهم جدي محمد بن بندار العطار ، فأخذ بيده وقبلها ، وقال : تقبيل يد الأمير عندنا سنة ، فطالما عرفت بإمساك أعنة الخيل في سبيل الله ، فاستحسن ذلك إسماعيل وسره) [5] .

وقال نفطويه : (كنت عند المبرد فمر به إسماعيل بن إسحاق القاضي فوثب

---

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ،مصدر سابق،ص١٣٨.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣)و(٤) المصدر السابق:ص١٣٩.

(٥) المصدر السابق:ص١٤٠.

إليه ، و قبَّلَ يده وأنشد :

فلما بصرنا به مقبلاً حللنا الحبى * وابتدرنا القياما
فلا تنكرن قيامي له فإن الكريم يجل الكراما) (1) .

ويبدو أن الطلاب قد غالوا في هذا السلوك ، أو أن بعض العلماء قد استحبوا ذلك من طلباهم ، مما جعل هذا السلوك لا يصدر عن حب واحترام ، وإنما عن تكلف وقهر وإلزام في معظم الأحوال ، و جعله أقرب إلى التكلف منه إلى احترام العلم و العلماء .

ج- طريقة جلوس المتعلم في مجلس الدرس :

ينبغي للمتعلم أن يجلس هيئة طالب العلم أمام أستاذه ، مراعياً في ذلك الجلسة الصحيحة ، وهي أن يكون ناصباً ظهره غير متكأ ولا منكفئ ، غير مشغول بحركات يديه ولا رجليه ... الخ ، وأن يكون مقبلاً بكليته نحو الأستاذ ، فعن زياد بن علاقة قال : سمعت أسامة بن شريك يقول : (أتيت رسول الله ﷺ ، فإذا أصحابه عنده كأن على رؤسهم الطير) (2) .

وقال حمدان بن علي الأصبهاني : (كنت عند شريك فأتاه بعض ولد المهدي ، واستند إلى الحائط ، وسأله عن حديث ، فلم يلتفت إليه ، فأعاد عليه المسألة ، فلم يعبأ به ، فقال : كأنك تستخف بأولاد الخلفاء ، فقال : لا ، ولكن العلم أجلّ عند أهله أن يضيعوه ، قال : فجثا على ركبته ، ثم سأله ، فقال : هكذا يطلب العلم) (3)

---

* احتبى الرجل : إذا جمع ظهره وساقية بعمامته، وقد يحتبي بيديه، ابن منظور :لسان العرب:مرجع سابق،ج3، ص36.

(1) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ،مصدر سابق،ص138.

(2) المصدر السابق ،ص125 .

(3) أبو هلال العسكري:الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص85.

وهذه حادثة لأمير المؤمنين مع أحد العلماء ، قال أنس بن مالك رحمه الله : (وجه إليّ هارون الرشيد يسألني أن أحدثه ، فقلت يا أمير المؤمنين ، العلم يؤتى ولا يأتي ، قال : فصار إلى منزلي ، فاستند معي إلى الجدار ، فقلت يا أمير المؤمنين إن من إجلال الله ، إجلال ذي الشيبة المسلم ، قال : فجلس بين يدي ، قال : فقال لي بعد مدة : يا أبا عبد الله تواضعنا لعلمك فانتفعنا به ، وتواضع لنا علم سفيان...فلم تنتفع به) (١).

ومن آداب المتعلم في قاعة الدرس أن يجلس بين يدي الأستاذ (متأدباً ، بسكون ، وإطراق رأس ، وخضوع ، وتواضع ، وخشوع وجلوس الافتراش ، أو التورك ، ويحسن هنا الإقعاء المستحب على بطونها ، ويتعاهد تغطية أقدامه ، وإرخاء ثيابه ، ولا يستند بحضرة الشيخ إلى حائط أو مخدة ، ولا يعطي الشيخ جنبه ولا ظهره ، ولا يجعل يديه ماسكة وراء ظهره) (٢) .

ويؤكد ابن جماعة على ذلك بقوله : (أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المقرئ ، أو متربعا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع ، ويصغي إلى الشيخ ناظراً إليه ، ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله ، بحيث لا يحوجه إلى إعادة الكلام مرة ثانية ، ولا يلتفت من غير ضرورة ، ولا ينظر إلى يمينه أو شماله أو فوقه أو قدماه بغير حاجة ولا سيما عند بحثه له أو كلامه معه) (٣) .

ومن تمام الأدب مع الأستاذ أن يكون المتعلم في مواجهة الأستاذ ،يقول ابن جماعة : (وقد جرت العادة في مجالس التدريس بجلوس المتميزين قبالة وجه المدرس ، أو المبجلين ، من معيد ، أو زائر عن يمينه أو يساره) (٤) ، أما إذا اختار الأستاذ للمتعلم مكاناً وخصص له مقعداً فلا يرفضه ، يقول السمعاني : (وإن أكرمه المملي بمخدة فلا

(١) أبو هلال العسكري:الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٨٤.

(٢) العلموى : المعيد في أدب المفيد والمستفيد: مصدر سابق،ص١٣٧.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع المتكلم،مصدر سابق،ص٩٧،٩٨.

(٤) المصدر السابق:ص١٤٩،١٥٠.

يردها وليجلس عليها) [١] ، وعن أنس بن مالك -رضى الله عنه- قال : (دخل سلمان على عمر رضى الله عنهما ، وهو متكئ على وسادة فألقاها له ، قال : دخلت على رسول الله ﷺ وهو متكئ على وسادة فألقاها لي ، ثم قال : يا سلمان ما من مسلم يدخل على أخيه فيلقي له وسادة إكراماً له إلا غفر الله له) [٢] ، وعن جعفر قال : (دخل رجلان على علي رضى الله عنه فألقى لهما وسادة فقعد أحدهما عليها ، وقعد الأخر على الأرض ، فقال : (أقعد عليها لا يأبى الكرامة إلا حمار) [٣] .

د – الحفاظ على الهدوء والنظام :

كثيراً ما تتعالى أصوات الطلاب في قاعة الدرس بحضرة الأستاذ ، غير مبالين ، ولا مكترثين به ، مما يضطره إلى التنبيه عليهم بالتزام الهدوء والصمت ، وممارسة هذا اللون من السلوك يعد سوء أدب من للتعلم ، وسلوكاً مذموماً ، بل ويتنافى مع توقير مجلس الأستاذ [٤] ؛ إذا من توقير مجلس الأستاذ واحترامه التزام الهدوء والسكينة ، فعن أسامة بن شريك الثعلبي رضى الله عنه ، قال : (أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير) [٥] .

ومنشأ الضوضاء والصخب في الأعم الغالب من عدم استعداد المتعلم بأدواته ولوازمه ، مما يضطره إلى محادثة زملائه ، وكثرة الحديث تخرج المتعلم عن الطور الأمثل ، إلى السلوك القبيح ، الذي يتنافى مع الأدب الواجب نهجه تجاه الأستاذ ، وبالتالي يثير غضب الأستاذ عليه ، قال أحمد بن سنان القطان : (كان عبد الرحمن بن مهدي لا يتحدث في مجلسه ، ولا يبرى فيه قلم ، ولا يبتسم أحد ، فإن تحدث أو برى قلم ، صاح ولبس نعليه ودخل ، فكذا كان يفعل ابن نمير ، وكان من أشد الناس

---

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، مصدر سابق،ص١٢٥.

(٢) المصدر السابق:ص ١٢٥.

(٣) المصدر السابق:ص١٢٥،١٢٦.

(٤) المصدر السابق:ص١٤٠ .

(٥) المصدر السابق:ص١٤٠.والحديث رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح .

في هذا ، وكان وكيع أيضاً ، يكونون في مجلسه كأنهم في صلاة ، فإن أنكر من أمرهم شيئاً أنتعل ودخل ، وكان ابن نمير يغضب ويصيح ، إذا رأى من يبري قلماً تغير وجهه غاضباً) [1] ، وقال ابن تميم بن المنتصر : (كنا عند وكيع ، فسمع أصحاب الحديث وحركتهم ، فقال : يا أصحاب الحديث ما هذا الحركة ؟ أنتم الناس فلعيكم بالوقار) [2] .

ومن الحركات التي تتنافى مع الهدوء ، العبث باليدين والرجلين ، وكثر الالتفات والتنحنح... الخ ، يقول ابن جماعة : (فلا ينبغي أن ينظر إلا إليه ، ولا يضطرب لضجة يسمعها ، أو يلتفت إليها لا سيما عند بحث له ، ولا ينفض كمه ، ولا يحسر عن ذراعيه ولا يعبث بيديه أو رجليه ، أو غيرهما من أعضائه ، ولا يضع يده على لحيته ، أو فمه ، أو يعبث في أنفه ، أو يستخرج منها شيئاً ، ولا يفتح فاه ، أو يعبث بإزاره.. ولا يكثر كلامه من غير حاجة ، ولا يحكى ما يضحك منه ، أو ما فيه بذاءة أو يتضمن سوء مخاطبة ، أو سوء أدب ، ولا يضحك لغير عجب) [3] .

هـ- حسن الاستماع والإصغاء :

ومن أدب المتعلم مع أستاذه أن يلزم نفسه الانتباه لما يلقى عليه بكافة حواسه ، يقول الزرنوجي : (وينبغي أن يجتهد في الفهم من الأستاذ بالتأمل والتفكير) [4] ، والانتباه مطلوب طوال الوقت ، إلا أنه وقت الإملاء أخص ، يقول السمعاني: (ويحسن الاستماع والإصغاء عند الإملاء) [5] .

ومن لزم نفسه هذا النهج ، فقد كملت مروءته ، فقد حدث بشر أبو النضر (أن

---

(١) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤١.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٨.

(٤) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٧٠.

(٥) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤٣.

عبد الملك بن مروان دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاص ، فسلم وجلس ، ثم لم يلبث أن نهض ، فقال معاوية : ما أكمل مروءة هذا الفتى فقال عمرو : يا أمير المؤمنين إنه أخذ بأخلاق أربعة ، وترك أخلاقاً ثلاثة ، إنه أخذ بأحسن البشر إذا لقي ، وبأحسن الحديث إذا حَدَّثَ ، وبأحسن الاستماع إذا حُدِّثَ ، وبأيسر المؤونة إذا خولف ، وترك مزاح من لا يثق بعقله ولا دينه ، وترك مجالسة لئام الناس ، وترك من الكلام كل ما تغندر * منه) [1] .

ومن تمام الانتباه والإصغاء استقبال الأستاذ بالوجه ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ إذا صعد المنبر يوم الجمعة استقبلناه بوجوهنا) [2] .

ومما يصرف المتعلم عن الانتباه والإصغاء الحالة النفسية له ؛ الأمر الذي يتوجب أن يراعيه المتعلم دوماً ، وهو أن يكون متهيئاً نفسياً ، فارغ القلب ، لا يشعر بالنوم ، يقول ابن جماعة : (وينبغي أن يدخل على الشيخ ، أو يجلس عنده وقلبه فارغ من الشواغل له ، وذهنه صاف ، لا في حال نعاس أو غضب ، أو جوع شديد ، أو عطش أو نحو ذلك لينشرح صدره لما يقال ، ويعي ما يسمعه) [3] .

والنوم من الحاجات التي تفقد المتعلم القدرة على التركيز ، ولهذا ورد النهي عن النوم في قاعة الدرس ، يقول السمعاني : (ولا ينام في مجلس الإملاء) [4] ، وقال الدراني : (إذا رأيت الرجل ينام عند الحديث فاعلم أنه لا يشتهيه ، فإن كان يشتهيه لطار نعاسه) [5] ، وقال رجل لخالد بن صفوان : (مالي إذا رأيتكم تتذاكرون الأخبار ، وتتناشدون الأشعار ، وتتدارسون الآثار ، وقع علي النوم ، قال : لأنك

(*) تغندر: يقال للمُبْرِم المُلِحِّ : يا غندر ، القاموس المحيط، مرجع سابق،،ص ٥٨١.

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤٣.

(٢) المصدر السابق: ص١٤٣.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٦.

(٤) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤٢.

(٥) المصدر السابق : نفس الصفحة .

حمار في مسلاخ إنسان)[1] .

٣- تفاعل المتعلم مع أستاذه :

التعليم هو ثمرة من ثمرات التفاعل بين الأستاذ والمتعلم ، ويتم من خلال كثير من العلاقات المتداخلة ، الأمر الذي يلزم المتعلم بأن يأخذ نفسه بآداب سلوكية خلال هذا التفاعل. ولعل من أهم ملامح هذا التفاعل بين الطلاب والأستاذ ما يلي :

أ- الأسئلة :

والأسئلة إما أن تكون من المتعلم أو من الأستاذ ، فإذا كانت من المتعلم فعليه :

- التلطف في السؤال ، وعدم تركه حياءً :

فيجب على المتعلم أن يتلطف في سؤاله عما أشكل عليه ، وما لم يفهمه ؛ لأن السؤال مفتاح العلم ، ومن ترك السؤال حياء أو كبراً فمصيره الجهل ، يقول ابن جماعة : (أن لا يستحي من سؤال ما أشكل عليه ، وتفهم ما لم يتعقد ، بتلطف وحسن خطاب وأدب وسؤال ... وقالت عائشة رضي الله عنها : (رحم الله نساء الأنصار لم يكن الحياء يمنعهن أن يتفقهن في الدين) ، وقالت أم سليم -رضي الله عنها- لرسول الله ﷺ **(إن الله لا يستحي من الحق هل على امرأة من الغسل إذا احتلمت؟)** ولبعض العرب :

وليس العمي طول السؤال وإنما ... تمام العمى طول السكوت على الجهل[2]

وعن على رضى الله عنه : (العلم قفل ، ومفتاحه السؤال)[3] .

---

(١) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤٢.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٥٦-١٥٧.

(٣) طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة،مرجع سابق،ج١، ص٢٥.

- الحذر من التعنت في السؤال :

ويجب على المتعلم أن يراعى في سؤاله طلب الفائدة ، لا تعنيت الأستاذ وإحراجه أمام الآخرين ، أو وضعه في مأزق ما ، وفى حديث لعلي رضى الله عنه قال: سلوني ؟ فسأله ابن الكواء ، (فقال : ويلك سل تفقهاً ولا تسل تعنتاً) ، وفي موضع آخر قال علي رضي الله عنه لابن الكواء : (إنك لذهاب في التيه ، سل عما ينفعك أو يعنيك ، قال : إنما نسأل عما لا نعلم) [1] .

ويقول ابن جماعة : (ولا يسأل عن شيء في غير موضعه إلا لحاجة ، أو علم بإيثار الشيخ ذلك ، وإذا سكت الشيخ عن الجواب لم يلح عليه ، وإن أخطأ في الجواب فلا يرد في الحال عليه) [2] ، وكان أبو هشام يقول : (لا تَغْشَوَني مع الناس ، وإذا خلوت فسلوني) [3] .

وفى الحديث (**تعلموا ولا تعنتوا ، فإن المتعلم خير من المعنت**) [4] .

هذا وقد أورد ابن عبد ربه نماذج من للمسائل العويصة ، منها : أن عمرو بن قيس سأل مالك بن أنس (عن محرم نزع نابي ثعلب ، فلم يرد عليه شيئاً) [5] . كما ذكر أن علياً رضى الله عنه سئل : (أين ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض ؟ فقال : أين توجب المكان ، وكان الله عز وجل ولا مكان) [6] ، وكان ابن عبد ربه قد بدأ ذلك بحديث رسول الله ﷺ (عن معاوية بن أبي سفيان قال : نهى رسول الله ﷺ عن (**الأغلوطات**) قال : الأوزاعي : يعنى صعاب المسائل) [7] .

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص١١٤،١١٦.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٥٧.

(٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص١١٧.

(٤) المصدر السابق:ج١،ص١٢٨.

(٥) ابن عبد ربه: العقد الفريد،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ط)،(د.ت)،ج٢، ص٩١.

(٦) المرجع السابق:ج٢،ص٩٢.

(٧) المرجع السابق:نفس الصفحة.

و أمثال تلك المسائل مما يودي إلى ضجر الأستاذ ونفوره ، بل ويعتبر هذا اللـون من السلوك نوعا من المماراة ، ومتى مارى المتعلم أستاذه خرج المتعلم عـن الوقـار، وخزن الأستاذ علمه عنه ، قال علي رضى الله عنه : (إن من حق العالم ألا تكثر عليه السؤال ، ولا تعنته في الجواب ، وأن لا تلح عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفشين له سرا ، ولا تغتابن عنده أحدا ولا تطلبن عثرته ، وإن زل قبلت معذرته ، وعليك أن توقره وتعظمه لله ما دام يحفظ أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإن كانت لـه حاجة سبقت القوم إلى خدمته) [١] ، وعن ميمون قال : (لا تمار عالما ولا جـاهلا ، فإنك إذا ماريت عالما خزن عنك علمه ،وإن ماريت جاهلا خشن بصدرك) [٢] .

– عدم تكرار الأسئلة :

ومن الأسئلة التي تسيء إلى العلاقة القائمة بين المتعلم وأستاذه ، الأسئلة المعروفة والمكررة والمعادة ، لما يترتب عليها من ضياع الوقت يقول ابن جماعة : (ولا ينبغـي للطالب أن يكرر سؤال ما يعلمه ، ولا استفهام ما يفهمه ، فإنه يضيع الزمان ، وربما أضجر الشيخ ، قال الزهري : "إعادة الحديث أشد من نقل الصخر) [٣] .

– تخير وقت السؤال :

ومن هيبة المتعلم لأستاذه أن يتخير وقت السؤال ومكانـه حتى يستفيد ، وألا يستعجل المتعلم في طلبه العلم ، ولكن يأخذ نفسه بالأيام والليالي ، عن ابـن عبـاس رضى الله عنهما قال : (مكثت سنة وأنا أشك في ثنتين ، وأنا أريد أن أسأل عمر بـن الخطاب – رضى الله عنه – عن المتظاهرتين على رسول الله ﷺ وما أجد له موضعا أساله فيه ، حتى خرج حاجا وصحبته ، حتى إذا كنا بمر الظهران ذهب لحاجته ، وقال : أدركني بأداوة من ماء ، فلما قضى حاجته ورجع ، أتيته بالأداوة أصبها عليه فرأيت موضعا ، فقلت : يا أمير المؤمنين من المرأتان المتظاهرتان على رسول الله ﷺ

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص١٢٩.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٠٦.

؟ فما قضيت كلامي حتى قال : عائشة وحفصة) [1] ، قال أبو عمر : (لم يمنع ابن عباس – رضى الله عنهما – من سؤال عمر – رضي الله عنه – عن ذلك إلا هيبته) [2]

ولعل طبيعة السؤال هي التي تحدد الوقت والمكان المناسبين ، ولهذا جاز سؤال الأستاذ في الأمر الخفيف قائما كان أم ماشيا ، يقول ابن عبد البر : (ولا بأس أن تسأل العالم قائما وماشيا في الأمر الخفيف ، لحديث ابن مسعود – رضى الله عنه قال : بينا أنا أمشي مع رسول الله ﷺ في خرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه مر بنفر من يهود خبير ، فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال رجل منهم : يا أبا القاسم ما الروح؟ ... الحديث) [3] .

– صدق المتعلم مع أستاذه :

وأما إذا كان السؤال من قبل الأستاذ عن فهم الدرس فعلى المتعلم أن يلزم نفسه الصدق مع أستاذه ، فإن لم يفهم طلب إفهامه ، قال ابن شهاب : (العلم خزائن ومفتاحه المسألة ، وإذا قال الشيخ أفهمت ؟ فلا يقل : نعم قبل أن يتضح له المقصود من المسألة إيضاحا جليا لئلا يكذب ، ولا يستحي من قوله : لم أفهم ؛ لأن استثباته يحدث له مصالح) [4] ، ويقول ابن جماعة : (وكما لا ينبغي للطالب أن يستحي من السؤال فكذلك لا يستحي من قوله لم أفهم إذا سأله الشيخ ، لأن ذلك يفوت عليه مصلحته العاجلة والآجلة ، أما العاجلة ، فحفظ المسألة ومعرفتها ، واعتقاد الشيخ فيه الصدق والورع والرغبة ، و أما الآجلة ، فسلامته من الكذب والنفاق ، واعتياده التحقيق) [5] .

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ،مصدر سابق،ج١، ص ١١٢.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق:ص١٤٠. والحديث صحيح،رواه البخاري ومسلم.

(٤) العلموى : المعيد في أدب المفيد والمستفيد،مصدر سابق،ص ١٤١.

(٥) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق، ص١٥٧.

- عدم إظهار المتعلم استغناءه عن أستاذه :

وأما إذا كان المتعلم يعرف الدرس ، فعليه ألا يظهر استغناء عن الأستاذ ، يقول ابن جماعة : (فإن سأله الشيخ عند الشروع في ذلك عن حفظه له فلا يجيب بنعم ، لما فيه من الاستغناء عن الشيخ فيه ، ولا يقل : لا ، لما فيه من الكذب ، بل يقول : أحب أن أسمعه من الشيخ ، أو أن أستفيده منه ، أو بَعُدَ عهدي ، أو هو من جهتكم أصح ، فإن علم من حال الشيخ أنه يؤثر العلم بحفظه له مسرة به ، أو أشار إليه بإتمامه امتحاناً لضبطه وحفظه أو لإظهار تحصيله فلا بأس باتباعه غرض الشيخ ابتغاء مرضاته وازدياد الرغبة فيه) (١) .

ب- القراءة على الأستاذ :

وللقراءة على الأستاذ آداب لا بد أن يراعيها المتعلم ، ومن تلك الآداب:

١- مراعاة المتعلم حال الأستاذ :

ومطلوب من المتعلم أن يكون على درجة كبيرة من دقة الملاحظة فيراعي حالة الأستاذ النفسية ، فلا يسأله ، ولا يقرأ عليه عند مله ، أو غضبه ونحو ذلك ، مما يحول بينه وبين الوفاء بمهمة التعليم وفقاً لما يجب أن يكون من كمال النشاط وعلو الهمة يقول ابن جماعة : (ولا يقرأ عند شغل قلب الشيخ أو مله ، أو غمه ، أو غضبه ، أو جوعه ، أو عطشه ، أو نعاسه ، أو استيقاظه ، أو تعبه) (٢) ، ويقول ابن الصلاح : (ولا يسأله وهو قائم ، أو مستوفز ، و على حالة ضجر ، أو هَمٍّ به ، أو غير ذلك مما يشغل القلب) (٣) .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٠٥.

(٢) المصدر السابق:ص١٦١.

(٣) ابن الصلاح: أدب المفتي والمستفتي،تحقيق موفق بن عبد الله بن عبد القادر،مكتب العلوم والحكم، المدينة المنورة،ط١، ١٤٠٧هـ ،ص١٦٩.

وعلى المتعلم أن لا يحمل الأستاذ فوق طاقته ، فإذا علم رغبته في الاقتصار ، أخذ بها ، يقول ابن جماعة : (وإذا رأى الشيخ قد آثر الوقوف ، اقتصر حيث أمره ، ولا يستزيده ، وإذا عين له قدراً فلا يتعداه ، ولا يقول طالب لغيره اقتصر ، إلا بإذن الشيخ ، وظهور إيثاره ذلك) (١) ، ويؤكد أبو هلال على هذا المعنى بقوله : (ولا يلح عليه إذا كَلّ) (٢) .

٢- الصبر على خُلُق الأستاذ ، وتحمل جفوته :

ويرتبط بمراعاة حالة الأستاذ النفسية صبر المتعلم على خلق الأستاذ ، وتحمل جفوته ، ويلتمس له العذر ، ويتأول لتصرفاته أحسن التأويل ، بحيث لا تصده هذه الجفوة عن تقبل ما يلقيه عليه من علم ، وإلا كان الجهل مصيره ، يقول ابن جماعة : (أن يصبر على جفوة تصدر من شيخه ، أو سوء الخلق ، ولا يصده ذلك عن ملازمته ، وحسن عقيدته ، ويتأول أفعاله التي يظهر أن الصواب خلافها على أحسن تأويل ، ويبدأ هو عند جفوة الشيخ بالاعتذار والتوبة مما وقع والاستغفار ، وينسب الموجب إليه، ويجعل العتب عليه ، فإن ذلك أبقي لمودة شيخه ، وأحفظ لقلبه ، وأنفع للطالب في دنياه و آخرته) (٣) .

ومن لم يصبر على الأستاذ خسر وضل سعيه في طلبه العلم ، وبقي في جهل يقول الأصمعي : (من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقى في ذلك الجهل أبدا) (٤) ، وعن بعض السلف : (من لم يصبر على ذل التعليم بقي عمره في عماية الجهالة ، ومن صبر عليه آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة) (٥) ، وقال معافي بن عمران : (مثل الذي يغضب

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٦١- ١٦٢.

(٢) أبو هلال العسكري:الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٨٤.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩١.

(٤) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤٥.

(٥) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩١.

على العالم مثل الذي يغضب على أساطين الجامع) [1] .

ولهذا ما من أحد نال العلم إلا بالصبر على أستاذه ، والتودد إليه والرفق به عن ابن جريج قال : (لم استخرج الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به) [2] ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (ذللت طالبا فعززت مطلوبا) [3] ، وقال سعيد بن جبير : (لقد كان ابن عباس – رضى الله عنهما – يحدثني بالحديث لو يأذن لي أن أقوم فأقبل رأسه لفعلت) [4] .

٣- الرفق بالأستاذ وتملقه* :

وتملق المتعلم ليس من التملق المكروه ، بل هو من التوقير ، وإظهار الحاجة الحقيقة للأستاذ ، وما عنده من العلم ، يقول الزرنوجي : (والتملق مذموم إلا في طلب العلم فإنه ينبغي أن يتملق وشركائه ليستفيد منهم) [5] .

ولقد كان نهج كبار العلماء أثناء طلبهم الصبر على الأستاذ وتحمله ، والتملق إليه والرفق به ، يقول الشافعي : قيل لسفيان بن عيينة : (إن قوما يأتونك من أقطار الأرض وتغضب عليهم !! ، يوشك أن يذهبوا ، أو يتركوك ، فقال للقائل : هم حمقى إذا مثلك إن تركوا ما ينفعهم لسوء خلقي !!) [6] ، وقال أبو يوسف : (خمسة

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٩١.

(٢) المصدر السابق: ص١٠١.

(٣) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٩١.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، المصدر السابق، ج١، ص١٠٢.

(*) الملق: الود واللطف الشديد، وأصله اللين ، وقيل الملق شدة لطف الود ، وقيل : الترفق والمدارة، وفي الحديث " ليس من خلق المؤمن الملق " وهو بالتحريك الزيادة في التودد والدعاء والتضرع فوق ما ينبغي، ورجل ملق يعطي بلسانه ما ليس بقلبه، والملق أيضا الذي يعدك ويخلفك فلا يفي ويتزين بما ليس عنده . ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، ج١٣، ص١٨١.

(٥) الزرنوجي : تعليم المتعلم طريق التعلم، مصدر سابق، ص٥٣.

(٦) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٩١، ٩٢.

يجب على الإنسان مداراقم ، وعد منهم العالم ؛ ليقتبس من علمه) (١) ، ويقول السمعاني : (ويُدَارِي المملي ، ويَرْفُق به ويحتمله) (٢) ، وعن جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : (مدارة الناس صدقة) (٣) .

وقال الشافعي رحمة الله : (كان يختلف إلى الأعمش رجلان ، أحدهما كان الحديث من شأنه ، والآخر لم يكن الحديث من شأنه ، فغضب الأعمش يوماً على الذي من شأنه الحديث ، فقال الآخر لو غضب على كما غضب عليك لم أعد إليه ، فقال الأعمش : إذا هو أحمق مثلك !! ، يترك ما ينفعه لسوء خلقي) (٤) .

ومن مواعظ لقمان في الصبر أثناء الطلب ، بهدف الاستفادة ، يقول لابنه : (لا تجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك ، ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، لكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم ، ولمن هو دونك ، فإنما يلحق بالعلماء من صبر لهم ولزمهم ، واقتبس من علمهم في رفق) (٥) ، وبالصبر والتواضع ينال المتعلم النفع ، قال عبد الله ابن المعتز : (للتواضع في طلب العلم أكثرهم علماً ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء) (٦) .

٤- تنبيه الأستاذ لخطأ :

الأستاذ بطبيعته البشرية عرضة لأن يقع في خطأ غير مقصود ، فإذا علم المتعلم به فيحسن به أن يتلطف في الرد على أستاذه ، سالكاً في ذلك عدة طرق :

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٢.

(٢) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤٥.

(٣) المناوي: فيض القدير،مرجع سابق،ج٥، ص٥١٩.

(٤) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤٥.

(٥) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٠٦.

(٦) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ج١، ص١٤٤.

*** الطريقة الأولى :**

تنبيه الأستاذ إلى الخطأ ، وذلك بتكرار اللفظ الذي يسبقه ؛ ليراعيه الأستاذ عند الإعادة ، يقول ابن جماعة : (وإذا رد الشيخ عليه لفظه ، وظن أن رده خلاف الصواب ، أو علمه ، كرر اللفظة مع ما قبلها ؛ لينتبه لها الشيخ) [1] .

أما من تجاسر بالإنكار على الأستاذ فقلما يفلح ، فعن بعض السلف : (من قال لشيخه : لما ؟ لم يفلح) [2] ، ويقول ابن جماعة أيضا : (ولا يقول له : لما ؟ ولا نسلم ، ولا من نقل هذا ؟ ، ولا أين موضعه ؟) [3] .

*** الطريقة الثانية :**

إذا لم ينتبه الأستاذ ، وكرر الخطأ ، أتى المتعلم بالصواب على سبيل الاستفهام ، يقول ابن جماعة : (أو يأتي بلفظ الصواب على سبيل الاستفهام ، فربما وقع ذلك سهوا أو سبق لسان لغفلة ، ولا يقل : بل هي كذا ، بل يتلطف في تنبيه الشيخ لها ، فإن لم ينتبه قال : فهل يجوَز فيها كذا) [4] .

*** الطريقة الثالثة :**

في حالة إصرار الأستاذ على قوله فعلى المتعلم أن يؤجل مناقشتها للدرس المقبل ، وليتحقق هو منها ؛ لعل الصواب مع أستاذه ، يقول ابن جماعة : (فإن رجع الشيخ إلى الصواب فلا كلام ، وإلا ترك تحقيقها إلى مجلس آخر بتلطف ، لاحتمال أن يكون الصواب مع الشيخ) [5] .

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٢٤.

(٢) المصدر السابق:ص١٠١.

(٣) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٤) المصدر السابق:ص١٢٤.

(٥) المصدر السابق:ص١٢٥.

*الطريقة الرابعة :

إذا كان الخطأ في جواب مسألة لا تحتمل التأخير ، أو يترتب عليها أضرار ومفاسد ، تعين علي المتعلم أن يصارح أستاذه ، وإلا اعتبر خائناً له ، يقول ابن جماعة : (وكذلك إذا تحقق خطأ الشيخ في جواب مسألة لا يفوت تحقيقه ، ولا يعسر تداركه ، فإن كان كذلك كالكتابة في رقاع الاستفتاء ، وكون السائل غريباً ، أو بعيد الدار ، أو مُشَنِّعاً ، تعين تنبيه الشيخ على ذلك في الحال بإشارة أو تصريح ، فإن تَرْكَ ذلك خيانة للشيخ ، فيجب نصحه بتلفظ لذلك بما أمكن من تلطف أو غيره) (1)

م- الكتابة والعناية بالخط وتجويده :

كثيراً ما نسمع شكوى بعض المعلمين من رداءة خطوط بعض الطلاب ، وضعف كتاباتهم ، وعدم ضبطها ، وكثرة الأخطاء الإملائية والنحوية... إلخ ، مما يترتب عليه صعوبة معرفة المضمون ، أو تغير المعنى أحياناً ، بالإضافة إلى ما يسببه ذلك للأستاذ من ضيق وتبرم ، لذلك ينصح المتعلم بأن يتجنب الخط الرديء ، قال أبو القاسم الحسن بن عبد الله التنوخي : (لا تُرْضِ برداءة الخط ، فإن فعلت فأجد الحبور وقَوِّم السطور) (2) ، كما أن الطالب مطالب على الدوام بالمبالغة في (تحسين الخط وتجويده) (3) ، لأن "الخط الحسن يزيد الحق وضوحاً" (4) ، وهذا ما جعل السلف يبعثون بأولادهم إلى المكتب ليتعلموا الخط ، يقول ابن العربي : (وللقوم في التعليم سيرة بديعة ، وهي أن الصغير منهم إذا عقل بعثوه إلى المكتب فإذا عبر المكتب أخذه بتعليم الخط والحساب والعربية ، فإذا حذقه كله ، أو حذق ما قدر له خرج إلى المقرئ فلقنه كتاب الله) (5) .

---

(1) ابن جماعة: تذكر السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص١٢٥.

(2) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، مصدر سابق، ص١٦٦.

(3) المصدر السابق: ص١٦٥.

(4) المصدر السابق: ص ١٦٦.

(5) البشير الزريبي: الفكر التربوي عند العرب، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، ١٩٨٥م، ص١٦٦، نقلاً

وتحسين الخط ليس هدفاً ، وإنما الهدف صحة الكتابة ووضوحها ، وإمكانية قراءتها بسهولة ، يقول ابن حزم : (والحد الذي لا ينبغي أن يقتصر المعلم على أقل منه أن يكون الخط قائم الحروف ، بيناً صحيح التأليف الذي هو الهجاء ، فإن الخط إن لم يكن هكذا لم يقرأ إلا بتعب شديد ، وأما التزيد في حسن الخط فليس هو فضيلة) [1]، ويقول ابن جماعة : (ولا يهتم المشتغل بالمبالغة في تحسين الخط ، وإنما يهتم بصحيحه وتصحيحه) [2] .

هذا وأنسب الخطوط لتحقيق ذلك الهدف هو الخط الغليظ ، ولذا قيل : (ويستحب أن يكتب خطاً غليظاً ويجتنب الدقيق منه) [3] ، ولعل التحذير من الخط الدقيق لما سببه من إيذاء وألم للعينين ؛ بسبب التحديق أثناء قراءته .

ويقول ابن جماعة : (ينبغي أن يجتب الكتابة الدقيقة في النسخ ، فإن الخط علامة ، فأبينه أحسنه ، وكان بعض السلف إذا رأى خطاً دقيقاً ، قال : هذا خط من لا يوقن بالخلف من الله تعالى ، وقال بعضهم : أكتب ما ينفعك وقت حاجتك إليه ، ولا تكتب ما لا تنتفع به وقت الحاجة ، والمراد وقت الكبر وضعف البصر) [4] .

وقد استثنى من ذلك ــ الكتابة بالخط الدقيق ــ ما كان للضرورة لفقر أو رغبة فى تخفيف حمل .. إلخ ، يقول ابن جماعة : (وقد يقصد بعض السفارة بالكتابة الدقيقة خفة المحمل) [5] ، ويقول السمعاني : (ولا ينبغي للطالب أن يكتب خطاً دقيقاً إلا في

=

عن أحكام القرآن ،لأبي بكر بن العربي.

(١) المرجع السابق:ص١٣٥-١٣٦،نقلاً عن ابن حزم ،رسالة مراتب العلوم.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٦٧.

(٣) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مرجع سابق، ص١٦٦.

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٧٧.

(٥) المصدر السابق:ص١٧٨.

حال العذر ، مثل أن يكون فقيراً لا يجد من الكاغذ يبيعه ، أو يكون مسافراً ؛ فيـدق خطه ليخف حمل كتابه عليه) [1] .

و لم تقتصر عناية السلف بجودة الخط ، بل تعدى ذلك لوضع قواعـد تنظيميـة للكتابة من حيث الشكل والمضمون من أبرزها :

- الابتداء بالبسملة في سطر خاص بها :

يقول السمعاني : (فأول ما يكتب الطـالب في الإمـلاء "بسـم الله الرحمـن الرحيم") [2] ، ويقول ابن جماعة : (ويبتدئ كل كتاب بكتابة "بسـم الله الرحمـن الرحيم") [3] .

- حمد الله تعالى والصلاة على النبيﷺ :

إذا كان الكتاب مبدوءاً بخطبة ، فإن لم يكن ، كتب ما جـرت بـه العـادة بذكرها ، وبيانات عن المملي أو المرجع الذي يستقى منه المعلومات ، يقول ابن جماعة : (فإن كان الكتاب مبدوءاً فيه بخطبة تتضمن حمد الله تعالى والصلاة على رسـوله -ﷺ- كتبها بعد البسملة ، وإلا كتب هو ذلك بعدها) [4] ، ويقول السـمعاني : (ثم يكتب بعد التسمية في السطر اسم الشيخ الذي يسمع منه الإملاء و يكتب عنه وكنيته ونسبته، ثم يتبع لفظ المملي ، ويكتب ما يمليه) [5] .

- إبراز الأبواب والفصول والفقرات :

لقد أدرك المفكرون المسلمون قيمة إبراز الأبواب والفصول ، وتمييز الفقـرات

---

(١) السمعاني : أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،١٦٨.

(٢) المصدر السابق:ص١٦٩.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٧٣.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٧١.

وفصلها عن بعضها ، في تيسير استخراج المقصود من المادة المكتوبة ، يقول ابن جماعة : (لا بأس بكتابة الأبواب والتراجم والفصول بالحمرة ؛ فإنه أظهر في البيان وفي فواصل الكلام ، وكذلك لا بأس به على أسماء ومذاهب ، أو أقوال ، أو طرق ، أو أنواع ، أو لغات ، أو أعداد ونحو ذلك ، ومتى فعل ذلك بين اصطلاحه في فاتحة الكتاب ؛ ليفهم الخصائص في معانيها... فإن لم يكن ما ذكرناه من الأبواب والفصول والتراجم بالحمرة أتى بما يميزه عن غيره ، من تغليظ القلم ، وطول المشق واتخاده في السطر ونحو ذلك ليسهل الوقوف عليه عند قصده ، وينبغي أن يفصل بين كلامين بدائرة ، أو ترجمة ، أو قلم غليظ ، ولا يوصل الكتابة كلها على طريق واحدة لما فيه من عسر استخراج المقصود) [1] .

ويقول السمعاني في ذلك : (وإذا فرغ من كتابة الحديث يجعل بينه وبين حديث آخر دارة يفصل بينهما ، ويميز أحدهما من الآخر) [2] .

– الاهتمام بالقواعد الإملائية والنحوية :

وقد مر بنا أن من الأخطاء الإملائية والنحوية ما يفسد المعنى ، ويحول دون فهم النص... الخ ، يقول السمعاني : (والأحسن أن يكتب لفظ المملي ، وإلى أن يذكر المستملي يقيد الأسماء والحروف بالشكل والإعجام ؛ حذرا من التصحيف والإبهام ، فلا يؤمن على من لا يتمهر في صنعة الحديث تصحيف بسر وبشر مثلا ، وعباس وعياش وعبيد وعبيدة ، وتحريفه إلى أن ينقط ويشكل فيؤمن من دخول الوهم ، وينسلم من ذلك حاملها وراويها) [3] ، وعن محمد بن عبيد بن أوس الغساني كاتب معاوية ، قال : حدثني أبي ، قال : (كتبت بين يدي معاوية كتابا ، فقال لي : يا عبيد أرقش كتابك فإني كتبت بين يدي رسول الله ﷺ كتابا رقشته ، قال : قلت : وما

---

(١) ابن جماعة: تذكر السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٩١-١٩٢.

(٢) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٧٣.

(٣) المصدر السابق:ص١٧١.

رقشه يا أمير المؤمنين قال : أعط كل حرف ما تنويه من النقط) [1] .

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله النجيرمي : (أولى الأشياء بالضبط أسماء الناس ؛ لأنه شئ لا يدخله القياس ، ولا قبله شئ يدل عليه ، ولا بعده شيء يدل عليه) [2] .

– مراجعة الكتابة وضبطها وتدقيقها :

قال عبد الرزاق : (لو عورض الكتاب مائة مرة ، ما كاد يسلم من أن يكون فيه سقط أو قال خطأ) [3] ، ويقول السمعاني : (وإذا فرغوا من الكتابة يقرأ المستملي الإملاء والطلبة يعارضون كتابهم) [4] ، وعن هشام بن عروة : (أن أباه قال له : كتبت ؟ قال : نعم قال : عارضت ؟ قال : لا ، قال : لم تكتب) [5] ، ويقول ابن جماعة : (إذا صحح الكتاب بالمقابلة على أصله الصحيح أو على شيخ ، فينبغي له أن يشكل المشكل ، ويعجم المستعجم ، ويضبط الملتبس ، ويتفقد مواضع الصحيح) [6] .

– آداب أثناء الكتابة :

على المتعلم أن يعظم اسم الله عز وجل ، فكلما (كتب اسم الله تعالى أتبعه بالتعظيم ، مثل تعالى ، أو سبحانه ، أو عز وجل ، أو تقديس أو نحو ذلك) [7] ، أما الرسول ﷺ فكلما (كتب اسم النبي ﷺ كتب بعده الصلاة عليه والسلام عليه ،

---

(١) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٧٢.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٧٨.

(٤) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٧٤.

(٥) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله ،مصدر سابق،،ص١٧٤.

(٦) ابن جماعة :تذكر السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٨٠،١٨١.

(٧) المصدر السابق:ص١٧٥.

ويصلي هو عليه بلسانه ... موافقة لأمر الله في الكتاب العزيز في قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ (1) ، ولا تختصر الصلاة في الكتاب لو وقعت في السطر مرارا ، كما يفعل بعض المحررين والمتخلفين ، فيكتب صلع أو صلم ، أو صلعم ، وكل ذلك غير لائق بحقه ﷺ) (2) .

وصحابة رسول الله ﷺ هم خير الناس من بعده فإذا مر المتعلم (بذكر الصحابي لا سيما الأكابر منهم كتب رضى الله عنه ، ولا يكتب الصلاة والسلام لأحد غير الأنبياء والملائكة إلا تبعا لهم) (3) ، أما السلف الأعلام فكلما (مر بذكر أحد من السلف فعل ذلك – يقصد الترضي عنهم- ، أو كتب رحمه الله ، ولا سيما الأئمة الأعلام وهداة الإسلام) (4) .

ثالثا : آداب زيارة المتعلم لأستاذه :

اهتم المفكرون المسلمون اهتماما خاصا بنوع العلاقة بين المتعلم وأستاذه ، وناقشوا كل ما يمكن أن يضعف تلك العلاقة من أسباب ، متناولين كل ما يجعلها أكثر قوة ، بحيث تنشأ "العلاقة العلمية" الصحيحة بين المتعلم وأستاذه ، والتي تيسر حسن استفادة الطالب من أستاذه إلى أقصى درجة ممكنة .

ومن ذلك أن العلاقة بين المتعلم وأستاذه ، عادة ما تفتر ، بسبب جهل المتعلم للقواعد المتبعة لزيارة الأستاذ ، وبالتالي يخسر المتعلم أستاذه ، وتقل استفادته منه ، يقول الزرنوجى : (فمن تأذى منه أستاذه ، يحرم بركة العلم ، ولا ينتفع بالعلم إلا قليلا) (5) .

---

(1) سورة الأحزاب:آية ٥٦.

(2) ابن جماعة :تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٧٦.

(3) المصدر السابق:ص ١٧٧.

(4) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(5) الزرنوجى:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٥٠.

ومن أهم آداب زيارة المتعلم لأستاذه ما يلي :

أ- مراعاة نظافة الثوب والبدن :

من المتفق عليه أن النفس تأنس إلى الروائح الزكية ، وتنقبض من الروائح الكريهة ، فالإنسان يحب النظافة ، ويكره القذارة ، فعلى المتعلم أن يوطن نفسه بأن يكون طيباً في رائحته ، حسناً في مظهره ، وينصح ابن جماعة المتعلم بذلك ، ويرى ضرورة (أن يدخل على الشيخ كامل الهيئة ، متطهر البدن والثياب ، نظيفهما ، بعدما يحتاج إليه من أخذ ظفر ، وشعر ، وقطع رائحة كريهة ، لاسيما إن كان يقصد مجلس العلم ، فإنه مجلس ذكر واجتماع في عبادة) (1) ، وفي هذا يقول العلموي أيضاً : (وإذا دخل على الشيخ فليدخل كامل الهيئة... متطهراً نظيفاً متسوكاً ، مزيلاً روائحه كريهة) (2) .

كما يجب عليه أيضاً (أن يتأدب في حضور الدرس ، بأن يحضره على أحسن الهيئات وأكمل الطهارات ، وكان الشيخ أبو عمر يقطع من يحضر من الفقهاء الدرس مخففاً بغير عمامة أو مفكك أزرار الفرجية) (3) .

ب - حسن اختيار المتعلم لوقت الزيارة :

ولا شك أن هذا أدب رفيع ، يحسن أن يلتفت إليه الطلاب عند ذهابهم إلى أماكن العلم لمجالسة الأساتذة وزملاء الدراسة ، كذلك على المتعلم إذا قصد الأستاذ في منزله لمسألة علمية أن (يراعي الوقت ، ولا يدق الباب ، بل يصبر حتى يخرج) (4) . ويقول طاش كبرى زاده أيضاً : (ومن احترام المعلم وإجلاله أن لا يقرع عليه باب

---

(1) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٥.

(2) العلموي:المعيد في أدب المفيد والمستفيد،مصدر سابق،ص ١٣٦.

(3) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣٥.

(4) الزرنوجى:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٤٧.

داره ، بل ينتظر خروجه) [1] قال تعالى : ﴿ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم﴾ [2] ، وقد ورد في تفسير ابن عباس لهذه الآية وما قبلها أن السبب في نزول الآيتين : (أن جماعة دخلوا المدينة عند القيلولة فنادوا النبي ﷺ : يا محمد أخرج إلينا – وكان نائماً – فذمهم الله بذلك الفعل لكونهم لم يفهموا أمر الله وتوحيده ولا حرمة رسول الله ، وكان الأجدر بهم أن ينتظروا حتى خروج الرسول ﷺ إلى الصلاة لينظر في مطلبهم) [3] .

ومن آداب الطالب أنه إذا علم أن الأستاذ نائم فعليه أن ينتظر أمام الباب أو ينصرف ، يقول ابن جماعة : (ولا يطرق عليه ليخرج إليه ، وإن كان نائماً صبر حتى يستيقظ أو ينصرف ، ثم يعود ، والصبر خير له ، فقد روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما– كان يجلس في طلب العلم على باب زيد بن ثابت رضي الله عنه حتى يستيقظ ، فيقال له : ألا نوقظه لك ؟ فيقول : لا ، وربما طال مقامه وقرعته الشمس وكذلك السلف يفعلون) [4] ، وقيل : (لا تأتي الشيخ في الشتاء بالغداة ، ولكن إذا انبسطت الشمس ، فلو كان الشيخ في جحر لخرج إليهم) [5] .

ج– طرق الباب بلطف ، والاستئذان قبل الدخول :

أما إذا قصد المتعلم أستاذه في مكتبه : فعليه أن يطرق الباب طرقاً خفيفاً ، فإن لم يؤذن له عاد ، يقول ابن جماعة : (أن لا يدخل على الشيخ – المتعلمُ – في غير المجالس العامة إلا باستئذان ، سواء كان الشيخ وحده أو كان معه غيره ، فإن استأذن بحيث يعلم الشيخ ، و لم يأذن له انصرف ، ولا يكرر الاستئذان ، وإن شك في علم الشيخ به فلا يزيد في الاستئذان فوق ثلاث مرات ، أو ثلاث طرقات بالباب أو

---

(١) طاش كبرى زادة :مفتاح السعادة،مصدر سابق،ج١،ص٢٥.

(٢) سورة الحجرات:آية٥.

(٣) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس،دار الكتب العلمية،بيروت،(د.ط)،(د،ت)،ص٤٣٥.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٦.

(٥) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١١٣.

الحلقة ، وليكن طرق الباب خفيفاً بأدب ؛ بأظفار الأصابع ، ثم الأصابع ، ثم الحلقة قليلاً قليلاً ، فإن كان الموضع بعيداً عن الباب والحلقة فلا بأس يرفع ذلك بقدر ما يسمع لا غير) [1] .

د- خلع النعل قبل الدخول :

أما إذا أذن للمتعلم بالدخول ، فلا يدخل بنعليه ، أو بكل ما يسبب مفسدة ، يقول السمعاني موصياً المتعلم عند الدخول على الأستاذ : (فإن كان عليه نعلان فليخلعهما قبل دخوله عليه) [2] .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : (**بينما نحن جلوس عن رسول الله ﷺ قال: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة ، فاطلع رجل من الأنصار ، ينظف رأسه من وضوئه ، معلق نعليه في يده الشمال ...**) الحديث [3] ، وقال عقبة : (دعوت أبا هريرة رضي الله عنه إلى منزلي ، وفى منزلي مبسوط فلم يجلس عليه حتى خلع نعله) [4] .

هـ- تنظيم عملية الدخول على الأستاذ :

ويستحب تنظيم عملية الدخول على الأستاذ إذا (كانوا جماعة يقدم أفضلهم ، وأسنهم بالدخول ، والسلام عليه ، ثم يسلم عليه الأفضل فالأفضل) [5] .

و- مراعاة حال الأستاذ وظروفه :

وينبغي للمتعلم أن يقدر حالة الأستاذ و ظروفه ، فإذا دخل عليه ووجد معه غيره ، أو وجده يكتب أو يطالع ، فلا يثقل عليه ، يقول ابن جماعة : (ومتى دخل

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٣-٩٤.

(٢) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٢٢.

(٣) المصدر السابق:مصدر سابق،نفس الصفحة.والحديث صحيح،رواه الإمام أحمد.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) ابن جماعة :تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص ٩٤.

على الشيخ في غير المجلس العام ، وعنده من يتحدث معه فسكتوا عن الحديث ، أو دخل والشيخ وحده يصلى أو يذكر أو يكتب أو يطالع فترك ذلك أو سكت و لم يبدأه بكلام أو بسط حديث ، فليسلم ، وليخرج سريعاً ، إلا أن يحثه الشيخ على المكث ، وإذا مكث فلا يطيل إلا أن يأمره بذلك) (١) .

وتعكس تلك الآداب حرص المفكرين المسلمين على تنظيم العلاقة بين المتعلم والأستاذ بحيث يراعى المتعلم الوقت المناسب للزيارة العلمية ، والظروف النفسية المناسبة للأستاذ ، وفي ذلك احترام للعلماء من ناحية ، وتمكين للمتعلمين من حسن الاستفادة بعلم العلماء في ظروف مناسبة ، بحيث ينالون منهم أقصى استفادة علمية ممكنة .

رابعاً : آداب عامة :

بجوار الآداب السابقة ، التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم في سلوكه مع أستاذه أثناء حضوره لدروس أستاذه ، وعند زيارته في منزله ، أو مكتبه ، هناك آداب أخرى يحسن بالمتعلم أن يلتزم بها مع أساتذته في مجال الحياة العامة ، ومن أهم تلك الآداب :

١-آداب المتعلم مع أستاذه في الطريق :

– المبادرة بإلقاء السلام ، وتقديم العون للأستاذ :

لا تقتصر العلاقة بين المتعلم وأستاذه داخل المؤسسة التعليمية ، بل تمتد إلى الحياة العامة ، فإذا صادف المتعلم أستاذه في الطريق فليبادره السلام ، وليعمل جهده على خدمته ومساعدته ، وليزم نفسه الآداب الحميدة في تعامله معه ، يقول ابن جماعة : (إذا صادف الشيخ في طريقه بدأه بالسلام ، ويقصده إن كان بعيداً ، ولا يناديه ولا يسلم عليه من بعيد ولا من ورائه ، بل يقرب منه ويتقدم عليه ثم يسلم) (٢) .

ويلزم

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٥-٩٦.

(٢) المصدر السابق:ص١١١-١١٢.

- حماية الأستاذ من الضرر والأذى :

والأستاذ أحق بالحماية من الأضرار والمفاسد ، فعلى المتعلم (إذا مشى مع الشيخ فليكن أمامه بالليل ، وخلفه بالنهار إلا أن يقتضي الحال خلاف ذلك ، لزحمة أو غيرها ، ويتقدم عليه في المواطئ بجهولة الحال كوحل أو حوض أو المواطئ الخطرة ، ويحترز من ترشيش ثياب الشيخ ، وإذا كان في زحمة صانه عنها بيديه إما من قدامه أو من ورائه) [1] ، وقد عد الزرنوجي ذلك السلوك من توقير الأستاذ حيث قال : (ومن توقير المعلم ألا يمشي أمامه) [2] .

- مؤانسة الأستاذ أثناء السير :

ومن الأدب أن يحرص المتعلم على مؤانسة أستاذه في الطريق أثناء السير فيما لا قبح فيه من الكلام ، يقول ابن جماعة : (وإذا مشى أمامه التفت إليه بعد كل قليل ، فإن كان وحده والشيخ يكلمه حالة المشي وهما في ظل فليكن في يمينه ، وقيل عن يساره متقدماً عليه قليلاً ملتفتاً إليه ، ويعرف الشيخ بمن قرب منه أو قصده من الأعيان إن لم يعلم الشيخ به) [3] .

- عدم السير بين الأستاذ ومرافقه :

وإن كان مع الأستاذ مرافق يتحدث معه ، فعلى المتعلم أن يتأخر عنهما لئلا يستمع لحديثهما إلا أن يدخلاه ، يقول ابن جماعة : (ولا يمشي بين الشيخ وبين من يحدثه ، ويتأخر عنهما إذا تحدثا أو يتقدم ، ولا يقرب ولا يستمع ولا يلتفت ، فإن أدخله في الحديث فليأت من جانب آخر ، ولا يشق بينهما ، وإذا مشى مع الشيخ اثنان فاكتنفاه ، فقد رَجَّحَ بعضهم أن يكون أكبرهما عن يمينه ، وإن لم يكتنفاه تقدم

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص١١٠.

(٢) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، مصدر سابق، ص٤٧.

(٣) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص١١٠.

أكبرهما وتأخر أصغرهما) (1) .

- عدم مزاحمة الأستاذ أو مضايقته :

ومن تمام أدب المتعلم مع أستاذه في الطريق أن يؤثره بما فيه النفع ، فلا يزاحمه ولا يضايقه ، يقول ابن جماعة : (ولا يمشي لجانب الشيخ إلا لحاجة أو إشارة منه ، ويحترز من مزاحمته بكتفه ، أو بركابه إن كانا راكبين ، أو ملاصقة ثيابه ، ويؤثره بجهة الظل في الصيف وبجهة الشمس في الشتاء ، وبجهة الجدار في الرصافات *ونحوها وبالجهة التي لا تقرع الشمس فيها وجهه إذا التفت إليه) (2) .

3- آداب تعامل المتعلم مع أستاذه في المجالس العامة :

ينبغي للمتعلم أن يحرص على مجالسة أساتذته في حياتهم العامة ، ليقتدي بهم ، وليأخذ عنهم فضائل الأخلاق ، عن أبي جحيفة ، قال : (جَالِسْ الكبراءَ ، وخالِلْ العلماءَ وخالِطْ الحكماءَ) (3) ، وقال عيسى عليه السلام : (جالسوا من يذكركم بالله رؤيته ، ومن يزيد في علمكم منطقه ، ومن يرغبكم في الآخرة عمله) (4) ، ويقول الغزالي : (فاعلم أنه ينبغي للسالك شيخ مرشد مرب ليخرج الأخلاق السيئة منه بتربيته ، ويجعل مكانها خلقاً حسناً ، ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته ويكمل ريعه ، ولا بد للسالك من شيخ يربيه ويرشده إلى سبيل الله تعالى) (5) ، وعن أبي حنيفة رحمه الله تعالى قال : (الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحب إلى من كثير من الفقه ، لأنها آداب القوم

---

(1) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص111.

(*) الرصافات:هي الحجارة التي يرصف بعضها إلى بعض في سبيل فيجتمع فيها ماء المطر ، ابن منظور:لسان العرب،مرجع سابق،ص227.

(2) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص110-111.

(3) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج1،ص126.

(4) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(5) الغزالي:أيها الولد،مصدر سابق،ص 128.

وأخلاقهم) [1] ، وعن إبراهيم قال : (كنا نأتي مسروقاً فنتعلم من هديه ودله) [2] .

ولأهمية مجالسة العلماء وأثرها على المتعلم فعليه أن يتحلى بالآداب التالية :

أ- إفشاء السلام :

إذا دخل المتعلم المجلس فيه جماعة ومن بينهم أستاذه فعليه أن يعمهم بالسلام ، يقول السمعاني : (إذا دخل الطالب على المملي فوجد عنده جماعة فيستحب أن يعمهم بالسلام) [3] ، وعن علقمة قال : (لقي ابن مسعود أعرابي ونحن معه قال السلام عليكم يا أبا عبد الرحمن ، فضحك ، فقال : صدق رسول الله ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(لا تقوم الساعة حتى يكون السلام على المعرفة)** وإن هذا عرفني من بينكم فسلم علي **(وحتى يُتخذ المساجد طرقاً)**) [4] .

وعن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان : الإنفاق من الإقتار ، وإنصاف الناس من نفسه ، وبذل السلام للعالم) [5] ، وعن ميمون بن مهران : (أن رجلاً سلم على أبي بكر رضى الله عنه فقال : السلام عليكم يا خليفة رسول الله ، قال : من بين هؤلاء أجمعين؟!) [6] .

ب- تخصيص الأستاذ بمزيد من التحية :

وللمتعلم بعد أن يعم الحاضرين بالسلام أن يخص الأستاذ بمزيد من التحية لفضله ، يقول أبو هلال : (فقالوا من أدب الداخل على العالم أن يسلم على أصحابه

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٢٧.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٢١.

(٤) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٢١.والحديث جزء من حديث، رواه في أحمد،في مسنده.

(٥) المصدر السابق:ص١٢١

(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة.

عامة ، ويخصه بالتحية) [1] ، وعن علي -رضي الله عنه- قال : (من حق العالم عليك أن تسلم على القوم عامة وتخصه بالتحية) [2] .

ج- التوسعة للأستاذ في المجلس عند دخوله :

وأما إذا كان المتعلم في المجلس ، ثم دخل الأستاذ فينبغي أن يوسع له ، يقول السمعاني : (وإن كان المجلس خاصاً ودخل عليهم المملي أوسعوا له) [3] ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**ولا يوسع المجالس إلا لثلاث : لذي سن لسنه ، ولذي علم لعلمه ، ولذي سلطان لسلطانه**) [4] ، وعن كعب الأحبار ، قال : (ثلاث نجد في الكتاب يحق علينا أن نكرمهم وأن نشرفهم ، وأن نوسع عليهم في المجالس : ذو السن ، وذو السلطان لسطانه ، وحامل الكتاب) [5] .

د- حسن مخاطبة المتعلم لأستاذه :

و ينبغي للمتعلم إذا رغب في مخاطبة أستاذه ألا يناديه باسمه ، بل يُكَنِّيه ، يقول السمعاني : (ويكنيه في خطابه ولا يسميه) [6] ، وعن صهيب بن سفيان رضى الله عنه : (أن رسول الله ﷺ قال له : **"يا أبا يحيى"** ، وعن سفيان الثوري في قوله عز وجل : **﴿فقولا له قولاً ليناً﴾** ، قال : كنياه أبا مرة) [7] .

هـ- استخدام الألفاظ الدالة على فضل ومكانة الأستاذ :

و ينبغي للمتعلم أن يستخدم في مخاطبة الأستاذ الألفاظ الدالة على مكانته ،و

---

(١) أبو هلال العسكرى:الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه،مصدر سابق،ص٨٤.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٠٠.

(٣) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٣٨ .

(٤) المصدر السابق:ص١٣٩.

(٥) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،مصدر سابق،ص٤٢١.

(٦) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٣٧.

(٧) المصدر السابق:نفس الصفحة.

فضله وعلو قدره ، (يقول : أيها المعلم ، أو أيها الحافظ ونحـــو ذلـــك) [1] ، (وإذا خاطب الطالب المملي أو راجعه في شئ عظمه في خطابه ، مثل أن يقول له : أيــــها الأستاذ ، أو أيها المعلم ، أو أيها الحافظ ونحو ذلك) [2] .

و- عدم مخاطبة الأستاذ من بُعد ، أو بما لا يليق من القول :

وعلى المتعلم أن يحذر من مخاطبة أستاذه من بُعْد ، (وينبغي أن لا يخاطب شـيخه بتاء الخطاب وكافه ، ولا يناديه من بعيد ، بل يقول : يا سيدي ويا أستاذي) [3] .

وليحذر أيضاً من مخاطبته بما لا يليق من الخطاب ، يقول ابن جماعة : (وليتحفظ من مخاطبة الشيخ بما يعتاده بعض الناس في كلامه ، ولا يليق خطابه به ، مثل إيـــش بك ؟ ، وفهمتَ ، وسمعتَ ، وتدري ، ويا إنسان ، ونحو ذلك ، وكذلك لا يحكي له ما خوطب به غيره مما لا يليق خطاب الشيخ به ، وإن كان حاكياً ، مثل قال فـــلان لفلان أنت قليل البر ، أو ما عندك خير ، وشبه ذلك ، بل يقول إذا أراد الحكاية مـــا جرت العادة بالكناية ، مثل: قال فلان لفلان الأبعد قليل البر ، وما عند البعيد خـــير وشبه ذلك) [4] .

ز- عدم قطع المتعلم حديثَ أستاذه ، أو مسابقته في الكلام :

ينبغي للمتعلم عند محادثة الأستاذ ألا يقطع عليه كلامــــه ، ولا يســـابق ، ولا ينشغل عنه بالآخرين ، (وينبغي أن لا يقطع على الشيخ كلامه ، أي كلام كان ، ولا يسابقه فيه ، ولا يساوقه ، بل يصبر حتى يفرغ الشيخ من كلامه ، ثم يتكلــــم ، ولا يتحدث مع غيره والشيخ يتحدث معه ، أو مع جماعة المجلس) [5] .

---

(١) الخطيب البغدادي:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،مصدر سابق،ج١،ص١٨٣.

(٢) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٣٦.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٨٩.

(٤) المصدر السابق:ص١٠٢.

(٥) المصدر السابق:ص ١٠٧.

ح-الاحتراز من أن يتضمن كلامه ما فيه إساءة أو بذاءة :

وليحترز المتعلم من أن يتضمن حديثه ما فيه إساءة أو بذاءة يقول ابن جماعة : (ولا يكثر كلامه من غير حاجة ، ولا يحكي ما يضحك منه ، أو ما فيه بذاءة أو يتضمن سوء مخاطبة ، أو سوء أدب ، ولا يضحك لغير عجب ، ولا يعجب دون الشيخ ، فإن غلبه تبسم بغير صوت ألبتة) [1] .

ط- عدم الرد على الأستاذ فجأة :

وليتحفظ أيضاً من مفاجأة الأستاذ بالرد عليه أثناء المحادثة ، يقول ابن جماعة : (وليتحفظ من مفاجأة الشيخ بصورة رد عليه ، فإنه يقع ممن لا يحسن الأدب من الناس كثيراً) [2] .

٣- تعظيم المتعلم أستاذه وتوقيره :

لا بد للمتعلم من تعظيم أستاذه وتوقيره ، لينتفع بما يتعلم ، يقول الزرنوجي : (أعلم بأن طالب العلم لا ينال العلم ، ولا ينتفع به ، إلا بتعظيم العلم وأهله ، وتعظيم الأستاذ وتوقيره) [3] ، وعن أبان بن طاووس عن أبيه قال : (إن من السنة أن توقر العالم) [4] .

- الاعتراف بحق الأستاذ وفضله :

ومن تعظيم الأستاذ الاعتراف بحقه ، قال علي -رضي الله عنه- : (أنا عبد من علمني حرفاً واحداً ، إن شاء باع ، وإن شاء استرق ، وإن شاء أعتق) [5] ، ومن

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩٨.

(٢) المصدر السابق:ص١٠٧.

(٣) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٤٦.

(٤) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق،ج١،ص١١٣.

(٥) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٤٧.

تعظيم حرمة الأستاذ (أن يعرف له حقه ، ولا ينسى له فضله ، قال شعبة : كنت إذا سمعت من الرجل الحديث كنت له عبداً ما يحيا ، وقال : ما سمعت من أحد شيئاً إلا واختلفت إليه أكثر مما سمعت منه) (١) .

- شكر الأستاذ :

ومن الاعتراف بحق الأستاذ أن يشكر له صنيعه ، وما قدمه إليه من نصح أو توجيه ، يقول ابن جماعة : (أن يشكر الشيخ على توفيقه على ما فيه من فضيلة ، وعلى توبيخه على ما فيه من نقيصة ، أو على كسل يعتريه ، أو قصور يعانيه ، أو غير ذلك مما في إيقافه عليه ، وتوبيخه وإرشاده وصلاحه ، ويَعُدُّ ذلك من الشيخ من نعم الله تعالى عليه ، باعتناء الشيخ به ، ونظره إليه ، فإن ذلك أميل إلى قلب الشيخ ، وأبعث على الاعتناء بمصالحه) (٢) .

- التواضع للأستاذ :

ومن تعظيم الأستاذ التواضع له أنشد البحتري :

تواضع إذا ما طلبت العلم تكن أكثر الناس علماً ونفعاً

وكل مكان أشد انخفاضاً يرى أكثر الأرض ماء ومرعى (٣)

- تبجيل الأستاذ :

ومن تعظيم الأستاذ أيضاً تبجيله ، يقول السمعاني : (ويبالغ في تعظيم المملي وتبجيله) (٤) ، ويقول أبو الحسن المدايني : (خطب زياد ذات يوم على منبر الكوفة ، فقال : أيها الناس إني بت ليلتي هذه مهتماً بخلال ثلاث ، رأيت أن أتقدم إليكم فيهن بالنصيحة ، رأيت إعظام ذوي الشرف ، وإجلال ذوي العلم ، وتوقير ذوي الأسنان ،

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٩٠.
(٢) المصدر السابق: ص٩٢، ٩٣.
(٣) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، مصدر سابق، ص١٤٤.
(٤) المصدر السابق: ص١٣٤.

والله لا أوتى برجل رد على ذي علم ليضع بذلك منه ، إلا عاقبته ، ولا أوتى برجل رد على ذي شرف ليضع بذلك منه شرفه ، إلا عاقبته ، ولا أوتى برجل رد على ذي شيبة ليضعه بذلك ، إلا عاقبته ، إنما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوي أسنانهم) (١) ، وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال : (بجلوا المشائخ ، فإن تبجيل المشائخ من إجلال الله عز وجل) (٢) .

٤- خدمة المتعلم لأستاذه في حياته العامة وكافة أموره :

يقول علي رضي الله عنه : (وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته) (٣) ،

ويقول ابن جماعة : (وإذا قام الشيخ بادر القوم إلى أخذ السجادة ، وإلى الأخذ بيده أو عضده إن احتاج ، وإلى تقديم نعله ، إن لم يشق ذلك على الشيخ ، ويقصد بذلك كله التقرب إلى الله تعالى وإلى قلب الشيخ ، وقيل أربعة لا يأنف الشريف منهن وأن كان أميراً : قيامه من مجلسه لأبيه ، وخدمته للعالم يتعلم منه ، والسؤال عن ما لا يعلم ، وخدمته للضيف) (٤) .

وعلى المتعلم أثناء خدمته الأستاذ أن يلزم نفسه بأدب المناولة ، يقول ابن جماعة: (وإذا ناوله الشيخ شيئاً تناوله باليمين ، وإن ناوله شيئاً ناوله باليمن) (٥) .

٥-ترك غيبة الأستاذ :

قال تعالى : ﴿ يأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٥٣.

(٢) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٣٦.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٢٩.

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٠٩.

(٥) المصدر السابق:ص١٠٨.

واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (1) .

والغيبة : (ذكر السوء في الغيبة ، سئل رسول الله ﷺ عن الغيبة ، فقال : (أن تذكر أخاك بما يكره ، فإن كان فيه فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته) . وعن ابن عباس رضى الله عنهما : الغيبة إدام كلاب الناس ، أيحب أحدكم تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه...) (2) .

ولقبح الغيبة وخطورتها على المتعلم ، فقد وردت التوجيهات بالانتهاء عنها نحو الأفراد جميعاً ، ونحو العلماء خصوصاً ، عن الإمام أحمد قال : (لحوم العلماء مسمومة من شمها مرض ، ومن أكلها مات) (3) ، وقال الحافظ بن عساكر : (اعلم أن لحوم العلماء مسمومة ، وعادة الله في هتك أستار منتقصهم معلومة ، وأي من أطلق لسانه في العلماء بالثلب بلاه الله قبل موته بموت القلب) (4) .

الخلاصة :

مما سبق يتضح كيف اهتم الفكر الإسلامي بحسن اختيار المعلم كما اهتم بوضع العديد من الآداب والسلوكيات التي ينبغي أن يلتزم بها المتعلم في علاقته مع أستاذه ، سواء كانت تلك العلاقة داخل حلقات العلم أو خارجها أو في الحياة اليومية بصفة عامة . وهي آداب تعكس احترام العلم والعلماء من ناحية ، كما أنها توفر الجو النفسي والعلمي الملائم الذي يتيح للطالب حسن الاستفادة من أستاذه .

---

(1) سورة الحجرات:آية12.

(2) الزمخشري:الكشاف،دار المعرفة،بيروت،(د.ت)،(د.ط)،ج4،ص15.

(3) العلموي:المعيد في أدب المفيد والمستفيد،مصدر سابق،ص71.

(4) المصدر السابق:ص72.

الفصل الثالث

آداب المتعلم مع زملائه

الفرد كائن اجتماعي لا يمكنه بمفرده ، بل لا بد من التفاعل مع الآخرين ، و هؤلاء منهم الخير ، ومنهم الشرير ، ولهذا فعلي المتعلم أن يحسن اختيار زملائه ، وذلك لتأثير الرفقة علي الإنسان علي أن تقوم العلاقة بينه وبين زملائه علي أساس من المودة والاحترام ، وأن يسود التعاون بينهم .

أولاً : اختيار المتعلم زملاءه :

المرء علي دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل ، فكما أن العرق دساس ؛ فإن سوء الأدب دساس أيضا ، والناس مجبولون على تشبه بعضهم ببعض ، و إن مما ييسر على المتعلم الطريق للتعلم أن يحسن اختيار زملائه ، وذلك لأثر الزمالة على المتعلم في استمراريته في طلبه العلم ، كما أن الزميل الفاضل يساعد زميله على اكتساب الفضائل النفسية والخلقية ، وفي هذا السبيل قدم المفكرون المسلمون مجموعة من الإرشادات والتوجيهات تعين المتعلم على ذلك ، يقول ابن مسكويه : (الصداقة بين الأخيار ، تكون لأجل الخير ، وسببها الخير) [1] ، وأبرز الصفات التي حددوها ليكون علي أساسها اختيار الزملاء هي :

– التدين ، وحسن الخلق :

والسبيل إلى معرفة ذلك بالسؤال عن نشأة الفرد منذ صباه بين والديه ، و إخوته ، و عشيرته ، فإن عرف بالصلاح فذلك ، وإلا فالبعد عنه أنفع وأحفظ يقول ابن مسكويه : (مما أخذناه عن سقراطيس ، إذا أردنا أن نستفيد صديقا أن نسأل عنه ، كيف كان في صباه مع والديه ، ومع إخوته ، وعشيرته ؟ فإن كان صالحا معهم فارج الصلاح منه ، وإلا فالبعد منه وإياك وإياه) [2] ، وقد بين رسول الله ﷺ أن المحيط الأسري للفرد له أثر كبير في نشأته وتكوينه ، لقول ﷺ : **(كل مولود يولد علي فطرة الإسلام إلا أن أبويه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه)** [3] .

---

(١) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق، ص ١١٥.

(٢) المصدر السابق: ص ١٣٢.

(٣) الحديث صحيح ، رواه البخاري.

ويقول ابن جماعة : (فليكن صاحباً صالحاً ديِّناً تقياً ورعاً ذكياً ، كثير الخـــير قليـــل الشر) [١] .

- حسن السلوك :

والمعيار الثاني في تحديد سيرة الزملاء ، أن يتعرف علي علاقتهم بمن ســبق ، أو مع المخالطين لهم ، يقول ابن مسكويه : (ثم اعرف بعد ذلك سيرته مـــع أصدقائـــه قبلك ، فأضفها إلى سيرته مع إخوته وآبائه) [٢] ، فإذا كان الزميل حسن السيرة مـــع والديه وإخوته ، ومن عاشره من قبل كان ذلـــك أدعـــي لتوســـم الخـــير فيـــه .

- الشكر لله على نعمه وآلائه ، والاعتراف بفضل المنعم :

يقول ابن مسكويه : (ثم تتبع أمره في شكر من يجب عليه شكره ، أو كفـــره النعمة) [٣] ، ودلالة شكر الإنسان للخالق القيام بما افترض عليـــه قـــولاً وعمـــلاً ، والإمساك عما نُهي عنه مقالة وسلوكاً .

- الاجتهاد وعلو الهمة :

يقول الزرنوجي : (فينبغي أن يختار المجد الورع ، وصاحب الطبع المستقيم ، والمتفهم ، ويفر من الكسلان والمعطل ، والمكثار ، والمفسد ، والفتان) [٤] ، ويقـــول ابن مسكويه : (ثم انظر إلى ميله إلى الراحات ، وتباطئه عن الحركة الـــتي فيـــها أدنى نصب) [٥] ، والسبب في ذلك أن الطباع تأخذ عن بعضها بفعل الأيام والليالي .

- الزهد في الدنيا :

لا يعد الإنسان المنقطع عن المجتمع ومشكلاته زاهداً ، بل الزاهد هو الفـــرد الذي يشارك الآخرين أفراحهم وأتراحهم ، ولكنه مالك لتصرفاته وضابط لشـــهواته يقول ابن جماعة : (فليكن صاحباً صالحاً ، ديِّنا ، تقياً ، ورعاً ، ذكياً ، كثير الخـــير ،

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق،ص٨٣،٨٤.
(٢) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق،ص١٣٢.
(٣) المصدر السابق:ص١٣٣.
(٤) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص ٤٤.
(٥) ابن مسكويه:تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق،ص ١٣٣

قليل الشر ، حسن المدارة ، قليل المماراة ، إذا نسي ذكّره ، وإذا ذكـــر أعانـــه وإن احتاج واساه ، وإن ضجر صبره) [1] .

- الأخلاق الحسنة :

يقول الغزالي : (ويحترز عن مجالسة صاحب السوء ، ليقصي ولاية شـياطين الجن والإنس من صحن قلبه فيصفي عن لوثة الشيطنة) [2] ، ويقول ابن مســـكويه : (ثم انظر هل هو ممن ينالي بالغناء ، أو اللحون ، وضروب اللهو ، واللعب ، وسمـــاع المجون والمضاحيك ، فإن كان كذلك فما أشغله عن مساعدات إخوانه ، ومواسـلهم ، وما أشد هربه عن مكافأة بإحسان ، واحتمال النَصَب ، ودخول تحت جميل ، فـــإن وجدته بريئاً من هذه الخلال فلتحفظ عليه ولترغب فيه) [3] .

ثانياً : احترام المتعلم لزملائه :

- أن يعرف حق من هو أكبر منه سناً :

من احترام المتعلم لزملائه ، أن يعرف لمن هو أكبر منه سناً ، أو أكثر علمـــاً حقه ، ومن ذلك عند الدخول علي الأستاذ أن يقدم الأكبر سناً ، يقول الســـمعاني : (إذا حضر جماعة من الطلبة وأذن لهم في الدخول علي المملي ، فينبغـــي أن يقدمـــوا أسنهم ، ويدخلوه أمامهم ، فإن ذلك من السنة... عن ابن عمر رضي الله عنهما عـــن رسول الله ﷺ قال : **(أمرني جبرائيل أن أُكَبِّرَ)** وقال : **(أن قدموا الكبر)** [4] ، وتقـديم الكبير فيه الكثير من النفع ، والخير ، وتوثيق عُرى الصلة بين المتعلمين ، عـــن ابـــن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : **(البركة مع أكابركم)** [5] .

ومن لم يحترم الكبير فقد أساء الأدب ، وخالف النهج السليم ، يقول الســمعاني : (قال عبد الله بن أحمد بن حنبل -رحمه الله- : قلت لأبي : مالك لم تســـمع مـــن

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق،ص٨٣،٨٤.

(٢) الغزالي: أيها الولد، مصدر سابق ، ص ١٣٠.

(٣) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مصدر سابق،ص ١٣٣، ١٣٤

(٤) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء، مصدر سابق،ص١١٩.

(٥) المصدر السابق:ص ١٥.

إبراهيم بن سعد ، وقد نزل بغداد في جوارك ؟ فقال : اعلم يا بني أنه جلس مجلساً واحداً ، وأملي علينا ، فلما كان بعد ذلك خرج ، وقد اجتمع الناس ، فرأى الشباب تقدموا بين يدي المشائخ ، فقال : ما أسوأ أدبكم تتقدمون بين يدي المشائخ ؟ لا أحدثكم سنة ، فمات و لم يحدث) (١).

ويجوز للمتعلم أن يقدم من هو أصغر منه ، لعلمه ، يقول السمعاني : (وإن قدم الأكبر سناً من كان أعلم منه علي نفسه ، جاز ذلك ، وكان مستحسناً... قال الحسين بن منصور : كنت مع يحيي بن يحيي ، وإسحاق بن راهويه يوما نعود مريضاً ، فلما حاذينا الباب تأخر إسحاق ، وقال ليحيي : تقدم ، فقال يحيي لإسحاق : تقدم أنت ، فقال : يا أبا ذكريا أنت أكبر مني ، قال : نعم ، أنا أكبر منك ، وأنت أعلم مني ، فتقدم إسحاق) (٢) .

- عدم التفريق بين المتصاحبين :

ومن احترام المتعلم لزملائه ، عدم التفريق بين متصاحبين ، يقول ابن جماعة : (أن يتأدب مع حاضري مجلس الشيخ ، فإنه أدب معه ، واحترام لمجلسه ، وهم رفقاؤه ، فيوقر أصحابه ، ويحترم كبراءهم وأقرانه ، لا يجلس وسط الحلقة ولا قدام أحد إلا لضرورة – كما في مجلس التحديث – ولا يفرق بين رفيقين ، ولا بين متصاحبين إلا بإذنهما معاً) (٣) .

ثالثاً : تعظيم المتعلم لزملائه :

إن تعظيم المتعلم لزملائه له أثر كبير في استمرار المودة بينهم ، وتقوية العلاقة التي تعود بالنفع عليه وعلي زملائه ، يقول الزرنوجي : (ومن تعظيم العلم ، تعظيم

---

(١) السمعاني : أدب الإملاء الاستملاء، مصدر سابق،ص١٢٠
(٢) المصدر السابق:ص١٥.
(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم ،مصدر سابق، ص١٥٢.

الشركاء في طلب العلم ، والدرس ، ومن يتعلم منه ، والتملق مذموم إلا في طلب العلم ، فإنه ينبغي أن يتملق لأستاذه وشركائه ليستفيد منهم) [1] .

– التوسعة للزملاء في المجلس والتحفظ عما يؤذيهم :

ومن تعظيم المتعلم لزملائه التوسعة لهم في المجلس ، وأن يتحفظ عما ، يؤذيهم ، يقول بن جماعة : (وينبغي للحاضرين إذا جاء القادم أن يرحبوا به ، ويوسعوا له ، ويكرموه بما يكرم مثله ، وإذا فسح له في المجلس وكان حرجاً ضم نفسه ، و لا يتوسع ولا يعطي أحداً منهم جنبه ، ولا ظهره ، ويتحفظ من ذلك ، ويتعهده عند بحث الشيخ له ، ولا يجنح علي جاره ، أو يجعل مرفقه قائماً في جنبه ، أو يخرج عن نسق الحلقة بتقدم أو تأخر) [2] .

وعلي المتعلم أن يداوم علي تعظيم زملائه مهما طال عهده بهم ، يقول الزرنوجي : (قيل : من لم يكن تعظيمه بعد ألف مرة ، كتعظيمه في أول مرة ، فليس بأهل العلم) [3] ، ومن تعظيم المتعلم لزملائه أيضاً ألا يقطع عليهم حديثهم أثناء درسهم ، يقول ابن جماعة : (ولا يتكلم في أثناء درس غيره ، أو درسه بما لا يتعلق به ، أو بما يقطع عليه بحثه ، وإذا شرع بعضهم في درس فلا يتكلم بكلام يتعلق بدرس فرغ ، ولا بغيره مما لا تفوت فائدة إلا بإذن من الشيخ ، وصاحب الدرس) [4] .

و مراعاة تلك الآداب إنما قصد بها تحقيق العلاقة العلمية بين الزملاء أثناء الدرس ، وإيجاد نوع من التوافق والانسجام ، ويسر التعامل ، وتجنب كل ما من شأنه

---

(١) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٥٣.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع المتكلم، مصدر سابق،ص ١٥٣.

(٣) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، مصدر سابق، ص ٥٣.

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم ، مصدر سابق ، ١٥٣.

أن يثير سوء التفاهم بين زملاء الدراسة ، بحيث لا تكون بينهم إلا المودة ، والتعظيم ، وحفظ المصلحة العلمية العامة للجميع .

رابعا : تواضع المتعلم لزملائه :

ينبغي للمتعلم أن يتواضع لزملائه ، فلا يفخر عليهم بموهبته وتفوقه ، يقول ابن جماعة : (ولا يفخر عليهم ، أو يعجب بجودة ذهنه ، بل يحمد الله تعالى علي ذلك ، ويستزيده منه بدوام شكره) [1] ، وثمرة التواضع تحصيل العلم ، والانتفاع به ، يقول ابن جماعة : (أن لا يستنكف أن يستفيد ما لا يعلمه ممن هو دونه منصبا ، أو نسبا ، بل يكون حريصا علي الفائدة حيث كانت ، والحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها) [2] ، وقال أحمد بن حنبل ، قال لنا الشافعي : (أنتم اعلم بالحديث مني ، فإذا صح عندكم الحديث ، فقولوا لنا حتى آخذ به) [3] .

والمتواضع يزداد رفعه عند الله ، ثم عند زملائه ، روي عن النبي ﷺ أنه قال : **(إن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة ، فتواضعوا يرفعكم الله)** [4] ، وعن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : **(ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)** [5] ، وعن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- أنه كان يقول : (العبد إذا تواضع لله رفعه الله بحكمته ، وقيل له :

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق ، ص ١٦٣.

(٢) المصدر السابق:ص ٢٨.

(٣) المصدر السابق: ص٢٩.

(٤) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، (مرجع سابق)، ج١، ص ١٤١.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

انْتَعِشْ [١] نعشك الله ، فهو في نفسه حقير ، وفي أعين الناس كبير) [٢]، وقالوا : (المتواضع من طلاب العلم أكثر علما ، كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء) [٣].

خامساً : آداب استعارة وإعارة الكتب والأدوات :

يمثل الكتاب ركيزة أساسية في العملية التعليمية ، أو في دنيا التعليم ، وبخاصة في العهود التي سبقت المطبعة .

فالكتاب هو وعاء العلم ومصدره ، وهو أول ما يجب اقتناؤه ، وأول ما يحتاج المتعلم إليه [٤] .

وينبغي للمتعلم أن يبذل جهده في توفير الكتب والمراجع التي يحتاج إليها أثناء طلبه عن طريق شرائها وذلك لاقتنائها ، وفي ذلك يقول ابن جماعة : (ينبغي لطالب العلم أن يعتني بتحصيل الكتب المحتاج إليها ما أمكنه شراء) [٥] ، فإن تعذر ذلك ، إما لارتفاع ثمنها وقلة موارده المالية ، أو لندرتها فعلي المتعلم أن يلجأ حتى إلى الإجارة والإعارة ، وعندئذ يقوم بإعطائها لمن ينسخها له نظيرا أجر معين ، وذلك حتى لا يضيع وقته في النسخ بنفسه ، إلا إذا كان مضطراً إلي النسخ لضيق ذات يده ، يقول ابن جماعة : (ولا ينبغي أن يشتغل بدوام النسخ إلا فيما يتعذر عليه تحصيله ، لعدم ثمنه ، أو أجره استنساخه) [٦] .

---

(١) نعشه الله ، كمنعه: رفعه، انتعش العاثر، انتهض من عثرته، ونعشه تنعيشاً: قال له: أنعشك الله ، الفيزوز آبادي : القاموس المحيط ،مرجع سابق، ص ٧٨٤.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١ ص١٤١.

(٣) المصدر السابق:ص ١٤٢.

(٤) د.عبد الأمير شمس الدين : المذهب التربوي عند ابن جماعة ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(٥) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص ١٤٧.

(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة .

- إعارة الكتب ، والندب إليها :

حث المفكرون المسلمون المتعلم على إعارة الكتب ، وهذا الموضوع ربما يبدو لنا اليوم بسيطا ، أو نافلا ، و الواقع أنه كان آنذاك مجالا للأخذ والرد بينهم ، فهناك من يؤيد ، وهناك من يكره أو ينكر .

وقد شجعوا علي إعارة الكتب كي يسود التعاون والتعاطف بين الزملاء ، فعلي المتعلم أن يعير زملائه كتبه ومراجعه ، ويستعير منهم ، وذلك لما يناله المعير من الثواب والأجر ، يقول السمعاني : (وإن فات لبعض الطلبة شئ من المجلس فيعيره بعض من حضر كتابه حتى ينسخه منه ، ويغتنم الثواب في ذلك) (١) ، ويقول ابن جماعة : (يستحب إعارة الكتب لمن لا ضرر عليه فيها ممن لا ضرر منه بها ، وكره قوم عاريتها والأول أولى ، لما فيه من الإعانة علي العلم ، مع ما في مطلق العارية من الفضل والأجر) (٢) ، وقال ابن وهب محمد بن مزاحم : (أول بركة العلم إعارة الكتب) (٣) ، كما عدت إعارة الكتب للزملاء من تمام مكارم أخلاق للتعلم ، حيث يروى أن أبا العتاهية أتى بعض إخوانه فقال له : (أعرني دفتر كذا وكذا ، فقال : إني أكره ذاك فقال له : أما علمت أن المكارم موصولة بالمكاره ، فدفع إليه الدفتر) (٤) .

وأفرد الخطيب البغدادي في بعض كتبه بابا خاصا في الترغيب في إعارة الكتب ؛ لما في ذلك من البر واكتساب الأجر والمثوبة (٥) .

- كراهية البعض إعارة الكتب ، وأسبابها :

أما الذين كرهوا إعارة الكتب ، فقد كان ذلك لأسباب منها : خوف حبسها وتأخيرها عن أصحابها ، يقول السمعاني : (وإذا أعاره – كتابا – فلا يحبسه عنده ويرده عاجلا) (٦) ، وعن يونس بن يزيد قال : قال لي الزهري : (يا يونس إياك

---

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ،مصدر سابق، ص١٧٤.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٤٧،١٤٨.

(٣) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ، مصدر سابق، ص١٧٥.

(٤) المصدر السابق:ص١٧٤.

(٥) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي ،(مرجع سابق) ، ج١،ص٣٤٤ ومابعدها.

(٦) القاضي عياض : الإلماع ، مصدر سابق ، ص ٢٢٤.

و غلول الكتب ، قال : قلت : وما غلول الكتب ؟ قال : حبسها عن أصحابنـــا) [1] وقال الفضيل : (ليس من فعال أهل الورع ، ولا من فعال العلماء أن تـــأخذ سمـــاع رجل وكتابه فتحبسه عليه ، ومن فعل ذلك فقد ظلم نفسه) [2] ، ويعد حبس الكتـب وتأخيرها عن أصحابها مما يسئ إلى العلاقة القائمة بين المتعلم وزملائه ، بل ويمتد أثـــر ذلك إلى الإساءة إلى الآخرين ، مما يجعلهم يمتنعون عن الإعارة يقـــول السـمعاني : (ولأجل حبس الكتب للمستعارة امتنع غير واحد من إعارتهـــا . . . ، وعـــن حســن الزيات قال : لا تأمن قارئا علي دفتر ، ولا حمالا علي حبل) [3] .

ومن الأسباب التي جعلت البعض يكره إعارة الكتب ، أن الكتـــب في ذلـــك العصر كانت نادرة ، بحيث إذا فقد أحدهم كتابا لم يجد بديله ، قـــال الربيـــع بـــن سليمان : (كتب إلي البويطي ، احفظ كتبك فإنه إن ذهب لـــك كتـــاب لم تجـــد بديله) [4] ، بل بلغ من الحرص علي الكتب لندرتها أن لا تودع عند أحد لغير ضـــرورة يقول ابن جماعة : (ولا يعيره غيره ، ولا يودعه لغير ضرورة) [5] ، وقد ساهمت نـــدرة الكتب -في وقت لم تعرف فيه وسائل الطباعة- علـــي ظـــهور مهنـــة النســـاخين (الوراقين) [6] .

كما كره البعض إعارة الكتب لسوء استخدامها ، وعدم صيانتها والمحافظـــة عليها من التلف والإفساد بأي شكل من الأشكال ، وبلغ حرصـــهم علـــي ســـلامة الكتب المعارة أنهم لم يجيزوا تناولها بالحذف أو الإضافـــة أو التصحيـــح إلا برضـــا صحابها ، يقول ابن جماعة : (ولا يجوز أن يصلحه بغير إذن صحابه ، ولا يحشيه ، ولا يكتب شيئاً في بياض فواتحه وخواتمه إلا إذا علم رضا صاحبه) [7] .

---

(١) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، مصدر سابق ، ص ٢٤٣.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة .

(٣) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء، مصدر سابق، ص١٧٤.

(٤) البغدادي : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، مصدر سابق، ص٢٤٤.

(٥) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص ١٦٩.

(٦) د.أحمد شلبي: التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٤.

(٧) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق،ص ١٦٨- ١٧٩.

- **اصطحاب أدوات الكتابة عند الذهاب لمجلس الدرس :**

وينبغي للمتعلم أن يأتي إلى مدرسته وهو يصحب معه ما يلزمه من أدوات ولوازم لما في عدم توفيرها من إرباك لزملائه ، وتشويش علي الآخرين ، ولهذا يقول السمعاني : (ولا يحضر مجلس الإملاء إلا مع المحبرة... عن الزهري قال : من خرج من بيته بلا محبرة فقد نوى الصدقة من نيته)... قال علي بن المديني : (تدرون من الطفيلي في أصحاب الحديث الذي يكتب من محابر الناس... قال الشافعي : (من حضر مجلس العلم بلا محبرة كان كمن حضر الطاحونة بلا طعام) (١) ، ولذلك ورد النهي عن إعارة أدوات الدراسة ، حتى لا يتعود الطلاب التهاون والتقصير في إعداد ما يحتاجون من أدوات وقراطيس وكتب ، يقول ابن جماعة : (ولا يستعير كتابا مع إمكانية شرائه أو إجارته) (٢).

وبحكم طبيعة الإنسان الذي يعتريه الخطأ والنسيان ، أبيح للمتعلم أن يستعير من زملائه ، وأن يستخدم أدواتهم متى ما قصر في توفير الأدوات واللوازم التي يحتاجها في درسه ، خاصة إذا كان الأمر لا يحتمل التأخير لما فيه من ضياع الوقت ، وتعذر استدراك ما يفوت ، ولكون السماح والإعارة من مظاهر التعاون بين الزملاء ، ومما يوطد العلاقة العلمية بينهم .

يقول السمعاني : (ولو لم يكن معه المحبرة ، وحضر مجلس الإملاء ، وكتب من محبرة الغير جاز ، فإن السلف فعلوا ذلك...قال أحمد بن بشر بن زكريا بن عدي : كنت مع ابن المبارك في سفينة ، فقعد علي وسادتي ولم يستأذن ، واستمد من محبرتي ولم يستأذن ، ثم التفت إلي ، فقال : قال الله تعالى : ﴿ أو صديقكم ﴾ (٣))(٤) .

وبين الزملاء تُرفع الكلفة ، قال محمد بن طارق البغدادي : (كنت بجنب أحمد بن حنبل – رحمه الله – فقلت له : أستمد من محبرتك ؟ فقال : لم يبلغ ورعي ورعك

---

(١) السمعاني : أدب الإملاء والاستملاء ، مصدر سابق ، ص١٥٥،١٥٦.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع و المتكلم، مصدر سابق، ص ١٦٧.

(٣) سورة النور: آية ٦١.

(٤) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ، مصدر سابق، ص ١٥٦.

هذا ، وتبسم) (١) ، وقال محمد بن إبراهيم : (كنت عند أحمد بن حنبل – رحمه الله – وبين يديه محبرة ، فذكر أبو عبد الله حديثاً ، فاستأذنته بأن أكتبه من محبرته ، فقال لي : أكتب يا هذا ، فهذا ورع مظلم) (٢) ، و قال محمد بن إبراهيم القرامقاني : (كان ببغداد رجل أراد أن يستمد من محبرة غيره ، فاستأذنه ، فقال خذ شيئاً من الجوارشن واشربه ، فقال وما أصنع بالجوارشن؟ فقال : تشربه لكي لا تأخذك التخمة من هذا الورع اليابس) (٣) ، وعن ابن المبارك قال : (ليس علي محابر أصحاب الحديث إذن) (٤) .

- شكر المُعير :

وإذا استعار المتعلم كتاباً من زملائه ، أو استخدم أداة من أدواتهم يحسن به أن يشكرهم ، يقول ابن جماعة : (وينبغي للمستعير أن يشكر المعير ذلك ، ويجزيه خيراً) (٥) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**) (٦) ، وقال ﷺ : (**إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس**) (٧) ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (**من اصطنع إليكم معروفا فجازوه ، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له ، حتى يعلم أنكم قد شكرتم، فإن الله شاكر يحب الشاكرين**) (٨) .

سادساً : تفاعل المتعلم مع زملائه :

---

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء ، مصدر سابق،ص ١٥٧.

(٢) المصدر السابق: ص١٥٦.

(٣) المصدر السابق: ص ١٥٧.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة .

(٥) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص١٤٨.

(٦) الخطيب البغدادي: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، مصدر سابق،ص٢٤٧ . والحديث صحيح،الألباني:سلسلة الأحاديث الصحيحة، مج١، مرجع سابق، ص ٧٠٢.

(٧) الخطيب البغدادي، :الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،مصدر سابق،ص ٧٠٢.

(٨) المصدر السابق:ص ٢٤٨.والحديث صحيح،تخريج أحاديث إحياء علوم الدين،مرجع سابق، ج٢،ص ٥٨٤ .

إن من مظاهر العلاقة الجيدة بين الزملاء ما يتم بينهم من تفاعل علمي واجتماعي ، داخل المؤسسة التعليمية ، أو خارجها ، وقد تناول المفكرون المسلمون أشكال هذا التفاعل ، وحددوا ما يجب أن يلتزم به بعضهم تجاه بعض خلال هذا التفاعل ، ومن أهم أشكال التفاعل الذي يجري بين المتعلمين :

١- المناظرة :

عندما يتلقى المتعلم العلم مع زملائه ، يحتاج إلى استخدام إحدى وسيلتين لتثبيت المعلومات ، وهما المناظرة والمذاكرة ، فأما المناظرة فقد حث علي استخدامها وذلك لورودها في القرآن الكريم والسنة النبوية ولممارسة الصحابة رضوان الله عليهم لها [(١)] ، قال الله تعالي : **﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن ءاته الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾** [(٢)] .

وقد (تجادل أصحاب رسول الله ﷺ يوم السقيفة وتدفعوا وتقرروا وتناظروا حتى صار الحق في أهله ، وتناظروا بعد مبايعة أبي بكر في أهل الردة) [(٣)] .

يقول الزرنوجي : (ولا بد للطالب من المذاكرة والمناظرة والمطارحة ، فينبغي أن يكون بالإنصاف والتأني والتأمل) [(٤)] ، ويقول المزني : (وحق المناظرة أن يراد بها الله عز وجل وأن يقبل ما يتبين) [(٥)] ، كما نجد الغزالي يجوِّز استخدام المناظرة إذا قصد بها إظهار الحق ، وحدد لذلك علامتان حيث قال : (لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق،ج٢، ص٩٩- ١٠٨.
(٢) سورة البقرة:آية ٢٥٨.
(٣) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق،ج٢، ١٠٢.
(٤) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، مصدر سابق ، ص٧٢.
(٥) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج٢،ص ١٠٨.

قوم ، وكانت إرادتك فيها أن تُظهر الحق ولا يضيع حاز البحث ، ولكن لتلك الإرادة علامتان : إحداهما : ألا تفرق بين أن يتكشف الحق علي لسانك أو علي لسان غيرك ، الثانية : أن يكون البحث في الخلاء أحب إليك من أن يكون في الملأ) (1) ويؤكد الزرنوجي علي الجانب نفسه حيث يقول : (فإن كانت نيته إلزام الخصم وقهره فلا يحل ذلك وإنما يحل ذلك لإظهار الحق) (2) .

كما يجوز ممارسة المناظرة لاستخراج المعلومات ، وللتأكد من صحة ما لدي المناظر ، ولتثبيت ما تعلمه المتعلم ، يقول الزرنوجي : (فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب) (3) ، وقال المازني : (لا تعدو المناظرة إحدى ثلاث : إما تثبيت لما في يديه ، أو انتقال من خطأ كان عليه ، أو ارتياب فلا يقدم من الدين علي شك) (4) ، ويقول الزرنوجي : (وفائدة المطارحة والمناظرة أقوى من فائدة مجرد التكرار ، لأن فيه تكرار و زيادة ، وقيل : مطارحة ساعة خير من تكرار شهر) (5) ، وقال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– : (رأيت ملاحاة الرجال تلقيحاً لألبابهم) (6) ، وقال أيضاً : (ما رأيت أحداً لاحي الرجال إلا أخذ بجوامع الكلم) (7) ، وقال يحيي بن مزين : (يريد بالملاحاة هنا المخاوضة والمراجعة علي وجه التعليم والفهم والمدارسة) (8) .

– شروط وضوابط المناظرة :

وحدد المفكرون المسلمون ضوابط وشروط لاستخدام المناظرة ، وقد أورد الغزالي تلك الضوابط و الشروط التي ينبغي مراعاتها لممارسة المناظرة وهي :

---

(1) الغزالي : أيها الولد، مصدر سابق،ص١٣٦.
(2) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم، مصدر سابق،ص٧٢.
(3) المصدر السابق: ص٧٢.
(4) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج٢، ص١٠٨.
(5) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص ٧٢– ٧٣.
(6) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج٢،ص١٠٨.
(7) المصدر السابق:نفس الصفحة.
(8) المصدر السابق:نفس الصفحة.

- أن لا يشغل بالمناظرة – وهو من فروض الكفاية – من لم يَفْـــرُغ مـــن فـــروض الأعيان.

- أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة ، فإن رأى ما هو أهم وفعل غيره عصـــي بفعله .

- أن يكون المناظر مجتهداً يفتي برأيه لا لمذهب .

- أن تكون المناظرة في الخلوة أحب إليه وأهم من المحـــافل وبـــين أظـــهر الأكـــابر والسلاطين .

- أن يكون طلبه للحق كناشد ضالته لا يفرق بين أن تظهر الضالة علي يده أو مـــن يناظره ، بل ويشكره إذا عرف الصواب .

- أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل إلى دليل ومن إشكال إلى إشكال .

- أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن يشتغل بالعلم (1) .

- مواطن يمتنع فيها من المناظرة :

وقد ورد النهي عن المناظرة في الأمور التالية :

١-الجدال والمراء في القرآن الكريم ، والمراء في القرآن الكريم : أن يتمادى اثنان في آية يجحدها أحدهما ويدفعها ، أو يصير فيها إلى الشك ، فذلك هو المـــراء الممنـــوع ، والذي يجوز في كتاب الله : التنازع في أحكام القرآن ومعانية ، فقد تنازع أصحـــاب رسول الله ﷺ في كثير من ذلك .

٢-الجدال في الله سبحانه وتعالى ، فقد نهي السلف -رحمهم الله- عن الجـــدال في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه يقول ابن عبد البر: وقد نهينا عن التفكـــر في الله وأمرنـــا بالتفكر في خلقه الدال عليه (2) .

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، مصدر سابق،ج١، ص ٤٢- ٤٥.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق ، ج٢، ص٩٢.

٣-المناظرة في القدر ، قال جعفر بن محمد : (الناظر في القدر كالناظر في عين الشمس كلما ازداد نظراً حيرة) (١) ، وقال أبو عمر : (رواها السلف – أحاديث القدر – وسكتوا عنها وهم كانوا أعمق الناس علماً وأوسعهم فهما وأقلهم تكلفاً ولم يكن سكوتهم عن عيٍّ فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر) (٢) .

– مفاسد وأضرار قد تنشأ عن المناظرة :

ورد ذم استخدام المناظرة لما قد يترتب عليها أحياناً من خصومات ومفاسد وأضرار ، يقول الغزالي : (ألا تناظر أحداً في مسألة ما استطعت لأن فيها آفات كثيرة فإثمها أكبر من نفعها ، إذ هي منبع كل خلق ذميم كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة وغيرها) (٣) ، وقد وعظ لقمان ابنه قائلاً : (لاتجادل العلماء فتهون عليهم ويرفضوك ولا تجادل السفهاء فيجهلوا عليك ويشتموك ، ولكن اصبر نفسك لمن هو فوقك في العلم ، ولمن هو دونك ، فإنما يلحق العلماء من صبر لهم ولزمهم واقتبس من علمهم في رفق) (٤) .

وقال الزرنوجي: (وإياك أن تشتغل بهذا الجدال الذي ظهر بعد انقراض الأكابر من العلماء ، فإنه يبعد عن الفقه ، ويضيع العمل ، ويورث الوحشة والعداوة) (٥) .

وقال عبد الله بن حسين : (المراء يفسد الصداقة القديمة ويحل العقدة الوثيقة وأقل ما فيه أن تكون المغالبة ، والمغالبة أمتن أسباب القطيعة) (٦) .

---

(١) بن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، مصدر سابق ، ج٢، ص٩٢.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة..

(٣) الغزالي: أيها الولد،مصدر سابق، ص٤٠-٤١.

(٤) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص١٠٧.

(٥) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٤٠ – ٤١.

(٦) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ،مصدر سابق،ج١، ص ٩٩

وقالوا : (الواجب علي العالم أن لا يناظر جاهلاً ولا لجوجاً ، فإنه يجعل المناظرة ذريعة إلى التعلم بغير شكر) (1) ، وبيان الذم فيما سبق لكون المناظرة تحرم المتعلم من الاستفادة من العلماء ، ولكونها أيضاً تعين السفهاء علي التطاول عليه بسبب جهلهم .

كما ذمت المناظرة لكونها وسيلة إلى الشغب والغضب ، يقول الزرنوجي : (ويحترز عن الشغب والغضب ، فإن المناظرة والمذاكرة مشاورة ، والمشاورة إنما تكون لاستخراج الصواب ، وذلك إنما يحصل بالتأمل والتأني والإنصاف ، ولا يحصل ذلك بالغضب والشغب) (2) .

وقد تحدث الغزالي عن آفات المناظرة ، وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق ، مستشهدا لما يقول بالآيات والأحاديث ، ومن تلك الآفات ما يلي : الحسد ، التكبر ، الحقد ، الغيبة ، تزكية النفس ، التجسس ، الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ، النفاق ، الاستكبار عن الحق ، الرياء ، ثم ذكر أنه يتشعب من تلك الخصال خصال أخرى كالأنفة ، والغضب والبغضاء وحب طلب المال ، والطمع والجاه للتمكن من الغلبة.. إلخ (3) .

٢- المذاكرة :

أما المذاكرة فقد تكون بمفرده وقد تكون مع زملائه فيتحقق من خلالها الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها عن طريق المناظرة يقول ابن جماعة : (وينبغي أن يتذاكر مواظبو مجلس الشيخ ما وقع فيه من الفوائد ، والضوابط والقواعد وغير ذلك ، وأن يعيدوا كلام الشيخ فيما بينهم ، فإن في المذاكرة نفعا عظيما) (4) ، ويقول الخليل بن أحمد : (أيامي أربعة : يوم أخرج فألقي فيه من هو أعلم مني ، فأتعلم منه ، فذلك يوم فائدتي وغنيمتي ، ويوم أخرج فألقى فيه من أنا أعلم منه فذلك يوم أجري ، ويوم أخرج فألقي فيه من هو مثلي فأذاكره ، فذلك يوم درسي ، ويوم

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله ،مصدر سابق،ج١ ، ص ١٤٦.

(٢) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم ،مصدر سابق ، ص٤٥ – ٤٨.

(٣) الغزالي: أيها الولد،مصدر سابق، ص٤٠-٤١

(٤) ابن جماعة :تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق ، ص ١٤٣.

أخرج فألقي فيه من هو دوني وهو يـــرى أنــه فوقــي ، فــلا أكلمــه وأجعلــه يوم راحتي) [1].

وليختر المتعلم من زملائه للمذاكرة معه من عُرِفوا بسلامة الطبيعية ، وحبـــهم للعلم والبحث ، يقول الزرنوجي : (وإياك والمذاكرة مع متعنت ، غير مستقيم الطبع ، فإن الطبيعة متسرقة متغيرة ، والأخلاق متعدية ، والمجاورة مؤثرة) [2] .

- الحرص على الزمن و أفضل أوقات المذاكرة :

حث المفكرون المسلمون المتعلم على الحرص على الزمن فهو نعمة عظيمة قـــل من يقدرها حق قدرها ؛ مصداقاً لقول الرسول ﷺ (**نعمتان مغبون فيهما كثير مـــن الناس الصحة والفراغ**) [3] ، وهو رأس مال الإنسان ، فيجب على المتعلم اغتنام زمن شبابه في تحصيل العلم ، فالعمر قصير والعلم كثير ، ولايضيع وقته وساعات عمـــره فيما لا ينفعه .

وقد حددوا الأوقات المناسبة للمذاكرة ، فأفضلها ما كان عقب الدرس وقبـــل انشغال الفكر ، يقول ابن جماعة : (وينبغي المذاكرة في ذلك عند القيام من مجلسه قبل تفرق أذهانهم ، وتشتت خواطرهم ، وشذوذ بعض ما سمعوه عن أفهامهم) [4] .

ويلي ذلك الوقت في الفضل الليل ، حيث الهدوء والسكون ، قال الخطيـــب : (وأفضل المذاكر ة الليل ، وكان جماعة من السلف يبدأون في المذاكرة من العشـــاء ، فربما لم يقوموا حتى يسمعوا أذان الصبح- الفجر – فإن لم يجد الطالب من يذاكـــره ذاكر نفسه بنفسه ، وكرر معنى ما سمعه ، ولفظه علي قلبه ، ليعلـــق ذلـــك علـــي خاطره ، فإن تكرار المعنى علي القلب كتكرار اللفظ علي اللسان سواء بسواء ، وقـــل أن يفلح من يقتصر علي الفكر ، والعقل، بحضرة الشيخ خاصة ، ثم يتركه ويقـــوم ولا يعاوده) [5] .

---

(١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله ، مصدر سابق، ج١ ، ص ١٣٣.

(٢) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق، ص٧٣.

(٣) الحديث رواه البخاري ومسلم .

(٤) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص ١٤٣.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

سابعاً : ترك التحاسد :

قيل : (لا يكون الرجل عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحقر من دونه في العلم ، ولا يحسد من فوقه في العلم ولا يأخذ علي علمه ثمناً) [1] ، فحري بالمتعلم أن يأخذ بهذا التوجيه في علاقته مع زملائه ، وليعترف عندئذ أن هناك فروقاً فردية بين المتعلمين ، ويؤمن أن هذه الفروق ، بسبب ما وهبه الله لكل فرد، فلا يحسد المتعلم زملاءه ، لتفوق بعضهم عليه ، أو تقدمهم ، بل يرضي ، ويعمل جهده في سبيل اللحاق بهم من خلال التنافس الشريف .

وقد أثبت رسول الله ﷺ وجود هذا الفروق حيث قال ﷺ : (**نضر الله أمرءاً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه ليس بفقيه ، ورب حامل فقه إلي من هو أفقه منه**) [2] ، وعن محمد بن سيرين قال : (نبئت أن أبا بكرة حدَّث قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمنى ، فقال : (**ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فإنه لعله أن يبلغه من هو أوعى له منه ، أو من هو أحفظ له**) [3] ، وكان معاوية بن أبي سفيان يخطب بالمدينة ، يقول : (أيها الناس إنه لا مانع لما أعطى الله ولا معطي لما منع الله، لا ينفع ذا الجد منه الجد ، (**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**) ، سمعت هذه الكلمات من رسول الله ﷺ على هذه الأعواد) [4] .

والحسد كما ظهر مضرة على صاحبه ، مضيعة لجهده ووقته ، يقول الزرنوجي : (وينبغي أن يكون صاحب العلم مشفقاً ناصحاً ، غير حاسد ، فالحسد

---

(١) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٣١.و الحديث صحيح، المناوي:فيض القدير،مرجع سابق، ج٦، ص٢٨٤.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق، ج١، ص٤٠،٤١.والحديث صحيح، رواه ابن ماجة .

(٣) المصدر السابق:ج١، ص٤٠،٤١.

(٤) المصدر السابق:ج١، ص٢٠.

يضره ولا ينفعه) (١) ، ويقول أيضاً : (وينبغي ألا ينازع أحداً ولا يخاصمهم ، ولا يعجب بفهمه) (٢) .

ثامناً : النصح لزملائه وإرشادهم :

يقول ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) (٣) ، ومن هنا ينبغي للمتعلم أن ينصح زملاءه بما يعود بالنفع عليهم فيما يتعلق بأسلوب الحياة ، والتعامل أثناء الدرس وغيره ، يقول ابن جماعة : (وإن أساء بعض الطلبة أدباً علي غيره ، لم ينهره غير الشيخ ، إلا بإشارته ، أو سراً بينهما علي سبيل النصيحة) (٤) .

ويذكر النووي أنه ينبغي (أن يرشد رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال ، والفائدة ، ويذكر لهم ما استفاده علي جهة النصيحة ، والمذاكرة بإرشادهم ، يبارك له في علمه ، ويستنير قلبه ، وتتأكد المسائل معه ، مع جزيل ثواب الله عز وجل ، ومن بخل بذلك كان بضده ، فلا يثبت معه ، وإن ثبت لم يثمر) (٥) . ويقول ابن جماعة : (أن يُرَغِّب بقية الطلبة في التحصيل ، ويدلهم علي مظانه ، ويصرف عنهم الهموم المشغلة عنه ، ويهون عليهم مؤنته ، ويذكرهم بما حصله من الفوائد ، والقواعد ، والغرائب ، وينصحهم بالدين ، فبذلك يستنير قلبه ، ويزكو عمله ، ومن بخل عليهم لم يثبت علمه ، وإن ثبت لم يثمر) (٦) .

تاسعاً : العلاقة مع زملائه في قاعة الدرس :

– إلقاء السلام عند حضور الدرس :

سبق الحديث أن من آداب المتعلم مع أساتذته الحضور قبل الأستاذ في قاعة الدرس ، ومتي حضر المتعلم إلى قاعة الدرس ووجد زملاءه قد سبقوه فليسلم عليهم ،

---

(١) الزرنوجي: تعليم المتعلم طريق التعلم ،مصدر سابق ،ص ٨٥، ٨٦.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) الحديث صحيح ، رواه مسلم .

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم ، مصدر سابق ، ص١٥٣،١٥٤.

(٥) النووي:مقدمة المجموع: آداب العالم والمتعلم، مصدر سابق، ص٥٢.

(٦) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم ،مصدر سابق،ص١٦٢،١٦٣.

وليجلس حيث ينتهي به المجلس ، يقول السمعاني : (ويجلس حيث ينتهي به المجلس... عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال : كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدنا حيث ينتهي) (١) ، وهو في ذلك لا يتخطى رقاب الآخرين لاختيار المكان القريب من الأستاذ يقول السمعاني أيضا : (وإن كان المجلس غاصا بأهله ، لا يتخطى الرقاب) (٢)

- عدم تخطي الزملاء :

وقد نهي عن التخطي لتصدر المجلس ، لأن في نوع من التعالي على زملائه ، يقول السمعاني : (ويكره للطالب أن يجلس في صدر المجلس ... كان يقال : لا يتصدر إلا فائق أو مائق) (٣) ، قال علي بن ثابت : (ما رأيت سفيان الثوري في صدر مجلسه قط ، إنما كان يقعد إلى جانب الحائط ، ويجمع بين ركبتيه... عن عبد العزيز بن أبي رواد قال : كان يقال : من رأس التواضع الرضا بالدون من شرف المجلس... قال أبو يحيي الكاتب : اجتهد علي أن تصلح الصدر ولا تجتهد في أن تقعد في الصدر ... قال عبد الله بن المعتز : لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس فالموضع الذي ترفع إليه من الموضع الذي تحط عنه") (٤) .

ويجوز للمتعلم أن يتخطى زملاءه ، إذا استدناه الأستاذ ، أو للمصلحة تعود على زملائه ، يقول السمعاني : (فإن استدناه المملي جاز له حينئذ تخطي الرقاب... عن جابر رضي الله عنه ، قال : كان لرجل منا حاجة إلى رسول الله ﷺ ، فلما فرغ من صلاته ، قال : أين طالب الحاجة ؟ فجاء يتخطى رقاب الناس) (٥) ، ويقول العلموي : (وإذا سلّم فلا يتخطى رقاب الحاضرين إلى قرب الشيخ إن لم تكن منزلته ، بل

---

(١) السمعاني: أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق، ص ١٢٣.

(٢) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٣) الأماق: مصدر أماق ، وهو من الموق بمعنى الحمق،ابن منظور:لسان العرب،مرجع سابق، ج١٣، ص٦.

(٤) السمعاني : أدب الإملاء والاستملاء ،مصدر سابق ، ص ١٢٧ - ١٢٩.

(٥) المصدر السابق:ص١٢٤.

يجلس حيث انتهي به المجلس ، كما ورد في الحديث ، فإن قسمه الشيخ والحاضرون ، فليتقدم لانتفاع الحاضرين بمذاكرته مع الشيخ ، أو لكبر سنه ، أو لصلاح) [1] .

- عدم التفريق بين اثنين أو الجلوس بغير إذنهما :

ومتي عزم المتعلم علي الجلوس ، فيبغي له ألا يفرق بين اثنين ، أو يجلس بغير إذنهما . . . عن أسامة بن زيد ، حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عند جده رضي الله عنهم ، أن رسول الله ﷺ قال : **(لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما يعني في المجلس)** [2] .

- التوسعة في المجلس للقادمين :

أما إذا كان المتعلم في قاعة الدرس ، وقدم أحد زملائه ، ورغب في الجلوس ، فليوسع لزميله ، يقول السمعاني : (ويستحب لمن كان جالسا في الحلقة أن يوسع للداخل ، ويتزحزح له عن مكانه . . . عن واثلة بن الخطاب القرشي رضي الله عنه ، قال : دخل رجل المسجد ، ورسول الله ﷺ جالس وحده ، فأقبل إليه ، فلما رآه النبي ﷺ تزحزح له فقال : يا رسول الله ، المكان واسع ، فقال ﷺ : **(إن حق المسلم علي المسلم إذا رآه أن يتزحزح له)** [3] ، وقال سعيد بن العاص : (لجليسي علي ثلاث ، إذا دنا رحبت به ، وإذا جلس وسعت له ، وإذا حدث أقبلت عليه) [4] .

- التزام الدور عند العرض على الأستاذ :

ومتى بدأ الدرس ، واقتضت المصلحة عرض ما يتعلم علي الأستاذ ، فينبغي للمتعلم أن يلتزم دوره أو نوبته فلا يتقدم علي زملائه ، ويوصي ابن جماعة المتعلم : (مراعاة نوبته ، فلا يتقدم عليه – زميله – بغير رضا من هي له ، روي أن أنصاريا جاء إلى النبي ﷺ يسأله ، وجاء رجل من ثقيف ، فقال النبي ﷺ : (يا أخا

---

(١) العلموي: المعيد في أدب المفيد والمستفيد ،مصدر سابق، ص ١٤٧.

(٢) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص ١٢٩. والحديث حسن،المناوي:فيض القدير،مرجع سابق،ج٦، ص٢١٣.

(٣) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء ،مصدر سابق،ص ١٢٩

(٤) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم ،مصدر سابق،ص١٥٨،١٥٩.

ثقيف ، إن الأنصاري قد سبقك بالمسألة ، فاجلس كيما نبدأ بحاجة الأنصاري قبل حاجتك) [1] .

ويجوز للمتعلم أن يقدم زميله عليه لحاجة ، أو مصلحة تقتضي ذلك ، يقول ابن جماعة : (قال الخطيب : يستحب للسابق أن يقدم علي نفسه من كان غريباً لتأكيد حرمته ووجوب ذمته... وكذلك إذا كان للمتأخر حاجة ضرورية وعلمها المتقدم ، أو أشار الشيخ بتقدمه ، فيستحب إيثاره ، فإن لم يكن شئ من ذلك نحوه ، فقد كره قوم الإيثار بالنَّوْبَة ، لأن قراءة العلم والمسارعة إليه قربة ، والإيثار بالقرب مكروه) [2] .

وتحديد النوبة حسب الأسبقية في الحضور إلى قاعة الدرس ، يقول ابن جماعة : (ويحصل تقدم النوبة بتقدم الحضور في مجلس الشيخ أو إلى مكانه) [3] ، وقد يضطر المتعلم إلي الخروج من قاعة الدرس لحاجة ، فلا يسقط حقه بالخروج ، بل يعود إلى مكانه عند عودته . يقول ابن جماعة : (ولا يسقط حقه بذهابه إلى ما يضطر إليه من قضاء حاجة وتجديد وضوء ، إذا عاد بعده) [4] ، وعلي المتعلم إذا نازعه زميله في الدور أن يتبرع له ، يقول ابن جماعة : (وإذا تساوق اثنان وتنازعا أقرع بينهما أو يقدم الشيخ أحدهما إن كان متبرعاً) [5] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم ،مصدر سابق،ص١٥٩-١٦٠.

(٢) المصدر السابق:ص ١٥٩، ١٦٠

(٣) المصدر السابق:ص١٦٠.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة الصفحة .

(٥) المصدر السابق:ص١٥٩،١٦٠.

الخلاصة :

مما سبق يتضح كيف حرص الفكر الإسلامي علي حسن اختيار المتعلم لزملائه ورفاق دراسته ، ممن يجمعون بين الخلق والدين والحرص علي العلم والتعلـم ، كمـا اشتمل الفكر والإسلامي علي مجموعة من الآداب التي ينبغي أن تُراعي بين الزمـلاء والتي تتركز في ضرورة الاحترام المتبادل ، والتواضع للزمـلاء ، وعـدم التحاسـد ، والتعاون في طلب العلم ، والنُصح ، وتبادل استعارة وإعـارة الكتـب والأدوات في حدود المنفعة العامة . كذلك حدد هذا الفكر آداب الجلوس في الدرس ومن له حـق الأولوية في المجلس ، وفي العرض علي الأستاذ ، وكلها آداب ترمي إلى إيجاد المنـاخ العلمي المناسب ليستفيد الجميع ، ويتعاونوا علي مزيد من العلم والتعلم في ظل أجـواء دراسية يسودها الحب والتعاون والتفاهم والاحترام المتبادل .

الفصل الرابع

آداب المتعلم نحو مجتمعه

- المسؤولية الاجتماعية للمتعلم نحو مجتمعه :

الإنسان كائن اجتماعي بطبيعته ، فمنذ ولادته يحتاج إلى من يهتم به ، ويشرف على تنشئته ، وكذا في شبابه وفي شيخوخته يحتاج إلى أن يعيش في جماعة ، يقول ابن مسكويه : (الإنسان من بين جميع الحيوان لا يكتفي بنفسه في تكميل ذاته ، ولابد له من معاونة قوم كثيري العدد حتى يتمم به حياته طيبة ، ويجري أمره علي السداد ، ولهذا قال الحكماء : إن الإنسان مدني بالطبع ، أي هو محتاج إلى مدينة فيها خَلقٌ كثير ، لتتم له السعادة الإنسانية) [(١)] .

والإنسان في المجتمع يرتبط بالأفراد بصلات قوية ؛ تكفل له تحقيق السعادة الإنسانية التي ينشدها ، ولهذا عرف المجتمع بأنه (مجموعة من الأفراد يعيشون معاً فوق بقعة معينة بتعاون وتضامن ، ويرتبطون بتراث ثقافي معين ، ولديهم الإحساس بالانتماء بعضهم لبعض ، والولاء لمجتمعهم ، ويكونون مجموعة من المؤسسات التي تؤدي لهم الخدمات اللازمة في حاضرهم ، وتضمن لهم مستقبلاً مشرقاً في شيخوختهم ، وتنظيم العلاقات فيما بينهم) [(٢)] .

ولما كانت سعادة المتعلم وعكسها ترتبط بالآخرين ؛ كان لا بد له من السعي لنيل وإدراك الفضائل من خلال المجتمع الذي يعيش فيه ، إذ بدون مجتمع لا يمكن أن تظهر له فضائل ، فهو مضطر إلى مصافاة الآخرين ومحبتهم وتوجيههم ، من خلال مخالطتهم ومساكنتهم ، ومن خلال معاملتهم .

يقول ابن مسكويه : (فكلٌ بالطبع وبالضرورة يحتاج إلي غيره ، فهو لذلك مضطر إلى مصافاة الناس ومعاشرتهم العشرة الجميلة ، ومحبتهم المحبة الصادقة ، لأنهم يكملون ذاته ، ويتممون إنسانيته ، وهو أيضاً يفعل بهم مثل ذلك ، فإذا كان كذلك بالطبع وبالضرورة ، فكيف يؤثر الإنسان العاقل والعارف بنفسه التفرد والتخلي ، ولا يتعاطى ما يرى الفضيلة في غيره ، فإذا القوم الذين رأوا الفضيلة في الزهد ، وترك مخالطة الناس ، وتفردوا عنهم بملازمة المغارات في الجبال ، وإما ببناء الصوامع في المفاوز، وإما بالسياحة في البلدان لا يحصل لهم شيء في الفضائل الإنسانية ... ذلك أن من لم يخالط الناس ولم

---

(١) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق،ص٢٤.

(٢) إبراهيم ناصر:التربية وثقافة المجتمع،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط١،١٩٨٣م،ص٥١.

يساكنهم في المدن لا تظهر فيه العفة ولا النجدة ولا السخاء ولا العدالة ، بل تصير قـــواه وملكاته التي رُكّبت فيه باطلة لأنها لا تتوجه لا إلى الخير ولا إلى الشر ، فإذا بطلــت و لم تظهر أفعالها الخاصة بها صاروا بمنزلة الجمادات والموتى من الناس ، ولذلك يظنون ويظـن بهم أنهم أعِفّاء وليسوا أعفاء ، وأنهم عدول وليسوا بعدول ، وكذلك سـائر الفضـائل ، أعني إذا لم يظهر منهم أضداد هذه التي هي شرور ؛ ظن بهم الناس أنهم أفاضل ، وليسـت الفضائل أعداماً بل هي أفعال وأعمال تظهر عند مشاركة النـــاس ، ومســاكنتهم ، وفي المعاملات ، وضروب الاجتماعات) (١) .

وبمقتضى ما سبق فالإنسان لا يكتسب الخلق الفاضل إلا مـــن خـلال الحيـاة في جماعة ، وأن علي المتعلم تعلم الفضائل حتى يمكنه ممارسة دوره في المجتمع الـــذي يعيـش فيه ، يقول ابن مسكويه : (ونحن إنما نتعلم الفضائل الإنسانية التي نســاكن بهــا النــاس ونخالطهم ونصبر علي أذاهم ؛ لنصل منها وبها إلى سعادات أخرى ، إذا صرنا إلى حـــال أخرى ، وتلك الحال غير موجودة لنا الآن) (٢) .

ولا يمكن للمتعلم أن يمارس دوره في المجتمع بنجاح إلا من خلال شعوره بالمسؤولية الاجتماعية ، يقول ﷺ : (**كلكم راع وكلكم مســؤول عـــن رعيتــه ، الإمـــام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها راعية ومسؤولة عن رعيتها**) (٣) ، تلك الدعوة تمثل حرص الإسلام علـــي تربيــة أفراد المجتمع — خاصة المتعلمين — على الشعور بالمسؤولية في مختلف المرافق ، ولهذا فقـــد قرر المفكرون المسلمون مجموعة من المسؤوليات والواجبات تجب على المتعلم نحو مجتمعه ، وهي ما يلي :

---

(١) ابن مسكويه: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مرجع سابق،ص٢٤-٢٥.

(٢) المصدر السابق:ص٢٥.

(٣) الحديث صحيح، أبو عبد الله الحداد: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين،مرجع ســابق،ج٤،ص ١٢٥٩-١٢٦٠.

نشر العلم و توعية أفراد المجتمع :

يعتبر أفراد المجتمع المسلم وحدة واحدة ، حيث ورد في حديث لرسول الله ﷺ أن **(المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)** (١) ، وقال ﷺ : **(مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الأعضاء بالسهر والحمي)** (٢) ، لذلك عظمت مسؤولية العلماء والمتعلمين تجاه المجتمع من حيث نشر العلم ، وقول الحق والإرشاد إليه ، وتبليغ للناس .

وقد وردت الأخبار والآثار التي تحث على نشر العلم ، والمساهمة في توعية أفراد المجتمع ، قال رسول الله ﷺ : **(مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله به فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به)** (٣) .

فيجب على طالب العلم أن يطرح العلم على الناس طرحا ، أينما كان ، بمختلف الأساليب ، مراعيا ما يحتاجه الناس في أزمانهم وأماكنهم ومستوياتهم المختلفة ، ويجيب على الأسئلة إذا سئل وهو يعرف إجابتها ؛ حتى لا يقع في الكتمان ، وعليه أن يحذر الفتوى بغير علم فهذه من الذنوب العظام التي وقع فيها بعض طلبة العلم .

فليس من العيب إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم ، فلقد كان كبار السلف إذا سئلوا و لم يعرفوا قالوا : الله أعلم .

كما عد نشر العلم من الأعمال التي تنفع المتعلم ، قال محمد بن إسماعيل الصايغ : (رأيت يزيد بن هارون في النوم فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قلت بأي شئ ؟ قال بهذا الحديث الذي نشرته في الناس) (٤) ، وعن معاذ -رضي الله عنه- :

---

(١) الحديث صحيح،أبو عبد الله الحداد: تخريج أحاديث إحياء علوم الدين،مرجع سابق،ج٤،ص١١٤٥.

(٢) الحديث صحيح،الألباني،سلسلة الأحاديث الصحيحة،مرجع سابق،مج٣،ص٧١.

(٣) الحديث صحيح ، رواه البخاري.

(٤) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٢٤.

(تعلموا العلم ، فإن تعلمه حسنة ، وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد وبذله قربة ، وتعليمه من لا يعلمه صدقة) [1] .

وقد دعا رسول الله ﷺ لنشر العلم ، قال ﷺ : (نضر الله امرءا سمع مقالتي ، أوسمع منا حديثا فوعاه ثم بلغه غيره) [2] ، وتعلو مكانة المتعلم عندما ينشر علمه ، روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : (من علم وعمل وعلم ، دعي في ملكوت السماوات عظيما) [3] ، وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال : (معلم الخير يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر) [4] .

وقال محمد بن النضر الحارثي : (أول العلم الصمت ، ثم الاستماع له ، ثم العمل به ، ثم حفظه ، ثم نشره) [5] .

كما ورد الذم ، والتوبيخ لمن كتم العلم ، ورفض نشره ، وتعليمه لغيره قال الله عز وجل : ﴿وإذا أخذ الله ميثق الذين أوتوا الكتب لتبيننه للناس ولا تكتمونه﴾ [6] .

ودلالة الآية الوعيد الشديد لمن كتم العلم ، والأمر ببيانه ، وتوعية أفراد المجتمع لما فيه الخير لهم ، وعن ابن القاسم قال : (كنا إذا ودعنا مالكا ، يقول لنا : اتقوا الله ، وانشروا هذا العلم وعلموه ، ولا تكتموه) [7] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١١.

(٢) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٢٤.والحديث صحيح،رواه أبوداوود.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ص١٢٤.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٥) السمعاني:أدب الإملاء والاستملاء،مصدر سابق،ص١٤٤.

(٦) سورة آل عمران:آية١٨٧.

(٧) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ص١٢٣.

ولقد كانت تلك المبادئ الإسلامية هي التي أوجبت علي العلماء تبليغ العلم ، وحالت دون كتمه ، بل وساهمت في شيوعه بين الناس ، وفارق كبير أن يصبح المجتمع كله أو جله متعلماً ، أو متفقهاً ، وبين أن يتحول العلم إلى امتياز للقلة ، أو بضاعة غالية لا ينالها إلا الصفوة من الناس .

ومن المعروف أن تعليم وتثقيف وتوعية أفراد المجتمع ليس بالأمر اليسير السهل ، بل يتطلب من العلماء والمتعلمين الكثير من الصبر والتحمل ، قال الحسن : (دخلنا فاغتممنا وخرجنا فلم نزدد إلا غما ، اللهم إليك نشكو هذا الغثاء الذي كنا نحدث عنه ، إن أجبناهم لم يفقهوا ، وإن سكتنا عنهم وكلناهم إلى عيٍّ شديد ، والله لولا ما أخذ الله على العلماء في علمهم ما أنبأناهم بشيء أبداً) [1] ، ولكنها أمانة العلم ومسؤولية العلماء أن يفقهوا الناس ، كل الناس ، وأن ينشروا العلم ، كل العلم ، وإلا حاسبهم الله على ذلك ، هل تضيع المجتمعات إلا بتضييع العلم ، وسكوت العلماء عن نشر العلم بين الناس ؟ .

- التصدي للانحرافات (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

من الطبيعي أن يجد المتعلم بعض الانحرافات في المجتمع الذي يعيش فيه ، الأمر الذي يتطلب تدخله ، آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، قال تعالى : **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾** [2] .

وينبغي للمتعلم أن يكون أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر قولاً وعملاً ، فأما ما يتعلق بالأفعال ، فعليه أن يكون أنموذجاً لأفراد المجتمع في تعامله مع الآخرين ، كاحترامه للكبير ورحمته الصغير .

كما ينبغي أن تكون تصرفاته وفق ما تعلم ، وأن يقرن المتعلم العلم بالعمل ؛ لما لذلك من وقع نفوس الآخرين ، ولهذا ينصح ابن جماعة المتعلم (بأن يحافظ على القيام بشعائر الإسلام ، وظواهر الأحكام ، كإقامة الصلاة في المساجد للجماعات ، وإفشاء

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ص٥-٦.

(٢) سورة آل عمران:آية١١٠

السلام للخواص والعوام) [1] ، كما ينصح الغزالي المتعلم (بأن يحترز عن مجالسة صاحب السوء ليقصي ولاية شياطين الجن والإنس من صحن قلبه ؛فيصفي عن لوثة الشيطنة) [2].

ولما كان المتعلم أنموذجاً في سلوكه وعمله وتصرفاته لأفراد المجتمع ، فقد ورد الوعيد لمن لم يعمل بعلمه لأنه من خلال ذلك يضلل الأفراد ، ويشجع علي نشر الانحرافات ، قال أبو الدرداء : (ويل لمن لا يعلم ولا يعمل مرة ، وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات) [3] ، وقال مالك بن دينار : (إن العالم إذا لم يعمل زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا) [4] .

وأما ما يتعلق بالأقوال ، فينبغي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب الاستطاعة باليد واللسان أو القلب ، ولا يؤتي الفعل أو القول ثماره ما لم يكن صادراً عن القلب ، قال سوار : (كلام القلب يقرع القلب ، وكلام اللسان يمر علي القلب صفحاً) [5]. وقال زياد بن أبي سفيان : (إذا خرج الكلام من القلب وقع في القلب ،وإذا خرج من اللسان لم يجاوز الآذان) [6] .

ويجب أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق طاقة المتعلم ، وعلي قدر علمه ، وبما يتيح له محاربة الانحرافات من خلال العمل علي إزالة (الجهل عن نفسه وعن سائر الجهال ، و إحياء الدين ، وإبقاء الإسلام ، فإن بقاء الإسلام بالعلم) [7] ، وليحذر المتعلم من خلال نشاطه التكلم بغير علم ؛ لأنه عندئذ يفسد أكثر مما يصلح ، سئل التستري رحمه الله (متى يجوز أن يعلم الناس ؟ قال : إذا عرف المحكمات من المتشابهات) [8] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٩١.

(٢) الغزالي:أيها الولد،مصدر سابق،ص١١٠.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مرجع سابق،ج٢، ص٤.

(٤) المصدر السابق:ص٨.

(٥) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٦) المصدر السابق:نفس الصفحة.

(٧) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٣٧.

(٨) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص١٢٤.

وليعلم المتعلم أنه لا يمكن تحقيق ما يهدف إليه من إصلاح وتوجيه إلا إذا كان يتمتع ذاته بحسن الخلق مع الآخرين ، وعرَّف الغزالي حسن الخلق بقوله : (وحسن الخلق من الناس ألا تحمل الناس علي مراد نفسك ، بل تحمل نفسك علي مرادهم ما لم يخالفوا الشرع) [1] .

ومتى سادت تلك الروح ؛ روح الأخوة والمحبة بين المتعلم وأفراد المجتمع ؛ أمكنه التأثير فيهم ، وتقويم ما يراه معوجاً منهم ، يقول ابن جماعة مبيناً مكارم الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها المتعلم ؛ حتى يقبل الآخرين نصحه وإرشاده ، بأن عليه : (معاملة الناس بمكارم الأخلاق ، من طلاقة الوجه، وإفشاء السلام ، وإطعام الطعام ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى عن الناس ، واحتماله منهم ، والإيثار وترك الاستيثار ، والإنصاف ، وترك الاستنصاف ، وشكر التفضل ، وإيجاد الراحة ، والسعي في قضاء الحاجات ، وبذل الجاه في الشفاعة ، والتلطف بالفقراء ، والتحبب إلى الجيران ، والأقرباء) [2] .

وبمثل تلك السلوكيات الرفيعة يستطيع المتعلم أن يكون قريباً من قلوب الناس ، وبالتالي يكون قادراً علي التأثير فيهم والتصدي لما يجده فيهم من انحرافات .

كما ينبغي للمتعلم – لكي يتصدى للانحرافات – أن يتحلى بأمرين :

–**أولهما : أن يكون مجتهداً يطلب الدليل والحجة** ، وهو في مثل الحالة يكون متبعاً ، والاتباع (هو أن تتبع القائل على ما بان لك من فضل قوله وصحة مذهبه) [3] .

–**وثانيهما : أن يبتعد المتعلم عن التقليد** ؛ لأنه مذموم في الدين لقول الله تعالى : ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله**﴾ [4] .

---

(١) الغزالي:أيها الولد،مصدر سابق،١٣١.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣.

(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العم وفضله،مرجع سابق،ج٢،ص٣٦.

(٤) سورة التوبة:آية٣١.

وعن أبي البحتري في تفسير الآية قال : (أما إنهم لو أمروهم أن يعبدوهم من دون الله ، ما أطاعوهم ، ولكنهم أمروهم فجعلوا حلال الله حرامه ، وحرامه حلاله ، فأطاعوهم فكانت تلك الربوبية) [1] .

ومن هنا ظهرت خطورة التقليد ؛ لأنه يُفْقِد المتعلم ملكة التفكير ، ويصبح مجرد متلقٍّ ، وتلك صفة الإمعة ؛ الذي لا رأي له ، يقول ابن عبد البر : (والتقليد أن تقول بقوله وأنت لا تعرفه ، ولا وجه لقوله ولا معناه ، وتأبى سواه ، أو أن يتبين لك خطؤه فتتبعه ؛ مهابة خلافه ، وأنت قد بان لك فساد قوله ، وهذا محرم في دين الله سبحانه وتعالى) [2] .

ويظهر الفرق بين التقليد والاتباع ، في كون الأول لا يعتمد علي دليل أو حجة ، بينما الاتباع يستند إلى حجة ودليل ، يقول أبو عبد الله البصري في بيان ذلك : (والتقليد معناه في الشرع الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه ، وذلك ممنوع منه في الشريعة ، والاتباع ما ثبت عليه الحجة) [3] ، كما يزيد أبو عبد الله تعريفه السابق بياناً إذ يقول : (كل من اتبعتَ قوله من غير أن يوجب عليك الدليل ذلك فأنت مقلده ، والتقليد في دين الله غير صحيح ، وكل من أوجب عليك الدليل اتباع قوله فأنت متبعه ، والاتباع في الدين مسوغ والتقليد ممنوع) [4] .

وقد ورد التحذير من التقليد أيضاً لما يترتب عليه من أضرار ومفاسد ، لا تقتصر على المتعلم وحده ، بل يمتد أثرها إلى المجتمع الذي يعيش فيه كإباحة (الفروج ، وإراقة الدماء واسترقاق الرقاب ، وإزالة الأملاك وتصييرها إلى غير من كانت في يديه) [5] ، بدون رجوع إلى كتاب أو سنة محكمة ، فضلاً عما يسببه كل ذلك من جمود وتخلف في شتى مجالات الحياة .

---

(١) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج٢ص١٩٠.

(٢) المصدر السابق:ص٣٧.

(٣) المصدر السابق:ص١١٧.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة .

(٥) المصدر السابق:ص١١٨.

- مراعاة حاجات المجتمع :

يجب علي المتعلم أن يطلب العلم الذي يرشده في عبادته ، ومعاملاته ، وأحوال قلبه ، وسائر شؤون حياته ، وعلى ذلك بُنِيَ فرض طلب العلم ، والحث على تحصيله يقول الزرنوجي : (وإنما يفترض طلب علم الحال ، كما يقال : أفضل العلم علم الحال وأفضل العمل حفظ الحال) [1] ، ومن بعد يتجه المتعلم لطلب العلم الذي يفيد المجتمع ، باعتبار أن حاجة المجتمع إلى تخصص ما تجعله في مرتبة الفرض على المتعلم ، يقول الزرنوجي : (وأما حفظ ما يقع في الأحايين ففرض على سبيل الكفاية ، إذا قام به البعض في بلدة سقط عن الباقين ، فإن لم يكن في البلدة من يقوم به اشتركوا جميعاً في المأثم) [2]، ويقول ابن عبد البر : (قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرؤ في خاصته بنفسه ، ومنه ما هو فرض على الكفاية ، إذا قام به قائم سقط فرضه على أهل ذلك الموضع) [3] .

وهذا ما دفع المفكرين المسلمين إلى تقسيم العلوم إلى ما هو فرض عين ، وفرض كفاية ، ومن العلوم ما هو إجباري ، وما هو اختياري ، و(مثال الاختياري الذي على سبيل الكفاية علوم الحساب والهندسة والطب... الخ ، فهي كلها من قبيل فرض الكفاية ؛ ذلك أن الأخذ بها يتوقف على ميول الفرد واستعداداته ، وموهبة وإمكاناته ، وكذا حاجة المجتمع إلى هذا العلم أو ذاك) [4] .

أما الجهة التي تحدد حاجة المجتمع إلى تخصص ما فهي الدولة ، باعتبارها مسؤولة عن تحقيق السعادة لأبنائها ، يقول ابن مسكويه في تحديد الواجب علي الحاكم : (يجب علي مدير المدن أن يسوق كل إنسان نحو سعادته التي تخصه ، ثم يقسم عنايته بالناس ونظره لهم بقسمين : أحدهما في تسديد الناس وتقويمهم بالعلوم الفكرية ، والآخر في تسديدهم نحو الصناعات والأعمال الحسية) [5] .

---

(١) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٢٩.
(٢) المصدر السابق:ص٣٢.
(٣) ابن عبد البر:جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص١٠.
(٤) محمود أحمد السيد وآخرون:الفكر التربوي العربي الإسلامي،مرجع سابق،ص ٣٠٦.
(٥) ابن مسكويه:تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق،مصدر سابق،ص٦٢.

وقد تقتضي حاجة المجتمع إلى إجبار المتعلمين على طلب العلم في تخصص معين ، يقول الزرنوجي : (وعلى الإمام أن يأمرهم- المتعلمين- بذلك ، ويجبر أهل البلدة على ذلك) [1] ، والمتعلم في طلبه العلم الذي يحتاج إليه المجتمع يستجيب لدعوة الإسلام بطلب العلم النافع لنفسه وللآخرين .

وقد عد المتعلم ضمن قوى خط الدفاع الأول عما يواجه المجتمع الإسلامي من مشكلات بأنواعها ، وتكمن أهمية المتعلم وفعاليته في قدرته على التصدي للمشكلات بأنواعها التي تواجه المجتمع ، وفي قدرته على التمييز بين الصحيح والسقيم ، بما أوتي من قوة بصيرة ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لموت ألف عابد قائم الليل صائم النهار ، أهون من موت العاقل البصير بحلال الله وحرامه) [2] .

وتلعب علاقة التفاعل القائمة بين المتعلم وأفراد المجتمع دوراً فاعلاً في التصدي للتيارات المنحرفة ، ومثال ذلك ما روي عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال : (إن الشياطين قالوا لإبليس يا سيدي ما لنا نراك تفرح بموت العالم ما لا تفرح بموت العابد ؟! فقال : انطلقوا ، فانطلقوا إلى عابد قائم يصلي ، فقالوا له : إنا نريد أن نسألك ، فانصرف ، فقال له إبليس : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ؟! فقال : لا ، فقال : أترونه كفر في ساعة ؟! ، ثم جاء إلى عالم في حلقة يضاحك أصحابه ، ويحدثهم ، فقال ، إنا نريد أن نسألك ، فقال : سل ، فقال : هل يقدر ربك أن يجعل الدنيا في جوف بيضة ؟! فقال : نعم ، قال : وكيف ؟ قال : يقول لذلك إذا أراده كن فيكون ، قال إبليس : أترون ؟! ، ذاك لا يعدو عن نفسه ، وهذا يفسد علي عالماً كثيراً) [3] .

أمثال تلك المجالس العلمية التي تفيد المجتمع رغب رسول الله ﷺ في إقامتها ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ : (**مر بمجلسين في مسجده ، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه ، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه ، فقال ﷺ : كلا المجلسين على خير ، وأحدهما أفضل من الآخر ، أما هؤلاء فيدعون الله**

---

(١) الزرنوجي:تعليم المتعلم طريق التعلم،مصدر سابق،ص٣٢.

(٢) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١، ص٢٦.

(٣) المصدر السابق:ج١، ص ٢٦.

ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم ، وأما هـؤلاء ليتعلمـون ويعلمـون الجاهل ، وإنما بعثت معلماً ثم أقبل فجلس معهم) [1] .

ومقتضى ذلك أن يطلب المتعلم من العلم ما يحتاج إليه المجتمع لبناء ذاته ، وتطويـر قدراته ، آخذاً بالحذر من التصدي لكل مشكلة ، لأن ذلك قد يوقعه في الخطـأ ، فـلا يتصدى لما لا يعرفه ، ولم يطلع عليه بشكل كاف ، قال عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– : (من عمل في غير علم ، كان ما يفسد أكثر مما يصلح) [2] ، ولكن له أن يمـارس دوره ونشاطه في خدمة المجتمع تحت إشراف معلم حاذق باحث ، ومن هنا قالوا بجواز فتـوى المتعلم بموافقة العالم .

---

(١) ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله،مصدر سابق،ج١،ص٥٠.

(٢) المصدر السابق:ص٢٧.

الخلاصة :

مما سبق يتضح كيف أكد المفكرون المسلمون على واجبات المتعلم نحو مجتمعه بصفة عامة ، ومسئوليته الاجتماعية عن توعية أفراد المجتمع ، ونشر ما لديه من علم ، والتصدي للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حدود ما يعلم ، وأن يراعي في اختياره لتخصصه العلمي قدراته الخاصة من ناحية ، وحاجات المجتمع إلى تخصصات معينة من ناحية أخرى ، بحيث لا يحرم المجتمع المسلم من تخصص معين ، ويلجأ إلى غير المسلمين .

الفصل الخامس

آداب المتعلم نحو مؤسسته التعليمية

كثيرا ما تشهد المؤسسات التعليمية (المدارس-الكليات-المعاهد) بعض التصرفات غير السوية من قبل بعض المتعلمين ، وتتمثل التصرفات في عمليات الإتلاف والإفساد والتخريب لبعض التجهيزات والمرافق ، وهذا السلوك يتنافى مع قواعد السلوك السوي ؛ الذي يفترض أن يلزم المتعلم نفسه به تجاه مؤسسته ؛ بما يعود بالنفع عليه ، وعلي زملائه ، ولقد أدرك المفكرون المسلمون أهمية ذلك ، لذا أرشدوا المتعلم إلى مجموعة من الآداب والسلوكيات ، التي يجب أن يلتزم بها تجاه مدرسته أو معهده ، علي النحو التالي :

أولا -آداب استخدام المكتبة العامة ، والحفاظ على محتوياتها :

قل أن تخلو مدرسة من المدارس الإسلامية التي انتشرت في العالم الإسلامي من مكتبة مزودة بالكتب التي تختلف في أعدادها كثرة أو قلة ، تبعا لمكانة المدرسة والأوقاف المرصودة لها ، هذا بالإضافة إلى المكتبات الملحقة بالمساجد والزوايا والخانقاوات والبيمارستانات ، و المكتبات العامة ، ودور الكتب التي زخر بها العالم الإسلامي .

ولا يخفى على أحد أهمية المكتبة في تحصيل العلم والمعرفة ، فهي (أداة تربوية حية لخدمة النشء) [(١)] ، فهي جزء هام لا يمكن الاستغناء عنه في أي مدرسة أو مؤسسة تعليمية .

ولما كانت المكتبات من الوسائل التي تساعد المتعلم على الدرس والبحث ، لذا أكثر مؤسسو المدارس من إيقاف الكتب عليها ، وأعدوا لها البناء المناسب ، ووفروا لها العناصر البشرية اللازمة ، من خزان ، ومشرفين ، ومناولين ، ونظار .

ولاشك أن كثرة المكتبات العام والخاصة والمدرسية آنذاك يعد مؤشرا هاما على تلك المكانة التي تمتع بها الكتاب في ذلك العصر ، وعلى مدى عناية المسلمين بالعلم ، ورعايتهم للعلماء والمتعلمين .

---

(١) ر.ج.رالف:المكتبة ودورها في التربية،ترجمة مصطفى الجوبي،مؤسسة المطبوعات الحديثة،القاهرة،(د.ط)،(د.ت)،ص٣.

ولقد تنافس الحكام والعلماء في إهداء كتبهم ، وإيقافها على مكتبات المدارس ، مما جعل بعض الحكام يعتبرها ثروة وطنية لا يجوز التفريط فيها ، والسماح بنقلها من بلد إلى آخر .

فها هو ابن الفوطي يحدث عن غنى المكتبة المستنصرية في بغداد ، وأنه نقل إليها يوم تكامل بناؤها (من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حمله مائة وستين جملا ، جعلت في خزانة الكتب) [١] .

وترجع أهمية المكتبات آنذاك (إلى أن الكتب لم تكن منتشرة ، ولم يكن باستطاعة الكثيرين شراؤها ؛ نظرا لارتفاع ثمنها وقلة عدد الموجود منها ، لأن جميع الكتب كانت مخطوطات مرتفعة الثمن ، باهظة التكاليف ، لارتفاع أثمان مواد الكتابة من الأوراق والأقلام والمواد ، بالإضافة إلى ارتفاع أجرة اليد العاملة في النسخ ، وندرة هذه الطائفة) [٢] ، ولهذا كان للمكتبات دور كبير وأثر بارز في النهضة العلمية ، وفي نشاط حركة التأليف والنسخ .

وعادة ما يرتاد المتعلم تلك المكتبات لينهل من كتبها المتعددة ، ولكونها تضم الكتب النادرة والمتنوعة ، الأمر الذي يفرض علي المتعلم حسن استخدام كتب المكتبة ، لما لبقائها وطول مدتها من أثر فعال في إمكانية الاستفادة منها من قبل الآخرين .

– صيانة الكتب من العبث والتمزق :

ولهذا فحري بالمتعلم أن يصون تلك الكتب من العبث والتمزق ، يقول ابن جماعة : (فإن كان الكتاب وقفا على من ينتفع به غير معين ، فلا بأس بالنسخ منه مع الاحتياط ، ولا بإصلاحه ممن هو أهل لذلك ، وحسن أن يستأذن الناظر فيه ، وإذا

---

(١) ابن الفوطي:الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة،تصحيح وتعليق مصطفى جواد،مطبعة الفرات،بغداد،(د.ط)،١٣٥١هـ،ص٥٩.

(٢) مجاهد توفيق الجندي:دراسات وبحوث جديدة في تاريخ التربية الإسلامية،دار الوفاء،المنصورة،ط١،١٩٨٤م،ص١٥٠.

نسخ منه بإذن صاحبه ، أو ناظره ، فلا يكتب منه والقرطاس في بطنه ، أو على كتابته ، ولا يضع المحبرة عليه ، ولا يمر بالقلم الممدود فوق كتابته) [1] .

– الطريقة المثلى لوضع الكتاب عند المطالعة :

حدد المفكرون المسلمون الطريقة المثلى لوضع الكتاب عند المطالعة ، يقول ابن جماعة : (إذا نسخ من الكتاب أو طالعه فلا يضعه على الأرض مفروشا منشورا ، بل يجعله بين كتابين ، أو شيئين ، أو كرسي الكتب المعروف ، كي لا يسرع تقطيع حبله ، وإذا وضعها في مكان مصفوفة فلتكن على كرسي ، أو على خشبة ، أو نحوه ، والأولى أن يكون بينه وبين الأرض خلوة ، ولا يضعها على الأرض كيلا تندى أو تبلى) [2] .

–بعض السلوكيات المرفوضة :

أما ما يصدر من قبل بعض المتعلمين من تصرفات تشمل رمي وإلقاء بعض صفحات الكتب ، وفيها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في صناديق النفايات ، أو في الطرقات فإنه يتنافى مع الطبع السليم ، والخلق الفاضل ، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : (إذا محت صبية الكتاب : ﴿ **تنزيل من رب العالمين** ﴾ [3] ، من ألواحهم بأرجلهم ، نبذ المعلم إسلامه خلف ظهره ، ثم لم يبال حين يلقي الله على ما يلقاه عليه ، قيل لأنس : كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنه وعنهم ؟ قال أنس : كان للمؤدب له أجانة ، وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماء طاهرا ، فيصبونه فيها فيمحون به ألواحهم ، قال أنس : ثم يحفرون في الأرض فيصبون ذلك الماء فينشف) [4] .

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٦٩.

(٢) المصدر السابق:ص١٧٠.

(٣) سورة الواقعة:آية٨٠.

(٤) ابن سحنون:آداب المعلمين،مصدر سابق،ص٣٥٣.

- طريقة ترتيب الكتب :

أرشد المفكرون المسلمون المتعلم إلى الطريقة المثلى لوضع الكتب ، وذلك بمراعاة الترتيب باعتبار علومها ، أو باعتبار شرفها ، يقول ابن جماعة : (ويراعي الأدب في وضع الكتب ؛ باعتبار علومها أو شرفها ، ومصنفها وجلالتهم ، فيضع الأشرف أعلى الكل ، ثم يراعي التدريج ، فإن كان فيها المصحف الكريم جعله أعلى الكل ....، ثم كتب الحديث ،... ثم تفسير القرآن ، ثم تفسير الحديث ...) (١) .

ثانيا - آداب تعامل المتعلم مع مكان الدرس :

يحسن بالمتعلم أن يحافظ على الأثاث والتجهيزات في مدرسته ، وخاصة عند استخدامه لها ؛ لما في ذلك السلوك من النفع له وللآخرين ممن معه ومن يأتي بعده ، فحسن استخدام النوافذ والأبواب فيه دلالة على وعي المتعلم ، وتمام خلقه ، ولهذا نهي عن العنف في إغلاق الأبواب ؛ وذلك بأن يتحفظ من الشدة والعنف في إغلاق الباب ، أما إذا دعت الضرورة لطرق الباب فليكن طرقا خفيفا ، وأما من طرق الباب بشدة لا يحتاج إليها فقد أساء الأدب (٢) .

- الحفاظ على نظافة مكان الدرس :

ومكان الدرس غالبا ما يكون - إن لم يكن على الدوام - به مسجد ، أو قاعة للدرس ، وهذه عادة ما تكون مفروشة ، الأمر الذي يتطلب من المتعلم أن يحافظ على نظافتها وغيرها بالتحفظ من السير على البسط بالنعل ؛ لما تحمله من أتربة وأوساخ ، يقول ابن جماعة : (وإذا كان مسكنه في مسجد المدرسة أو في مكان الاجتماع ومروره علي حصيرة وفرشه فليتحفظ عند صعوده إليه من سقوط شئ من نعليه... بل يجعل أسفل أحدهما إلى أسفل الأخرى بعد نفضهما ، ولا يلقيها إلى الأرض بعنف ولا يتركهما في مظنة مجالس الناس والواردين إليها غالبا كطرقي

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص١٧٠-١٧١ .

(٢) المصدر السابق:ص٢٣٣.

الصفة ، بل يتركهما إذا تركهما في أسفل الوسط ونحوه ولا يضعهما تحت الحصير في المسجد بحيث تنكسر) [1].

-عدم تلويث الحوائط والجدران بكتابة أو نحوها:

وعلي المتعلم أيضا أن يحرص علي عدم تلويث جدران المدرسة بالكتابة عليها بالأقلام ، أو استخدام أي مادة أخرى تؤدي إلى اتساخها وقذارتها ، ويوصي ابن جماعة المتعلم عند استخدم دورات المياه بما يلي : (ولا يدخل في ميضأتها العامة عند الزحام من العامة إلا لضرورة لما فيه من التبذل ، ويتأنى عنده ، ويطرق الباب إذا كان مردودا طرقا خفيفا ثلاثا ، ثم يفتحه بتأني ، ولا يستجمر ينجسة ، ولا يمسح يده المتنجسة بالحائط أيضا) [2].

ثالثا-السكن الداخلي وآدابه :

إن من مفاخر الحضارة الإسلامية تخصيص مساكن للطلبة للانقطاع للعلم ، والتفرغ للتحصيل والدرس والبحث ، وإقامة الشعائر الدينية ، ومراعاة المناخ العلمي والسلوكي الجيد ، وتوفير الكثير من الخدمات الأخرى .

وأخذت ظاهرة سكن الطلاب والمتعلمين في المدارس تتبلور بعد شيوع التعليم وإقبال المتعلمين الواسع عليه ، قاصدين مراكزه ، والضالعين فيه ، وهذا هو ما دعا طلاب العلم إلى ترك أسرهم وأهليهم ، واللجوء إلى مساكن خصصت لهم ، فكانت هذه الظاهرة إحدى المعطيات الاجتماعية والحضارية للمجتمع الإسلامي .

وفي عصرنا الحاضر عادة ما تخصص المؤسسات التعليمية (الجامعات — المدارس) سكنا داخليا للمتعلمين ، لا سيما الوافدين من أماكن بعيدة ، رغبة في تهيئة البيئة التي تعينهم علي مزيد من البحث والتحصيل .

---

(١) ابن جماعة : تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣٠.

(٢) المصدر السابق:ص٢٣٢.

ولقد وضعت قواعد تنظيم السكن في تلك المساكن المدرسية بشكل دقيق (بحيث تراعى حالة الساكن الصحية ، واختيار المكان الملائم له ، كما روعي المستوى الأخلاقي للطلبة عند اختيار سكناهم بالمدرسة ، مما يضمن حسن العلاقة بين جميع الساكنين) [1] .

ووفر واقفو المدارس للطلبة (المسكن المناسب كي يجد الطلبة الغرباء والفقراء راحتهم وأمنهم واستقرارهم ، مما يساعد على الانقطاع للعبادة وطلب العلم ، فكان من مكملات المدرسة إنشاء بيوت خاصة للطلبة ملحقة ببناء المدرسة وهي شبيهة بالمدن الجامعية اليوم ، مع الفارق الكبير في وفرة الخدمات التي تقدمها للطلبة الساكنين بها ، بتوفير جو من الهدوء والراحة والنظام) [2] .

فكانت المدرسة مساكن للطلبة ، وأماكن للتعليم (حيث اعتمد في تصميمها المعماري على قاعة كبيرة للدرس ، اصطفت على جوانبها غرف الطلبة ، أو قاعة للنوم في بعض الأحيان من طابقين ، يتوسطهما صحن مكشوف ، وقد تضمنت مصلى صغير لتؤدى فيه الصلوات ، وكانت هذه المدارس تقدم للطلبة الغرباء غرفة لكل طالب ، وكان في بعض هذه المدارس ما يزيد على المائة غرفة) [3] .

وكانت مساكن الطلبة آية من آيات الفن المعماري ، تبدو على جدرانها الزخارف بالنقش العربي الهندسي والبنائي ، وتوفرت في هذه المساكن كل أسباب الراحة والصحة ، حتى ينصرف الطالب إلى حضور الدروس ، والمطالعة في المكتبة ، وإعداد الدروس بغرفته ، ولا يتكلف الطالب نظير ذلك شيئا [4] .

كما توفرت في السكن الداخلي الوسائل الترويحية الضرورية ، فلم (تخل الحياة داخل المدرسة من بعض الاحتفالات التي تقام للترفيه والتوسعة على العاملين في

---

(١) عبد الغني محمود:التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك،دار المعارف،القاهرة،ط١،١٩٨٤م،ص٣٠٥.

(٢) علي سالم النباهين:نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر،دار الفكر العربي،القاهرة،ط١،١٩٨١م،ص٣١٦.

(٣)محمد عادل عبد العزيز:التربية الإسلامية في المغرب،مرجع سابق،ص٥٢.

(٤) المرجع السابق:ص٥٢-٥٣.

المدرسة ، سواء من المدرسين أو الطلبة وغيرهم ، في المواسم الدينية ، فتفرق عليهم اللحوم والسكر والمأكولات والحلوى ، خصوصا ، في الأعياد وشهر رمضان ، ويومي تاسوعاء وعاشوراء) (١) .

وكان يقدم للطلاب الطعام الذي يعد في مطبخ خاص بالمدرسة ، ويقوم به طباخ خاص ، وله مساعدون ، يقومون بإعداد الطعام وتوزيعه عليهم (٢) .

وكذلك كانت تقدم لهم المعاليم أو الرواتب الشهرية (والثياب طيلة مدة إقامتهم فيها ، وكانت الأوقاف الخيرية هي التي تتحمل تلك النفقات) (٣) .

ولم يهمل مؤسسو المدارس الرعاية الطبية الشاملة للمدرسين والطلبة ومن معهم من أصحاب الوظائف بالمدرسة ، سواء كانوا من المقيمين فيها ، أو في خارجها ، فالطبيب لا يقصر مداواته على الموظفين والطلبة المقيمين بها فقط ، بل كان يداوي من يحضر من الطلبة وأرباب الوظائف ممن ليس لهم سكن فيها .

فهذه المدرسة المستنصرية كان من شروط وقفها أن يكون هناك طبيب (يطبب من يعرض له مرض من أرباب هذا الوقف ، ويعطي المريض ما يوصف له من أدوية وأشربة وغير ذلك) (٤) .

ووضع للسكن في المدرسة نظام دقيق للدخول والخروج ، فكان هناك الحارس البواب ، ومهمته ملازمة باب المدرسة لصيانتها وحفظ ما فيها من متاع ، وعدم السماح لمن لا يقيمون فيها بالدخول ، أو غير المرغوب فيهم ممن هم متهمون بالفساد وسوء الخلق .

وكان هناك الفراشون الذين يقومون بعملية تنظيف المدرسة ومساكنها الداخلية ، من كنس ورش وتنظيف الفرش ونفضها ، وكثيرا ما توزع الأعمال بينهم بالتناوب .

---

(١) عبد الغني محمود:التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك،مرجع سابق،ص٣٠٣.
(٢) المرجع السابق:نفس الصفحة.
(٣) محمد عادل عبد العزيز:التربية الإسلامية في المغرب،مرجع سابق،ص٥٣.
(٤) ابن الفوطي:الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة،مرجع سابق،ص٥٩.

وكان هناك أيضا القومة الذين يتولون الإشراف على إنارة المدرسة ومساكنها الداخلية ، وتعمير القناديل للطلبة ، وعمل الصيانة اللازمة لها من المسح والتنظيف .

وكثيرا ما نسمع في عصرنا الحاضر عن بعض المشكلات التي تحدث بين الطلاب في تلك المساكن ، أو مع الأهالي ؛ خاصة إذا كانت مساكن الطلاب تقع في المناطق السكنية ، ويعود ذلك إلى عدم معرفة واطلاع المتعلمين على آداب الإقامة في تلك المساكن .

وقد حدد المفكرون المسلمون الآداب والسلوكيات التي يجب على المتعلم أن يلزم نفسه بها مع زملائه و جيرانه ، والمحافظة على مبناها وصيانته ، وعلى سمعة المدرسة ؛ ليجني الفائدة المرجوة من الإقامة في مثل تلك المساكن ؛ وليتمكن من الحياة في بيئة علمية صحيحة ، وأهم تلك الآداب ما يلي :

– اختيار الجيران وصفاقم :

قيل : الجار قبل الدار ، ومقتضى ذلك عظم منزلة الجار وأهميته ، ولما للجيران من تأثير على حياة جيرانهم سلبا وإيجابيا ، ولكون المتعلم في حاجة إلى الاستقرار النفسي كان لابد من حسن اختيار المتعلم لجيرانه ، ممن عرفوا بالصلاح وحبهم الاشتغال في العلم ، بالإضافة إلى صونهم لأعراضهم ، وأن يكون المتعلم في ذاته ممن تنطبق عليه تلك المواصفات قال ﷺ : **(والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من لا يأمن جاروه بوائقه)** [1] ؛ أي شروره.

يقول ابن جماعة في اختيار الجيران : (أن يختار لجواره إن أمكن أصلحهم حالا ، وأكثرهم اشتغالا ، وأجودهم طبعا ، وأصونهم عرضا ، ليكون معينا له على ما هو بصدده ، ومن الأمثال : الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق ، والطباع سراقة ، ومن دأب الجنس التشبه بجنسه) [2] .

---

(١) الحديث صحيح، رواه البخاري.

(٢) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٢٢٣.

- مراعاة حقوق الجيران :

تتجلى عظمة الجار وأهميته ومكانته أنـــه ذكـــر في كتـــاب الله ، قـــال الله : ﴿واعبدوا الله ولا تشركون به وبالولدين إحسنا وبذي القربي واليتمى والمســـكين والجار ذي القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمنكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا﴾ (١) .

قال الزمخشري في :(﴿ ذي القربي﴾ الذي قرب جواره و﴿الجار الجنب﴾ الذي جواره بعيد ، وقيل الجار القريب النسيب ، والجار الجنب الأجنبي) (٢) .

وفي حديث رسول الله ﷺ أنه قال : (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه) (٣) ، وتتجلى مظاهر مراعاة حقوق الجار في عدة أمور، منها :

أ - إفشاء السلام وإظهار المودة والاحترام :

يقول ابن جماعة : (أن يلزم أهل المدرسة التي يسكنها بإفشاء السلام ، وإظـــهار المودة والاحترام ، ويراعي لهم حق الجيرة والصحبة والأخوة في الدين والحرفة ، لأنهـــم أهل العلم وحملته وطلابه والحرفة) (٤) ، ويقول السعدي : (فينبغي للجار أن يتعـــاهد جاره بالهدية والصدقة والدعوة ، و اللطافة بالأقوال والأفعال ، وعدم أذيته) (٥) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ قال : (أفشوا الســـلام ، وأطعموا الطعام ، وكونوا إخوانا كما أمركم الله عز وجل) (٦) .

---

(١) سورة النساء:آية٣٦.

(٢) الزمخشري:الكشاف،مرجع سابق،ج١،ص٢٦٧.

(٣) الحديث صحيح،رواه ابن ماجة.

(٤) ابن جماعة: تذكرة السامع والتكلم،مرجع سابق ص٢٢١.

(٥) عبد الرحمن بن السعدي:تيسير الكريم الرحمن،مرجع سابق،ج٢، ص٣١.

(٦) الحديث صحيح،رواه ابن ماجة.

ب- ترك إيذاء الجيران ، والإحسان إليهم :

ومن كمال إيمان المسلم تركه إيذاء جاره ، والإحسان إليه ، يقول ﷺ : **(ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليحسن إلي جاره)** (١) .

ويذكر ابن جماعة أنواع الأذى التي قد يتعرض لها بعض الجيران ، كالاطلاع علي عوراتهم من خلال الشقوق والنوافذ ، فيدعوا المتعلم إلى (أن لا ينظر في بيت أحد في مروره من شقوق الباب ونحوه ، ولا يلتفت إليه إذا كان مفتوحا ، وإن سلم سلم وهو مار ، من غير التفات ، ولا يكثر من الإشارة إلى الطاقات ، لا سيما إذا كان فيهن النساء) (٢) .

ج- الصبر علي الجيران والتجاوز عن إساءتهم :

من المتوقع أن يواجه المتعلم خلال تعامله مع جيرانه بعض الأذى ، سواء بقصد أو بغير قصد ، مما يتطلب منه أن يتحلى بالصبر ؛ بل من الأفضل أن (يتغافل عن تقصيرهم ، ويغفر زللهم ، ويستر عوراتهم ، ويشكر محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم) (٣) .

أما إذا اشتد أذى الجيران ، وظهر منهم ما لا يحتمل ، فالأولى أن يترك المكان يقول ابن جماعة : (فإن لم يستقر خاطره لسوء جيرتهم ، وخبث صفاتهم ، أو لغير ذلك فليرتحل عنها – مكان السكن – ساعيا في جمع قلبه واستقرار خاطره ، وإذا اجتمع قلبه ، فلا ينتقل من غير حاجة ، فإن ذلك مكروه للمبتدئين جدا) (٤) .

د- تجنب إزعاج الجيران والزملاء :

ينبغي للمتعلم أن يراعي أحوال جيرانه ، فلا يسبب ما يزعجهم ، سواء كان ذلك برفع صوته ، أو إحداث أصوات مزعجة من خلال المشي ، أو إغلاق الأبواب ، أو النداء ، ... الخ ، وأمثال تلك التصرفات ، مما يسئ إلى العلاقة بين المتعلم وجيرانه

---

(١) الحديث صحيح، رواه ابن ماجة.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣٣.

(٣) المصدر السابق:ص٢٢١.

(٤) المصدر السابق:نفس الصفحة.

وزملائه ، يقول ابن جماعة : (ولا يرفع صوته جدا في تكرار ، أو نـداء أحـد ، أو بحث ؛ كيلا يشوش علي غيره ، بل يخفضه ما أمكن مطلقا ، لا سيما بحضور المصلين أو حضور أهل الدرس ، ويتحفظ من شدة وقع القبقاب ، والعنف في إغلاق الباب ، وإزعاج المشي في الدخول والخروج والصعود والنزول ، وطرق باب المدرسة بشدة لا يحتاج إليها ، أو نـداء مـن بـأعلى المدرسـة مـن أسـفلها ، إلا أن يكـون بصوت معتدل عند الحاجة) [1] ، وقد ورد في القرآن الكريم علي لسان لقمان لابنه قوله تعالي : ﴿**واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير**﴾ [2] .

ويقول ابن جماعة أيضا : (وإذا سكن البيوت العليا خفف المشي والاستلقاء عليها ووضع ما يثقل ، كي لا يؤذي من تحته) [3] .

هـ-عدم الجلوس أمام باب المدرسة أو في الطرقات :

ومما يزعج الجيران والزملاء اتخاذ المدخل العام مجلسا ، ويعد هذا مـن الجلوس في الطرقات المنهي عنه ؛ لما يترتب عليه من مضايقات للمارة رجالا كانوا أم نساء ، وفي حديث لرسول الله ﷺ ما معناه (**إياكم والجلوس في الطرقات قالوا مجالسنا ما لنا بد فيها فقال: فغض البصر وكف الأذى**) [4] .

يقول ابن جماعة : (لا يتخذ باب المدرسة مجلسا ، بل لا يجلس إذا أمكن إلا لحاجة ، أو في ندرة ، لقبض أو ضيق صدر ، ولا في دهليزها المهتوك إلى الطريق ، فقد نهي عن الجلوس في الطرقات ، وهذا منها ، أو في معناها ، لا سيما إن كان ممن يستحيا منه ، أو ممن هو في محل تهمة أو لعب ، ولأنها في مظنة دخول فقيه بطعامه وحاجته ، فربما استحيا من الجالس ، أو يكلف سلامه عليهم ، وفي مظنة دخول نساء من يتعلق بالمدرسة ، ويشق عليه ذلك ويؤذيه ، ولأن في ذلك بطالة وتبذلا) [5] ،

---

(١) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣٣

(٢) سورة لقمان:آية١٩.

(٣) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣٠.

(٤) الحديث صحيح،المناوي:فيض القدير،مرجع سابق،ج٣،ص١٢١.

(٥) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٣١.

واستخدام الساحة العامة في غير ما هو مخصص لها ، أو في غير الوقت ، مما يسبب الإزعاج للجيران والزملاء ؛ لكثرة التمشي يقول ابن جماعة : (ولا يكثر التمشي في ساحة المدرسة بطالا من غير حاجة إلى راحة ، أو رياضة ، أو انتظار أحد) [1] .

و- الالتزام بالأدب والسلوك الحسن :

ينبغي للمتعلم أن يلتزم السلوك الأمثل في تصرفاته مع جيرانه وزملائه ، فمثلاً إذا التقى بأحد جيرانه عند الدرج ورغبا في النزول فليقدم أصغرهما ، والعكس في الصعود ، مراعياً في ذلك عدم المزاحمة ، يقول ابن جماعة : (وإذا اجتمع اثنان من سكان العلو أو غيرهم في أعلى الدرجة بدأ بأصغرهما بالنزول قبل الكبير ، والأدب للمتأخر أن يلبث ولا يسرع في النزول إلى أن ينتهي المتقدم آخر الدرجة من أسفل ، ثم ينزل ، فإن كان كبيراً تأكد ذلك ، وإن اجتمعا في أسفل الدرجة للطلوع تأخر أصغرهما ليصعد أكبرهما قبله) [2] .

ز-الابتعاد عن كل ما فيه ريبة وسوء :

كما ينبغي للمتعلم أن يبتعد عن كل ما يؤدي إلى العيب فيه واغتيابه ، يقول ابن جماعة : (ويتجنب ما يعاب كالأكل ماشياً وكلام الهزل غالباً ، والبسط بالنعل ، وفرط التخطي ، والتمايل على الجنب والقفا ، والضحك الفاحش بالقهقهة ، ولا يصعد إلى سطحها - السكن - المشرف من غير حاجة أو ضرورة) [3] .

وعلى المتعلم أيضاً أن يتحفظ عن التجرد من الثياب ، يقول ابن جماعة : (وإذا كانت المدرسة مكشوفة إلى الطريق السالك من باب أو شباك تحفظ فيها عن التجرد ، وكشف الرأس من غير حاجة) [4] .

---

(١) ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، مصدر سابق، ص٢٣١.

(٢) المصدر السابق: نفس الصفحة.

(٣) المصدر السابق: ص٢٣٤.

(٤) المصدر السابق: ص٢٣٣.

ح–السماح بسكنى المدرسة والمبيت خارجها:

لم يكن الالتحاق بالمساكن المدرسية (ميسرا لكل راغب ، بل وضع واقفو المدارس قواعد معينة تحكم نظام المدرسة ، كان يكون الطالب أعزب أو متزوجا ، وكان جو المدرسة وسطا بين الحرية والتضييق ، ويوفر فيه للطلاب شعور بالاطمئنان كالشعور الذي يحسون به في بيوتهم ، وقد سمح لهم بالمبيت خارج المدرسة ؛ ليتمكن الطالب من زيارة أهله ، أو قضاء حاجته ورعاية مصالحه ، أو للنزهة والترويح عن النفس ، حتى لا تصبح الإقامة في المدرسة منفرة ومقيدة لحريتهم ، أما إذا لم تستوعب البيوت كل الطلبة فيسمح لمن ليس له مسكن بالمبيت خارج المدرسة لحين ترتيب مكان له أو خلو أحد البيوت من ساكنيه فيترل مكانه) [1] .

كذلك لا يسمح أن يسكن المدرسة من هو (وسيم الوجه ، أو صبي ليس له فيها ولي فطن ، وأن لا يسكنها نساء في أمكنة تمر على أبوابها الرجال ، أولها كوى تشرف على ساحة المدرسة) [2] .

---

(١) عبد الغني محمود:التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك،مرجع سابق،ص٣٠٢.

(٢) ابن جماعة:تذكرة السامع والمتكلم،مصدر سابق،ص٢٥٥.

الخلاصة :

مما سبق يتضح كيف حرص المفكرون المسلمون على أن يحددوا للمتعلم واجباته نحو مؤسسته التعليمية ؛ من حيث المحافظة على مرافقها وتجهيزاتها ، وما تشمله مكتبتها العامة من كتب ، وكذلك الحفاظ على نظام سكنها الداخلي ، وما ينبغي أن يتوافر فيه من هدوء وسكينة ، وعدم إيذاء للزملاء أو الجيران القريبين لسكنى الطلاب.

وهم بهذا قد سدوا ثغرة يمكن أن يتسرب من خلالها الإساءة للأدب والدين ، أو تكون سبباً لاكتساب بعض العادات المذمومة والسلوك المشين للعلم وطلبته ؛ فعالجوا ما قد يؤدي إلى الانحراف ونبهوا إلى تصرفات غير لائقة يجب إصلاحها عن طريق التربية المستمرة ، التي تلاحق المتعلم في قاعات الدرس وخارجها [1] .

(١) د.عبد الأمير شمس الدين : المذهب التربوي عند ابن جماعة ، مرجع سابق، ص٤٢،٤٣.

النتائج والتوصيات والخاتمة

- أولاً : نتائج البحث :

توصلت الدراسة إلى العديد من النتائج الهامة يمكن إيجازها فيما يلي :

- فيما يتعلق بمكانة العالم والمتعلم في الإسلام:

أوضحت الدراسة من خلال دراسة آداب العالم والمتعلم عند المفكرين المسلمين ، المكانة السامية للعلم ، والعلماء والمتعلمين ، ومكانتهم عند الله سبحانه وتعالى ، وهذا امتداد للمكانة ، والشرف الذين نالهما أبو البشر آدم عليه السلام ، حيث فضل على الملائكة لما آتاه الله من علم ، ورتبة أهل العلم بعد الأنبياء ، فالأنبياء هم أفضل الخلق ، وقد ورثوا العلماء العلم فمن أراد أن يأخذ بميراثهم فعليه بالعلم .

كما أن الناس بالعلم يتفاضلون ، والفرد يسعى بطبيعته لنيل الفضل ، وأنى له ذلك إلا بطلب العلم .

- وفيما يتعلق بالحث على طلب العلم ودوافع طلبه :

رأينا كيف حث الإسلام علي طلب العلم ، وتمثل الآيات والأحاديث التي وردت في ذلك حافزا قويا لطلب مزيد من العلم ؛ لحاجة المتعلم إليه في كل شؤونه ، ومدى حياته.

وكان المتعلم في عصور الازدهار الإسلامي يتمتع بدافعية قوية ، تدفعه إلى طلب العلم ، والصبر على شدائد تحصيله ، وأن تلك الدافعية القوية قد جاءته بالدرجة الأولى من تعاليم الإسلام ، التي تحث علي طلب العلم من المهد إلى اللحد ، بحيث يمكن القول إن الدافع الديني كان هو المحرك الأساسي لطلب العلم ، وهو في ذات الوقت المحدد للدافع الدنيوي ، فكأنما يدور الدافع الدنيوي ضمن الدافع الديني من خلال العلاقة التكاملية في حياة المسلم بين دينه ودنياه .

ويتمثل الدافع الديني لدي المتعلم في طبيعة الدين الإسلامي الذي يؤمن به ، والذي وجه المتعلم لطلب العلم من خلال الحوافز المعنوية والمادية التي رصدها للمتعلم ، هذا بجوار ما تضمنه القرآن الكريم من توجيهات باستخدام العقل ، والفكر، والبحث ، والتفكير في ملكوت الله ، في السماوات والأرض لعمارتها ، وفي النفس الإنسانية ، وأن الإنسان مستخلف في الأرض لعمارتها ، ومسخر للإنسان ما فيها من كنوز ،كل ذلك يمثل ارتباطا قويا بين حاجات الإنسان في بيئته ، وضرورة استثمارها ، وأني له ذلك إلا بالعلم ، وما يعقلها إلا العالمون .

وبجوار تلك الدوافع الدينية الإسلامية القوية ، كانت هناك الدوافع الاجتماعية التي ساهمت بشكل فعال في إقبال المتعلم علي طلب العلم ، والمجتمع المسلم بطبيعته مجتمع يرفع العلماء إلى منزلة اجتماعية عالية ، فلا عجب أن يندفع الطلاب نحو طلب العلم ، لأنه وسيلة الحراك الاجتماعي ، والمنزلة في الدنيا و الآخرة ، ولكن يبدو، أن (حب الطلاب) لنيل المكانة الاجتماعية ، والوصول إلى مراكز النفوذ والسلطة ، قد أشتد في العصور المتأخرة ؛ مما جعل المسلمين يحذرون من الاندفاع نحو ذلك ؛ لما يترتب عليه من مفاسد وشرور ، وتضييع لحق العلم ، وكرامة العلماء .

وبالإضافة إلى الدوافع الدينية الإسلامية ، والدوافع الاجتماعية ، كانت هناك الدوافع الاقتصادية ، وساعد علي ذلك موقف الإسلام من المال إذ اعتبره زينة الحياة الدنيا ، ومما ينفع الإنسان في آخرته ، و اشترط الإسلام الحصول عليه بالطرق المشروعة ، ومنها العلم مما جعل المتعلمين يقبلون علي طلب العلم تحقيقاً ونيلاً للمال .

وقد ورد التحذير في المبالغة من طلب العلم لأسباب اقتصادية ، مما يتسبب عنه تسخير أهل العلم لأصحاب النفوذ والجاه .

-وفيما يتعلق بمكانة آداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي :

فقد توصلت الدراسة إلى الأسباب التي أدت إلى اهتمام المفكرين المسلمين الكبير بآداب العالم والمتعلم ، ذلك الاهتمام الذي جعلهم يفردون له هذا الكم الكبير من المؤلفات ، وقد كان من أهم تلك الأسباب ، السبب الديني ، الذي يتمثل في جوهر الإسلام الأخلاقي ، وحثه على التحلي بمكارم الأخلاق ، وانتهاج السلوك القويم ، كذلك السبب التربوي ، والذي يتجلى في كون المعلم قدوة ونموذج يحتذيه المتعلم ، ولابد لهذا النموذج أن يكون على أحسن صورة ، حتى تنطبع في نفس المتعلم وتؤتي ثمارها الطيبة للمجتمع بأسره ، كما أن من أهم تلك الأسباب ظهور بعض صور السلوك السلبي غير المرغوب في البيئة العلمية ، مثل التعصب المذهبي ، والخلافات والجدال وغيرها ، مما دفع المفكرين المسلمين إلى معالجة هذا الموضوع الحيوي ، وتناول ذلك كله بالدراسة والتصنيف .

وقد كان لهذا الاهتمام مجموعة من المظاهر بينتها الدراسة ، وهي :

١-الالتفات المبكر للموضوع حيث نجد أول مصنف ورد إلينا من منتصف القرن الثاني الهجري .

٢-غزارة التأليف والتصنيف ، فقد وصل إلينا عدد كبير من المؤلفات والمصنفات في آداب العالم والمتعلم ، غير الذي قد يكون ضاع أو فقد مع ما فقد من تراث .

٣-الشمول والتكامل في تناول آداب العالم والمتعلم .

وقد حاولت الدراسة أن تبوب تلك المصنفات والمؤلفات تبويباً موضوعياً يسهل على الباحثين الرجوع إليه عند الحاجة .

وتناولت الدراسة المصادر التي اعتمد عليها المفكرون المسلمون في حديثهم عن آداب العالم والمتعلم ، وقد عكست تلك المصادر أصالة الفكر الإسلامي ، واعتمادها على أصول الإسلام الصحيحة ، متمثلة في مصدريه الأساسين المعصومين والمحفوظين من قبل الله عز وجل ألا وهما القرآن والسنة ، و لم يَحُلْ ذلك دون الاعتماد على غيرهما ، من آثار الصحابة -رضي الله عنهم- وآثار السلف الصالح ، فقد كانوا تطبيقاً عملياً لهذه الآداب ، كذلك اعتملوا على الاجتهاد في ما لم يرد فيه نص ، أو كان من الأمور الجديدة التي تحتاج إلى معالجة ، كما استأنسوا بالمصادر الأجنبية ، مما يدل على انفتاح على الثقافات الأخرى والإفادة منها ، شريطة ألا يكون فيها مخالفة صريحة لمبادئ الإسلام وتعاليمه .

وأظهرت الدراسة بجلاء الخصائص المميزة لآداب العالم والمتعلم في الفكر الإسلامي ، من حيث أصالتها في الاعتماد على الوحي مصدراً أساسياً ، وسمو الأهداف التي ترمي إليها تلك الآداب ، والوحدة والشمول في معالجة كافة الجوانب الخلقية والسلوكية للعالم والمتعلم ، والتكامل والتوازن الدقيق ، حيث لم يطغ جانب على الآخر ، مع قدرة فائقة على مسايرة الجديد والحديث في الحضارة الإنسانية مما يعني قدرًا كبيرًا من المرونة على المعاصرة ، مع التمسك بكل ما هو أصيل وثابت من ثوابت الإسلام .

وتناولت الدراسة الاتجاهات الفكرية الرئيسية الكبرى التي كان لها اهتمام بارز بآداب العالم والمتعلم ، وانحصرت تلك الاتجاهات ، في :

١-اتجاه الفقهاء والمحدثين ، الذي يعد أهم وأكثر الاتجاهات إنتاجاً وإثراءً ، نظراً لطبيعته العملية ، والتصاقه بواقع المجتمع ومشكلاته وقضاياه ، ومن ثم أولى اهتمامه بهذا الموضوع .

واتسم هذا الاتجاه بخصائص وسمات ميزته عن غيره من الاتجاهات ، كما كان له منهج واضح المعالم في تناول الموضوع ، وبرز فيه عدد من الشخصيات البارزة ، التي أثرت الفكر الإسلامي بالعديد من المؤلفات في الموضوع .

٢-اتجاه الفلاسفة ، ويعد هذا الاتجاه من أقل الاتجاهات إنتاجا في هذا المجال ، نظرا لطبيعة الفكر الفلسفي ، وبعده عن الاحتكاك المباشر بالواقع العملي للمجتمع ، وبالرغم من ذلك فقد برز في هذا الاتجاه مجموعة من الشخصيات التي ساهمت بفكرها في إثراء المكتبة الإسلامية بالعديد من المؤلفات ، وأهما على الإطلاق ، إخوان الصفا .

٣-اتجاه الصوفية ، فقد كان من الطبيعي أن يساهموا في هذا الموضوع الحيوي ، فهدف الصوفية الأسمى -كما يزعمون- هو الوصول إلى المحبوب ، والأنس بقربه ، وسبيل ذلك هو تزكية النفس وتطهيرها ، ولا يكون ذلك إلا بالالتزام بالطريق ، والاهتداء بالشيخ ، ومن هنا يبدأ الحديث عن آداب الشيخ والمريد ، أو العالم والمتعلم ، وقد كانت العلاقة بينهما شديدة الخصوصية والتميز ، ولذا تفردوا ببعض الآداب التي لم يلتزم بها غيرهم .

٤-اتجاه الشيعة ، وعلى الرغم من الاختلافات الجوهرية في الأصول الفكرية والمذهبية ، بين الشيعة وغيرهم من الاتجاهات -وخاصة أهل السنة- ، فإنهم في هذا الموضوع لم يختلفوا اختلافا جوهريا في طريقة التناول ، وإنما في المصادر التي استقوا منها شواهدهم .

- آداب العالم :

نظرا للدور الخطير والهام الذي يقوم به العالم في حياة المتعلم ، بل وفي مسيرة أمته بأسرها ؛ أولى المفكرون المسلمون اهتمامهم بآداب العالم ، وما ينبغي أن يتصف به في كل شأن من شؤونه ، العامة والخاصة ، ما يتعلق منها بالعلم والتعليم ، وما يتعلق منها بغير ذلك .

-ففيما يتعلق بآداب العالم نحو ربه ونفسه :

أوضحت الدراسة مجموعة من الآداب الرفيعة التي يجب أن يلزم بها العالم نفسه ، ويسلك بمقتضاها في أموره ، من إيمان عميق بالله تعالى ، وإخلاص وصدق ، واستقامة في السلوك ، وخشية لله وتقوى ، ومحبة له ، واجتهاد في طاعته ، وتواضع ، وزهد في متع الدنيا ، وترفع عن شبه المكاسب ، ودوام المراقبة لله ، وتنزيه للعلم عن المطامع ، واجتناب مواضع التهم ، والمحافظة على شعائر الإسلام .

وبينت الدراسة أثر الالتزام بهذه الآداب في حياة العالم ، وأثرها البارز على المجتمع ، والمتعلمين .

كما اهتمت الدراسة ببيان ما ينبغي على العالم تجاه صحته النفسية ، وضرورة ، تطهير باطنه من الأخلاق الرديئة ، والتحلي بأضدادها ، وبيان طرق الوقاية والعلاج ، كما أظهرت الدراسة مدى

العناية التي أولاها المفكرون المسلمون للحديث عن ضرورة اهتمام العالم بمظهره العام ، والحفاظ عليه ، دون مغالاة أو إسراف ، حفاظا على هيبة العلم ووقار العالم .

- وفيما يتعلق بآداب العالم مع تلاميذه :

تناولت الدراسة ، الآداب والضوابط التي تحكم علاقة العالم بالمتعلم ، التي هي المحور الفعال ، في عملية التعليم والتعلم ، فبينت الدراسة ضرورة الرفق بالمتعلم وعدم تعنيفه ؛ ووجوب نصحه وإرشاده وتوجيهه لما فيه مصلحته ، ولا يعني ذلك ترك المتعلم على هواه ، بل أوجبوا على العالم ضرورة إثابة المجتهدين ، ومعاقبة المقصرين ، وبينت الدراسة طرق الإثابة والعقاب التي رآها المفكرون المسلمون تحقق الغرض المطلوب منها ، كما بينت الدراسة ضرورة العدل والمساواة بين الطلاب في كل شيء ، والتواضع لهم ، والحرص على تعليمهم ، والإخلاص في ذلك ، وضرورة فهم طبيعة كل متعلم ، ومراعاة الفروق الفردية بينهم ، حتى يمكن إعطاء كل متعلم ما يتناسب مع قدراته من معارف وعلوم .

كما بينت الدراسة اهتمام المفكرين المسلمين بضرورة إثارة رغبة (دافعية) المتعلم في طلب العلم ، واستخدامهم في سبيل تحقيق هذا الهدف مجموعة من الأساليب والطرق ، وعدم تقبيح أيا من العلوم في نفس المتعلم ، وبينت الدراسة كذلك موقف المفكرين المسلمين من قضية أخذ أجر على عملية التعليم ، وأظهرت حرصهم على أن يعتني العالم بمصالح تلاميذه ، وتقديم العون لهم والاهتمام بكل ما من شأنه أن يساعدهم على طلب العلم .

- وفيما يتعلق بآداب العالم مع أقرانه :

أظهرت الدراسة مجموعة الآداب التي يجب أن يلتزمها العالم تجاه زملائه وأقرانه من العلماء ، ومن أهم هذه الآداب الاحترام المتبادل ، والتناصح ، والتواضع ، كما أكدوا على ضرورة تقديم المساعدة وقضاء حاجات الزملاء ما أمكن ذلك ، كما يجب التزام الأسلوب الطيب في الحديث معهم ، وإكرامهم ، والقيام بحقوقهم ، لما لذلك كله من أثر طيب في شيوع روح المحبة والتعاون بين الزملاء في المجال الواحد ، وخاصة بمجال العلم والتعليم .

- وفيما يتعلق بآداب العالم نحو مجتمعه :

تناولت الدراسة بمجموعة الآداب التي تلزم العالم نحو مجتمعه ، من صدق في القول والمعاملة ، ووفاء بالوعد والعهد ، والأمانة في المعاملة مع الناس ، وإنزال الناس منازلهم ، والتودد إليهم ،

والصبر على إساءتهم ، وقضاء حوائجهم ، وصلة الفقراء منهم ، وحسن الحديث معهم ، ومداراتهم والحرص على صلة العالم لرحمه ، والتصدي لعلاج مشكلات المجتمع ، ونشر العلم وتبسيطه للناس.

كما تناولت الدراسة علاقة العلم بالحكام وولاة الأمور ، وبينت ضوابط هذه العلاقة حتى لا ينحرف العالم خلالها وتزل قدمه .

–وفيما يتعلق بآداب العالم العلمية والمهنية :

أوضحت الدراسة ضرورة التمكن العلمي وغزارة المعلومات للعالم ، كما بينت أهمية الثقافة العامة الواسعة إلى جانب تخصصه العلمي ، وأثر هذه الثقافة في قيام العالم بدوره الاجتماعي على أكمل وجه ، وتناولت الدراسة مسؤولية العالم تجاه منهج الدراسة ، ومدى الحرية التي كان يتمتع بها في وضعه ، وفي اختيار طريقة التدريس المناسبة ، وبينت الدراسة أن للموهبة دورا مهما في قيام العالم بمهمة التعلية بكفاءة عالية ، وأن هذه الموهبة يمكن اكتسابها بالدربة والاجتهاد ، ولما للأمانة العلمية من أهمية فقد أولاها المفكرون المسلمون عنايتهم وبينت الدراسة مظاهر اهتمامهم والتزامهم بها في حياتهم العلمية .

وحث المفكرون المسلمون على ضرورة استمرار العالم في طلب العلم ، والمواظبة على المطالعة والتأليف ، والعمل بالعلم ، وتوقيره وصيانته ، وعدم كتمانه ، فأظهرت الدراسة هذه الآداب ، وبينت الآثار الهامة التي تعود على العالم والمتعلم من جراء الالتزام بها ، والعمل بمقتضاها .

وأظهرت الدراسة بالتفصيل آداب مجلس العلم ، وطريقة التدريس ، ونظام المجلس .

–آداب المتعلم :

ونظراً لإدراك المفكرين المسلمين أن المتعلم في أثناء طلبه للعلم ، قد يقصر في حق نفسه ، وأنه إن لم يتصف بالأخلاق والآداب الفاضلة ، فإن قدرته واستعداده لطلب العلم سيكون أقل ، لذا حرصوا على أن يتحلى بمجموعة من الآداب والصفات ، التي لها أثرها الكبير في نفسه ، ومسيرته في طلب العلم .

–ففيما يتعلق بآداب المتعلم نحو ربه ونفسه :

اهتم المفكرون المسلمون بلفت نظر المتعلم إلى ما ينبغي أن يتحلى به من آداب وأخلاق نحو ربه ونفسه ، من حيث ضرورة إخلاص النية في طلب العلم ، والتفرغ له ،

والرغبة فيه ، وقطع كل ما يشغله عن إدراك غايته منه ، والتوكل علـــى الله في ذلـــك ، والمحافظة علي صحته النفسية والصحية والعقلية لتأثير ذلك علي المتعلم في طلب العلم .

ولكي يحقق المتعلم صحته النفسية ، لا بد له من التحلي بمكارم الأخلاق ، والمحافظة علي صحته الجسمية والعقلية ، بجانب اهتمامه بمظهره الخارجي .

ويتطلب التحلي بالأخلاق الفاضلة من المتعلم مجاهدة نفسه ، وتوظيف كافة قـــواه وأن يخضع جميع تصرفاته وسلوكه للنهج القويم .

وتتطلب المحافظة علي صحته الجسمية والعقلية اهتمام للمتعلم بتوفير الغذاء المناســب ، وإعطاء الجسم القدر الكافي من النوم وممارسة الرياضة ، كما تتطلب المحافظة على صحتـه العقلية تزويد العقل بالعلوم النافعة ، والجد والاجتهاد في المذاكرة والتحصيـــل ، وعلـو الهمة ، والبعد عن الخلافات ، والتدرج في طلب العلم ، والاعتدال وعدم إجهاد النفس .

كما بينت الدراسة اهتمام المفكرين المسلمين بضرورة اعتناء المتعلم بمظهره الخـارجي ، بالمحافظة على نظافة الثوب والبدن .

-وفيما يتعلق بآداب المتعلم مع أساتذته :

فقد أكد المفكرون المسلمون علي أن العلاقة بين المعلم والمتعلم تؤثر بشكل فعال علـــى تحصيل المتعلم واستمرارية تعلمه ، وأن سوء العلاقة إنما يعود في الغالب إلى سوء سلوك الطـــلاب مع أساتذتهم .

ومن أجل تكوين علاقة وثيقة بين الطالب وأستاذه ، حرص المفكرون المســـلمون علـــى إبراز أهمية (المعلم) وضرورة حسن اختياره ، كما وضع الكثير من الأدبيات التي تحكـــم علاقـــة الطالب بأستاذه سواء داخل مؤسسات العلم ، أو خارجها ، أو في الحياة اليومية بصفة عامة .

وبالنسبة لاختيار الأستاذ ، فهناك معايير وشروط يجب توفرها في الأستاذ أهمها :

صحة العقيدة ، وسعة العلم ، والقدرة على إيصال المادة والخبرة والشهرة والأخلاق والاتصـــــال بغيره من العلماء .

كما أن لزيارة الأستاذ في المترل أو المكتب آداب يجب الالتزام بها :

كالحرص على نظافة المتعلم ، واختيار الوقت المناسب للزيارة ، وتنظيم عمليـــة الدخـــول علـــى الأستاذ في المكتب ، وطريقة مجالسته .

وبالنسبة لأسلوب التعامل داخل مجلس الدرس أو العلم ، فالمطلوب من المتعلم التبكير في الحضور ، واحترام أساتذته ، والتزام الهدوء والنظام أثناء الدرس في قاعة الدرس ، ثم على المتعلم أن يصغي للأستاذ ، وأثناء عملية التفاعل الدراسي المتعلقة بإلقاء الأسئلة ، أو الدرس على الأستاذ- وتنبيه إلى خطأ بدر منه- لابد من الالتزام بالأدب .

وبالنسبة للتعامل في الحياة العامة ، لابد من إفشاء السلام ، وحسن المخاطبة والمحادثة ، وتعظيم الأستاذ .

-وفيما يتعلق بآداب المتعلم مع زملائه :

أبرزت الدراسة اهتمام المفكرين المسلمين بما يلي :

- ضرورة أن يهتم المتعلم بحسن اختيار زملائه ، لتأثير الزمالة ، والصحبة على التحصيل الدراسي ، كما أوضحت الدراسة أن مما يدعم العلاقة بين المتعلم وزملائه ، تبادل الاحترام فيما بينهم ، وتعظيم كبيرهم ، والتواضع لهم .

وأظهرت الدراسة أن عملية الإعارة والاستعارة للكتب والأدوات الدراسية مما يوثق العلاقة بين زملاء الدارسة .

-حرص المفكرين المسلمين على ضرورة التفاعل مع الزملاء بالمناظرة ، أو المذاكرة ، لأن ذلك مما يفيد في تثبيت المعلومات وإظهار الحق .

-ينبغي للمتعلم أن يعرف الحق لزملائه المتفوقين ، وأن ينتهي عن الحسد الذي يتمنى فيه زوال النعمة عن صاحبه .

-وأظهرت الدراسة أنه مما يوثق العلاقة بين الزملاء حسن معاملتهم أثناء الدرس .

-وفيما يتعلق بآداب المتعلم نحو مجتمعه :

أظهرت الدراسة أن المتعلم لا ينبغي أن يعيش معزولا عن المجتمع ، بل إنه مسؤول اجتماعيا ، وتتمثل مسئوليته الاجتماعية فيما يلي :

أ-ضرورة توعية أفراد المجتمع ، بنشر العلم ومحاربة الجهل في حدود إمكاناته ، وحدود معرفته .

ب-التصدي للانحرافات ، بدراستها ، وتحليلها ، وتقديم الحلول لها.

ج-مراعاة حاجات المجتمع ، بطلب العلم الذي يفيد المجتمع ، ويدعم عملية تطوره ، وبنائه وفق استعدادات المتعلم وقدراته .

-وفيما يتعلق بآداب المتعلم نحو مؤسسته التعليمية :

أوضحت الدراسة ما يلي :

-أن التصرفات غير السوية التي يمارسها بعض المتعلمين تجاه مؤسساتهم التعليمية قد تعود لعدم معرفتهم بالآداب اللازمة تجاه مؤسساتهم التعليمية ؛ لذلك حرص المفكرون المسلمون على تعريف المتعلم بمسئوليته تجاه مؤسسته التعليمية ، ومن أهم تلك المسؤوليات ما يلي :

١-الاهتمام بالمكتبة العامة ، والكتب والمراجع وصيانتها ، حتى يمكن أن يستفيد منها غيره .

٢-العناية بالمرافق والتجهيزات ، وحسن استخدامها ، وضرورة المحافظة عليها باعتبارها معدة لأكثر من متعلم ، الأمر الذي يترتب عليه أن إساءة الاستخدام تعني حرمان الآخرين ، وهذا غير جائز .

٣-عرف المسلمون نظام السكن الداخلي ، مساعدة للمغتربين وإعانة لهم على مزيد من البحث والتحصيل ، وعليه فقد وضعوا له الآداب اللازمة مثل اختيار الجيران ، وترك إيذائهم وتجنب إزعاجهم ، والتزام الأدب نحوهم ، والحذر مما فيه نكارة .

- ثانياً: التوصيات :

توصي الدراسة بوضع منهج متكامل ومتصل لغرس الآداب الخلقية العالية في نفوس المتعلمين ، منذ المراحل الأولى لطلب العلم ، وتدريسه في المدارس والكليات والمعاهد بجميع تخصصاتها ، فها نحن أولاء نرى الآثار السلبية الخطيرة الناتجة عن ضعف الأخلاق ، وغياب الآداب السلوكية في مجتمع الطلاب ، ولابد لهذا المنهج أن يكون نابعاً من ديننا ، مستمداً من فكر علمائنا الكرام ، متوافقاً مع بيئتنا ، ولا بأس من الاستفادة من التجارب والبحوث الأجنبية ما لم تتعارض مع ديننا الحنيف ، وكان فيها منافع وفوائد .

وفيما يتعلق بالأساتذة والمعلمين على كافة المستويات ، فتوصي الدراسة بضرورة اهتمام الدولة بهم وبإعدادهم إعداداً خلقياً ونفسياً وعلمياً ومهنياً على أعلى مستوى ، فهم بناة الأمة ، وحماة حاضرها ومستقبلها ، فلا بد من العناية بهم وتوفير الحياة الكريم لهم حتى يتفرغوا لأداء مهمتهم الجليلة ، في تعليم النشء ، وغرس مبادئ الفضيلة في نفوسهم ،

فقد رأينا كيف كان الحكام والخلفاء والولاة يهتمون بالعلم والعلماء ، ويجزلون لهم العطاء ويقدرون جهودهم أيما تقدير .

كما توصي الدراسة بضرورة ، عمل دورات تدريبية وتأهيلية مستمرة للأساتذة لإعدادهم الإعداد الجيد لممارسة عملية التدريس ، وإطلاعهم على أحدث الوسائل والأساليب الحديثة المستخدمة ، لمواكبة التطور السريع والمذهل في مجال التعليم .

وتناشد الدراسة كافة العلماء والأساتذة في جميع التخصصات مراعاة الجانب الخلقي والسلوكي ، في أثناء قيامهم بعملية التعليم ، وضرورة الاطلاع على آثار السلف فيما يتعلق بآداب العالم نحو ربه ونفسه ، ونحو تلاميذه ، ونحو أقرانه ، ونحو المجتمع بأسره ، فبصلاح العلماء ينصلح المجتمع ويتقدم ، والعكس بالعكس .

وتوصي الدراسة العلماء والأساتذة بالحفاظ على هيبتهم وكرامتهم ونزاهتهم ، بالمحافظة على العلم وصيانته عن المتاجرة به ، أو التكسب عن طريقه ، فهم ورثة الأنبياء ، ومصابيح الهدى ، وبهم الناس تقتدي ، فعليهم واجب كبير نحو العلم الذي حملوه ، فلا ينبغي لهم أن يتنازلوا عن مكانتهم الرفيعة التي أمكنهم الله منها لأجل مال أو جاه زائل ، فهم مسؤولون أمام الله عن هذه الأمانة التي حملوها .

وتوصي الدراسة بضرورة مراعاة الأساتذة والعلماء لطلابهم ؛ فهم امتداد لهم ، وحملة العلم من بعدهم ، فلابد من رعايتهم علمياً ونفسياً ، وتقديم ما يمكن من العون والمساعدة لهم ؛ ليتمكنوا من إكمال مسيرتهم ، كما يجب مراعاة الفروق الفردية بينهم ، سواء من الناحية العقلية أو النفسية أو الاجتماعية ، فهذا سوف يساعد على تحقيق عملية تعليم وتعلم أفضل .

وفي سبيل معالجة ما يقع في الأوساط العلمية بين العلماء الأقران ، توصي الدراسة بضرورة أن يشيع جو الحب والإخاء بين الزملاء في المجال الواحد ، لأنهم قدوة للأمة بأسرها ، ولا يصح في حقهم أن تتفشى بينهم النزاعات والخصومات ، وعليهم التحلي بروح الود والاحترام المتبادل ، فهذا هو الجو الملائم والصحي لكي يؤدوا رسالتهم العملية السامية بنجاح .

وتوصي الدراسة كذلك بضرورة قيام العلماء بواجبه تجاه مجتمعهم ، والمشاركة بفاعلية في معالجة مشكلاته وقضاياه ، فلا يكفي أن يقوم العالم برسالته داخل المعهد أو

الجامعة ؛ بل لابد له من المشاركة الإيجابية خارجها ، والمساهمة الجادة مع الآخرين في العمل الاجتماعي ، وتوعية أفراد الأمة ، ونشر العلم وتبسيطه لهم .

وفي سبيل مواجهة نقص الرغبة (الدافعية) لدى الطلاب في الإقبال على العلم وتحصيله ، توصي الدراسة بما يلي :

١-ضرورة تضمن المقررات الدراسية لنماذج من التوجيهات الإسلامية ، ممثلة في بعض الآيات والأحاديث وآثار السلف ، وأقوال العلماء المسلمين ، التي تغرس في المتعلم حب طلب العلم ، وتدفعه إلى طلبه وتقديره واحترام أهله .

٢ - ضرورة بيان أن الحاجات الاقتصادية والاجتماعية لدي المتعلمين ، لا ينبغي أن تكون المحرك الأساسي لطلب العلم ؛ لأن ذلك يتنافى مع الإخلاص الواجب على المسلم في كل شئون حياته .

و في مواجهة عدم اكتراث طلابنا بصحتهم الجسمية والعقلية والنفسية ، وعدم اهتمامهم بالمظهر اللائق بهم بالدرجة الكافية :

١-توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بحالة المتعلمين النفسية ، وخاصة المتأخرين دراسياً .

٢-و توصي الدراسة بضرورة الاهتمام بالتوجيهات الدينية التي تدعم الجانب الأخلاقي لدي الطلاب .

٣-كما توصي الدراسة أيضاً بالاهتمام بالتربية البدنية والصحية للطلاب ، حتى يكونوا قادرين علي طلب العلم ، وتحمل مشاقة ومصاعبه .

و إزاء ما نشتكي منه بصفة عامة من فتور العلاقة بين الطلاب وأساتذتهم ، توصي الدراسة بما يلي :

-ضرورة حسن اختيار المعلمين والأساتذة ، وحسن إعدادهم بحيث يكونوا بالفعل علماء في مادة تخصصهم ، وأقوياء في أخلاقهم ، مما يشجع على احترامهم من قبل الطلاب والمجتمع .

-ضرورة توجيه المتعلمين لدعم علاقتهم بالأساتذة ، من خلال تعريفهم بنماذج من علاقات المتعلمين السلف بأساتذتهم الإجلاء ، ليكون لهم في ذلك القدوة الحسنة .

-ضرورة تزويد المتعلمين بتوجيهات عن آداب التعامل مع الأستاذ في المؤسسة التعليمية ، وفي الحياة العامة ، ووضع دستور أخلاقي يتضمن ذلك كله ، ويلزم به الطلاب .

-إعطاء أهمية كبيرة لسلوكيات الطلاب نحو أساتذتهم ، واحترامهم للعلم والعلماء ، وإدخال ذلك في التقويم النهائي للطلاب .

و إزاء ما نلاحظه من علاقات فاترة بين زملاء الدراسة ، وما يترتب علي ذلك من عدم استفادتهم الاستفادة المثلى من حياتهم الدراسية ، توصي الدراسة بما يلي :

-أهمية تعريف المتعلمين بضرورة حسن العلاقة بينهم وبين زملائهم الطلاب ، وأثر ذلك علي تحصيلهم الدراسي ، وذلك بتزويد الدارسين بنماذج من تلك العلاقات التي عاشها المتعلم في عصور الإسلام الزاهرة ، وكيف كانت تقوم علي الاحترام والنصيحة والتعاون في طلب العلم.

-أهمية تعريف المتعلمين بضرورة حسن اختيار زملائهم ، وأسلوب معاملة بعضهم البعض ، بحيث يسود جو من التعاون العلمي ، والاحترام المتبادل داخل المؤسسات التعليمية .

و فيما يتعلق بعلاقة المتعلم بمؤسسته التعليمية توصي الدراسة بما يلي :

-تعريف الطلاب بالسلوكيات الحسنى التي ينبغي أن يلتزم بها المتعلم نحو مؤسسته ، بتقديم نماذج من تلك التوجيهات .

-توعية المتعلمين بأهمية المكتبة ، وقيمة الكتاب ، وخاصة النادرة منها .

-متابعة المتعلمين في استخدامهم للمرافق والتجهيزات وإرشادهم للسلوك الأمثل .

-تعريف المتعلمين بأهمية السكن الداخلي ، وضرورة الالتزام بآدابه .

وأما فيما يتعلق بعلاقة المتعلم بمجتمعه فتوصي الدراسة بـ :

١-ضرورة توجيه المتعلمين في دراستهم نحو المجالات التي يحتاج إليها المجتمع ، بحيث لا تكون هناك تخصصات يحتاجها المجتمع ، ويضطر للاعتماد فيها علي غير المسلمين .

٢-الدول المسلمة هي المسؤولية عن تحديد احتياجات المجتمع من التخصصات ، وعليها واجب إتاحة الفرصة للمتعلم في خدمة المجتمع من خلال توجيه المتعلمين للتخصصات التي يحتاجها المجتمع ، وفق استعداداتهم وقدراتهم ، حتى لا يأثم الجميع بخلو المجتمع من التخصصات التي يحتاجها المسلمون في حياتهم .

٣-ضرورة إشراك المتعلمين في خدمة المجتمع ، وإشعارهم بالمسؤولية الاجتماعية ، وذلك من خلال إشراكهم في حملات التوعية الدينية والثقافية ، وبرامج محو الأمية ، وغيرها من الأنشطة

التي تعود عليهم وعلي المجتمع بالخير والنفع ، وبدون ذلك لا يشعرون بقيمة العلم الذي يتعلمونه .

٤-ضرورة ربط المتعلمين بالمشكلات الحقيقية التي يواجهها المجتمع الإسلامي سواء كانت مشكلات داخلية أو خارجية ، وإتاحة الفرصة أمام المتعلمين لخدمة مجتمعاتهم من خلال توجيه أنظار المتعلمين إلى دراسة المشكلات التي يعيشها المجتمع ، والعمل علي إيجاد الحلول العلمية الإسلامية لتلك المشكلات .

- ثالثاً : الخاتمة:

إذا كانت تلك الدراسة قد اقتصرت علي الحديث عن آداب العالم و المتعلم في فترة زمنية محددة ، ومن خلال كتب معينة ، فما زال المجال متسعاً للدراسة أوسع وأشمل ، تناول تلك الآداب من خلال الفكر الإسلامي المعاصر ؛ لما ينبغي أن يكون عليه العالم والمتعلم في عصرنا الحديث ، من آداب سلوكية تساعده علي مزيد من التحصيل الدراسي ، ومزيد من التفوق العلمي اللائق بالمسلم في هذا العصر ، الذي لا يرضي بغير التفوق العلمي بديلاً .

كذلك فإذا كانت الدراسة قد اعتمدت علي الجانب النظري ، بحيث بدت أنها تتحدث عن ما ينبغي من الآداب ، من خلال مؤلفات الفترة الزمنية التي حددتها الدراسة كمجال لها ، فإن المجال ما يزال بحاجة إلي دراسة (آداب العالم و المتعلم) كما كانت في الواقع ، وكما مارسها العلماء و المتعلمون بالفعل ، وذلك من خلال دراسة كتب السير والتراجم – سير وتراجم العلماء علي اختلاف تخصصاتهم– ، واستخلاص الصورة الواقعية لآداب العالم و المتعلم كما مارسوها بالفعل ، سواء من حيث ، آدابهم مع أنفسهم ، ومع أساتذتهم وزملائهم ، ومؤسساتهم التعليمية ، ومدى شعورهم بالمسؤولية الاجتماعية نحو مجتمعهم المسلم ، لنري بالفعل كيف تحلي (العلماء والمتعلمون) بتلك الآداب فانتفع بهم العلم ، وقامت الحضارة الإسلامية المتكاملة ، وكيف أنه متى ضعف الالتزام بتلك الآداب جمد العلم ، وجفت ينابيع الإبداع والتفوق .

وفي النهاية تؤكد الدراسة أن المجتمع العلمي مهما كان ، فإنه يظل جزءاً من المجتمع العام ، وعلي ذلك فإن الأخلاقيات العامة داخل المجتمع لابد أن تنعكس علي آداب السلوك داخل مؤسسات التعليم ، والدراسة تؤكد على أن الطريقة المثلى لشيوع السلوك

الإسلامي داخل المؤسسات التعليمية هي تطبيق الإسلام تطبيقاً كاملاً في شـــتى مجـــالات الحياة ، ومن ثم ينعكس ذلك على المناخ الدراسي .

الفهارس

فهرس المصادر والمراجع

*** ملاحظات حول فهرس المصادر والمراجع :**

١- تم وضع هذا الفهرس وفقاً للترتيب الأبجدي لأسماء المؤلفين .

٢- تم ترتيب أسماء المؤلفين وفقاً للاسم المشتهر به صاحبه في الأوساط العلمية ،سواء باللقب أو الكنية أو الاسم ، فمثلاً : محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي ، وضع في حرف الغين ؛ لأن الأشهر هو لقبه (الغزالي) ، وكذا أبو بكر محمد بن الحسين الآجري ، وضع في حرف الألف ؛ لأنه مشهور بلقبه (الآجري) وهكذا.

٣- لم يؤخذ في الحسبان عند الترتيب كلمة (أب) أو (ابن) أو (ال) .

٤- تم وضع تاريخ وفاة المؤلفين القدماء (الأعلام) بعد اسم كل منهم .

٥- القرآن الكريم ، وكتب السنة الشريفة ، وضعت في مقدمة الفهرس ؛ نظراً لشرفها وخصوصيتها .

٦- تم استخدام مجموعة من الاختصارات لبعض العبارات التي تتكرر كثيراً في الفهرس والهوامش كالتالي :

(ج) - الجزء

(ط) - الطبعة

(ت) - تاريخ الوفاة .

(د.ن) - دون ناشر .

(د.ط) - دون رقم طبعة .

(د.ت) - دون تاريخ نشر .

(مج) - مجلد

أولاً: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

* القرآن الكريم
* صحيح البخاري
* صحيح ابن حبان
* صحيح مسلم
* سنن الترمذي
* سنن أبي داود
* سنن النسائي
* سنن ابن ماجة
* سنن الدارمي
* مسند الإمام أحمد
* موطأ الإمام مالك
* معجم الطبراني الكبير والأوسط
* الجامع الصغير للسيوطي

ثانياً: المصادر.

الآجري : أبو بكر محمد بن الحسين (ت ٣٦٠هـ) :

- أخلاق حملة القرآن ، تحقيق د. عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ ، مكتبة الدار، المدينة المنورة ، ١٤٠٨- ١٩٨٧م ، الطبعة الأولى.

- أخلاق العلماء ، تحقيق د. فاروق حمادة ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة الثانية.

-أخلاق العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، (د. ط).

إخوان الصفا :

- رسائل إخوان الصفا ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ١٩٩٦م ، القاهرة ، (د.ط) .

- رسائل إخوان الصفا ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧م ، (د.ط)

الجاحظ ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت٢٥٥هـ) : رسالة للعلمين (ضمن مجموعة رسائل الجاحظ) ، مكتبة الخانجي ، ١٩ ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

ابن جماعة ، بدر الدين بن أبي اسحق إبراهيم بن أبي الفضل بن سعد الله الكناني (ت٧٣٣هـ) : - تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، تحقيق السيد محمد هاشم الندوي ، دار الكتب العلمية ، (د.ت) ، بيروت، (د.ط).

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ) :

- الحسن البصري ، تحقيق محمد زين العابدين العزازي ، مجلة الأزهر ، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م ، (د.ط).

- صيد الخاطر ، تحقيق محمد الغزالي ، دار الكتب الإسلامية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

- تلبيس إبليس ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، (د. ت) ، القاهرة ، (د.ط).

- مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مكتبة الخانجي ١٩٧٩م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

- الحث على حفظ العلم وذكر كبار الحفاظ ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م ، بيروت ، الطبعة ، الثانية .

ابن الحاج : أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد (ت٧٣٧هـ) : المدخل ، دار التراث ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

ابن حجر الهيثمي ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي (ت ٩٧٣هـ) : تحرير المقال في أدب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال ، تحقيق محمد سهيل الدبس و محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ، بيروت ، الطبعة الثانية.

أبو حنيفة: النعمان بن ثابت (ت١٥٠) :

- رسالة العالم والمتعلم ، تعليق العلامة محمد زاهد الكوثري ، المكتبة الأزهرية للتراث ، ٢٠٠١م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

- وصية الإمام أبي حنيفة إلى تلميذه أبي يوسف تحقيق عبد الرحمن حسن محمود ، مكتبة لآداب ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م ، القاهرة ، (د.ط).

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد (ت٤٦٣هـ) :

- مختصر نصيحة أهل الحديث ، شرح وتعليق د. يوسف محمد صديق ، دار الأصالة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الخرطوم ، الطبعة الأولى.

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، تحقيق د. محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ، الرياض ، (د.ط).

- الفقيه والمتفقه ، تعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، بيروت ، الطبعة الثانية .

- اقتضاء العلم والعمل ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامية ، بيروت ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، الطبعة الخامسة.

- تقييد العلم ، تحقيق يوسف العش ، دار الوعي ، حلب ، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ، الطبعة الثالثة.

- شرف أصحاب الحديث ، دار الوعي ، حلب ، ١٩٧٨م ، الطبعة الأولى .

- الرحلة في طلب العلم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

- الكفاية في علم الرواية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت ٥٠٢هـ) : الذريعة إلى مكارم الشريعة ، تحقيق د. أبو اليزيد العجمي ، دار الصحوة - دار الوفاء ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

الزرنوجي ، برهان الدين (ت٥٩٣هـ) :

- تعليم المتعلم طريق التعلم ، تحقيق مصطفى عاشور ، مكتبة القرآن ، ١٩٨٩م ، القاهرة (د.ط).

- تعليم المتعلم طريق التعلم ، تحقيق صلاح محمد الخيمي و نذير حمدان ، دار ابن كثير ، ١٩٨٥م ، دمشق ، الطبعة الأولى ,

ابن سحنون ، محمد بن عبد السلام (ت٣٥٦هـ) :

- رسالة آداب المعلمين ، تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني (ملحقة بكتاب التربية في الإسلام)، دار المعارف ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، (د.ط).

- رسالة آداب المعلمين ، تحقيق العروسي الموطوي ، دار الكتب الشرقية ، تونس ، ١٩٧٢م ، (د.ط) .

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢ هـ) :

- أدب الإملاء والاستملاء ، تحقيق شفيق محمد زيعور ، دار اقرأ ، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م بيروت ، الطبعة الثانية.

- أدب الإملاء والاستملاء ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨١م ، بيروت ، الطبعة الأولى .

السمرقندي ، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت٣٧٣هـ) :

- تنبيه الغافلين في الموعظة بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين ، دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

- بستان العارفين ، دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

السهروردي ، عبد القاهر بن عبد الله (ت ٦٣٢هـ) : عوارف المعارف ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، بيروت ، (د.ط).

ابن سينا : رسالة السياسة ، مجلة الآداب ،بيروت،١٩٠٦م،الطبعة الأولى .

ابن الصلاح ، تقي الدين أبو عمر عثمان بن صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان الشهرزوري الشافعي (ت٦١٨هـ) :

- أدب المفتي والمستفتي ، تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي ، دار المعرفة ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

- المقدمة في علوم الحديث ، مكتبة المتنبي ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

الطوسي ، أبو نصر عبد الله بن علي السراج (ت ٣٧٨ هـ) : اللمع ، تحقيق د. عبد الحليم محمود ، و طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م مصر ، (د.ط).

الطوسي،نصير الدين : رسالة آداب المعلمين ، دار الكتب العلمية ، بـيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

العلموي ، عبد الباسط بن موسى بن محمد (ت٩٨١هـ) : المعيد في أدب المفيد والمستفيد ، تحقيق شفيق محمد زيعور ، دار اقرأ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، بـيروت ، الطبعة الأولى.

ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف (ت٤٦٣هـ) :

- جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله ، دار الكتب العلمية ، ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م ، بيروت ، (د.ط).

- جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله ، المطبعة المنيرية ، ١٩٧٨م ، القاهرة ، (د.ط).

- جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، دار ابن الجوزي ،١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، المملكة العربية السعودية ، الطبعة الأولى.

- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء ، دار الكتب العلمية ، بـيروت ، (د.ت) ، (د.ط).

عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) :

- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار التراث ، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (ت٥٠٥هـ) :

- إحياء علوم الدين ، دار الريان للتراث ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

- أيها الولد ، تحقيق علي محي الدين القرة داغي ، دار الاعتصام ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

- الأدب في الدين ، دار المأمون ، ١٩٣٦م ، مصر ، الطبعة الأولى ، الرسالة ملحق بكتاب "الغزالي" ، للدكتور أحمد فريد رفاعي.

- آداب طالب الحديث ، دار المأمون ، ١٩٣٦م ، مصر، الطبعة الأولى ، الرسالة ملحقة بكتاب "الغزالي" للدكتور أحمد فريد الرفاعي.

- ميزان العمل ، نشره د. ماجد فخري في كتاب "الفكر الأخلاقي العربي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٨م ، (د.ط).

القابسي ، أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٠٣هـ) : الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين ، تحقيق د. أحمد فؤاد الأهواني(ملحقة بكتاب التربية في الإسلام)، دار المعارف ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، (د.ط).

القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (٤٦٥هـ) : الرسالة القشيرية في علم التصوف،دار الكتاب العربي،(د.ت)،بيروت،(د.ط).

الماوردي أبو الحسن علي بن محمد (ت ٤٥٠هـ) :

- أدب الدنيا والدين ، مراجعة وتعليق: محمد كريم راجح ، دار أولى الألباب ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

- أدب الدنيا والدين ، تحقيق / مصطفى السقا ، دار الكتب العلمية ١٩٧٨م ، بيروت الطبعة الرابعة.

ابن مسكويه ، أبو علي أحمد بن محمد (ت٤٢١هـ) : تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق دار الكتب العلمية ، ١٩٨١م ، بيروت ، الطبعة الأولى .

ابن مفلح ، أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي : الآداب الشرعية والمنح المرعية،مكتبة ابن تيمية،(د.ت)،القاهرة،(د.ط).

ابن المقفع ، عبد الله (ت) : آثار ابن المقفع ، دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م ، بيروت ، (د.ط).

النووي ، شرف الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين (ت٦٧٢هـ):

- آداب العالم والمتعلم والمفتي والمستفتي "مقدمة المجموع" ، مراجعة إبراهيم محمد ، مكتبة الصحابة ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م ، طنطا - مصر ، الطبعة الأولى.

- التبيان في آداب حملة القرآن ، مكتبة الزهراء ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى (ت٣٩٥هـ): -

- الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه ، المكتب الإسلامي ، ١٩٨٦م ، بيروت ، (د.ط) .

- الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه ، دار الفضيلة ، ١٩٩٨م ، القاهرة ،(د.ط).

ثالثاً: المراجع.

(أ)

إبراهيم بسيوني: الإمام القشيري "سيرته - آثاره - مذهبه في التصوف"، مجمع البحوث الإسلامية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢، القاهرة، (د. ط).

إبراهيم عبد المجيد: الفلسفة والمجتمع الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٤م، (د.ط).

إبراهيم قشقوش، وطلعت منصور: دافعية الإنجاز وقياسها، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٢م، الطبعة الأولى.

إبراهيم ناصر:

- التربية وثقافة المجتمع، دار الفرقان، ١٩٨٣م، بيروت، الطبعة الأولى.

- مقدمة في التربية، المطابع التعاونية، ١٩٨٣م، الأردن، الطبعة الخامسة.

إبراهيم النجار: الفكر التربوي عند العرب، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٥م، (د.ط).

الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد (ت٨٥٠هـ): المستطرف من كل فن مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار التعلم، ١٩٨٢م، بيروت، (د.ط).

ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم (ت٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٥م، بيروت، (د.ط).

أبو بكر الجزائري: العلم والعلماء، دار الكتب السلفية، ١٤٠٤هـ، القاهرة، (د. ط).

د. أبو زيد شلبي: تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، مكتبة وهبة، ١٩٨٨م القاهرة، الطبعة السادسة.

ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت٦٠٦هـ) : النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، محمود الطناحي ، دار المعرفة ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط) .

أحمد أمين : الأخلاق ، دار الكتاب العربي ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

أحمد بدوي : تاريخ التربية والتعليم في مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٤م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

د.أحمد الحوفي : القرآن والتفكير ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٧٥م (د.ط) .

أحمد سعيد الدجوي : فتح الخلاق في مكارم الأخلاق ، تحقيق عبد الرحيم مارديني ، مكتبة دار المحبة ،١٤١١هـ ١٩٩١م ، دمشق ، الطبعة الأولى.

د. أحمد سيد محمد : الدليل إلى منهج البحث العلمي ، دار المعارف ،١٩٩١م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

أحمد الشرباصي : موسوعة أخلاق القرآن ، دار الرائد ، بيروت ، ١٩٨١م ، الطبعة الأولى .

د. أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية،دارالنهضة المصرية،١٩٨٧،القاهرة،الطبعة الرابعة.

د. أحمد عبد الحميد غراب : الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥، القاهرة ، (د.ط).

د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم :

– الفضائل الخلقية في الإسلام ، دار الوفاء ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ، المنصورة ، الطبعة الأولى.

– خلق القرآن "المبادئ والمعوقات" ، (د. ن) ،١٩٨٦م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

أحمد عبد العزيز سلامة ، وحيد عبد السلام عبد الغفار : علم النفس الاجتماعي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، (د.ط) .

د.أحمد عرفات القاضي : الفكر التربوي عند المتكلمين المسلمين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٦م ، القاهرة ، (د.ط) .

د. أحمد عزت راجح : أصول علم النفس ، المكتب المصري الحديث ، ١٩٧٠م ، القاهرة الطبعة الثانية .

د. أحمد فؤاد الأهواني : التربية في الإسلام ، دار المعارف ، ١٩٨٣، القاهرة ، (د.ط).

د. أحمد فريد رفاعي : الغزالي ، دار المأمون ، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م ، القاهرة ، (د.ط).

أحمد بن مبارك السلجماسي : الإبريز ، البابي الحلبي ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

د. أحمد محمود صبحي : الفلسفة الأخلاقية في الإسلام ، دار المعارف ،١٩٨٥م ، القاهرة الطبعة الثانية.

آدم متز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة د. محمد عبد الهادي أبو ريدة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥٧م ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

آرثر جيتس وآخرون : التعلم ومقاييسه ، ترجمة إبراهيم حافظ ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٠م ، الطبعة الثالثة .

إدوارد بو شامب : التربية في اليابان المعاصرة ، ترجمة محمد عبد العليم مرسي ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٩٨٥م ، الرياض ، الطبعة الأولى .

إدجار فور وآخرون : تعلم لتكون ، ترجمة حنفي بن عيسى ، الشركة الوطني للنشر والتوزيع ، ١٩٧٦م ، الجزائر ، الطبعة الأولى .

د. اسحق أحمد فرحان : التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ، دار الفرقان للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م ، الأردن ، الطبعة أولى.

د. أكرم ضياء العمري : قيم المجتمع الإسلامي من منظور تـــاريخي ، وزارة الأوقــاف والشؤون الإسلامية (سلسلة كتاب الأمة) ، ١٤١٤هـــ - ١٩٩٤م ، قطــر ، الطبعــة الأولى.

ألكسندر بورلي : أسرار النوم ، عالم المعرفة (١٦٣) ، الكويـــت ، ١٩٩٢م ، الطبعــة الأولى.

آمال حمزة المرزوقي : النظرية التربوية الإسلامية ، تهامة للنشر والتوزيع ، ١٤٠٥هــ د.

أميمة علي خان : علم النفس ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٠م ، (د.ط) .

د. آمنة محمد نصير : أبو الفرج بن الجوزي وآراؤه الكلامية و الأخلاقية ، دار الشروق ، ١٤٠٧هــ - ١٩٨٧م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

الأمين الحاج : العلم وفضل طلبه ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، ١٩٨٧م ، الطبعـــة الأولى .

د. أمين الساعاتي : تبسيط كتابة البحث العلمــــي ، المركـــز الســـعودي للدراســـات الاستراتيجية ، ١٤١١هــ - ١٩٩١م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

د. أمينة أحمد حسن : نظرية التربية في القرآن وتطبيقاتهـــا في عـــهد الرســـول ﷺ ، دار المعارف ، ١٩٨٥ ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

آيان مونتين و إيليا نورهارمن : الأطروحة والكتاب ، ترجمة وائق عباس الدايـــني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٨م ، بغداد ، (د.ط).

إيدجار فور ، وآخرون : تعلم لتكون ، ترجمة حنفي بن عيسى ، الشركة الوطنية للنشــر والتوزيع ، الجزائر ، ١٩٧٦م ، الطبعة الثانية .

إيرل بولياس و جيمس يونج : المعلم أمة في واحد ، تعريب/ إيلي واريلن ، دار الآفـــاق الجديدة ، بيروت ، (د.ت)، (د.ط).

(ب)

باقر شريف القرشي : النظام التربوي في الإسلام ، دار التعارف للمطبوعات ، ١٣٩٩هـ - ١٩٨٨م ، بيروت ، (د.ط).

برسيفال سيموند : الدروس التي تتعلمها التربية من علم النفس ، ترجمة عبد الرحمن صالح دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، الطبعة الثانية .

بروكلمان ، كارل : تاريخ الأدب العربي ، ترجمة د. عبد الحليم النجار وآخرين ، دار المعارف ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

بشير حاج توم : تدريس القيم الخلقية ، مركز البحوث النفسية والتربوية ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ١٤٠٣هـ ، الطبعة الأولى .

بطرس البستاني :

- محيط المحيط ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٧م ، بيروت ، (د.ط).

- دائرة معارف بطرس البستاني ، دار المعرفة ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

بكر بن عبد الله أبو زيد :

- حلية طالب العلم ، دار ابن الجوزي ، ،د.ت)، الدمام،المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية.

- التعالم وأثره على الفكر والكتاب ، (د.ن) ، ١٤٠٨هـ ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

د.بول منرو : المرجع في تاريخ التربية ، ترجمة صالح عبد العزيز ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥م ، (د.ط) .

(ت)

التهانوي ، محمد على الفاروقي (ت هـ١١) : كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق د. لطفي عبد البديع ، د. عبد النعيم حسنين ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٩م ، القاهرة ، (د.ط).

د.توفيق يوسف الواعي : الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، دار الوفاء ١٩٨٩م ، المنصورة ، الطبعة الأولى .

ابن تيمية ، محمد عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت٧٢٨هـ) :

- مجموع الفتاوى ، مكتبة ابن تيمية ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

- الرد على المنطقيين ، دار المعرفة ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

- جامع الرسائل ، تحقيق د. محمد رشاد سالم ، مطبعة المدني ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

(ج)

جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين : العلم بين يدي العالم والمتعلم ، دار الوفاء ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، القاهرة ، الطبعة الخامسة.

الجرجاني ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي (ت٨١٦هـ) :

-التعريفات ، دار الشؤون الثقافية العامة ، (د.ت) ، بغداد ، (د.ط).

-التعريفات ، دار الريان للتراث، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط).

جلبرت هايت : فن التعليم ، ترجمة محمد فريد أبو حديد ، الأنجلو المصرية ، ١٩٥٦م ، القاهرة ، (د.ط) .

ج . جليفورد : ميادين علم النفس ، ترجمة يوسف مراد ، دار المعـــارف ، القـــاهرة ، ١٩٧٥م ، الطبعة الرابعة .

جمال بن أحمد بن بشير : وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق ، دار الوطن ، ١٤١٢هـــ، الرياض ، الطبعة الأولى.

د.جمال محمد محمد الهنيدي : تربية علماء الطبيعيات والكونيات المسلمين ، دار الوفـــاء ، ٢٠٠م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

د.جميل صليـــبا :

– مستقبل التربية في العالم العربي ، مكتبة الفكر الجامعي ، ١٩٦٧م ، بيروت ، الطبعـــة الثانية.

– فلسفة تربوية متجددة ، الجامعة الأمريكية ، بيروت ، ١٩٥٦م ، (د.ط) .

جورجي زيدان : تاريخ الأدب العربي ، دار الهلال ،(د.ت) ،القاهرة ، (د.ط).

ابن الجوزي :

– المنتظم في تاريخ الأمم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

–صفة الصفوة ، دار الصفا ، القاهرة ، ١٤١١هـــ ، الطبعة الأولى .

الجوهري ، إسماعيل بن حماد (ت٣٩٣هـ): تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق أحمـــد عبد الغفور عطار ، دار الكتاب العربي ، (د.ت) ، مصر ، (د. ط).

الجيلاني ، عبد القادر : الفتح الرباني ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، الطبعـــة الأولى .

(ح)

ابن حبان البستي : روضة العقلاء ، مكتبة السنة المحمدية ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

حاجي خليفة ، مصطفى عبد الله (ت١٠٦٧هـ) : كشف الظنون ، دار الفكر ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

د.حامد عمار : في بناء البشر ، مركز سرس الليان ، المنوفية ، ١٩٦٤م ، (د.ط) .

د.حامد طاهر : الخطاب الأخلاقي في الحضارة الإسلامية "نماذج تحليلية" ، مكتبة الزهراء ١٩٩٢م ، القاهرة ، (د.ط).

ابن حجر العسقلاني ، أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد (ت٨٥٢هـ):

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد ، دار الغد العربي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، القاهرة، الطبعة الأولى.

- تهذيب التهذيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

ابن حجر الهيتمي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي (٩٧٣هـ) :

- تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال ، دار ابن كثير ، بيروت ١٩٨٧م ، الطبعة الثانية .

- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٣م ، (د.ط)

ابن حزم ، أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (ت٤٥٥هـ) :

- الأخلاق والسير في مداواة النفوس ، تحقيق د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ١٩٨١م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

- رسائل ابن حزم ، تحقيق د. إحسان عباس ، مكتبة الخانجي ، ١٩٨٨م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

د. حسان محمد حسان :

ابن حزم الأندلسي "عصره ومنهجه وفكره التربوي ، دار الفكـــر العـــربي ، (د. ت) ، القاهرة ، (د.ط).

د. حسن إبراهيم عبد العال :

- التربية والتعليم في القرن الرابع الهجري ، دار الفكر العـــربي ، ١٩٧٨م ، القـــاهرة ، الطبعة الأولى.

- فن التعليم عند بدر الدين بن جماعة ، مكتبة التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٥هــــ - ١٩٨٥م ، الرياض ، (د.ط).

حسن جوهر : السودان أرضه وتاريخه ، (د.ن) ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

حسن علي حسن الحجاجي : الفكر التربوي عند ابن القيم ، دار حافظ للنشر والتوزيع ، ١٩٨٨م ، جدة ، الطبعة الأولى .

حسن العوايشة : الغيبة وأثرها السيء في المجتمع الإســـــلامي ، دار عمـــار ، ١٩٨٧م، الأردن الطبعة الثانية .

الحسين بن أمير المؤمنين : آداب العلماء والمتعلمين ، الدار اليمنية ، بـــيروت ، ١٩٨٥م ، الطبعة الأولى .

د.حمدي أبو الفتوح عطيفة ، التربية وتنمية الاتجاهات العلمية من المنظور الإسلامي ، دار الوفاء ، ١٩٩٥م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

أبو حيان التوحيدي ، علي بن محمد بن العباس (ت) :

- الإمتاع والمؤانسة ، تحقيق أحمد أمين - أحمد الزين، المكتبـــــة العصريـــة ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

- البصائر والذخائر ، (د.ن) ، (د.ت) ، (د.ط) .

(خ)

خطاب عطية علي : التعليم في مصر في العصر الفاطمي ، دار الفكر العربي ، القـــاهرة ، ١٩٤٧م ، (د.ط) .

الخطابي ، أبو سليمان حمد بن محمد البستي (ت٣٨٨هـ) : العزلـــة ، تحقيـــق عـــادل عبد الموجود ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، (د.ط).

الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

ابن خلدون : المقدمة ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ١٩٨٦م ، (د.ط) .

ابن خلكان :

- وفيات الأعيان ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٨م ، الطبعة الأولى .

- وفيات الأعيان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٩م ، (د.ط) .

خوليان ريبيرا : التربية الإسلامية في الأندلس أصولها المشرقية وتأثيراتها الغربية ، ترجمـــة : د. الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف ، ١٩٨١م ، القاهرة ، (د.ط).

خير الله طلفاح : الأخلاق أولاً ، دار الحرية ، ١٩٨٢، بغداد ، الطبعة الأولى.

(د)

ابن أبي الدنيا ، أبو بكر عبد الله بن محمد (ت٢٨١هـ) :

- مكارم الأخلاق ، تحقيق و تعليق جمنيز.أ.بلمي ، مكتبة ابن تيميـــة ، ١٤١٠هــــ - ١٩٩٠م ، القاهرة ، (د.ط) .

- الصمت وحفظ اللسان ، تحقيق محمد أحمد عاشـــور ، دار الاعتصـــام ، ١٩٨٦م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

(ر)

الرازي ، أبو حاتم (ت) : كتاب الزينة ، دائرة الشؤون الثقافية ، ١٩٨٥م ، بغـــداد ، الطبعة الأولى .

الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر (ت) : مختار الصحاح ، عني بترتيبه السـيد محمود خاطر ، دار الحديث ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

الراغب الأصفهاني :

- المفردات في غريب القرآن ، مكتبة المعرفة ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

- محاضرات الأدباء ، مكتبة الحياة ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

ر. رالف : المكتبة ودورها في التربية ، ترجمة مصطفى الجويني ، مؤسســة للمطبوعـات الحديثة ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

ابن رجب ، أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٩٥هـ) : فضـل علـم السلف على الخلف ، دار الحديث ، ١٩٨٩م ، القاهرة ، (د.ط).

ابن رشد ، أبو الوليد بن أحمد بن محمد (ت) : فصل المقال فيما بين الحكمة والشـريعة من الاتصال ، تحقيق د. محمد عمـــارة ، دار المعـــارف ، ١٩٨٣، القـــاهرة ، الطبعـة الثانية.

رمزية الغريب : التعلم دراسة نفسية تفسيرية ، مكتبة الأنجلـــو ، القـــاهرة ، ١٩٧٥م ، الطبعة الخامسة .

رونيه أوبير: التربية العامة ، ترجمة د. عبد الله عبد الدائم ، دار العلم للملايين ، بـيروت ، ط٤ ، ١٩٧٩م .

روزنتال : مناهج علماء المسلمين في البحث العلمي ، ترجمة أنيس فريحة ، دار الثقافـــة ، بيروت ، ١٩٦١م ، (د.ط) .

ريكمان : منهج جديد للدراسات الإنسانية "محاولة فلسفية" ، ترجمة د. علي عبد المعطي محمد ، د. محمد علي محمد ، مكتبة مكاوي ، ١٩٧٩م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

(ز)

الزركلي : الأعلام ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٩٠م ، الطبعة الأولى .

د. زغلول راغب محمد النجار : أزمة التعليم المعاصر ، مكتبة الفلاح ، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م ، الكويت ، الطبعة الأولى.

د. زكي مبارك : التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٩٣هـ - ١٩٥٤م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، دار المعرفة ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط) .

(س)

سارنوف مدنيك : التعلم ، ترجمة د. محمد عماد الدين إسماعيل ، دار الشروق ، بيروت ، د.ط ، ١٩٨١م .

السبكي ، تاج الدين عبد الوهاب (ت٧٧١هـ) : معيد النعم ومبيد النقم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

السرخسي : المبسوط ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

ابن سعد : الطبقات ، دار صادر ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

سعد جلال : التوجيه النفسي والتربوي والمهني ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧م ، (د.ط) .

د. سعد الدين السيد صالح : البحث العلمي ومناهجه النظرية "رؤية إسلامية" ، مكتبة الصحابة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، جدة ، الطبعة الثانية.

السعدي ، عبد الرحمن : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٣٩٧هـ ، (د.ط) .

د. سعيد إسماعيل علي :

– أصول التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م ، القاهرة ، (د.ط).

– الأصول الإسلامية للتربية ، دار الفكر العربي ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

– معاهد التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٦م ، القاهرة ، (د.ط).

– رؤية إسلامية لقضايا تربوية ، دار الفكر العربي ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

– أوضاع المربين العرب ، دار الثقافة ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

سليم الهلالي :

-التواضع في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، دار ابن القيم، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، الدمام - المملكة العربية السعودية ، الطبعة الثانية.

-الحياء في ضوء القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة ، مكتبة ابن الجوزي ، الإحساء ، ١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .

د. سيد إبراهيم الجبار : دراسات في تاريخ الفكر التربوي ، وكالة المطبوعات ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م ، الكويت ، الطبعة الأولى.

د. سيد أحمد عثمان : التعلم عند برهان الإسلام الزرنوجي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨٩م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

د. سيد أحمد عثمان و د. أنور محمد الشرقاوي : التعلم وتطبيقاته ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٨م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

د. سيد سجاد حسين ، د. سيد علي أشرف : أزمة التعليم الإسلامي ، ترجمة د. أمين حسين الرباط ، شركة مكتبات عكاظ ، وجامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٣- ١٩٨٣م، الرياض - السعودية ، الطبعة الأولى.

ابن سينا :

-منطق المشرقيين ، مطبعة المؤيد ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ ، (د.ط) .

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال (ت ٩١١هـ) :

- الإتقان في علوم القرآن تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

- التحبير في علم التفسير ، تحقيق د. فتحي عبد القادر فريد ، دار المنار ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

- المزهر في علوم اللغة ، دار التراث ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

- تفسير الجلالين ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

(ش)

ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٦م ، الطبعة الأولى.

الشافعي ، محمد بن إدريس :

- الرسالة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط).

- ديوان الإمام الشافعي ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٨٦م ، الطبعة الأولى .

شفيق محمد زيعور :

- الفكر التربوي عند العلموي ، دار اقرأ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

- المذهب التربوي عند السمعاني ، دار اقرأ ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، بيروت ، الطبعة الثانية.

شكيب أرسلان : لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ؟ ، دار البشير ، ١٩٨٥م ، القاهرة (د.ط) .

الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت١٢٥٠هـ) : أدب الطلب ومنتهى الأرب ، تحقيق محمد عثمان الخشت ، مكتبة القرآن ، ١٩٨٨م ، القاهرة ، (د.ط).

(ص)

صادق سليم صادق : المصادر العامة للتلقي عند الصوفية ، مكتبة الرشد ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، الرياض ، الطبعة الأولى.

(ط)

طاش كبرى زادة ، أحمد بن مصطفى (ت٩٦٢هـ) :

-مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٥م ، (د.ط) .

-مفتاح السعادة ومصباح السيادة ، تحقيق كامل كامل بكري ، وعبد الوهاب أبو النور ، دار الكتب الحديثة ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

-الشقائق النعمانية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٧٥م ، (د.ط) .

د. طه جابر فياض العلواني :

-أدب الاختلاف في الإسلام ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (سلسلة كتاب الأمة) ١٤٠٦هـ -١٩٨٥م ، قطر ، الطبعة الثانية.

-الاجتهاد والتقليد في الإسلام ، دار الأنصار ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

(ع)

عائشة عبد الرحمن : القرآن وقضايا الإنسان ، دار العلم للملايين ، بـيروت ، ١٩٧٥م ، الطبعة الثانية .

عابد توفيق الهاشمي : مدخل إلى التصور الإسلامي للإنســان والحيــاة ، دار الفرقــان ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى.

العامري : **أبو الحسن محمد بن أبي ذر يوسف العامري (ت٣٨١هـ)** : الإعلام بمناقب الإسلام تحقيق د. أحمد عبد الحميد غراب ، مؤسســة دار الأصالــة للثقافــة والنشـر والإعلام ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الرياض ، الطبعة الأولى.

د.عبد الأمير الأعسم : نصير الدين الطوسي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٠م ، الطبعة الثانية .

د. عبد الأمير شمس الدين :

- الفكر التربوي عند ابن خلدون وابن الأزرق ، دار اقــرأ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

- الفكر التربوي عند ابن طفيل ، دار اقرأ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، بيروت ، الطبعـة الأولى.

- المذهب التربوي عند ابن جماعة ، دار اقرأ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، بيروت ، الطبعـة الأولى.

- الفكر التربوي عند ابن القفع ، الجاحظ ، عبد الحميد الكاتب ، دار اقرأ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

د. عبد البديع عبد العزيز الخولي : الفكر التربوي في الأندلس (٤٠٣هـ - ٤٧٨هـ) ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٥م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

د. عبد الجواد خلف : القاضي بدر الدين بن جماعة (حياته وآثاره) ، جامعة الدراسات الإسلامية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، كراتشي - باكستان ، (د.ط).

د. عبد الجليل حسن عبد المهدي : المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي ودورها في الحركة الفكرية ، مكتبة الأقصى ، ١٩٨١م ، عمان - الأردن ، (د.ط).

د. عبد الجواد سيد بكر : فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، (د.ط).

د. عبد الحميد مدكور : دراسة في علم الأخلاق ، مكتبة الشباب ، ١٩٩٠م ، القاهرة ، (د.ط).

عبد الحميد الهاشمي : الفروق الفردية ، دار التربية ، دمشق ، (د.ت) ، (د.ط) .

عبد الحكيم عبد الغني قاسم : المذاهب الصوفية ومدارسها ، مكتبة مدبولي ، ١٩٨٩م ، القاهرة ، (د.ط) .

عبد الدايم أبو العطا : أهداف الفلسفة الإسلامية ، (د.ن) ، (د.ت) ، (د.ط) .

عبد الرحمن حبنكة الميداني : الأخلاق الإسلامية وأسسها ، دار الفكر ، سوريا ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٢م ، الطبعة الثالثة.

عبد الرحمن حجازي : المذهب التربوي عند ابن سحنون ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .

عبد الرحمن صالح : دور التربية العملية في إعداد المعلمين ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٧٩م الطبعة الثانية .

د. عبد الرحمن عبد البر: مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم ، دار اليقين ، مصر ، ط١ ، ١٩٩٩م .

د. عبد الرحمن النقيب :

-فلسفة التربية عند ابن سينا ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٨٤م ، القاهرة ، (د.ط).

-الإعداد التربوي المهني للطبيب عند المسلمين ، دار الفكر العربي ، القــاهرة ، ١٩٨٤م ، (د.ط) .

عبد الرحمن عيسوي : علم النفس الفسيولوجي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م (د.ط) .

عبد الرحمن عبد الخالق : الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ، مكتبة ابــن تيميــة ، ١٤٠٦هـــ - ١٩٨٦م ، الكويت ، الطبعة الثالثة.

عبد الرحمن النحلاوي :

- أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، دار الفكر ، دمشـــق ، ١٤٠٣هـــــ - ١٩٨٣م ، الطبعة الثانية.

- أعلام التربية في تاريخ الإسلام (يوسف بن عبـــد الـــبر القرطـــبي) ، دار الفكـــر ، ١٤٠٦هـــ- ١٩٨٦م ، سوريا ، الطبعة الأولى .

- التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٩٨٢م ، الطبعة الأولى .

د. عبد الرحيم صدقي محمد : مبادئ البحث الأولية ، دار الثقافة العربيـــة ، ١٩٨٥م ، القاهرة ، (د.ط).

عبد الرؤوف المناوي :

- النزهة الزكية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ،١٩٨٧م ، الطبعة الأولى .

- فيض القدير ، دار الحديث ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

عبد السلام هارون : نوادر المخطوطات ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥١م ، (د.ط).

عبد الصاحب الحسيني : الأخلاق عند الرسول وأصحابه ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، ١٩٦٩م ، (د.ط) .

عبد العظيم شرف الدين : ابن القيم الجوزية (عصره ومنهجه) ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ، ١٩٦٧م ، الطبعة الثانية .

عبد العزيز البدري : الإسلام بين العلماء والحكماء ، المكتبة العلمية ، (د.ت) ، المدينة المنورة ، (د.ط).

عبد العزيز القوصي : أسس الصحة النفسية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٠م ، الطبعة الثامنة .

د. عبد الغني عبود :

- الفكر التربوي عند الغزالي "كما يبدو من رسالته أيها الولد" ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٢م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

- في التربية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ١٩٩١م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

- دراسة مقارنة لتاريخ التربية ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٨ ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

عبد الغني محمود : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، الطبعة الأولى .

د. عبد الفتاح أحمد الفاوي : التصوف عقيدة وسلوكاً ، مكتبة الزهراء ، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

عبد الفتاح أبو غدة : صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل ، مكتبة المطبوعات الإسلامية ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، حلب ، الطبعة الثالثة .

عبد الفتاح فؤاد : الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٣م ، الطبعة الأولى .

عبد القادر أحمد عطا : التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي ، دار الجيل ، ١٩٨٧م ، بيروت ، الطبعة الأولى .

عبد الكريم زيدان : الوجيز في أصول الفقه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٧م ، (د.ط) .

عبد الكريم بن صالح الحميد : مطالب الطالب ومثالب الناكب ، دار الحميضي ، ١٩٩٣م ، الرياض ، الطبعة الأولى .

د.عبد اللطيف محمد العبد : الأخلاق في الإسلام ، مكتبة دار العلوم ،١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

د. عبد الله دخيل فياض : تاريخ التربية عند الإمامية ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٨٣م ، بيروت ، الطبعة الثانية .

د. عبد الله عبد الدايم :

- التربية عبر التاريخ ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٤م ، بيروت ، الطبعة الخامسة .
- تاريخ التربية ، المطبعة الجديدة ، دمشق ، ١٩٨٣م ، الطبعة الثانية .

عبد الله ناصح علوان : تربية الأولاد في الإسلام ، دار السلام ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

عبد المنعم عبد الراضي : مشاهير القضاة ، دار ابن كثير ، ١٩٨٨م ، بيروت ، الطبعة الأولى .

عبد الواحد بن عبد الله بن عبد المحسن المهيدب : العلم ، فضله ، أسباب تحصيله ، آداب طلابه ، دار العاصمة ، ١٤١٠هـ ، الرياض ، الطبعة الأولى.

-عبد الوهاب خلاف : أصول الفقه ، مكتبة الدعوة الإسلامية ، القـــاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

عدنان محمد زرزور : نحو فلسفة إسلامية للعلوم ، المعد العالمي للفكر الإسلامي ، القـاهرة ١٩٨٧م ، (د.ط) .

ابن العربي ، أبو بكر محمد بن عبد الله الإشبيلي (ت٥٤٣هـ) : عارضـة الأحـوذي بشرح صحيح الترمذي ، دار الكتب العلمية ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

عرفات عبد العزيز : المعلم والتربية ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٧٧م ، الطبعة الأولى.

عز الدين فرج : فن الحديث ، دار الفكرالعربي ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

عزيز حنا داوود ، وزكريا أثنا سيوسي : دراسات في علم النفس ، مكتبة النهضة العربية القاهرة ، ١٩٧٢م ، (د.ط) .

العقاد ، عباس محمود :

-أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ، دار المعارف ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

-التفكير فريضة إسلامية ، دار النهضة ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

د. علاء أمير محمد مهدي القزويني :

- الشيعة الإمامية ونشأة العلوم الإسلامية ،دار النهضة العربيـــة ، ١٩٨٦م ، القـــاهرة ، الطبعة الأولى .

- المعتزلة وآراؤهم في التربية والتعليم ، رسالة ماجستير - مكتبة كلية التربية - جامعة عين شمس ، ١٩٨م.

- الفكر التربوي عند الشيعة الإمامية ، دار الثقافة العربية ، ١٩٨٥م ، القاهرة ، (د.ط) .

د. علي جريشة :

- شريعة الله الحاكمة ، ليس بالحدود وحدها ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٤م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

- نحو نظرية للتربية الإسلامية ، مكتبة وهبة ، ١٩٨٦م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

د. علي خليل مصطفى أبو العنين :

- فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم ، مكتبة إبراهيم حلبي ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة.

- القيم الإسلامية والتربية ، مكتبة إبراهيم حلبي ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، المدينة المنورة الطبعة الأولى.

علي سالم النباهين : نظام التربية الإسلامية في عصر دولة المماليك في مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٨١، القاهرة ، الطبعة الأولى.

د. علي سامي النشار :

- نشأة الفكر الفلسفي ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٢م ، (د.ط) .

- مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٣٦٧هـ ، (د.ط) .

علي الشويكي : صفات المربي ، مكتبة المثنى ، ١٩٦٤م ، بغداد ، الطبعة الثالثة.

ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت١٠٨٩هـ) : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، دار الآفاق ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

عمر أحمد عمر : منهج التربية في القرآن والسنة،دار المعرفة،١٩٩٦م،دمشق،الطبعة الأولى.

عمر رضا كحالة : دراسات اجتماعية في العصـــور الوســطى ، المطبعــة التعاونيــة ، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م ، دمشق ، (د.ط).

د.عمر فروخ :

- تاريخ الفكر العربي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٦٥م ، الطبعة الأولى .

- عبقرية العرب في العلم والفلسفة ، المكتبة العصرية ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م بـيروت ، الطبعة الرابعة.

د. عمر محمد التومي الشيباني :

-من أسس التربية الإسلامية ، المنشأة العامة للنشــر والتوزيـع والإعــلان ، ١٩٨٢م ، طرابلس - الجماهيرية الليبية ، الطبعة الثانية.

-فلسفة التربية الإسلامية ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٨٣م ، طرابلس - الجماهيرية الليبية ، الطبعة الرابعة.

عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٩م ، الطبعة الثالثة .

عودة خليل أبو عودة : التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القــرآن ، مكتبــة المنــار ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، الأردن ، الطبعة الأولى.

عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤هـ) :

- الشفا ، دار الكتب العلمية ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، دار مكتبة الحياة ، بـيروت (د.ت) ، (د.ط) .

(غ)

الغزالي ، أبو حامد : المستصفى ، البابي الحلبي ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

(ف)

الفارابي :

– ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة ، المكتبة السلفية ، القـــاهرة ، ١٣٢٨هـــــ ، (د.ط) .

– إحصاء العلوم ، تحقيق عثمان أمين ، مكتبة الأنجلو ، القاهرة ، ١٩٦٨م ، (د.ط) .

أبو الفتوح رضوان : المدرس في المدرسة والمجتمـــع ، الأنجلـــو ، القـــاهرة ، ١٩٧٣م ، (د.ط).

د. فاطمة محجوب : الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية ، دار الغد العربي ، ١٤١٣هـــــ ١٩٩٣م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

ف. بارتولد : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعـــارف ، ١٩٨٣م ، مصر ، الطبعة الخامسة.

فكري حسن ريان : التدريس أهدافه ، أسسه ، أساليبه ، عـــالم الكتـــب ، القـــاهرة ، ١٩٧١م ، الطبعة الثانية .

فليب حتى : تاريخ العرب ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٩٦١م ، الطبعة الأولى .

فليب فينكس : فلسفة التربية ، ترجمة محمد لبيب النجيحي ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٥م ، (د.ط) .

فنسنك: د. أ. ي : مفتاح كنوز السنة ، ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الحديـــث ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

فؤاد أبو حطب وآمال صادق : علم النفس التربوي ، الأنجلو ، القـــاهرة ، ١٩٨٠م ، الطبعة الثانية .

د. فؤاد زكريا : التفكير العلمي ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ط١ ، ١٩٧٨م

فؤاد سيد : فهرس المخطوطات المصورة ، معهد المخطوطات العربية ، ١٩٨٨م ، القـاهرة (د.ط).

ابن الفوطي : الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة ، مطبعة الفرات ، بغداد ١٣٥١هـ ، (د.ط) .

الفيروز آبادي ، محب الدين محمد بن يعقوب (ت) : القاموس المحيط ، دار الجيـــل ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

الفيومي ، أحمد بن محمد بن علي المقري ، (ت ٧٧٠هـ) : المصباح المنير ، دار القلـم ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

(ق)

د. قباري محمد إسماعيل : قضايا علم الأخلاق ، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب ، ١٩٧٨م الإسكندرية ، الطبعة الثانية.

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ) : عيون الأخبار ، ضبط وتعليـــق د. يوسف علي الطويل ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، بيروت ، الطبعـة الأولى .

ابن قدامة ، أحمد بن قدامة المقدسي (ت٦٠٧هـ): مختصر منـــهاج القـاصدين ، دار التراث العربي ، ١٩٨١م ، القاهرة ، (د.ط) .

قدري حافظ طوقان : العلوم عند العرب ، مكتبة مصر ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، (د.ط).

القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ، ، دار التراث ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

القشيري ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن (٤٦٥هـ) : - لطـائف الإشـارات ، تحقيق د. إبراهيم بسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٨١م ، القـاهرة ، الطبعـة الثانية.

القفطي : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، دار الكتب العلميـة ، بـيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

ابن القيم ، شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي (ت٧٥١هـ) :

- الوابل الصيب من الكلم الطيب ، مكتبة المتنبي ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

- مفتاح السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،مكتبة حميدو ، الإسـكندرية ، ١٩٧٩م ، الطبعة الثالثة.

- مدارج السالكين ، دار التراث العربي ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .

- إعلام الموقعين ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

- الجواب الكافي ، مطبعة المدني ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، (د.ط) .

(ك)

ابن كثير ، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ) :

- تفسير القرآن العظيم ، دار الدعوة ، استانبول ، ١٩٨٧م ، (د.ط) .

-البداية والنهاية ، دار الريان للتراث ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

-البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ١٩٦٦م ، الطبعة الأولى .

الكردي ، حافظ الدين بن محمد : مناقب أبي حنيفة ، دار إحياء الـتراث ، القـاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

كليفورد صوران ، وجيمس ديز : فن الدراسة ، ترجمة فؤاد جميل ، مكتبـــة الحيـــاة ، (د.ت) (د.ط) .

(ل)

ل. و. سميث ، ل. ج. بيكفورد : الدليل إلى كتابة البحوث الجامعية والرسائل الماجستير والدكتوراة ، ترجمة د. عبد الوهاب إبراهيم أبو سليمان ، تهامة للنشر ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، جدة ، الطبعة الثالثة.

(م)

د. ماجد عرسان الكيلاني :

- إخراج الأمة المسلمة وعوامل صحتها ومرضها ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسـلامية ، (سلسلة كتاب الأمة) ، ١٤١٢هـ ، قطر ، الطبعة الأولى .

- مقومات الشخصية المسلمة أو الإنسان الصالح ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسـلامية ، (سلسلة كتاب الأمة) ، ١٤١١هـ ، قطر ، الطبعة الأولى .

-الفكر التربوي عند ابن تيمية ، مكتبة دار التراث ، ١٩٨٦م ، المدينة المنورة ، الطبعـة الثانية.

-تطور مفهوم النظرية التربوية الإسلامية ، مكتبة ابن كثير،١٩٨٦م،دمشق،الطبعة الثانية.

د. ماجد فخري : الفكر الأخلاقي العربي ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٧٨م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

الماوردي : أدب القاضي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

المباركفوري : تحفة الأحوذي شرح صحيح الترمذي ، دار الكتب العلمية ، بـيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

مجاهد توفيق الجندي : دراسات وبحوث جديدة في تاريخ التربية الإسلامية ، دار الوفاء ، القاهرة ، ١٩٨٤م ، الطبعة الأولى .

مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، مؤسسة آل البيت "مآب : الفهارس التحليلية للتربية العربية الإسلامية ، المجمع الملكي ، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، عمان - الأردن ، الطبعة الأولى.

مجموعة مؤلفين : دائرة المعارف الإسلامية ، دار الشعب ، (د.ت) ، القاهرة (د.ط) .

مجموعة مؤلفين : حضارة العراق ، ج٨ ، مقال الدكتور بشار عواد التربية والتعليم ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٥م ، بغداد ، (د.ط).

مجموعة مؤلفين : من أعلام التربية الإسلامية ، مكتب التربية لدول الخليج ، ١٩٨٨م ، الرياض ، الطبعة الأولى.

مجموعة مؤلفين : دراسات في الحضارة الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، القاهرة ، (د.ط).

مجموعة مؤلفين : الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م ، الكويت ، الطبعة الثانية.

المحاسبي ، أبو عبد الله الحارث بن أسد (ت) : الرعاية لحقوق الله ، د. عبد الحليم محمود ، دار المعارف ، ١٩٨٤م ، القاهرة ، (د.ط).

محمد أبو الفتح البيانوني : الإمام سفيان الثوري،دار السلام للطباعة والنشر،١٩٨٣م،القاهرة،الطبعة الثانية.

محمد أحمد جاد صبح : التربية الإسلامية دراسة مقارنة ، دار الجيل ، ١٩٩٣م ، بيروت ، الطبعة الأولى .

د.محمد أسعد طلس : التربية والتعليم في الإسلام ، دار العلـــم للملايـــين ، ١٩٥٧م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

محمد الخضري : أصول الفقه ، دار الحديث ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ت) .

محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت٥٧٥هـ) : فهرسة ما رواه عن شـيوخه ، دار الآفاق ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، بيروت ، الطبعة الثانية.

محمد رزق ساطور : العلم والمعرفة ،مكتبة القدس،(د.ت)،المدينة المنورة،(د.ط).

محمد أبو زهرة :

- أصول الفقه ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

- أبو حنيفة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

محمد السعيد جمال الدين : دولة الإسماعلية في إيران ، مؤسسة سجل العرب ، القـاهرة ، ١٩٧٥م ، (د.ط) .

د. محمد سعيد رسلان :

- آفات العلم ، دار العلوم الإسلامية ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، القـــاهرة ، الطبعـــة الأولى.

- آداب طالب العلم ، مكتبة الإيمان ، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، الإســكندرية ، الطبعـــة الثانية.

- ذم الجهل وبيان قبيح أثره ، دار العلوم الإسلامية ، ١٩٨٨م ، القاهرة ، (د.ط).

محمد سعيد عمر : مقدمة تحقيق كتاب تحريم النرد والشطرنج والملاهي للآجـــري ، إدارة البحوث العلمية ، الرياض ، ١٩٨١م ، الطبعة الأولى .

محمد سليمان : من أخلاق العلماء ، مجمع البحوث الإســـلامية ، (د.ت) ، القـــاهرة ، (د.ط).

د.محمد السيد الوكيل : أسباب الضعف في الأمة الإسلامية ، دار الأرقـــم ، ١٩٨٩م ، الزقازيق ، الطبعة الأولى .

محمد شديد : منهج القرآن في التربية ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢م ، بيروت ، (د.ط).

د.محمد أبو شهبة : الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، مكتبة السنة ، القـــاهرة ١٤٠٨هـــ ، الطبعة الرابعة .

محمد عادل عبد العزيز : التربية الإسلامية في المغرب ، الهيئة المصرية للكتاب ، القـــاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .

محمد عثمان نجاتي :

- القرآن وعلم النفس ، دار الشروق ، ١٩٨٢م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .
- التعلم ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، الطبعة الأولى .
- علم النفس في حياتنا اليومية ، دار القلم ، الكويت ، ١٩٧٧م ، الطبعة السابعة .

د. محمد عبد الحميد عيسى : تاريخ التعليم في الأندلس ، دار الفكر العـــربي ، ١٩٨٢م ، القاهرة ، الطبعة الأولى.

محمد عبد العزيز المانع : الدليل والبرهان على تحريم أخذ الأجرة على تـــلاوة القـــرآن ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية ، الرياض ، ١٩٨٤م ، الطبعة الأولى .

محمد بن عبد الله الخرعان : العلم ، أصوله ومصـــادره ، دار الوطـــن ، ١٤١٢هـــــ ، الرياض ، الطبعة الأولى .

د. محمد عبد الله عفيفي : النظرية الخلقية عند ابن تيمية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الرياض ، الطبعة الأولى.

محمد جواد رضا : الفكر التربوي الإسلامي ، دار الفكر العربي، (د. ت) ، القاهرة ، (د.ط).

محمد عبد الله الشرقاوي : الاتجاهات الحديثة في دراسة التصوف الإسلامي ، دار الفكر العربي ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط).

د. محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، ترجمة د.عبد الصبور شاهين ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م ، بيروت ، الطبعة الثامنة.

محمد عثمان الخشت : فن كتابة البحوث العلمية وإعداد الرسائل الجامعية ، مكتبة ابن سينا ، ١٩٩٠م ، القاهرة ، (د.ط).

محمد عطية الأبراشي :

- روح التربية والتعليم ، دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي ، ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م ، القاهرة ، الطبعة الرابعة.

- التربية الإسلامية وفلاسفتها ، دار الفكر العربي ، (د.ت) ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ، دار القرآن ، بيروت ، ١٩٨١م ، الطبعة الأولى .

محمد عماد الدين إسماعيل :المنهج العلمي وتفسير السلوك ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٧٠م ، الطبعة الأولى .

محمد عيد عباسي : بدعة التعصب المذهبي ، مكتبة التوعية الإسلامية ، (د.ت) ، مصر ، (د.ط).

محمد عيسى صالحية : المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع ، معهد المخطوطات العربية ١٩٩٢م ، القاهرة ، (د.ط).

محمد الغزالي : مع الله ، دار الكتب الإسلامية ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط) .

د.محمد فاضل الجمالي : خبرات وآراء في الدراسة الجامعية ، دار سعد الصباح ، ١٩٩٣م القاهرة ، الطبعة الأولى .

محمد بن فاضل : نعت البدايات وتوصيف النهايات ، دار الفكر ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ، مكتبة المعارف ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط).

محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، القاهرة ، الطبعة الثانية.

محمد فهمي عبد الوهاب : ورثة الكتاب ، أو رسالة العلماء ، دار الاعتصام ، ١٩٨٠م ، القاهرة ، (د.ط).

د. محمد معروف الدواليبي : موقف الإسلام من العلم وأثر الرسالة الإسلامية في الحضارة الإنسانية ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، ١٩٨٠م ، بيروت ، الطبعة الأولى.

د. محمد منير سعد الدين : المدرسة الإسلامية في العصور الإسلامية ، المكتبة العصرية ، ١٩٩٥م ، بيروت ، الطبعة الأولى .

د. محمد منير مرسي :

- التربية الإسلامية ، أصولها وتطورها في البلاد العربية ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٧٧م (د.ط) .

- تاريخ التربية والتعليم ، عالم الكتب ، ١٩٨٢م ، القاهرة ، (د.ط).

الفهرس التفصيلي للموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

ملخص البحث

محمد ناصر : الفكر التربوي العربي الإسلامي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ١٩٧٧م ، الطبعة الأولى .

محمد ناصر الدين الألباني :

– سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م ، بيروت ، الطبعة الرابعة.

– سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، مكتبة المعارف ، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، الرياض ، الطبعة الأولى.

د.محمد النقيب العطاس : التعليم الإسلامي أهدافه ومقاصده ، ترجمة عبد الحميد محمد الخزيمي ، شركة مكتبات عكاظ ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م ، الرياض ، (د.ط).

محمد الهادي عفيفي : قراءات في التربية المعاصرة ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٣م ، (د.ط) .

محمود الزيادي : أسس علم النفس ، مكتبة سعيد رأفت ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، الطبعة الأولى .

محمود زيدان : التدريس الحديث أصوله وتطبيقاته ، مؤسسة دار الكتب ، الكويت ، ١٩٨٢م ، الطبعة الأولى .

د. محمود السيد سلطان :

– الأهداف التربوية في إطار النظرية التربوية في الإسلام ، دار الحسام للنشر والطباعة والتوزيع ،١٤٠١هـ – ١٩٨١م ، القاهرة ، (د.ط).

– مسيرة الفكر التربوي عبر التاريخ ، دار للمعارف ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، (د.ط).

– مفاهيم تربوية في الإسلام ، دار الحسام ، ١٩٩٦م ، القاهرة ، الطبعة الرابعة .

- بحوث في التربية الإسلامية ، دار الحسام ، ١٩٩٦م ، القاهرة ، (د.ط) .

محمود عبد الرؤوف القاسم : الكشف عن حقيقة الصوفية ، المكتبة الإسلامية ، ١٤١٣هـ ، عمان - الأردن ، الطبعة الثانية.

د.محمود قنبر : دراسات تراثية في التربية الإسلامية ، دار الثقافة ، ١٩٨٥م ، قطر ، الطبعة الأولى .

د. محمود محمد الطنطاوي : المدخل إلى الفقه الإسلامي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، الطبعة الأولى .

د. مراد وهبة : المعجم الفلسفي ، دار الثقافة الجديدة ، ١٩٧٩م ، القاهرة ، الطبعة الثالثة.

د. مصطفى حلمي : الأخلاق بين الفلاسفة وحكماء الإسلام ، دار الثقافة العربية ، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ، القاهرة ، (د.ط).

مصطفى العدوي : فقه الأخلاق والمعاملات مع المؤمنين ، دار ماجد عسيري للنشر ، ١٩٩٨م ، جدة ، الطبعة الأولى .

د. مقداد ياجن :

- التربية الأخلاقية الإسلامية ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م ، مصر ، الطبعة الأولى.

- الأخلاقيات الإسلامية الفعالة للمعلم والمتعلم ، دار عالم الكتب ، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م الرياض ، الطبعة الأولى.

- جوانب التربية الإسلامية ، مؤسسة الريحاني ، بيروت ، ١٩٨٦م ، الطبعة الأولى .

ابن المقري : بلوغ الأماني من الأجزاء والأمالي ، دار العاصمة ، الرياض ، ١٤٠٨هـ ، الطبعة الأولى .

المكي أقلاينة : النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الثلاثة الأولى ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (سلسلة كتاب الأمة) ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، قطر ، الطبعة الأولى.

ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي بن أحمد (ت٧١١هـ) : لسان العرب ، دار المعارف ، (د.ت) ، القاهرة ، (د.ط) .

د. منير الدين أحمد : تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري ، ترجمة د. سامي الصقار ، دار المريخ ، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، الرياض، (د.ط).

موريس بوكاي : التوراة والإنجيل والقرآن في ضوء المعارف العلمية الحديثة ، دار المعارف مصر ، ١٩٨٣م ، الطبعة الأولى .

الموفق المكي : مناقب أبي حنيفة ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (د.ت) ، (د.ط) .

(ن)

د. نادية جمال الدين :

- تاريخ التربية وتاريخ التعليم في مصر ، كلية التربية جامعة عين شمس ، ١٩٨٧م ، القاهرة ، (د.ط).

- فلسفة التربية عند إخوان الصفا ، المركز العربي للصحافة ، ١٩٨٣م ، القاهرة ، (د.ط).

د.ناصر بن سليمان العمر :

- العلم ضرورة شرعية ، دار الوطن ، ١٤١٢هـ ، الرياض ، الطبعة الأولى .

- الحكمة ، دار الوطن ، ١٤١٢هـ ، الرياض ، الطبعة الأولى .

النووي ، شرف الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الدين(ت) : شرح صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، (د.ت) ، بيروت ، (د.ط) .

(و)

وحيد عبد السلام بالي : علماء وأمراء ، مكتبة الصحابة ، ١٤١٢هـ ، جدة ، الطبعة الأولى.

(ي)

يحيى المعلمي : مكارم الأخلاق في القرآن الكريم ، دار عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م ، جدة ، الطبعة الثالثة.

د.يوسف القرضاوي:

- العقل والعلم في القرآن الكريم ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٦م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

- تيسير الفقه للمسلم المعاصر(١) ، مكتبة وهبة ، ١٩٩٩م ، القاهرة ، الطبعة الأولى .

د.يوسف عبد المعطي: أمة في خطر ، دار الصحوة ، ١٩٨٦م ،القاهرة ، الطبعة الأولى .

دوريات ، ومجلات محكمة

مجلة طب الأسرة والمجتمع ، المجلد الأول ، العدد الثاني ، مارس ١٩٩٥م ، الناشر الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع ، مقال د. عبد الله محمد منحود : الضوابط الأخلاقية والشرعية للبحث والتأليف في المجال الطبي ،

دراسات عربية وإسلامية ، العدد الثالث ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م ، الناشر اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري ، الجمهورية العراقية - بغداد ، مقال علي حسين الجابري : دراسة تحليلية لمنهج المعرفة والتعلم عند الجاحظ والكندي.

دراسات عربية وإسلامية ، العدد الثاني ، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م ، مقال د. أحمد حقي الحلي : التربية والتعليم في الحضارة الإسلامية.

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة ، العدد الأول ، السنة الأولى ، ١٤٠٩هـ ، الناشر: د. عبد الرحمن بن حسن النفيسة ، مقال الشيخ عبد العزيز بن باز: فضل العلم وشرف أهله.

مجلة البحوث الفقهية ، العدد الثاني ، ١٤١٠هـ ، مقال الشيخ عبد العزيز بن باز: أخلاق أهل العلم.

مجلة مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثاني ، ١٤٠٤هـ مقال الدكتور حسن إبراهيم عبد العال : المعلم في الفكر التربوي عند الإمام النووي ,

فهرس المحتويات

- In the third section I discuss the most important trends and schools which have bean concerned with this topic.

The second chapter :

It consists of five sections .

-In the first section I discuss the scholar's ethics towards his lord and himself .

-The second section is about the scholar's ethics towards his students .

-The third section deals with the scholar's ethics with his queers .

-The fourth sections handles the scholar's ethics to wards his society .

-The fifth section focuses on the scientific and vocation al ethics of the scholar.

The third chapter :

It comes in five sections :

-The first treats the student's ethics towards his lord and himself .

-The second is connected with the student's ethics towards his teacher .

-The third centers on the student's ethics towards his equals .

-The fourth has to do with the student's ethics towards his society .

-The fifth concern . with the student's ethics towards his educational institution .

Conclusion :

It manifests the results and suggestions of the research .

Bibliography .

This research deals with one of the vital topics of ethics which home always occupied a great position in the old Islamic intellection i.e. . The ethics of scholars and students which means the group of rules organizing educational methods, indicating the psychological , social, scientific and vocational conditions and qualities of the scholar and the student and above all the moral and religions qualities.

The research is divided in to :

1- Introduction :

In it I mention the reasons for choosing this topic and its importance, the previous studies ,the time and objective limits of the topic , the aims and inquiries of the research, and the research plan –

2- Forward :

Here I explain and define the research terms which are : (ethics-the scholar-the student)

The First Chapter :

It consists of three sections,

-In the first section I discuss the meaning , position and conception of science and knowledge and their role in Islamic Intellection, the position of both the scholar and the student, and the motives for seeking knowledge and science.

-In the second section I discuss the manifestations Of interest in the ethics of the scholar and the student in Islamic intellection, the causes of this interest, the most important compiled works available to us ,the sources the previous authors used to compile their works and then the characteristics of the ethics of the scholar and the student in is Islamic Intellection .

Cairo University
Faculty Of Dar El – Oloum –
Islamic Philosophy Department

The Ethics Of Scholars & Students Of Moslem Intellectuals

From The Middle Of The 2nd Century A.H.
Up To The End Of The 7th Century A.H

Master degree

BY

Yhia Hassan Ali

Under Super Vision Of
Prof / Mostafa Helmee

CIRO 2001